روستويفسكي

الاخوة كارامازوف ٢

تبجمة : الدكتورسيامي الدروبي

الأعال الأدبية الكاملة

أعال دوستويقسكي لأدبية

رمه . الدکنور سامیالدرویی





الإخوة كارامازوف



البابُخامِت ماللائمــروماعلىـــه

ا الخطوبة

السيدة هوخلاكوفا هي التي استقبلت أليوشا من جديد في الدهليز • كانت تبدو منهكة جداً • لقد وقع حادث خطسير: ان نوبة الهستريا التي أصابت كاترين ايفسانوفنا قد • انتهت الى اغماء

أعتبه ضعف فظيع واعياء رهيب • لقد رقدت كاترين ايفانوفنا ، وأغمضت عنيها ، وأخدت تهذى ، وارتفت حسرارتها • واسستدعينا الدكتور هرتسنشتوبه والعمين ، فوصلت الممتان ، ولكن الطبيب تأخسر وصوله • الجميع محتشدون الآن فى غرفتها • انهم يتنظرون قلقين خائفين • ماصى يحدث ؟ انها فى غيوبة • آمل أن لا تكون قد أصابتها حمى دماغية • » •

كانت هيئة السيدة هوخلاكوفا تدل على ذعر حق ، فهى تصبيع فى كل خلطة قائلة الألبوشا من أجل أن تطلعه على الواقع : « الأمر فى هذه للرة خطير ، خطير جدا ، ، كأن كل ما جرى حتى ذلك الحين لم يكن على شىء من خطير ددا ، كان ألبوشا يصنى اليها بمرارة ، أراد أن ينهى اليها تشجة المساعى التى قام بها ، ولكنها كانت تقاطعه منذ ينطق بأول كلمة قائلة ً له : « ليس الآن ، « ان وقنها لا يتسع للاستماع اليه ، وطلبت منه أن يتفضل فينظر عند ليزا ، واعدة ً إياه أن تلحق به فيها بعد ،

قالت له بما يشبه الهمس في أذنه ، مفضية " اليه بسر :

ـ تصور يا عزيزى ألكسى فيدوروفتش ! لقد أدهشتني ليزا أشــد الدهشة منذ قليل ؟ ولكنها تبلغ من لتأثير في قلبي أنني أغفر لها راضةً ما ان خرجت أنت حتى استبدت بها ندامة صادقة جدا ، لأنها فيما ترعم قد سخرت منك أمس واليوم • الحقيقة أنها لم تسخر سخراً ، فأنا أعرفها، واتما هي مزحت مزاحاً • ومع ذلك فقد بلفت من الأسف العميق أنهما أوشكت أن تلكي، فما وسعني آلا أن أدهش. لم يتفق لها أن ندمت يوماً حبن كانت تسخر مني ، سخراً لا خيث أبيه على كل حال ، وهي تسخر منى بنير انقطاع كما تعلم • أما الآن فالأمر خطير • لقد أصبح كل شيء خطيرًا • انها تحرص كثيرًا على رأيك يا ألكسي فدوروفتش ، وما ينخي لك أن تؤاخذها وأن تستاء منها • لا تسوءنك أسالسها • أما شخصاً أفعل ما أستطيع أن أفعله لأداريها وأراعبها ، ذلك أنها نطبقة جدا ، ذكة جدا ٠٠٠ لبتك تعلم كم هي لطفة وذكة ! ولقد ذكرت لي منهذ هنيهــة أنك كنت صديق طفولتها ، أنك كنت د خير أصدفاه طفولتهــا ، وأخلصهم ، وأصدقهم » • كذلك قالت • أصدقهم ، هل تفهم ؟ فأين مكاني أنا من نفسها اذن؟ أن لها في هذا المجال ذكريات حمة وعواطف عمقة . وهنالك خاصة " تلك العبارات وتلك الكلمات التي تعجِد استعمالها ، تلك التراكيب التي لا يتوقعها المسرء! ذلك يخرج من فمها فجأة ، ارتجالاً • قصمة الصنوبر تلك مثلاً • لقد كان في حديقتنا شجرة صنوبر ، أيام كانت لـز١ صغيرة جدا . أحسب أن هذه الشجرة ما تزال موجودة الى الآن ، فما يسفى أن تتحدث عنها بصفة الفعل الماضي • لست الأشحار بشراً يا ألكسي هدوروفتش ، انها لا تنغير · قالت ليز ا منذ أيام : « ماما ، انني أرى شحرة الصنوبر هــــذه كأنها في حــلم ، أي « Sosna nak so sna » . الحق أنها قالت لى ذلك بطريقة أخرى * • نسبت الآن كيف قالت لى ذلك . المهم أن كلمة الصنوبر كلمة سخيفة في ذاتها • ولكن ليزا بلغت من الطرافة والأصالة في توتستها أنني لا أستطيع أن أتلدها • ثم ان هذا كله قد خرج من رأسي • والآن ، الى اللقاء • ان هــــند الأحدان قد قلبت نفسي رأساً على عقب ، حتى لأخشى أن تذهب بعقـــلى • لفد أوـــــكت يا عزيزى ألكسى فيدوروفتش أن أُجنَّ مرتين في حياتي • فاضــطروا الى معالجتي • اذهب الى ليزا ، وواسها كما تعجيد أنت ذلك ايما اجادة •

ثم صرخت تنادى ليزا وهي تقترب من الباب :

ــ ليزا ! جتك بألكسى فيدوروفتش الذى تغلين أنك أسأت اليه اساءة كبرى • انه غير غاضب منك ولا عاتب عليك ، أؤكد لك ذلك ، بل انه ليدهشه أن يكون قد خطر ببالك هذا الخاطر !

ـ شكراً يا ماماً ! ادخل يا ألكسي فيدوروفتش •

دخل أليوشا الفسرفة • ان ليزا تهدو مضطربة اضطرابا شديدا ، خجلي خجلا " ورياً ، فقد احمر وجهها فجأة حتى الأذبين • كان واضحاً أنها تشعر بشيء من الخزى • وكما يحدث دائما في مثل هذه الحالة ، طفقت تتحدث في أمور لا شأن لها في نظرها ، متظاهرة " بأنها مهتمة بها في هذه اللحظة اهتماما كبيرا • قالت :

- حدثتنى أمى منذ برهة يا ألكسى فيدوروفتس عن الماتنى روبل ، وعن المهمة التى كلفت بها ٥٠٠ لدى ذلك الضابط المسكين ٥٠٠ وقسد وصفت لى الاهانة الفظيمة التى أُلحقت به ٥٠٠ رغم أن أمى لا تحسن سرد قصة من القسص ، وانما هى تخلط الأمور بعضها ببعض ، وتُسقط فى جميع الأحيان تفاصيل هامة ٥٠٠ لقد تأثرت تأثراً شديداً ، وبكيت ، فقل لى الآن : هل أعطيته المبسلغ وكيف تصرف هسذا الانسان الشقى المفتى ؟

أجاب ألبوشا متظاهراً هو أيضاً بأن اخفاق مسعاه هو ما يشغل باله، أجاب يقول : ــ المشكلة هي أتني لم أعطه البلغ ! تلك قصة طويلة !

وأدركت لبزا مع ذلك أنه يشبح عينيه في ضيق وحرج ، ويحاول مثلها تماما أن يتحدث في أمور ليست بذات بال • وجلس أليوشا قـــزب المائدة وأخذ يروى الحكاية ، فما ان قال بضع كلمات حتى زال ارتباكه تماما ، وحتى أسر انتباه ليزا • كان يتكلم وهـــو ما يزال تحت وطأة الانفعال الذي ما يزال قوياً في نفسه لم يخمد أواره ، ذلك أن الضابط المتقاعد قد أحدث في نفسه أثرا شديدا • وقد عرف كنف يروى القصة رواية أمنة صادقة ، جذابة أخاذة • كان قد اعتاد في الماضي ، بموسكو ، أن يجيء الى ليزا أيام كانت ما تزال طفلة صغيرة ، فيقص عليها حادثاً وقع له منذ وقت قصير ، أو يحدثها عن قراءاته ، أو يثير أمامها ذكري من ذكريات سنبه الأولى ، فكان يتفق لهما في كثير من الأحسسان أن يلفقا أحلاما مشتركة أو أن يخترعا حكايات هي في الفال مضحكة خسبالية غريبة • وها هما يستمدان الآن جو موسكو ، ويشمسعران في نفسهما باستقاظ مناخ الحاة التي قضاها هنالك قبل سنتين • اضطربت ليزا من رواية هذه القصة اضطرابا قوياً • لقد عرف ألبوشا كيف يرسم للصبي ايليوشا صورة حارة • فلما فرغ من سرد جميع تفاصيل المشهد ، ووصف كيف داس المسكين الورقتين النقديتين ، هتفت ليزا تقول وقد استبد بها انفعال عشف :

ــ ألم تعطه المال اذن؟ أتركته ينصرف؟ أوه! يا رب! كان عليك أن تلحق به وأن تدركه ، فتحاول أن تكلمه مزيدا من الكلام ٥٠٠ ــ لا يا ليزا ، لقد كنت على حق حين لم أحاول أن أدركه • ذلك أفضل ***

قال أليوشا ذلك وهو ينهض شارد النظرة حالم الهيئة ، وأخذ يسير في الغرقة ه ـــ لن يهلكوا ، لأن هاتين المائتين من الروبلات ستصلهما على كل حال • سيقيلهما في الفد حتماً •

ثم تابع كلامه يقول وهو ما يزال يسير في الفرفة مطرقاً مفكراً :

ـ نعم ••• لن يعارض في الغد ••• هذا أكيد •••

ولم يلبث أن توقف فحأة أمامها فقال :

ــ لقد ارتكبت خطأ ، ولكن هذا الخطأ ستكون له ثمرات طبية •

ــ ما هو الخطأ الذي ارتكبته *، و*لماذا تتصور أنه ستكون له ثمرات طيبة ؟

القدر ، ولكن له قلباً طبياً ه حاولت أن أفهم لماذا شعر فجأة " بأنه أنهين القدر ، ولكن له قلباً طبياً ه حاولت أن أفهم لماذا شعر فجأة " بأنه أنهين فأخذ يدوس هاتين الورقتين النقديتين ، ذلك أنه كان هو نفسه يجهل حتى آخر لحفلة أنه سيتصرف هذا .لتصرف ، تقى بهذا ! وأحسب أننى استشف الآن الأسباب الكثيرة التي جملت شعوره شجرح ٥٠٠ وكان ذلك أمراً لا بد منه ٥٠٠ فهو أولا قد أسرف في اظهار ابتهاجه بهسنا المال أمامى ، ولم يكتم سعادته في اللحظة الأولى ٥ فلا بد أنه شعر بعد ذلك بعدلة من استجابته تلك السريعة التي لم يستطع أن يسيطر عليها وأن يتحكم بها و فلو أنه اغتبط اغتباطا أقل ، لو أنه امتع عن اظهسار هذا الاغتباط ، لو أنه اصطنع أوضاعاً واتحذ مظاهر كما يفعل كثير من الناس لأخذ المال ، لقبل الوضع بسهولة أكبر ، ولما رفض هذه المساعدة و لقد أسرف في الصدق والاخلاص ، وذلك هو ما يجرح شعوره ، آه يا ليزا !

انه انسان طب صادق ، وهذا يصعبُ الأمور دائماً في مثل هذه الأحوال. لقد كان طوال مدة حديثنا يتكلم بصوت ضعف مرهق مكدود متعجل ٠ وكان يضحك ضحكة صفيرة أيضًا ٥٠٠ يضحك أو يبكي ٥٠٠ لا أدرى ٠٠٠ بل أدرى ٠٠٠ لقد كانت ضحكاته أقرب الى البكاء ٠٠ كان يبكى حماسة " • • • حدثني عن ابنتيه • • • عن الوظيفة .التي عُمْرضت عليه في مدينة أخرى ٥٠٠ لقد فتح لى قلبه ، وأسر ً لى بذات نفسه ، وأفاض في الافصاح عن عواطفه ٥٠٠ فما لبث بعد ذلك أن شــمر من ذلك بعنزي وعار ٥٠٠ ثم اذا هو يشعر نحوى بكره على حين فحأة ٠ انه واحد من أولئك الناس الساكين الذين يسرفون في الاحساس بالخجل والعبار • لقد شعر بالذل من انه سارع يعدني صديقا ، وأنه استسلم لي بغير مقاومة. في بيته كان قد هدَّ دني وتوعَّدني تقريباً ، ثم ها هو ذا حين تلقي المــال يسارع فيوشك أن يرتمي على عنقي • لقد ود ً لو يقلني ، وكانت يداه تلامسني في كل لحظة • فلهذه الاساب جمعا أحس أنه أذل أنسب أمامي ؟ ومما زاد الطين بلة أنني ارتكت تلك الخطيئة ، أنني قارفت تلك الغلطة الخطيرة : لقد صرَّحت له فجأة بأنه سيْمنح مزيدا من المال اذا كان ما يملكه لا يكف للهجرة الى مدينة أخرى ، حتى لقد عرصت عليه أن أسهم أنا في ذلك بمالي اسهاماً كبيرا • ذلك ما فاجأه • لقد تسامل : لماذا أقحم نفسي في مساعدته أنا أيضًا ؟ يجب أن تعلمي يا لـزا أن المذلِّين أمثاله لا يحبون أن يروا جميع الناس تنقدم المهم محسنة • ذلك يشق على أنفسهم كثيرًا • سبعت هذا الرأى كثيرًا ، ولا سبمًا من النايخ روسيمًا• لا أعرف كف أوضع هذه الحقيقة ، ولكن أتبح لى أن ألاحظها بنفسي مراراً • ثم اننی لو کنت فی مکانهم لکان ردّی کردّهم • اننی أشــعر بذلك في ذان نفسي • يجب أن تتصور خاصة " أنه رغم جهله حتى آخر لحظة بأنه سدوس المال أخيرا ، كان يشعر بذلك شعورا غامضا مهما . هذا أكيد و ولم تكن حماسته فائضة ذلك الفيض كله الا لأنه كن يحس هذا الاحساس الفامض المبهم بأنه سيقوم بهسذه الحركة ٥٠٠ على كل حال ، مهما تكن هذه الخاتمة داعية الى الأسف والحسرة ، فما ينبغى أن تقلق منها و بل اننى لهلى يقين بأن ما حدث كان هو الأفضل ، وأن الأمور هى الآن على خير ما يرام ٥٠٠

ـ على خير ما يرام ؟ كيف هذا ؟ انني لا أفهم !

كذلك هتفت ليزا وهي تلقى على أليـــوشا ظرة دهشة • فقال أليوشا :

لفل يمكى في بيته من الفراساعة " بكاملها ، ذلك أمر محنوم ، و وأندم على الفل يمكى في بيته من الفل ساعة " بكاملها ، ذلك أمر محنوم ، و لندم على ما فعل و لجاءني مع الفد حانقاً ساخطاً ليرمى بهما وجهى ، أو لدوسسهما يقدميه كما فعل منذ قليل ، أما وقد صنع ما صنع ، فسيشعر بعسد الآن يلكرامة والكبرياء ، و بالففر والانتصار ، وغم علمه بأنه قد ، ضسيتم يفعلته نفسه ، م يترتب على ذلك أنه لن يكون هنائك شيء أسهل من ردم الى قبول هانين الماثين من الروبلات منذ لفد ، ما دام قد برهن على شرفه يرفض المال ودوسه ، ذلك أنه حين أخذ يدوس الورقين بقدميه لم يكن يثنباً أنني سأردهما اليه في الفداة ، وهو في حاجة رهية الى هذه المساعدة يثنباً أنني سأردهما اليه في الفداة ، وهو في حاجة رهية الى هذه المساعدة طوال النهار ، وسيدرك مدى الخسارة التي مني بها ، وسيكون أمره في طوال النهار ، وسيدرك مدى الخسارة التي مني بها ، وسيكون أمره في المليل أدهى ، قان الندم والحسرة سيقضان مضجمه، وسيمذبانه في أحلامه في أن الندم والحسرة سيقضان مضجمه، وسيمذبانه في أحلامه في أن الندم والحسرة سيقضان مضجمه، وسيمذبانه في أحلامه في أن الندم والحسرة سيقضان عقبه عنقل له مقرقاً : فعان الذه على نفسك ، وقد برهنت على ذلك ، غاقبل الأن هذا الأن المنازة انسان كريم على نفسك ، وقد برهنت على ذلك ، غاقبل الأن هذا

المال ، واغفر لى واعف عنى : • وسوف يقبل المال عندئذ ، ما فى ذلك ريب •

نطق أليوشا هذه الكلمات الأخيرة وهو فيما يشبه السكر • وصفقت ليزا يديها احداهما بالأخرى > وقالت :

ــ هذا صحيح جدا ! هذا واضح جدا ! فهمت كل شىء فهما تما ! أوه ! أليوشا ، كيف تستطيع أن تعرف هذه الأشياء كلها ؟ ما تزال فى ريعان الشباب تم تدرك ما يجرى فى النفس الاسانية هذا الادراك العميق ••• ما كان لى أنا أن أستطع ذلك !

تابع أليوشا كلامه يقول وهو في غمرة الحماسة :

الأمر الأساسى الآن هو أن تقنعه بأننا سنعامله على قدم المساواة رغم
 أنه يقبل أخذ المال منا • يعجب أن يشعر بأننا لا تعامله على قدم المساواة
 فحسب ، بل على قدم التفوق أيضًا •••

ـــ • على قدم التفوق ، هذا تعبير رائع يا أاكسى فيدوروفتش ، ولكن هلاً شرحته لى •••

ـــ أقصد ٥٠٠ الحق أتنى لم أحسن الاقصاح ٥٠٠ لا ٥٠٠ ليس الأمر أمر قدم ٥٠٠ ولكن سيان ٥٠٠

ــ طبعا ٥٠٠ سيان ٥٠٠ أنت على حق ! إغفر لى يا أليوش ، ياعزيزى أليوشا ٥٠٠ لقد كنت حتى الآن لا أكاد أحترمك كثيراً ، هل تعلم ؟ أقصد ٢٠٠ كنت أحترمك ، ولكن على قدم المــــــاواة ، أما بعــد الآن فسأحترمك على قدم التفوق ٥٠٠

وسرعان ما أردقت تقول بحرارة :

- لا تؤاخذني يا صديقي العزيز اذا أنا تفكهت وتندرت قللاً .

أنا فتاة صغيرة تحب أن تضحك ، ولكن أنت ، أبت ٥٠٠ قل لى يا ألكسى هيدوروفتش ، ألا تظن أن في استدلالاتنا ، أبي قل في ستدلالاتك أنت ـ لا في استدلالاتنا نحن ـ نبياً من الاستخفاف بهذا المسكين ، نبياً من الازدراء له ؟ اننا نشر ع عواطفه واضعين أنفسنا موقه ، أفلا نبرهن على احتقار له حين نطمتن كل هذا الاطمئنان منذ الأن الى أنه سيقبسل أخذ الما ؟

فأجاب أليوشا بلهجة جازمة ، كأنه كان يننظر هذا السؤال :

لا يا ليزا > ليس يداخل هذا شيء من . حتفار البتة • لقد ألقيت على نفسى هذا السؤال ذاته وأنا عائد الى هنا • فكرى قليلا : كيف يمكننا أن نحتقره ونحن جميعا مثله > كيف يمكننا أن نحتقره والبشر جميعا مثله ؟ ذلك أتنا لسنا خيراً من هذا المسكين > وهبينا خيراً منه الآن > فاتنا لن نبقى خيراً منه متى و بحدنا في ظهرف كالظهرف الذي هو فيه • لا أستطيع أن أقطع برأى فيما يتمسل بك أنت يا ليزا > ولكننى على يقين من أننى أنا ه حسسكين > في بعض الأمور • أما ذلك الفسسابط فليس من أننى أنا ء ان له نفساً مرهفة جداً • لا يا ليزا > صدقيى > ليس في موقفنا هذا احتقار ولا ازدراء • هل تعرفين ماذا علمنى شيخيمرة ؟ قال لى : يجب أن تعامل أكثر الناس معاملتك أطفالاً > وأن تمسامل بعضى . الناس معاملتك مرضى • • •

ــ قل لى يا ألكسى فيدوروفتش ، قل يا صديقى ! ما رأيك فى أن تنذر نفسينا أنا وأنت للاهتمام بالناس كما لو كانوا مرضى ؟

أوافق يا ليزا ، أتمنى ، ولكننى نست متأهباً بعد كل التأهب ،
 ان صبرى ينفد فى بعض الأحيان ، فأضيق ذرعاً ، وهى أحيان أخرى
 أرانى غائباً فما ألاحظ شيئا ، أما أنت فشأنك شأن آخر ،

لا أصدق من حسف الكلام شيئًا! آه يا ألكس فيدوروفتش!
 ما أعظم سعادتي!

_ ما أحلى أن أسمعك تقولين هذا يا ليزا!

_ ألكسى فيدوروفتش ، أن طيب طيبة خارقة ، ولكنك توهم فى بعض اللحظات بأنك متفيهق قليلا ، ومع ذلك فان المسر، حين يعرفك مزيدا من المعرفة ، يدرك أنك لست كذلك ، و اقترب من الباب فى رفق وهدو، ، فافتحه بلا ضجة ولا ضوضاء ، وتأكد من أن ماما ليست تتنصت علنا ،

كذلك أضافت ليزا تقول بهمس سريع عصبى • فاتحه أليوشا تحو الباب ، فشقه قلبلا ، ثم عاد فقال ان أحدا لا يتجسس عليهما •

وتابعت أليوشا كلامها تقول وهي تزداد احسرارا :

۔ أفترب منى مزيدا من الاقتراب ، هات يدك ، • • هكذا ، • • مكذا يدك ، • • هكذا ، • • يحب أن أبوح لك بسر كبير : ان الرسالة التى بعثت بها اليك أمس لم تكن مزاحا ، بل جداً ، • • •

قالت ذلك وغطت عينيها بيدها • كان واضحا أنها تشعر من هـذا الاعتراف بحياء شديد • وفجأة ، أمسكت يد أليوننا فلتمتها ثلاث مرات بعنف وقوة وحوارة •

هتف أليونـا يقول :

۔ أوه ! ليزا ! حسن منك هذا ! ولقد كنت مقتنما كل الاقتاع على كل حال بأنك كنت جادةً في رسالتك .

ـ كنت مقتنما ؟ أهذا كلام ؟

قالت ذلك وأقست عنها يد ألبوشا ، ولكن دون أن تتركها ، وقد احمر وجهها احمرارا شديدا مرة أخرى ، رضحكت ضحكة خفيفة سيدة .

... أَلْتُم يِدِه فِقُول و حسن منك هذا ء !

على أن هذا اللوم كان لا يخلو من ظلم ، فلقد كان أليوشا يشمر باضطراب شديد هو أيضًا •

تمتم يقول بخراقة ، وهو يحمر ل أيضاً :

_ لشد ما أحب أن أرضيك يا ليزا ، ولكننى لا أعرف كيف أحتال لهذا ولا كيف أتدبره •

سألها ألوشا ضاحكاً :

ـ أكان عيبًا الى هذا الحد اذن أنني كنت مقتنعاً بذلك ؟

فقالت له ليزا وهي تلقى عليه نظرة حنونا رقيقة سعيدة :

_ أوه ! ألبوشا ! بالعكس ٥٠٠ كان ذلك منك حسنا جدا ، حسنا جدا جدا .

وكان أليوشا ما يزال ممسكا يدها بيده ، فما هي الا لحظة حتى مال عليها فجأة فقبلها في فمها •

هتفت ليزا تسأله :

_ ما هذا أيضا ؟ ماذا دهاك ؟

كان أليوشا قد فقد سيطرته على نفسه • قال :

 اغفری لی ٥٠٠ ان کنت قد أخطأت ٥٠٠ لعلنی ٥٠٠ حقا انها لحمافة رهیبة ٥٠٠ لقد أخذت علی آ اننی بارد ، لذلك ٥٠٠ قبلتك ٥٠٠ ولکننی أدرك الآن أن هذا كان حماقة منی ٥

انفجرت ليزا ضاحكة ، وأخفت وجهها بيديها ، ثم لم تملك أن تمنع نفسها من أن تقول له من خلال ضحكها وقد اتخذ وجهها هيشة رصينة بل قاسية :

ــ أنفىل هذا وأنت فى مسوح الراهب أيضا ؟ ان علينا أن تنتظر قليلا فيما يتعلق بالقبلات يا أليوشا • تحن لا تعـــرف حتى الآن كيف تنديرها > لا أنا ولا أنت • لا بد لنا أن تنتظر زمناً ظويلا أيضا •

بهذا ختمت كلامها فجأة • ثم أردفت بعد لحظة تقول :

ــ ولكن اشرح لى : ما الذى حملك على أن تحتار بلهاء حقيرة مثلى هى فوق ذلك كسيحة ، فى حين أنك على هذا الجانب العظيم من الذكاء والتعقل والفطنة ؟ ••• أو. ! ألبوشا ، أنا سعيدة جدا ، لأننى لا أستحقك أبدا •••

سلا تقولى مثل هذا الكلام يا ليزا • سوف أثرك الدير تماما بعد بضمة أيام • فاذا عشت فى العالم فسيكون على أن أتزوج ، أنا أعسرف ذلك • ثم انه • هو ، الذى أمرنى بهذا • فأين عسى أجد امرأة خبيراً منك • • • ومن عسى يريدنى سواك ؟ لقد فكرت فى كل شى • أنت أولاً تعرفينى منذ الطفولة • وأنت ثانيا تملكين مزايا كثيرة لا أملكها • نفسك أقرب الى المرح من نفسى • وأنت خاصة أكثر براءة منى • فأتا

قد عرفت حتى الآن أشباء كتسيرة ، أوه ! أنت لا تعلمين هـذا ! انبى كارامازوف أنا أيضا ، أى ضير فى أن تضحكى وأن تمز حى دائما وأن تسخرى حتى منى ؟ بالمكس : اسخرى ما شاء لك هواك أن تسخرى.٠٠ اننى لأسعد بهذا ٥٠٠ انك تضحكين كطفلة صغيرة ، وتحكمين على نفسك بأنك شهدة ،

ـ شهيدة ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ نم يا ليزا • اظرى مثلا فى ذلك السؤال الذى ألقية منف خطات حين قلت : أليس فى نفسنا شى • من احتقار لذلك الضابط المسكين الذى نشر ح قلبه ؟ تلك فكرة تخطـر بال شهيدة يا ليزا • • • لست أعرف كيف أفسح عما أريد أن أقول > غير أن من يشعر بمثل هذه الأنواع من القلق قادر فى رأيى على أن يثالم كبيرا • • • لا شــك أتك قلبت معانى كبيرة وأنت قاعدة على هذا الكرسى المتنقل • • •

قالت ليزا بصوت أوهنته السعادة :

أليوشا ، ناولني يدك ! لماذا تسحيها دائما ؟ قل لى يا أليوشا :
 أي زي تنوى أن ترتدي حين تترك الدير ؟ لا تضحك ، ولا تغضب ،
 ذلك أن هذا الأمر يهمني كثيرا •

لم أفكر بعد في الزى الذي سأرتديه يا ليزا • ولكنني أريد أن ألبس ما يرضيك أكتر من نجره •

قالت ليزا:

_ أحب أن ترتدى سترة ً من مخمل أزرق قاتم ، وصديرة من « بكيه ، بيضاء ، وقيمة رمادية من جوخ طرى ••• قل لى الحقيقة : لقد صدَّقَتَ في مساء أمس أننى لا أحبك ، حين تنكرتُ لرسالتي ، أليس كذلك ؟

_ لا ٥٠٠ لم أصدتن !

_ أوه ! ألا انك لفتى لا سبيل الى اصـــــلاحه ! انك لا تطاق ولا تحتمل ، هل تعلم ذلك ؟

کنت أعرف أنك ٥٠٠ تحيينني ، ولکنني تظاهرت بأنني أعتقـــد بأنك لا تحيينني ٥٠٠ وذلك لأجملك ٥٠٠ أكثر ارتياحا ٥٠٠

ـــ أوه ! ليزا ! كلا ••• الرسالة معى الآن ، ولقد كانت معى من قبل • هى هنا ، فى هذه الجيب • انظرى !

قال ألبوشا ذلك وأخرج الرسالة من جيبه ضاحكا ، وأظهرها عليها من بعيد ، ثم أضاف :

ـ اعلمي مع ذلك أنني لن أردها اليك • انظرى اليها من بعيد •

ــ كيف هــــذا ؟ أكذبت اذن حين طالبتـك بها ؟ أتكذب وأنت راهب ؟ فقال أليوشا مسلمًا بانهامها وهو يضحك :

ــ تعم أكذب ! لقد أبيت أن أقول الحقيقة حتى لا أردَّ البــك الرسالة •

ثم أضاف يقول بانفعال شديد وقد احمر وجهه من جديد :

ـــ هذه الرسالة عزيزة على ً الى أقصى حد • سأحتفظ بها ما حييت، ولن يستطيع أحد أن ينتزعها منى !

كانت ليزا شاخصة اليه ببصرها مأخوذة منتــونة • ثم قالت له هامسة :

ـ أليوشا ! هيًّا انظر هل تتنصت علينا ماما وراء الباب ؟

طیب یا لیزا ، سأنظر ما دمت تریدین ذلك ، ولـكن ألیس الأفضل أن لا تحاول التثبت من هذا ؟ لمذا نظن می أمك هذا الظن ؟ لماذا تصور أنها یمكن أن ترتكب سماجة كهذه ؟

فقالت ليزا مستاءة وقد احمر وجهها احمرارا شديداً :

أية سماجة ؟ فيم الكلام عن السسماجة ؟ هل من السماجة أن تراقب أم ابنتها وأن تحاول سماع أحاديثها ؟ ان من واجب الأم أن تغمل هذا مع ابنتها ، وليس في عملها ذاك أى اخلال بقواعد اللباقة وأصول الأدب ، كن على يقيين يا ألكسي فيسدوروفتس من أتني حين سيكون لى ابنة أنا أيضا ، فلن يفوتني أن أتجسس عليها في كل مناسبة !

ــ صحيح ؟ ولكن هذا شر يا ليزا !

ــ لاذا يكون هذا شراً؟ أي ضير فيه ؟ لو قد تجسست هذا التجسس

على حديث عادى يجرى فى المجتمع ، اذن لكان ذلك منى ضمة وحقارة بدون ريب ، أما هنسا فالأمر مختلف كل الاختلاف ، هنا فتاة مختلية بشاب ، ٠٠٠ اسمع يا أليوث : أحب أن أقول لك منذ الآن اننى سأراقبك أنا أيضا متى تمت خطوبتنا ، وسأقض بريدك ، وأقرأ جميع رسائلك ، اعلم هذا ، هأناذا أبلنك منذ الآن ،

ــ موافق ••• ما دمت تريدين ذلك ••• ولكن هذا ليس حسناً ، صدقيني •

بهذا تمتم أليوشا • فقالت ليزا :

_ أوه ! هذا الاحتقار ! أليوشا ، صديقى ، لا تتشاجرن منذ أول يوم • اننى أوثر أن أعترف لك بالحقيقة : أنا أعرف أن التجسس على الناس معيب جدا • لقد أخطأت أنا ، وأصبت أنت • ولكننى سأراقبك مع ذلك •

فقال ألبوشا ضاحكاً :

ـــ راقبینی ، راقبینی ٥٠ ولن تکتشفی أشیاء کثیرة ، أقول لك ذلك منذ الآن ٠

_ أليوننا ، هل ستطيخي ؟ تلك أيضًا مسألة يجب أن نســـو ّيها سلفاً .

ـ سأطيمك يا لبزا ، سيسرنى جدا أن أطيمك ، ولكن لا فى الأمور الأساسية ، فى التشون الهامة ، سأعمل بما يمليه على ضميرى ، حتى ولو خالفتنى ،

ــ هكذا أفهم أنا الأمر • ألا فاعلم يا أليوشا أننى مستعدة من جهتى لأن أطبعك لا فى التشون الاساسية فحسب ، بل فى كل شىء ، وفى كل وقت ، مدى الحياة ٥٠٠ أعاهدك على هذا منذ الآن ٥ واذا خضمت لك، وانني أخضع راضية "سميدة فرحة ٥ (كذلك هتفت ليزا تقول بحرارة)، وانني لأحلف لك أيضا أنني لن أراقبك أبدا ، لن أراقبك مرة واحدة، لا ولن أقرأ رسائلك قط ، في يوم من الأيام ٥ ذلك أنك على حق ، وانني على خطأ ٥ أعرف أن رغبة رهية في مراقبتك سوف تتأجع في نفسى ، ولكنني سأحبس هذه الرغبة ، لأن هذا معيب في نظرك ٥ ستكون لى بمثابة المناية الألهية ٥٠٠ اسمع يا ألكسي فيدوروفتش : لماذا أنت حزين هذا الحزن كله في هذه الأونة الأخيرة ، أمس واليوم ؟ أنا أعرف أن حزناً خاصا ٥٠٠ أهو ألم سرى ؟

قال أليوشا بصوت مكبوح :

_ نعم یا لیزا ، هو حــــزن سری ۰ اننی أری أنك تحییننی حقاً ما دمت قد أدركت ذلك ۰

سألته لـزا بلهجة فيها رجاء وضراعة :

ــ ما سبب حزنك ؟ هل أستطيع أن أعرفه ؟

فأجابها ألوشا محرَجًا :

. ــ سأذكره لك يا ليزا ٥٠٠ ولكن فيما بعد • اذا حدثتك الآن عن سبب حزنى ، فلن تفهمى • ثم اننى لن أحسن شرحه كما ينبغى •

قالت لىزا :

ـ أحسب أن موضوع أخويك وأبيك هو الذي يعذبك !

قال ألوشا حالمًا مفكراً :

_ نعم ، هناك أخواى أيضا !

فالت ليز! فجأة :

ـ أنا لا أحب أخاك ايفان يا أليوشا •

استقبل ألبوشا هذا التصريح بشيء من الدهشــــة • وتابع كلامه يقول :

- أخواى يسيران الى الضياع ، وكذلك أبى ، وهم يجر ون الى الشياء كاتات أخرى ، انهم ألعوبة فى يدى « القوة الخفية الغامضة التى تحرك آل كارامازوف ، ، كما قال الأب بائيسى فى الآونة الأخيرة ... هى قوة خفية ، عارمة ، لا يمكن السيطرة عليها والتحكم به ... حتى أبى لست واثقا من أن روح الله تحلق فوق هذه القوة ... ولكننى أعلم أتنى واحد من آل كار مازوف ، أنا أيضا ، أنا فى الظاهر راهب ، فهل أنا راهب حقاً يا ليزا ؟ لقد قلت منذ هنيهة اننى راهب ...

۔ نمم قلت ذلك ٥٠

ــ راهب ٥٠٠ ومع ذلك قد لا أكون مؤمناً بالله ٥٠٠

_ أأنت لا تؤمن بالله ؟ ماذا دهاك ؟

كذلك سألته ليزا قلقة سحاذرة بصوت خافت ٠

ولكن ألبوشا لم يرد • ان هذا القول الذي أفلت من لسنه يسبّر عن فكرة تثوى في قرارة قلبه ولعله لا يستطيع هو نفسسه أن يستبينها ، ولكنها كانت تعذبه ما في ذلك ريب • وتابع ألبوشا كلامه :

 تعلقی بهذا الانسان ، ومدی شعوری بالارتباط به ارتباطاً لا انفصام له ! ••• سوف أكون بعد اليوم وحيداً ••• سأجی، اليك كثيرا يا ليزا ••• لن نفترق بعد الآن •••

ـــ نعم سيظل كل منا قرب الآخر ٥ سنكون متحدين مدى الحية ، متحدين الى الأبد ٥٠٠ أليوننا ، قبلنى الآن ٥٠٠ اســـمح لك الآن بأن تقبلنى ٥

قبلها أليوشا •

ــ والآن اذهب • كان المسيح ممك • (قالت ذلك وهي ترسم عليه اشارة الصليب) • أدركه • هو ، قبــل أن يموت • الآن أفهـم أنني أصمت لك وقتاً ثميناً • سأصلى له ولك اليوم • أليوشا ، سنكون سعيدين، سنكون سعيدين ء أليس كذلك ؟

ــ أعتقد يا ليزا •

لم ير أليوشا ، حين خرج من عنصد ليزا ، أن من الضرورى أن يذهب أولاً الى السيدة هوخلاكوفا ، وانما تأهب لمفادرة المنزل دون أن يودعها ، ولكنه ما ان فتح باب البيت وخطا خطسوة على السلم حتى المجست السيدة هوخلاكوفا أمامه ، فأدرك أليوشا فورا أنها كانت تترقب الصرافه ،

ــ هذا فظيع يا ألكسى فيدوروفتش ! هذه أمور صيبانية ، هـــذه سنخافات وحمافات ه آمل أن لا تحمل أقوال ابنتي على محمل العجد ، وأن لا تهدهد أوهاماً وأحلاماً ! يا للحماقة ! يا للحماقة ! يا للحماقة ! كذلك أخذت تردد وقد لاح عليها أنها تُدينه ه فقال لها أليوشا :

ــ لا تقولى هذا الكلام لها على الأقل ، والا اضـــطربت اضطرابا شديدا وساءت حالها كتراه

ــ هذا أخيرا كلام متزن يبرهن لى على أنك شاب عاقل • هل أفهم من كلامك هذا أنك انمــــا وافقتها اشفاقا على حالتهــــا ، حتى لا تثير بمعارضتك حنقها ؟

قال ألبوشا بلهجة قاطعة :

- لا بل كنت جاداً في حديثي معها كل الجد .

ـــ لا شأن للجد هذا • هذا شيء لا يمكن تصوره ، لا يمكن صفيله ! اعلم أولاً اننى لن أستقبلك بعد اليوم في منزلى ، واعلم ثانيا أننى سأسافر من هذه المدينة مبتعدةً بابنتي • هل فهمت ؟

قال ألبوشا :

ــ فيم تقلقين هــــذا القلق كله ؟ انمــا الأمر أمر مشروع ما يزال تحيققه بعيدا جدا • لا بد أن ننتظر سنة ونصفا على الأقل •

لله لله على حق يا ألكسى فيدوروفتش ، فإلى ذلك الحين يتسع الوقت للتشجر معها والانفصال عنها ما تم مرة ، آه ١٠٠٠ ما أشقاني ! محمح أن هذا كله صبانيات ، ولكنني صعفت حقا ، أنا الآن في موقف فاموسوف في آخر متساهد المسرحية الهزيلة * ، أما تشاسكي فأنت ، وأما صوفيا فهي ، انظر الى هذا التطابق ، لقد رابطت على السلم الانتفارك ، وفي تلك المسرحية الهزلية حدثت جميع المصائب على السلم أيضا ، سممت كل شيء ، وتجلدت تجلداً شديدا حتى أستطيع على السلم أيضا ، همنا هو اذن سر أو الأرق الرهب في الليل وسر نوبات الهستريا بالأمس ! البت عاشقة ، ولم يبق للأم الا أن تموت ! هو قبرى اذن يُهياً ! أجب عن سؤالي الثاني الآن وهو أهم : ما تلك الرسالة التي تحديثما عنها ؟ هل كتبت اليك رسالة ؟ أدنيها فورا ! اشي أطالك بذلك وأهم ،

لا تلحتى • والأفضل من هذا أن تقولى نى كيف حال كاترين
 ايفانوفنا الآن • اتنى أحرص على معرفة ذلك •

ما زالت تهذى ، لم تسترد حواسها بعسد ، وعته معه ، ما تنكان تتفجسان وثنان وتوسطنمان مظاهر الأبهة ، أما الدكتسور هرتسنشتوبه فقد وصل ، ولكنه بلغ من الذعر أنني أصبحت لا أعرف ماذا يجب على أن أعمل لأهدى، روعه ، حتى لقد خطر ببالى أن أسندعى طبيا لهه وجيء بالعليب في عربتى، ثم هأناذا الآن أمام مشكنتك ومشكلة هذه الرسالة ، تتمة للشقاء والبلاء ! صحيح أن هذك ثمانية عشر شهرا ، ولكنني أستحلفك بكل ما هو عزيز عنك مقدس لديك ، أستحلفك بشيخك المحتضر ، أن تريني هذه الرسالة ، أربها أنا ، أنا أم ليزا ، امسكها بأصابعسك اذا نشت ، فلن آخذها ، وإنما أقرؤها من بعيد ،

لا يا كاترين أوسيوفنا ، لن أريك الرسسالة ، لا جدوى من الالحاح ، لن أريك الرسالة حتى لو أذنت لى هى بذلك ، سأعود غدا، فاذا شتت ناقشنا جميع المشاكل ، أما الآن فالى اللقاء ،

قال ألبوشا ذلك ، وهبط السلُّم راكضًا ، فخرج الى الشارع •

۲ قىيىثارة سىردىياكوف

یُنفذ الخطی ، فحین ودع لیزا کانت قد برقت فی ذهنه فکرة عن الطریقة التی یستطیع بها أن یفساجی ٔ أخاه دهتری الذی کان واضحا أنه یحاول أن یتجنب لقاء ، الوقت متأخر ، هی

الساعة الثالثة بعد الظهر تقريا • كان ألوضا يتمنى بكل كانه أن يعود الى الدير قرب شيخه المحتضر ، ولكن حاجت الى رؤية أخيه دمترى مرة أخرى قد تفلبت أخيرا : ان احساسه بوشك وقوع كارئة ، بوشك حدوث أمر رهيب ، يرسخ فى تفسه مزيدا من الرسوخ كلما انقضت الساءت • أما ما هى تلك الكارثة التى ستقع ، أما ما هو ذلك الشقاء الذى سينزل ، فان ذلك شيء لم يكن يعلمه ألوشا ، لا وكان يستطيع فى تلك خالفظة أن يوضع لنفسه ما يريد أن يقوله لأخيه دمترى • « اذا مات شيخى المحسن الى اتناه غيابى ، فلن ألوم نفسى فى أقل تقدير ، مدى الحياة ، على اننى كان فى وسمى أن أحول دون وقوع المسر ثم أهملت أن أفعل ذلك ، وأغفلت واجبى وأسرعت أعود الى مسكنى بأقصى سرعة • الى اذ أقعل الآلا ما أقبل انما أطيع أوامر معلمى • » •

كانت خطته هى أن يعتر على دمترى فعبأة ، متسلملاً الى الحديقة من خلال السياج الذى سبق أن تخطاء أمس داخلا الى « الكئسك ، • وكان يقول لنفسه : « فان لم أجده ، فسأختبى، فى العِناح دون أن أنجى، لا أهل الدار ولا توماس ، ثم انتظره هنالك حتى المساء اذا وجب الأمره فاذا كان ينوى أن يترقب جروشنكا كما فعل أمس ، فربما جاء الى هذا الكشك ٥٠٠ ، • ولم يتأخر آليوشا فى وضع خطته بجميع تفاصيلها ، ولكنه قرر أن يضمها موضع التنفيذ فورا ، ولو اقتضاه ذلك أن لا يرجع الى الدير فى ذلك اليوم •••

وقد جرى كل شيء على ماصورته له نبوءاته • تنخطي السياج في موضع غير بعيد عن الموضع الذي تخطاء فيه أمس ، وتسلل الى الجناح دون أن يراه أحد . وكان يريد أن لا يلاحظ حضوره أحد . ذلك أن من الجائز أن يكون أهل الدار وتوماس (في حالة وجـــود. بالدار) منحازين الى صف دمترى ، فقد يمنمونه اذن من دخول الحديقة ، أو قد يبلغون دمتري وصمحوله في الوقت المناسب ، تنفيذاً نتعليمات دمتري نفسه • لم يكن في الحديقة أحسد • جلس ألبوشا في مكان الأمس وانتظر • ونظر الى الكشك فيدا له أكثر تداعيا مما بدا له كذلك في اليوم السابق ، وأحدث في نفسه شـــعورا بالشقاء ، ولكن النهار كان مضيًّا مشمساً كما كان يوم َ زيارته الأولى • وعلى المائدة الخضراء تُـرى علامة مستديرة خلَّفها قدح الكوناك الذي لعله صُدم أثناء المناقشية ٠ وساورت أليوشا خواطر تافهة كثيرة لا صلة لها بالظروف الراهنة ، كما يحدث عامة أثناء انتظار مضجر ممل • تساءل مثلاً : لماذا جلس في المكان نفسه الذي جلس فيـــه بالأمس ، ولم يجلس في مكان آخــر • واجتاحه شيئًا فشيئًا حزن كبير مردُّه الى قلة التأكد وشدة القلق • وبعد أن مكث هنالك قرابة ربع ساعة أو أقل من ذلك ، سمم ألحان قيشارة تنطلق قريبة " منه • لا شُك أن أحداً كان متلبًّا في الغابة الصغيرة على مسافة عشرين خطوة في أكثر تقدير ، أو أن أحداً وصل الى ذلك المكان منذ برهة قصيرة • وتذكر ألنوشا فحأة أنه حين ترك أخاء أسهريم وإيشد ·

عن « الكشك ، قد لمج على اليسار قرب الحاجز دكة ريفية قديمة غائرة في الأدغال ، فهنسالك اذن لا بد أن يكون قسد جلس الواصل أو الواصلون ، ولكن من عسام يكونون ؟ وهذا رجل ينطلق في تلك اللحظة منياً أبياتاً من الشعر يرافقها عزف على القشارة (ان الصوت صوت مترقق من طبقة التينور ، عامي النبرات) :

بقوة عظيمة انجلب * الى الجميلة التى لا تفلب رفقا بنا يلرب بى وبها يارب بى وبها يارب بى وبها يارب

وصمت الصوت ذو التنيات العامية • وهذا صـــوت امرأة لطيف وجل يُسمع عندئذ قائلاً في غنج ودلال :

ـــــ لماذا لا تنجىء الينا الا نادرا يا بافل فيـــدوروفتش ؟ أأنت تكره صحنتنا ؟

فقال صوت الرجل في تأدب ، بلهجة يدرك المر. فيها مع ذلك شيئا من اوادة تأكمد الرصانة والوقار والتفوق :

كان واضحا أن الرجل مسيطر على الموقف ، فى حين أن المرأة تبدو مستصحلة ، قال أليوشا لنفسه : « ولكن هذا سمر دياكوف ! هذا صوته على الأقل ، أما المرأة فأتخيل أنها ابنسة صاحب الدار ، التى رجعت من موسكو فى الآونة الأخيرة بثوب طويل الذيل ، والتى تجيء كل يوم الى مارفا احتاتفنا الثماسا لشيء من حساء ٥٠ ، ٥

وعاد صوت المرأة يقول :

ـــ اننى أعبد الأشعار ، ولا سيما اذ: كانت متسقة متناغمة • لمــاذا . توقفت عن الغناء ؟

فاستأنف صوت الرجل صداحه :

تاج اللوك هين في نفسي مادمت احقلي بصديقة انسي وفقا بنا يارب بي وبها يارب بي وبها يارب بي وبها يارب بي وبها يارب

قال صوت المرأة :

غيتها في المرة الماضية خيراً مما تغنيها الآن. كنت في المرة الماضية
 تقول : « صديقة أنسى العذبة » > فكان ذلك أرق عاطفـــة ، هل نسبت ؟

فقال سمر دياكوف بلهجة قاطمة :

_ ما الأشمار الا سخف وحماقة!

_ أوه ! لا ••• أنا أحب الأشعار كثيرا •

الشعر هزل لا جد • اقضى فى الأمر ينفسك : من ذا الذى يتكلم فى هذا العالم مقفياً ؟ ولو أخذ جميع الناس يتكلمون شعراً ، بأمر صادر عن السلطان مثلاً ، لما وجدوا أشياء كثيرة يقولونها • لا ••• صدقينى يا ماريا كوندراتيننا : ما الشعر الاكذب وتصنع !

فاستأنف صوت المرأة كلامه قائلا وقد ازداد غنجاً ودلالاً :

ــ ما أذكك ! كيف تفعل من أجل أن تكون على هذا الجاب العظيم من الثقافة ؟

ـ كان يمكن أن أفعل أكثر من ذلك ، وأن أصـــــــــــ أوسع ثقافه وأغزر علما ، لو ان القدر لم يحاربني منذ المهد • كن يمكنني ان أقتل في مارزة بالسدس ذلك الذي قد يصفني بأنني امرؤ جلف لانتي لس لى أب ، ولأن أمى امرأة تتنة * ، لقد قذف أحدهم هذا الكلام في وجهي ذات يوم بموسكو ، حث شاع سر مولدي بفضل جريجوري فسيلغتش.٠ ان جريجوري فاسيلفتش يعيب على تمردي على ميلادي • وقد قال في معرض حديثه عن أمي : « لقد مزقت لها أحشاءها ٠ » • انني أسسلم بذلك ، ولكنني كنت أوثر أن أ'قتل في بطنها على أن أجيء الى هــــذا العالم • ان الناس يتناقلون في السوق (وقد ظنت أمك ، لقلة لبافتها ، ان من واجبها أن تقول لي ذلك أيضًا) أن أمي كانت مصابة بداء تلبد الشمر ، وأن طولها كان لا يزيد على خمس أقدام • وكانت أمك تمط أحرف المد وهي تكلمني ، فلماذا كانت تفعل ذلك مع أن من السهل جدا على المرء أن يتكلم كما يتكلم سائر الناس ؟ لأنها كانت تحب أن تظهر عاطفيتها • ولكن هذه العاطفية تفوح منها رائحة الفلاح (الموجيك) • هل يستطع الموجك أن يشعر بعواطف نحو رجل مثقف؟ انه أجهل من أن يشعر بأي شيء أه انني حين أسمع أحرف المدِّ تُمطُ هذا المط أتمني لو ألطم رأسي بنجدار • وذلك أمر أعرفه في نفسي منذ طفولتي ! أوه ! اننى أكره روسا يا ماريا كوندراتفنا •

_ لو كنت ضابطا أو من سلاح الفرسان لما فكرت هذا التفكير ، بل لجر ًدت سبفك دفاعاً عن روسيا ٠

لا أحب أن أكون من سلاح الفرسان يا ماريا كوندواتفناء بل
 ان من وأبي الفاء الجش أصلاً •

ــ فمن يدافع عنا اذن اذا هاجمنا العدو ؟

لا داعى آلى الدفاع • فى عام ١٨٦٧ غزا امبراطور الفرنسيين ،
 نابوليون الأول ، وهو أبو الامبراطور الحالى * ، غزا روسيا ، فلو قد تم نه الاستيلاء عليها لكان ذلك سعادة كبرى ، وحظاً عظيماً ؟ لأن أمة " ذكية تخضع لنفسها عندئذ أمة غيبة ، وتلحقها بها • فلو قد تم تحقيق ذلك اذن لكان عندنا الآن نظام مختلف عن خلامنا كل الاختلاف •

كأنهم خير منا ! ••• ألا اننى لأرفض أن أستبدل بشاب واحد
 من شبابنا الحسان ثلاثة رجال من الانجليز •••

كذلك هنفت تقول ماريا كوندراتفنا بأرق صوت وأعذب نغمة • ولا شك أنها كانت تلقى على صاحبها عندثذ نظرات تفيض حبأ وحناناً •

قال الرجل :

ـ السألة مسألة ذوق !

م هيئتك أنت نفسك هيئة أجنبى ، أجنبى نبيل جداً • أعترف لك بهذا دون أن أحسر خجلا •

- هل تريدين أن أقول لك الحقيقة ؟ انهم جميعا سواسية من ناحية التحلل من الأخلاق ، أجانب كانوا أم روساً • هم جميعا أوغاد أوباش ، مع فارق واحد هو أنهم هناك ينتعلون أحذية ملمّعة ، في حين أن أهلنا الحفاة هنا قانعون بؤسهم النتن ، لا يجدون فيه ضيراً • إن الشعب الروسي يستحق أن يحجلد • لقد صدق فيدور بافلوفتش أمس حين قال هـنا الكلام ، وغم أنه مجنون ، هو وأبناؤه جمعا •

ــ ولكن سبق لك أن قلت انك تحترم ايفان فيدوروفتش احتراما كبيرا • - ذلك لم يمنعه من أن يصفنى بأننى خادم ندل ، هو يتخيل أننى واحد من أولئك المتمردين ، ولكنه مخطى، ، لو ملكت قدراً كافيا من المال ، اذن لسافرت منذ زمن طويل ، أما دمترى فيدوروفتش فهمو شر من خادم ، سواه بسلوكه وقلة ذكائه أو ببؤسه وشقائه ، هذا رجل لا خير لست الا طباخاً فاشلاً ، ولكن لو أوتبت شيئاً من خط فمسوف أنتم لست الا طباخاً فاشلاً ، ولكن لو أوتبت شيئاً من خط فمسوف أقتم محمم الطلب ، بموسكو ، في شارع بتروفكا ، اننى أجيد اعداد أطباق حسب الطلب ، وما من أحد من زملائي قادر على ذلك ، الا الأجاب ، ومترى فيدوروفتش هذا ليس الا انسانا دنياً ، ومع ذلك لو طلب الى المازة أنبل أبناء أحد الكونتات ، لرضى هذا أن يبارزه ، فيم هو يفضل غيره ؟ انه أقل منى ذكاه ! وما أكثر ما أتلف من مال في سبيل حماقات وترهات !

قالت ماريا كوندراتفنا :

_ لا بد أن المارزة شيء جميل جدا .

9 15U _

ـ هى خطرة جدا وتحتاج الى شجاعة ، لا سيما حين يتواجه ضباط شبان بمسدسات فى سبيل سيدة ! ما أروعه من منظر ! لو كانت تُقبل فتيان فى مشاهدة مبارزة ، لو هيت أى شى، فى سيل أن أشهد مبارزة .

المبارزة ممتعة حين يسدًّد المرء بنفسه ، أما حين يكون الآخر
 هو الذي يسدّد اليك ، فالأمر يصبح عندئذ كريها ، وربما تهربين ياماريا
 كوندراتفنا .

... أتخاف أنت في مثل هذه الحالة ؟

لم يتنازل سمردياكوف فيجيب عن سؤالها • وبعد برهة من الوقت سُمع لحن آخر تعزفه القيّارة وصوت مترقق من طبقة التينور يصدح مغنياً:

> سارحل مهما آكابد فانی ستبت العلابا • سیبهجنی ان آعیش بعیدا امتع نفسی واحیا سعیدا حیاة العواصم • فلا شیء بعسکتی ما منا ولست بباك علیك كذلك ولست بباك علی كشد، •

وفي تلك اللحظة حدث نبيء ليس في الحسبان : لقد عطس أليوت فجأة • فسرعان ما صمتت الأصوات • فنهض أيوتنا عن مكانه وانجه تحو الدكة • الرجل هو سعر دياكوف فعلا ً ، بثابه الجميلة ، وحذاءيه الملكسيين ، وشعره المدهن حتى لكأنه مجعد • كان قد وضع القيارة على الدكة • والمرأة الشابة هي ماريا كوندراتفنا بنت صاحبة الدار • انهسا ترتدى ثوباً أزوق فاتحاً ذا ذيل طويل جدا ً • وكان يمكن أن تبدو جميلة لولا تلك القع الحمراء البشعة في وجهها المسرف في الاستدارة •

سأل ألوشا بلهجة هادئة وهو يحاول أن يسبغ على سؤاله مظهر سؤال بسيط لا قيمة له :

هل سیأتی أخی دمتری الی هنا بعد قلیل ؟
 فنهض سمردیاکوف بدون تعجل، وکذلك فعلت ماریا کوندراتفناه
 نائع لی أن أعرف ما یفعله دمتری فیدوروفنس ؟ اننی لم أکلف
 بعدراسته فیما أعلم ۵۰۰

كذلك أجاب سمردياكوف مقطَّمًا ألفاظه دون أن يرفع صوته ، وقد بدا في وجهه الاهمال •

فقال ألبوشا شارحاً :

_ انما سألتك لتجيبني اذا كنت تعلم •

ــ أنا أجهل أين يمكن أن يكون الآن ، ولا أحـــر، م على أن أعرف •••

لكن أخى أسرَّ الىَّ أنك تطلعه على كل ما يحدث فى الدار ، وأنك وعدته بابلاغه عن مجيء آجرافين ألكسندروفنا ه

فرفع سمردياكوف بصره الى ألبوشا بطء دون أن يضطرب • ثم قال وهو يحدّق الى ألبوشا ويتفرس فيه :

ـ هل يمكنني أن أسألك أنا أيضا كيف فعلمت حتى استطعت أن تدخل الى هنا رغم أن باب المدخل مقفل بالمنتاح منذ أكثر من ساعة ؟ قال ألموشا :

۔۔ _ مررت بالزقاق وتخطیت السیاج لأصل الی الکشک رأساً •

ثم أضاف يقول مخاطبا ماريا كوندراتفنا :

_ أرجو أن لا تؤاخذيني على عدم تحرجي • لقد كنت أحرص على أن أرى أخي بأقصى سرعة •

فأجابت المـــرأة الشابة تقول بصوت ممطـــوط وقد بدا واضحاً أن اعتذار ألوشا اليها قد سرها كثيراً :

لا بدلی أن أراه حتماً • اننی أبحث عنه فی كل مكان • ألا
 تستطیعین أن تقولی لی أین یمكننی أن أعثر علیه الآن ؟ ان الأمر أمر
 مسألة تهمه كثيرا •

فتمتمت المرأة الشابة تقول :

ــ انه لا يطلمنا على تنقلاته •

واستأنف سمردياكوف كلامه فقال :

اننى أجىء الى هنا زائراً ، فاذا هو يلاحقنى حتى الى هذا المكان ليسألنى عن أخبار سيدى • لقد طالبنى بأن أذكر له ماذا يفعل أبوء ، ومن يدخل الدار ومن يخرج منها ، وكل ما يمكننى أن أطلع عليه من أمور أخرى • حتى لقد هدددن بالقتل مرتين !

_ بالقتل ؟ لماذا ؟

ـ انه ، بما له من طبع خاص ، لا يتورع عن شي، • • • ولقد أتبح لك أن ترى ذلك بنفسك أمس على كل حال • لقد أندرني بأن عاقبتي ستكون وخيمة اذا أنا تركت لآجرافين ألكسندروفنا أن تدخل وأن تقفي لميلاً في الدار • انني أخافه وأخشاء ، ولولا أنه يثير في نفسي همذا الجزع كله اذن لأبلفت، عنه السلطات • الله وحده يسلم مايمكن أن يفسله دمتري فدوروفنش !

وأضافت ماريا كوندراتفنا تقول :

_ وقد صرَّح له منسِـذ أيام بأنه سبسحقه بالهاون سحقاً ، ويدقه دقاً •••

قال أليوشا :

ـــ لئن تكلم عن الهــــاون ، فليس الأمر بالجد ، ليننى أستطيع أن أعثر عليه الآن ، اذن لقلت له كلمة ً عن هذه النهديدات أيضا ،

قل سمردياكوف وكأنه قد غيَّر رأيه فحاًة :

اليك المعلومات الوحيدة التي أستطيع أن أنهيها اليك • انني أجيء الى هذا كصديق قديم ، وليم لا أزور جيرانا ؟ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ايفان فيدوروفتش قد أرسلني هي ساعة مبدرة من هذا السباح الى أخيك في « شارع البحيرة » • لقد كلفني ، دون أن يحملني رسالة مكتوبة ، بأن أ علم دمترى فيدوروفتش جهارا أنه يرجوه ملحا أن يحيء لتناول طعام المداه معه في الكاباديه الذي يقع عي الميدان • لم أجد دمترى فيدوروفتش قد خرج ، • أنا مستعد فوالت لي صاحبتا المنزل • ان دمترى فيدوروفتش قد خرج ، • أنا مستعد فيدوروفتش الآن في ذلك الكاباديه مع ايفان فيدوروفتش > لأن أخوك دمترى يرجع الى المنزل للفداء • أما فيدور بافلوفتش فقد تفدى أخيراً منسيد يرجع الى المنزل للفداء • أما فيدور بافلوفتش فقد تفدى أخيراً منسيد عنى ، وأن لا تقول له الني دكرت لك هذه المعلومات • فلقد يقتلني اذا عنى ، وأن لا تقول له الني ذكرت لك هذه المعلومات • فلقد يقتلني اذا هو عرف ذلك !

سأله أليوشا كأنما ليتأكد من الأمر مزيدا من التأكد :

لًـ هل ضرب ايفان موعدا لدمتري فيدوروفتش في الكابارتُه ؟

_ تماما . •

ــ أهو كاباريه « العاصمة الكبرى ، الذي يقع في الميدان ؟

يـ هو تقسه ٠

هتف ألبوشا يقول وقد ألم َّ به انفعال شديد :

قال سمرديكوف ملحاً :

_ اياك أن تفضحني !

ـ لا تخف • سأتظاهر بأنني دخلت الكاباريه مصادقة " •

وبينما كان أليوشا يتجه نحب والسياج ، هتفت ماريا كوندراتفنا قائلة :

- ــ الى أين أنت ذاهب ؟ سأفتح لك باب البستان •
- ـ لا داعى الى ذلك ، من هنا أقرب ، سأتخطى السياج ،

أحدث هذا النبأ في ألبوت أثرا قويا • وأسرع متجها إلى الكاباريه • ليس من الحشمة طبعا أن يدخل ألبوشا الكاباريه وهو في مسوح راهب ولكن ألبوشا قد قرر أن يسأل عن أخويه دون أن يدخل الصالة ، وأن يستحيهما اليه على السلم • وانه ليقترب من منى الكاباريه اذا بايضان بناديه سائلا :

- ـ مل تستطيع أن تجيئني الى منا يا ألبوشا ؟
- ـ طبعاً ولكنني أتحرج من الدخول بثوبي هذا •
- أنا في حجرة خاصة تعال الى سلَّم الدخل ، فأتنقال هناك •

وبعد دقيقة ، كان أليوشا يجلس الى جانب أخيه ، لقد كان ايفان وحيدا ، وكان يتناول غداه. .

۳ الاُخوة يتعــــــارفنون

يكن ايفان يحن حجرة خاصة بعمى الكلمة • وانما كان جالساً قرب النافذة في ركن تعزله عن الصالة حواجز • فالاشخاص الذين يعطسون في هذا المكان الخاص لا يراهم رواً د الكاباريه

الآخرون ، هي قاعة مدخل تفضى الى الصالات التي بعدها ، قد نصب « بوفيه ، أمام جدارها الجانبي ، والخدم يجازون هذه الفاعة في كل لحظة ، ولم يكن في القاعة حيذاك الا زبون واحد هو ضابط محال على التقاعد كان يحتسى الشاى ، ولا كذلك الصالات الأخرى فهي تزخر بما تزخر بها أمثال هسند، الأماكن عادة " من نداءات عالية ، وصرخات فرحة ، وقرقمات الزجاجات التي تنفتح ، وطقطتات الكرات على مائدة البلاردو ، مع أصوات أدغن بربارى تشق هذه الجلبة كلها ،

كان ألبوشا يلمم أن أخاء ايفان لا يكاد يرتاد هذا الكاباريه أبدا ،
لأنه لا يحب جو الأماكن التي من هسدا النوع على وجه العموم • فقال
ألبوشا لنفسه : و فانما هو جاء اذن ليلقى دمترى ، ولكن دمترى لم يلب .
دعوته » •

قال ايفان وكان يبدو سعيدا بحضور ألبوشا:

ے هل تر يد أن آمر لك بحساء سمك ؟ يخيَّل الى َ أَنْكَ لا تتفذى بالشاى وحدہ !

وكان ايفن قد فرغ من تناول طعامه ، فهو الآن يحسو فنجاناً من الشاى • أجابه أليوشا مبتهجاً مرحاً :

ــ يسرنى أن أصيب طبقاً من حساء الســـمك ؟ واطلب لى كذلك شايا ، فاتنى جائع ه

ــ فما قولك اذن بشىء من مربب الكرز؟ ان عنـــدهم هنا مربتّب كرز • وعهدى بك أنك كنت تحب هــــذا المربب فى الاضى حين كنت صغيرا وكنا نعيش كلانا عند أسرة بولينوف • أما تزال تتذكر هذا ؟

ــــ أأنت تتذكره اذن يا ايفان ؟ موافق على المربب ، فاننى ما أزال أحبه كما كنت أحبه في الماضي ه

نادی ایفان الخســـادم وأمر بطبق من حساء السمك ، وبشـــای ، وبمربب كرز .

اننى أتذكر طفولتك يا أليونا حتى الحادية عشرة من عمرك و وكنت أنا عندن فى الخامسة عشرة و ما كان يمكن أن تنخسه أواصر رفاقة بين أخوين فى ذلك العمسر اذا كانت تفصل بينهما أربع سنين و ولست على يقين من أننى أحببتك فى ذلك الأوان و وبعد سفرى من موسكو لم تخطر ببالى قط أتناء السنين الأولى و حتى اذا جئت بعد ذلك الى موسكو أنت أيضا > لم أصادفك الا مرة واحسدة لا أدرى أين ! وهاناذا أعيش هنا منذ أكثر من ثلاثة أشهر > دون أن يتاح لنا أن تتبادل حديثا حقيقا مرة واحدة و وانى مسافر غدا > لذلك تسادل منذ النساؤل عرب عن أين يمكن أن أجده لأود عدا > وفيما أنا أتسامل هذا النساؤل لحتك من النافذة و ـ أكنت تحرص حرصا كبيرا على أن ترانى اذن ؟

- نم ، حرصا كبيرا ، اننى أود أن أعرفك مرة ، وأن تصوفنى كذلك مزيدا من المرفة ، ان أفضل لحظة للتعارف هى فى دأي اللحظة التي تسبق الفراق ، لقد راقب تميع نظراتك خلال هذه الأشهر الثلاثة، كان فى عنيك انتظار دائم وتوقع مستمر ، وهذا ما لا أستطيع أن أحتمله، لذلك لم أحاول أن أقرب منك ، ولكننى تعلمت أن أحترمك ، قلت لنفى : ه ما يزال الرجل الصغير ثابتا على مواقعه ، ، اننى أمزح قليلا ، ولكننى أتكلم الآن جاداً ، أنت فتى ثابت جدا ، أليس هذا صحيحا ؟ وأنا امرؤ يحب النبات كيف ظهر وأين ظهر ، حتى لدى صبية صنفار مثلك ، لهذا أصبحت نظراتك التى تعبير عن الانتظار والتوقع لا تسومنى ولا تنقيرنى ، حتى لقد أصبحت محبية الى و ، و ، يدو لى أنك تحبنى يا ألوشاء أليس كذلك ؟

_ أحيات يا إيفان • دمترى يصفك بأنك • قبر » ، أما أنا فأقسول انك لغز • ولم أستطع أن أحل هذ اللغز حتى الآن • هناك نقطة مع ذلك أحسب أننى أبصرتها واضحة في نفسك ، ولكن منذ هذا الصباح فحسب •

سأله ايفان ضاحكاً :

_ قما هي ؟

_ أنن تغضب ؟

_ طبعة لا •••

اذن فعلم أننى اكتشفت أنك شاب شبيه سائر الشباب الذين هم فى الثالثة والشرين من أعمارهم ، تزخر فنوة ونضارة وعفوية مثلهم ، ويموزك النضج كما يموزهم ، أى ••• هل كدَّرك قولى هذا كثيرا ؟

ـ بالعكس! بل أدهشني صدق رأيك ، وهو يتفق ورأيي • لقد كنت منذ لقاتنا مى هذا الصباح أفكر في هذا الجانب من طبيعتي ، فيهمنا الفتوة العارمة الجامحة التي تزخر بها سنتي الثالثة والعشرون ، فاذا أنت تقع على هذه الحقيقة دفعة واحدة ! ٥٠٠ هل تعلم بعاذا كنت أحدِّث نَسَى قِبل وصولك ؟ كنت أقول لنفسى : مهما تنخيُّبُ الحيَّة ظنى ، ومهما أفقد ايماني بالمرأة التي أحبها ، ومهما أقتنع بأن الكون سديم ملعون لعلم خاضع لشيئة الشيطان ، فلن يغير هذا من الأمر شيئًا ٥٠٠ قد أغوص في جميم وهاد اليأس الانسماني ، ثم أظل أحب الحيماة مع ذلك ورغم كل شيءً • أود لو أعب كأس الحياة متلذذا حتى الثمالة ، وقد لا أسـتطيع تركه قبل أن أفرغه • ولكن حين أبلغ الثلاثين من الممر فقســـد أرمَّى الكأس قبل نفاده ، ثم أمضى ٥٠٠ الى أين ؟ لا أدرى بعسد ٥٠٠ أما حتى ذلك الحين ، أى الى أن أبلغ الثلاثين ، فان السباب سينتصر على كل ني. - أنا واثق من هـــذا ــ سينتصر على تبدد الأحلام وعلى مشـــاعر الاشمئزاز • لقد تساءلت مرارا : • هل في هذا العالم يأس يمكن أن يخنق في نفسي هذا الظمأ الى الحياة ، هذا الظمأ المسمور الذي قد لايكون لائقاً ؟ ، • وانتهيت الى الاعتقاد بأن لا ، ولكن حتى التلانين من عمــرى فحسب ، ثم أزهد وأعف من تلقاء نفسي بعد ذلك ٥٠٠ فيما أظن ٥٠٠ ان الواعظين بالأخلاق ، المصدورين الحزاني ، وكذلك الشمراء ، يحلو لهم أن يصفوا بالجين والضمة هذا الحب الحار ً للحياة • ويجب أن نعترف على كل حال أن من السمات الخاصة بآل كارامازوف ارادة ْ الحياة هذه بأى ثمن • لا بد أن تكون هذه الارادة قائمة فيك أنت أيضا. ولكن لماذا توصف بالجين والضعة ؟ ان القوة الصادرة عن المركز لم تنفد في كوكبنا السيَّار هذا يا ألبوشا • الحياة ممتمة ، وانبي لأحيا ولو على خلاف كل منطق • أنا لا أؤمن بقيمة النظام الذي يحكم العالم • لنسلم بهذا •

ولكنني أحد وريقات الأشجار الطريات النديات حين تطلع في الربيع * ، وأحب السماء الزرقاء ، وأحب أيضا دون أن أدرى لماذا _ هل تصدق ذلك ؟ _ أحب أيضا بعض البشر وتهـــزني الحماسة لأعمال من أعمال البطولة الانسانية التي انقطعت مم ذلك عن الايمان بها منذ زمن طويل، ولكنني ما زلت أقدسها بحكم عادة عـــزيزة على نفسي أثيرة في قلبي • جاءوك بحساء السمك · كُلُّه وتذوقه · انهم يحسنون اعداده هنا · أنوى أن أسافر الى الخارج يا ألبوشا • سأسافر الى الخارج من هنا وأساً• واني لأعلم مع ذلك انني لن أجد هنـــالك الا مقبرة ، ولكنني شــــديد الارتباط بذكري هؤلاء الموتى • ان كل حجر بذكرني بسورة جامحة من سورات الايمان بالحياة ، وبقيمة العمل ، وبالحقيقة ، وبالكفساح ، وبالعلم أيضًا • أوه ! أنا أعلم سلفًا أنني سأرتعى على ركبتيٌّ جاتيًّا أمام هذه الذكريات الكثيرة ، وأنني سأبكى على أحجر القبور هذه ، وأغمرها بالقبل ، مع شموری فی قرارة قلبی بأن ذلك ماض تصر م ولن يعود • على أنني لن أبكي من كرب ويأس ، بل من سعادة الشعور بانسكاب دموعي • سيسكرني حزني وحناني • انني أحب البراعم في الربيسع ، أحد السماء الزرقاء • ليس الأمر أمر عقـــل ومنطق • ان حب الحياة ينبجس من أرحامي ، وان قوى شـــابي التي لم تضعف ولم تهــن ولم يمسسها سوء هي التي أحبها هسذا الحب • أأنت تفهم شيئًا من هذه المسَّات يا صغيرى أُلبوشا ؟ هه ؟

أَلْقَى ايْفَانَ هَذَا السَّوَّالَ وَهُو يَضْحُكُ • فَأَجَابُهُ ٱلبُّوتُنَا بَقُولُهُ :

ــ أفهمها جدا يا ايفان ، أفهمها أكثر مما يجب ! من قرارة الأرحام انما ينبع حب الحياة ؟ لقد أجدت النمبير عن هذه الحقيقة • واني لأبنهج لك كبيرا حين أراك راغبا في الحياة رغبة قوية هذه القوة •

كذلك هتف يقول ألبوشا ثم أضاف :

_ وعندى أن على كل انسان فى هذا العالم أن يتعلم حب العجاة قبل كل شىء •

_ حب الحياة لا محاولة فهمها؟

_ نم ، حب الحياة ، دون اكترات بالمنطق ، كما قلت أنت ، وبهذا وحده انما يصل الانسان الى اكتشاف معنى الحياة ، أنا من جهتى أفكر في هذا منذ زمن طويل ، لقد ملكت نصف الحقيقة ما دمت تريد أن تحيا ، ولم يبق عليك الا أن تملك نصفها الآخـــر حتى تحقق لنفسك الخلاص والسلامة ،

ــ أأنت تهتم بخلاصى وسلامتى ؟ ماكنت أحسب أننى بسبيل الضياع والهلاك • وما هو النصف الثانى فى رأيك ؟

ــ النصف الذنى هو بعث أولئك المـــوتى الذين لعلهم لم يبرحوا الحياة ، اعطنى الثمان ، اتنى سعيد جدا بحديثنا هذا يا ايفان ،

ـ ألاحظ فعلا أنك تحمست قليلا م ما أكثر ما أحب ، اعترافات الصدق ، هـ ف التي يقولها ٥٠٠ رهبسان مبند ون ! انك رجل البت يا ألبوشا ، هل صحيح أنك تفكر في ترك الدير ؟

- صحيح! ان شيخي أمرني بالذهاب الى العالم •

سسوف تلتقى اذن ، سوف تلتقى اذن فى هسفا العالم قبل حلول الثلائين ، قبل أن أرمى الكأس ، أبونا لا يريد أن يعدل عن التمتع بالحياة قبل أن يبلغ السبعين ، ولعله يحلم أن يعيش تمانين عاما ، كما يقول ذلك هو نفسه ، انه جاد فى هذا كل الجد ، مهما يكن مهر جاً ، انه يتهالك على اللغة ، ويحسب أنه مقيم عليها اقامته على صخرة وطيدة ، م صحيح أن الانسان لا يقى له بعد الثلاثين شى، غير اللغة ، م ولكن العجاة على

على هذا الطراز حتى السبعين شيء معيب مقيت • فالأفضل أن يمسك المر• حين يبلغ الثلاثين • وبذلك يستطيع أن يحافظ على • مظهر نبل ٍ • في أقل تقدير ، كاذباً على نفسه • هل رأيت دمترى اليوم ؟

ــ لا ٥٠٠ ولكننى رأيت سمردياكوف ٠

وقص َّ أليونـا على أخيه بسرعة تفاصيل لفـنه بالخادم • فكان ايفان يصنى اليه وقد اكسى وجهه تسيراً عن الهم َ والقلق على حين فعباًة ، حتى أنه استوضع أليوشا بعض النقاط •

وأضاف ألبوشا قوله :

ــ وقد ألح مسردياكوف على أن لا أذكر لدمترى شيئا مما أسر ً به الى ً •

فقطب ايفان حاجبيه ، ووجم يفكر لحظة .

سأله أللوشا :

ـ أبسب سمردياكوف ألم ً بك هذا الانزعاج ؟

_ نمم ، بسببه . شيطان يأخذه على كل حال أ٠٠٠

ثم أضاف يقول كأنما على مضض :

_ حقاً لقد كنت أرغب في أن أرى دمترى ، ولكن لم تبق بي حاجة الى ذلك الآن •

... هل تنوى أن تسافر بمثل هذه السرعة فعلا ؟

_ تمم •

فسأله ألبوشا قلقاً :

ــ ما عسى يصير اليه حال دمترى والأب؟ ترى كيف ينتهى هــذا الأمر كله؟

كذلك أجاب ايفان بلهمجة حانقة ، ولكنه لم يلبث أن تدارك نفسه ، فابتسم ابتسامة مرة وقال :

دنك جواب قابيل قد عن الأخ الذي قتله قابيل، أليس هذا ماخطر بناك في هذه اللحظة ؟ الى جهنم على كل حال ! ••• أنا لا أستطيع أن أبقى هذا لأراقبهما ! لقد أنهيت أعمالى ، وسأساف ، أتراك تتخيل أننى غيور من دسترى ، واننى حاولت خلال هذه الأشهر الثلاثة المنصرمة أن أنزع منه جميلته كاترين ايفانوفنا ؟ دعك من هذا ! لقد كانت لى أنا شئرنى وأعمالى ، وقد أنجزتها فسأسافر ، أنجزتها في هذا الصاباح ، وكتت أنت شاهدا عليها ،

معل تعنى ذلك الحديث الذي جرى بينك وبين كاترين ايذ وفنا ؟ المسم من لقد قطمت صلتى بها دفعة واحدة ، أليس هذا طبيعيا جدا ؟ فيم يهمنى دمترى ؟ انه لا شأن له بهذا الأمر ، ولا دخل له فيم كانت علاقاتى بكاترين ايفانوفنا شأنا خاصاً بى ، ثم انك تمسرف أنت نفسك أن دمترى قد تصرف في هذا الأمر كله تصرف متواطى، ممى ، أنا لم أطلب منه شيئاً ، وينما هو تركها لى من تلقاء نفسه ، وزاد على ذلك فيارك ، لكأنها تمثيلية ، أف ، و ليتك تمسلم يا أليوشا مدى شعورى بالتخفف الآن ! حين كنت أتناول غدائى منذ قليل هنا ، اشتهيت أن أطلب شيئاً من الشمانيا احتفالاً بأول ساعة من ساعات حريتى التى عادت الى قير أفكر في هذا الأمر ، و ه أناذا

أتحرر دفعة واحدة • حتى أمس ، ما كنت لأتخيل أننى سأستطيع أن أقطع الصلة بمثل هذه السهولة متى شئت !

ـ أعن حبك تتكلم يا ايفان ؟

ــ عن الحب أتكلم ان شت أن تستمل هذا التمبير و لقد عصفت آسة من الآسات ، فتاة هي طالبة في مدرسة داخلية ؟ فتألت ، وجملتني هي أتألم و وكنت أحسب أنني مشدود اليها ٥٠٠ ثم اذا بكل شيء يتبدد في طرفة عين و في هذا الصباح كنت أكلمها مستهاماً ، حنى اذا صوت في الشارع الطلقت أضحك ضحكا مجلجلا ، هل تصدق هذا ؟ تلك هي الحقيقة بعينها مع ذلك و

قال أليوشا وهو يتفرس في وجه أخيه الهاديء المطمئن :

ــ أنت حتى في هذه اللحظة تتكلم في الأمر بمرح وحبور •

- كيف كان يمكننى أن أحزر أننى لا أحبها البنة ؟ هأها ! ••• وملكن ومع ذلك فهذه هى الحقيقة • أنا لا أحبها • وضح هذا الآن • ولمكن ما أكثر ما كانت تسجينى ! في هذا السباح نفسه ، حين أجريت معها ذلك الحديث ، كنت لا أمل ولا أكل من الاعجاب بها ! وحتى في هذه اللحظة تسجينى كثيرا ، هل تصدق ؟ ورغم هذا فما كان أسهل تركها على "! أتحسنني أقول هذا الكلام تباهياً وتبجحاً ؟

_ لا ••• ولكن لعله لم يكن بالعب خُمّاً ؟

قال ايفان ضاحكا :

_ يا صغيرى ألبوتا ، لا تندفع في اصدار آراء في الحب! ذلك لا يناسب حالتك ، انني أفكر في اندفاعك هذا الصباح يا يني! أي ٠٠ كان ينغي لي أن أقبلك عندئذ! ومع ذلك ما أشد ما آلمتني وعذبتني! ٠٠٠ لقد اضطررت أن أحتمل جميع تلك التعزفات ، أوه ! كانت تعلم حق العلم أننى أحبها ، وكانت تعبنى أنا لا دمترى (قال ذلك مرحاً) ، ولم يكن دمترى الا عدراً لها وتعلة في سبيل أن تعذب نفسها ، ان كل ماقلته لهما هو الحق ، هو الحق اطلاقاً ، ولكن من المؤسف أنها تحتاج الى خمسة عشر عاما أو الى عشرين عاما أخرى سوهذا هو الشيء الأساسي من أجل أن تدرك أخيرا أنها لا تحب دمترى البتة ، ولا تحب أحداً سواى رغم أنها تؤلنى وتعذبنى ، وقد لا تدرك هذه الحقيقة في يوم من الايام على كل حال ، رغم درس هذا الصباح! بالمناسبة ، ما الذي صارت اليه ؟

أطلعه أليوشا على النوبة العصبية التي ألمت بهــــا ، وذكر له أنها ما تزال منشباً علمها في أغلب الفلن ، وأنها ما تزال تهذي .

- _ لمل هوخلاكوفا قد بالفت ؟
 - ـ لا أظن •
- يعجب أن أذهب أستطلع أنباها ، على كل حال ، لا أحد يموت من نوبة عصيية ! • ولقد يحسن اليها هذا • قد ينفعها ولا يضرها • ان الرب قد شاء كرمه أن يهب للنساء هذه النمية : النوبات العصبية لا • لن أذهب اليها ! فيم استثناف الأمر ؟
 - _ زعمت كها منذ قلل أنها لم تحسك يوماً .
- ــ زعمت ذلك عامدا يا أليوشا ! سأطلب شيئاً من الشمبانيا فنشرب احتفالا باستردادى حربتى ، ليتك تعلم مدى ما أشعر به من سعادة !
 - أجابه أليوشا بحرارة قائلا :
- ــ أخى ، الأفضل أن لا تشرب اتنى أحس بحزن شديد ثم ان •••

ـ أنت حزين منذ زمن طويل ، لقد لاحظت أنا هذا ه

- أأنت مصر على أن تسافر غد في الصباح ؟

لله في الصباح ؟ أنا لم أقل انني مسافر في الصباح ٥٠٠ على أنني قد أفعل ٥ هأنت ذا ترى أنني أصبت غدائي هنا حتى لا أخلو الى السجوز على مائدة واحدة ، فالى هذا الحد يثير السجوز اشمئزازي ٥٠٠ كان يمكن أن أسافر منذ زمن بعيد لأتحرر من وجوده ٥ ولكى لمساذا يقلقك سفرى هذا الاقلاق ؟ ما يزال أمامنا وقت طويل ، ما يزال أمامنا أبد من منه و٠٠٠

ــ أيكون أمامنا أبد° وأنت مسافر غدا ؟

قال ايفان ضاحكاً :

سفيم يهمنا هذا السفر ؟ سيكون لنا من الوقت متسع لأن تتحدت عما يهمنا نحن الاتنين ، لأن تتحدث عما جمعنا هي هذا المكان ، لمساذا تنظر الى بهذه الدهشة ؟ ما هو الأمر بالنسبة الينا ؟ أجب ! أنحن هنا من أجل أن تتحدث عن الحب ، وعن كاترين والمجسوز ودمترى ، وعن ظروف الحياة في المخارج ، وعن أحوال روسيا المتردية وعن الامبراطور بابوليون ؟ أنحن هنا من أجل أن تتحدث في هذه الأمور ؟

_ لا ••• طبعا •••

مأنت ذا تدرك بنفسك اذن ما يجمعنا هنا • هناك أناس آخرون يتناقشون في شئون هذا العالم ، أما نحن ، نحن الأغرار البسطاء ، فنريد أن نحل الولا مشكلات الحياة الميتافيزيقية • ذلك هو همنا نحن شباب روسيا • ان جميع شباب روسيا يعالجون الآن ألفاز الكون الخالدة • وقد اختاروا للاهتمام بهذه الألفاز الكونية الخالدة المحظة التي قرر الشيوخ فيها أن يدرسوا السائل العملية • ما الذي كان يدفعك طسوال همذه الأشهر الثلاثة الى أن تنظر الى عنلرة فيها ذلك التعيير عن الانتظار ؟ كنت تريد أن تعرف أأنا مؤمن أم ملحسد • • • ذلك ما كان يثوى في أعمساق نظرتك منسذ الملائة أشهر ، أليس هذا صسحيحا يا ألكسى فيدوروفشى ؟

أجاب أليوشا مبتسما :

ـــ جائز جدًا • ولكننى أرجو أن لا تكون في هذه اللمخلة بسبيل السخر منى والفحك على يا أخى •

- أنا أسخر ، أنا ؟ ألا اننى لا أحب أن أنسجى قلب أخى الصغير الذي يبدو أنه انتظر منى أشياء كثيرة طوال هذه الأشهر الثلاثة ، أليوشاء انظر الى جبداً ، ألست ، أنا أيضا ، فتى صغيرا مثلك ، مع فارق واحد هو اننى لست راها مبتدئاً ؟ كيف يتصرف اليوم شابنا الروس أو بعضهم على الأقل ؟ انهم يلتقون فى خمارة تفسوح فيها رائحة كريهة كهذه الحجرة ، ويسجلسسون الى مائدة ، و القد عائسسوا دون أن يتصارفوا حتى الآن ، وسينكر بعضهم بعضا من جديد ، بعد اربعين عاما ، من خرجوا من الخمارة ! و و ه ف عسا الذى يتناقشون فيه أثناء هسند اللحظات القسار التى تتبحها لم المسادقة فى كاباريه ؟ يتناقشون فى الكون وسرت الكون وسرت الكون حتماً ، هم يتساءلون : هل الله موجود ، وهل النفس خلدة بعد الكون ؟ والذين أصحوا منهم لا يؤمنون بوجود الله ، يتساقشون فى الاشتراكية والفوضوية ، وفى اعادة بناء الانسانية بناء كاملاً على أسس جديدة ؟ والفريقان كلاهما سواء ، فالمشكلات التى يعالجها هؤلاء ، هي الشكلات التى يعالجها أولك ، ولكنهم يسالجونها من الجهة المارضة ، ان عدهم لا ينحمى فى بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يغيفون ان عدهم لا ينحمى فى بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يغيفون ان عدهم لا ينحمى فى بلادنا ، هؤلاء الشبان الروس ، الذين يغيفون

أصالة وطرافة والذين أصبحوا الآن لا يعيدون أن يناقشوا الا المسائل الأبدية • ألست َ متفقًا معى في هذا الرأى !

أجاب ألبوشا أخاه وهو ينظر اليه نظرة مشفوعة بابتسمامة رقيقة عذبة ، كأنما ليشمجه على أن يفصح عن أعماق مكره مزيد! من الافصاح:

ــ حتماً ، ان المسائل المتصلة بوجود الله وخلود النفس أو هذه المسائل نفسها التي تعالَج من الجهة المعارضة كما قلت ، هي في نظس الروسي الحق ذات خطورة حيوية ، ومن الخير جدا أن تكون كذلك ،

- اعلم يا أليوشا أن الروسى لا يلمع دائماً بالذكاء والعقل ، واعلم على كل حال أن هذه الأمور التي تشغل بال الشبان في روسيا هي أغيى ما يمكن أن يتصوره الخيال من أمور • غير أن بين هــــوّلاء المراهقين واحدا أحمه كثيرا يا ألبوشا •

قال ألوشا ضاحكا:

ــ هذه تنيجة بلغت في استخلاصها غاية اللطف •

بماذا ترید أن نبدأ ؟ اننی أترك لك الخیار • هل ترید أن تتكلم
 عن الله وأن تتسامل أهو موجود أم لا ؟ قل •••

ـــ ابدأ من حيث تؤثر أن تبدأ ، ولو بمعالجة تلك المســـ ثل التى وصفتها بأنها تعالَج من « الجهة المعارضة ، • ألم تؤكد أمس ، فى منزل أبينا ، أن الله نحير موجود ؟

كذلك سأل ألوشا أخاه ، وهو يحدق اليه متغرساً فيه •

مصدت أن أقول ذلك بالأمس لدى السجوز لأناكدك وأغيظك ، ورأيت لهية ينبجس فى عينيك ، أما الآن فأنا أنسسم بأننى على أثم الاستمداد لأن أناقش هذا الامر صك ، ولسوف أناقشه جاداً لا هازلاً ، اننى أحب كثيرا أن أتفاهم معك يا ألبوشا ، لأننى لس لى أصدقاء • اننى أحاول أن أقترب منك •

قال إيفان ذلك ثم أضاف يسأل أخاه ضاحكا :

۔ هل تنصور أننى ربما سلَّمت بوجود اللہ ؟ هذا يدهشك ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ٠٠٠ اللهم الا أن تكون مازحاً من جديد ؟

ــ مازحاً ؟ لقد أخذوا على ۖ ذلك بالأمس ، عند شبخك ، ولكنهم أخطأوا • اسمع يا عزيزى : ان عجوزاً آمماً عاش في القرن الثامن عشر قد قال : « اذا كان الله غير موجود فيجب اختراعه »* . والحق أن الانسان قد اخترع الله • وليس أغرب َ ما في الأمر ولا أبرزَ م أن الله لا وجود له في الواقع ، بل أن هذه الفكرة ، فكرة وجود الله بالضرورة ، قد أمكن أن تنبت في دماغ حيوان يبلغ ما يبلغه الانسان من توحش وخبث وشر، ذلك أن هذه الفكرة فكرة مقدسة تؤتر في لقلب ، وهي في الوقت نفسه ذكة عاقلة • المحق أن هذه الفكرة تشم َّف الانسان • أما أنا فقد قررت منذ أمد طويل أن لا أتساءل هل الله هو الذي تصور الانسان ، أم الانسان هو الذي تخسَّل الله • فسأعفى نفسي اذن من فحص البديهيات التي يستند اليها شبابنا الرّوس في هذه الأيام والتي يستمدونها في حقيقة الامر كما هي من الافتراضات التي يفترضها الناس في اللاد الأوروبية الأخرى • ذلك أن ما هو افتراضٌ لا أكثر ، في نظــر العلماء الأجانب ، سرعان ما يصبح بديهمة في تظر مراهقنا ، بل وفي نظر أساتذتهم الذين لايفضلون المراهقين سداد ً رأى وصدق حكم في كثير من الأحبان • فسأترك جانيا جميع الافتراضات اذن ، وأتسامل ما هي غايتنا الآن على وجه الدقة ؟

أما أنا فاتما يهمني أن أشرح لك طبيعتي بأقصى سرعة ممكنة ، يهمني أن أُ فهمك أي انسان أنا ، وما هو ايماني ، وأين أضع آمالي ؟ لذلك سأقول لك فوراً انني أسلم بوجود الله دون مناقشة أخــرى • ولكنني أحب أن تلاحظ ما يلي : اذا كان الله موجوداً ، واذا كان قد خلق الأرض فعلاً ، فهو انما اتبع في هذا الخلق ، كما أصبحنا نعرف ذلك اليوم حق المعرفة ، قوانين هندسة اقليدس ، ولم يهب للمقل الانسماني الا فكرة مكان ٍ ذي ثلاثة أبعاد • ومع ذلك فقد و ُجد وما يزال يوجد الى يومنا هذا أناسٌ من أشهر علماء الهندسة ومن الفلاسفة يشكُّنون في أن يكون الوجود وأن يكون الخلق كله بوجه أعم مستنداً الى قوانين هندسة قليدس وحدها؟ حتى لقررون أن الخطين المستقيمين المنسوازيين اللذين ترى هسدسة اقليدس أنهما لا يمكن أن يتقاطم على الأرض ، يمسكن في الواقع أن يتقاربا ويتلاقبا فينقطة موجودة في اللانهابة * . ولقد قلت لنفسي ياعزيزي: اذا كنت عاجزاً عن فهم هذه الحقيقة ، فلن أستطيع أن أعرف أي شيء عن مسألة الله ! انني أعترف في كثير من التواضع أنني لا أملك المواهب اللازمة للقطع برأى في مسائل من هـــذا النوع ، لأن عقلي اقليــدسي قد خُلق للأرض ، ومن العبث الذي لا طائل تحته أن نشغل أنفسنا بأمور لست من هذ العالم • وانك لتحسن صنعاً أنت نفسك يا ألبوشا اذا أنت لم تفكر في هذه الأمور ، واذا أنت لم تتساءل خاصة " هل الله موجود أم هو غير موجود ! هذه عناصر لا سبيل لعقلنا الى ادراكها ، لأز عقلنسا قد خُلق لمرفة مكان لسل له الا ثلاثة أبعاد • ذلك هو السبب في اتنى أسلم بوجود الله ، ولست أسلم بوجود الله فحسب ، ولكنني أسلم أيضًا بحكمته العليا وبناياته ، رغم أن من المستحيل علينا أن ندرك هذه الغايات • انتي أؤمن بوجود نظام كوني شامل يضفي على الحياة منني ، وأؤمن بانسجم أبدى علمنا أن تذوب فيه جميعاً ذات يوم فيما يبسدو • أَوْمَن « بالكلمة » التي

يتجه اليها الكون ، و الكلمة التي هي الله ، ، وهلم َّ جرا الى غير نهساية. لقد قيل في هذا المجال كلام كثير مسرف في الكثرة • ولكنني على طريق الصواب ، ألا ترى هذا الرأى ؟ فاعلم اذن الآن ، ختامًا لكل ماقلته ، أننى لا أقبل العالم على نحو ما خلقه الله ، ولا أستطيع الموافقة على قبوله ، رغم علمي بوجوده • لست أرفض الله ••• افهمني جَيدًا ••• وانما أنا أرفض العالم الذي خلقه ولا أريد. • وهأناذا أشرح لك ما أويد قوله : انني أَوْمَنَ ايماناً جازماً ، كايمان طفل ، بأن آلام هذا العالم ستخف شيئا بعد شيء وستزول آخر الأمر ، وأن هذه المهزلة الحقيرة ، مهزلة التناقضات الانسانية ستتبدد تبدد سراب باطل ، تبدد كنيء تافه اخترعه كائن ضعيف صغير ، وأنها ستتبدد تبدد الذرة في ذهن اقليدس • أؤمن بأن حقيقة عليا سننبثق في خاتمة المطاف من هذه الحياة ، حين يتأكد الانستجام الأبدى ، فاذا هي تبلغ من السمو والنقاء أنها تهدىء جميع القلوب ، وتسكن جميع أنواع الغضب ، وتكفر عن جميع جرائم الانســــانية ، وتفدى كل الدم الذي سُفح على الأرض. وهذه الحقيقة لن تتبح العفو عن جميع الأخطاء الانسانية فحسب ، كاثنة " ما كانت تلك الأخطاء ، وانما هي ستسوَّغها فوق ذلك • لنسلُّم بهذا كله ! ولكن حتى في هذه المحالة ، فاتنى لن أقبل الأمر ولن أريد أن أقبله ! ألا فلتلتق الخطوط المستقيمة المتسوازية ولأرها ، فاعترف َ بأنها التقت ، ولكنني لن أقبـــل ذلك • تلك طبيعتي يا أليوشا ، وذلك احساسي بالعالم ، لقد حدثتك حديثًا جاداً كل العجد في هذه المرة • تعمدت أن أبدأ حديثنا على أغبي نحو ممكن ، ولكنني قدته الى حيث أبلغ اعترافاً كاملاً صادقاً ، لأن ذلك وحدم يهمك • لسي الحديث عن الله هو ما كنت تريد أن تسمعه مني ، وانما كنت تريد أن تسممني متحدثاً عن نفسي ، بغية أن تعرف ما يدور في نفس أخ تحبه ٠ فهأنت ذا عرفت ذلك الآن . أنهى ايفان كلامه المطنب الطويل بفيض من عاطفة كن يبدو غمير متوقع منه ه

سأل ألبوشا أخاه وهو يلقى علمه نظرة شاردة :

ـــ قل لى : لماذا تعمدت أن تبدأ الحديث بيننا ه على أنجى تحــــو ممكن » ؟

فأجابه ايفان بقوله :

ـ أولاً لأننى أحببت أن أجارى عادات الناس : فان الأحاديث حول هذا الموضوع فى روسيا غية دائما • وتانيا لأن المسرء يكون أقرب الى المحقيقة حين يكون غياً • ان النباء يمضى تحو الهدف رأساً ، دون لف ودوران غامضين • النباء بساطة وايجاز ، أما الذكاء فمكر ومخاتلة • ان الفكر الذكى فاجر فاسد ، أما النباء فمستقيم شريف • لقد شرحت لك يأسى ، وعلى قدر ما يكون الشرح غياً ، يكون الأمر أفضل فى خلرى •

سأله أليوشا مرة أخرى :

_ أتقول لى لماذا ترفض « قبول الخليقة ، ؟

_ طبعاً أقول لك • ليس هذا بسر • وأنا انما بدأت هذه المناقشة لأصل منها الى ذلك •

بهذا أجابه ايفان َ تم أردف يقــــول وهو يتسم ابتســامة بريثة كمراهق خجول :

_ يا أخى ً الحبيب ! لست أريد بحال من الأحوال أن أصرفك عن ايمانك ، وأن أحو ً لك عن اعتقاداتك ••• بالمكس ••• اننى أتمنى أنا نفسى أن أشفى وأبرأ بالاتصال بك •

لم يره أليوشا يبتسم هذه الابتسامة في يوم من الأيام •

٤ التمرد

ايفان كلامه يقول:

بيس فرات يمون يجب أن أعترف لك بهذا الأمر : اننى لم أستطع فى يوم من الأبم أن أفهم أن يحب المرء الناس الفريين منه • ففى رأيى أن أقرب الناس الينا يصمب علينا أن تجهم أكثر معا يصعب علينا

أن تحب غيرهم • ان الانسان لا يعجب الا من بعد • لقد قرأت في موضع ما أن رجلاً اسمه « يوحنا الرحيم » * (هو قديس من القديسين) قد تضرع اليه في ذات يوم متشرد " جائم مرتعد من شدة البود أن ينجده ويدفئه • فأضجته على سريره وأحاطه بذراعيه ونفتخ في قعه التن المتقيع المصاب بمرض رهيب • اتنى أعتقد اعتقاداً قاطعاً بأن اندفاعة هذا القديس مصطنعة ، وأنه لا يقوم بفعله هذا من تلقاء نفسه ، وانعا هو يلزم نفسه به الزاماً باسم حب لا يشعر به ، فكأنه قد قام بهذا الفعل بدافع التكفير عن ذنبه ، فهو يعاقب نفسه على افتقادها المحبة • اننا لا تستطيع أن نحب انساناً الا اذا ظل محتفيا عن نظرنا • فعني لمحنا وجهه تبدد الحب •

قال أليوشا :

ــ هذه ملاحظة طالما ردّدها الشيخ زوسيما • كان يقول ان وجه الانسان يخلق في كثير من الأحيان حاجزاً يعول دون الحب لدى أولئك الذين لما يتطموا بعد أن يحبوا • ومع ذلك فان في الانسانية كثيرا من المحبة ؟ ان هناك محبة تكاد تشــــبه محبة المسيح ٥٠٠ أنا أعــرف ذلك بتجربة يا ايفان ٥٠٠

ـ جائز • أما أنا فلم أستطع أن ألاحظ ذلك ولا أن أفهمه ، وما أكثر الناس الذين يشبهونني من هذه الناحة ! وانما السؤال هو : هل يرجع هذا الى خبث القلب الانساني أم هو قانون طبيعي • واني لأرى أن محبة المسيح للناس معجزة لا يمكن أن تتحقق على هذه الأرض ، ان المسبح اله وتحن بشر • لنفرض مثلاً انني قادر على أن أتألم كثيراً • ان من الصعب على شخص آخر غيرى أن يعرف عمق الألم الذي أعانيه ، وذلك لسبب بسيط هو أنه ليس أنا بل آخــــر • ثم انه يعز ُ على المر• دائماً أن يسلُّم بألم غيره (كما لو كان ذلك عزة وآباءً !) • فهل تعلم لماذا يعز ُ عليه أن يسلُّم بألمي ؟ ربما لأن رائحة فمي كريهة ، أو لأنْ وجهى غبى ، أو لأننى دست على قدمه في يوم من الأيام ! على أن الآلام أنواع : فهنــاك آلام تخفض قيمتنا أو تنقص قدرنا ، كالجـــوع مثلاً ؟ فالناس تحب أن تصدقنا فيما يتعلق بهذا النوع من الآلام ، ليجعلوا من أنفسهم محسنين الينا بعد ذلك • أما اذا كان الألم أرفع من ذلك درجة " أو درجتين ، اذا كان ألما نحتمله في النضال من أجل فكرة مثلاً ، فان الناس يرفضون أن يصدِّقوه ، باستثناء قلة قليلة ، وهم لا يصدقونه لأنهم حين ظروا الى صاحه رأوا أن رأسه ليس ذلك الرأس الذي لا بد أن يكون في خلرهم رأس ً من يتألم في سبيل قضبة رفعة تلك الرفعة كلها. وهم عندئذ يأبون أن يتعاطفوا معه أى تعاطف، دون أن يكون في موقفهم هذا شيء من روح الشر على كل حال. ان علىالشحاذين المستعطين، ولا سيما حين تكون تفوسهم نبيلة ، أن يظلوا مختبئين عن الأنظار ، وأن لا يطلبوا الاحسان الا باعلانات ينشرونها في الجرائد . أن من المكن أن يحب الانسان الانسان حاً محرداً ، وأن يحه في بعض الأحان

فعلاً ، ولكن من بعد • أما من قرب فذلك يشبه أن يكون مستحيلاً • لو كانت الأمور تجرى كما تجرى على السرح ، في باليه نرى فيسمه الشحاذين يظهرون ، اذا ظهروا ، لا بسين اسمالاً من حرير ومغطَّين بتخاريم ممزقة ، ويطلبون الصدقة راقصين برئساقة ، فقد نعجب بهم عنــدثذ ، نعجب بهم ولكن دون أن نحبهم • حســبنا الآن ما قلناه حول هذا الموضوع • لقد كان في نيتي ان أحدثك عن آلام الانسانية عامة ، ولكنني أحسب أن من الأفضل أن نقتصر على آلام الأطفال وحدهم • أحسب أن هذا أفضل. لسوف تكون النائشة أقل مواتاة لى بطبيعة الحال. ولكن الأطفال يمتازون على الأقل بأن المرء يستطيع أن يحبهم من قرب ، مهما تكن وساختهم ودمامتهم (وان كنت أعتقد أن وجه طفل لا يعكن أبداً أن يكون دمماً) ؟ ثم انني لا أحب أن أتكلم عن الكبار ، لا لأنهم يبعثون على الاشمئزاز ولا يستحقون الحب فحسب ، بل لأنهم يتمتعون من جهة أخرى بتمويض : فهم قد أكلوا تفاحة شجرة المعرفة وأصحوا « شسهين بالآلهة » ، وما يزالون يأكلون منها ••• أما الأطفل قانهم لمَّا يذوقوا تلك الثمرة ، فبراءتهم ما تزال سليمة لم يمسسها سوء • هل تحب الأطفال يا ألوشا؟ أحسب أتني أعلم أنك تحبهم ، ولسوف تغهم اذن لماذا لن أحدثك الا عنهم ه اذا اتفق للأطفال أن يتألموا ألمَّا قاسيًا في هـــذا العالم ، فذلك لا يعسكن الا أن يكون بذب آبائهم الذين أكلوا التفاحة ، ومن أجل أن يكفِّروا عن تلك الخطيئة • ألا ان هذا فهم ليس من هذا العالم ، وسيظل قلب الانسان على هذه الأرض عاجزاً عن ادراكه. ان من الظلم أن يُعذَّب أبرياء _ أبرياء الى هذه الدرجة من البراءة _ لذب اقرفه غيرهم • أنا أيضا أحب الأطفال كبيرا يا ألبوشا ، تخيل هذا ٠٠٠ سحيًّل هذا! ان القساة الضواري أصحاب الأهواء الجامحة ، من

أمثال آل كارامازوف ، كثيرا ما يحبون الأطفال ، فالأطفال يختلفون عن الكبار اختلاقاً عظيماً ما ظلوا صفاراً لما يتجاوزوا السابعة من أعمارهم ، حتى لكأنهم ينتمون الى نوع آخر لأن طبيعتهم ليست كطبيعتنا ، اننى أعرف حالة لهم من اللصوص كان سجيناً في أحد السجون ، لقد اتفق لهذا اللحم أثناء حياته أن قتل أسراً بكاملها في المنازل التي تسلل اليهما ليلا ليسرقها ، فلم يوفر الأطفال ٥٠٠ ومع ذلك استبدت بهذا الرجل اثناء وجوده في السجن عاطفة قوية تحرو الصفار ، فكان يقضي وقته نظراً من خلال الكوة الى الصبية يلهون ويتسلون في ساحة السجن ، نظراً من خلال الكوة الى الصبية يلهون ويتسلون في ساحة السجن ، واستطاع أخيرا أن يكسب مودة واحد منهم ، فكان هذا يبجى ، يتحدث منه بنير تخلف وافقاً تحت الكوة ٥٠٠ لا شك في أنك تتسامل يا ألوشا لماذا أقص عليك هذا كله ؟ از بي صداعاً ، وهأنذا أشعر بحزن شديد على حين فجأة ،

قال ألبوشا قلقاً :

انك تتكلم بطريقة عجية غريبة ، كأنك لا تملك وعيك كله •
 وتابع إيفان كلامه يقول وكأنه لم يسمع ملاحظة أخيه :

ـ بالمناسبة ٥٠٠ لقد قص على بلاده بلناري في الأونة الأخيرة بموسكو أن الأتراك والسراكسة يسمدون في بلاده بلناريا الى أنواع شديدة من القسوة بغية ارهاب الشموب السلاقية التي يخشون أن تتور عليهم ثورة عامة شاملة فه فهم يحرقون القرى ، وينهون الأرزاق، ويذبحون السكان، وينتهكون النساء والأطفال ، ويسمرون بعض السجناء من آذاتهم بسياح فيدعونهم هنالك طول الليل ثم يعودون اليهم في الصباح ليشنقوهم ، أمور تعفق العنال ، يقال أحيانا ان الانسان «حيوان كاسر » ، ألا ان في هذا القول اهانة الهجوانات لا داعى اليها : فالحيوانات لا تبلغ مبلغ البسر في

التسوة أبدا ، وهي لا تنفن في قسوتها تفن الانسان ، النمر يكتفي بتمزيق فريسته والتهامها ، انه لا يعفى الى أبعد من ذلك ، ولا يخطر باله يوما أن يسمّر أحداً من أذنيه بسياج ، ولو قدر على ذلك ، وأولئك الأتراك يتسلّون خاصة بتمذيب الأطفال تعذياً سادياً ، انهم ينتزعمون بالسيف صفاراً من أحضان أمهاتهم ويرمونهم من النوافذ فيتلقفهم في الفناء أتراك آخرون بأسنة الرماح على مرأى من أمهاتهم اللواتي يعد حضورهن أهم عنصر من عاصر هذه المتمة ، ولقد حفظت ذاكرتي على الخصوص مشهداً وقي يديها طفل صغير ؟ وأتراك يحطون بها ويتخلون لعبة صغيرة ، انهم يلاعبون وجه الطفل ويلاطفونه ويسلّونه ويضحكونه ، والطفل سعيد فها هو ذا يمد اليهم ذراعيه ، وفي تلك اللحظة يصوّب اليه أحد الأترك سدسه فينفجر الطفل ضاحكاً ، ويعد يديه الصغيرتين ليتاول المسدس ، فيضغط المنان عداد على الزاد فينطلق الرصاص ويهشم جمجمة الصبي ...

_ أخى ، الى ماذا تريد أن تنتهى ؟

_ أعتقد أنه اذا لم يكن الشيطان موجودا ، واذا كان الانسان قـــد خلقه ، فلا شك في أن الانسان قد خلقه على صورته هو .

_ كما خلق الله اذن ؟

ـ انك تجيد قلب الألفاظ كما يقول بولونيوس في « هملت » •

كذلك قال ايفان ضاحكاً ، وتابع كلامه يقول :

ــ هذه حرب شريفة ، وأنا أقبلها • ألا فعترف مع ذلك أنه جميل الهك اذا كان الانسان قد خلقه على صورته • لقد سألتنى الى أين أريد

أن أنتهى ؟ انني امرؤ يجمع وقائع شتى يقتطفها مصادفة " من الجرائد أو من أحاديث الناس ثم يدونها على الفور • تخيل هذا • لقد جمعت منـــذ الآن حصاداً كبيراً من هذه الوقائع • والأتراك يحتلون في هذه الوقائع مكانا كبيرا بطبيعة الحال ، ولكن الأتراك أجانب • وأنا أملك كذلك وقائم بلادنا روسيا انما يُعمد خاصة ً الى السوط والعصا ٥٠٠ هــذا اختصاص قومى لنا ان صبح التمبسير • نحن لا نسمتر النساس من آذاتهم ، لأننا أوروبيون رغم كل شيء • ولكننا في مقابل ذلك نملك السياط والعمى ، وما من أحد يستطيع أن ينتزعها منا • يظهر أن الناس في البلاد الأجنبية قد عدلت عن هذه الأساليب • فاما أن المادات هنالك أصبحت أقرب الى اللين ، واما أن القوانين النافذة هنالك أصبحت لا تجيز للانسان أن يجلد أخاه الانسان • على أن الانسان قد وجد هنالك ما يعوُّض به ما افتقده تمويضاً يتصف كذلك بطابع قومي خاص فيبدو للوهلة الأولى مستحلاً في بلادنا ء على أن هنالك علامات تدل ، والحق يقال ، على أن أسالب التعويض هذه قد أخذت تتسرب الى روسيا منذ زمن ، ولا سيم: بفضـــل الحركة الدينية التي تنتشر في الآفاق العلما من مجتمعنا • ان عندي نشمرة شائقة * مترجمة عن الفرنسية تروى قصة اعدام مجرم في مدينة جنيف هو قاتل شاب اسمه ريشار في الثالثة والعشرين من عمره ، فيما أظن ، قد ندم على فعلته واعتنق المسجمة قبل أن يصعد الى المقصلة ، إن الواقعة حديثة قد وقعت منذ حوالي خمس سنين • وريشار هذا زنيم كان أبواه قد « أهدياه ، وهو في السادسة من عمره الى رعاة جبليين ربُّوه بغية أن يعمل لهم بعد ذلك • شبُّ الصبي كحوان صــــغير متوحش • والرعاة الذين تنوه لم يعلموه شيئًا ، وأرسلوه يحرس القطعان منـــذ بلغ السنة السابعة من عمره دون أن يلبسوه ودون أن يعلمموه تقريباً ، وذلك في جميع النصول والأجواء • وكانوا يعاملونه هذه الماملة دون أن يشمعر ضميرهم بأن عذاب ، لأن العسى كان قد ، أأحدى ، المهم كما يُهدى شيء من الأشياء ، فهم لذلك لا يعتقدون أن من واجبهم أن يطمعوه كما ينجب أن يطمعوم لقاء ما يقوم به من عمل • وقد روى ريشنر هذا أمام المحكمة أنه كان يتفق له خلال هذه السنين (كالابن الضال الذي يحدثنا عنه الانجيل) أن يشتهي أن يأكل ثمار الخروب التي كانت تُعلف بها الخنازير المسمُّنة للبيع • ولكن لم يكن يُسمع له بذلك ، وكان يُضرب اذا سرق بعضها من المذود • هكذا عاش ريشار سنى طغولته وشبابه الى الساعة التي شب فيها عن الطوق وشعر بأنه أصبيح قوياً ، فترك الرعاة وأخذ يسرق • وأصبح هذا المتوحش يبجني رزقه في جنبف من العمل بأجر يومي ، ولكنه كان ينفق ما يجنيه في السكر ويعيش حياة كريهة مستهجنة • وانتهى به الأمر الى قتـــل رجل عجوز في سيل أن يسلمه ما معه • وقد اعتقل وحوكم وحكم عليه بالاعدام • ان الناس ليسوا عاطفيين في البلاد الأجنبية • وسرعان ما وجد نفسه في السجن محاطأ بقسيس بروتسنانتي وأعضاء جمعيات دينية مختلفة وسيدات من مترئسات الأهمال الخيرية ، الخ ؟ فاذا هو أثناء مدة اعتقاله يُعلُّم القراءة والكتابة ويفسُّر' له الانجيل ويوعظ ، ويُردُ الى الصـــواب ، ويُـلام ويقرَّع ،ويؤنب ويوبخ ، وتُشرح له العقيدة ويُلقنَّ تعاليم السبحية ، قاذا هو يعلن جهاراً في ذات يوم أنه نادم على فعلته وأنه تاب وأناب • وقد وجه الى المحكمة رسالة يصف فمها نفسه بأنه كان شيطاناً رجيماً ، وأضاف الى ذلك قوله ان الرب قد أدركه أخيراً برحمته فهداه الى الحق وأتم عليه نعمته • وقد اهتزت المدينة كلهما للأمر ، فاذا جنف الفاضلة العساقلة الحكمة تغلى وتفور ، واذا جميع الناس في المجتمع الراقي ، اذا جميع « الأخسار » يريدون أن يزوروه في سحنه : حضنوه وعانقوه وقسَّلوه ، وقالوا له :

« أنت أخونا وقد أدركتك نعمة الله » ، فكان ريشار يبكي حنانا ويكرر قوله : • نعم لقد أدركتني نعمة الله • كنت أثناء طغولتي وشبابي أحسد الخنازير على طعامها ، وها هو ذا الرب يرسل الى َّ الآن نسمته • سأموت في صلح مع الله » ؟ فيجيبه الآخرون : « نعم َ ما تقول يا ريشار ، ستموت متصالحاً مع الرب ، لقد سفحت دماً فيجب أن تموت ، صحيح أنك لم تكن مذنباً أذ جهلت الله أيام كنت تحسد الخنازير على علفها وأيام كنت تُنْهَرِ لذا أنت سرقت بعض هذا العلف من مذودها ﴿ وَأَنت مخطىء في ذلك على كل حال لأن السرقة حرام) ، ولكنك سفكت دماً فلا بد أن تموته، • وحان اليوم الأخير • فكان ريشار ، وقد ضعف ضعفًا شديدًا، ما ينفك يردد بغير كلال ولا ملال : « هذا أسعد يوم في حياتي ، فانني ذاهب الى ملكوت الرب ، ، وكان القسس والقضاة والسبدات رئيسات الجمعات الخيرية يرددون بعده متنافسين : « نعم نعم ٥٠٠ هذا أسعد يوم في حياتك ، لأنك ذاهب الى ملكوت الرب ! ، • وقد رافق هذا الجهمور ريشار الى لمقصلة ، فبعضهم يتبع عـــربة العار التي تقل الجــاني راكباً يتمالى من كل مكن قائلاً : « مت أيها الأخ ، مت في صلح مع الله ، لأن نممة الله قد أدركتك ٥ ، ٥ ود ُفع ريشار الى المقصلة تغمره القبلات ، وأُ ضجع عليها ، وقطع رأسه قطماً أخويا جدا لأن نعمة الله قد أدركته • أليس هذا شيئًا يتميز بطابع خاص؟ لقد تُرجمت هذه النشرة عن اللغة الفرنسية ٠٠٠ ترجمها أشخاص ينتمون لي الأوساط اللوثرية والجمعات الخيرية من أعلى طبقات المجتمع الروسي ، وأرسلوا منها أعداداً ضخمة الى جميع الصحف لتوزع مجانا في سبيل تثقف شعبنا .

» ان حالة ريشار هذا شائقة بما تتصف به من طابع قومي • فنحن في بلادنا ، والحق يقسال ، لا نقطع رأس رجل* لأنه أصبح أخانا ولأن

نعمة الله قد أدركته • ولكنَّ عندنا شيئًا لا يأس به هو أيضًا • نحن في روسيا نضرب ضرباً قاسياً مبر ِّحاً ، وقد أصبح هذا نوعا من تقليد تاريخي ومتعة مألوفة طبعة مشروعة • لقد صـــوًّر نكراســوف ، في احدى قصائده ، شقاء حصان كان فلاح من الفلاحين يضربه بالسوط علىالسنين ، على «عينيه الوديمتين» * • • من ذا الذي لم يشهد في يوم من الأيام منظراً كهذا المنظر الشائع كثيرا ، الروسي جدا ان جاز التعبير ؟ ان ذلك الحيوان المسكين الضعيف الذي كان يجر عربة مثقلة المأحمال فوق طاقته قد سقط في الوحل ثم لم يستطع أن يتخلص منه • فأخذ الفلاح يضربه ثم يضربه ٥٠٠ وبلغ من شدة حنقه وهو يرفع سوطه في الهواء ويهوى به على الحوان أنه أصبح لا يشعر بما يفعل ، فهو فيما هو فيه من سكر وحشى بضراوته الستبقظة يضاعف ضرباته بمزيد من القسوة قائلاً : ه أصبحت لا تقوى على جر العربة ، ولكنك ستجرها رغم أنفك ٠٠٠ سأجرك على ذلك اجرارا أيها الحوان القذر • من أن شت ، ولكن عليك أن تحر المربة ! ، ، وأخذ الحيوان يتخبط ، فما كان من الفلاح وقد استند به غضب أعمى الا أن أخذ يجلده على عينيه اللتين تتضرعان طالبتين الرأفة والرحمة ٥٠٠ على ء عينيه الوديستين ، العزلاوين اللتين لا تملكان ما تدفيان به عن نفسهما الأذي ، واستطاع الحيوان بوثبة مستميتة قصوى أن يتخلص من سقطته فيقف على قوائمه فيستأنف سيره مرتمشاً مجللاً" بالخزى والعار ، لا يكاد يستطيع أن يتنفس ، يتقدم بخطى متقطعةمقهورة تعث الشفقة في القلب ، أن أشعار تكراسوف هذه تحدث في النفس أثرًا رهبياً • والأمر مع ذلك أمر حيوان ، وتحن تعلم ان الرب قد وهب لنا الحيوانات لنضربها ء أو هذا على الأقل ماتعلمناه من التنر الذين أورثونا السوط هدية تذكرنا بهم • ولكن الشر يُضربون أيضًا • اتني أعرف حالة سيد مرموق مثقف تعاون مع زوجته في ضرب ابنته الصغيرة وهي

طفلة في السابعة من عمرها *• لقد دو َّنت الواقعة بجميع تفاصيلها • كان للمعمى أشواك ، فسُمر ً الأب من ذلك أعظم السرور • قال : • لتشمرن بالعقوبة شعوراً أقوى ، ••• وأخذ يضرب ابنته • هناك أشخاص ــ وأنا أعلم ذلك علم اليقين ـ يسكرون من الضربات التي يكبلونها ، ويبلغون من النشـــوة بها حدًّ اللذة الجســـدية ويتمتعون بالضرب تمتماً وحشــاً متزايداً • ضُربت العسة دقيقة ، فخيس َ دقائق ، فيشر دقائق ، ضرباً ما ينفك يزداد قوة وضراوة • والصبية تصرخ وتبكى ، ثم تقول مختنقة الصوت بدموعها : « بابا ، بابا ، بابا الحبيب ! ، • وبمصادفة شيطانية غير لائقة ، ر'فعت القضية الى المحكمة • واستعان الأبوان بمحام • ان الشعب يقول منذ زمن طويل : « المحامي ضمير يؤجر نفسه » • وأخذ المحـامي يصبح قائلاً أمام المحكمة : و أب أدَّب ابنته • فما هذا الا حادث مبتذل شائع من حوادث الحياة العائلية • ومن عار هذا العصر الذي نعيش فيه أنه ظُنن أن هـــــذه قضية يجب أن ترفع الى المحكمة ! ، • وقــــد تأثر المحلَّمُونَ أَشد التأثر بأقوال المحامى ، فمضوا يتداولون في الأمر ، ثم عادوا يعلنون حكمهم بالبراء: • وضج ً الجمهور فرحاً حين سمع الحكم براءة الجلاد • انني لم أشهد المحاكمة ، والا لاقترحت انشاء مسندوق اعانة ، تكريماً لهذا الأب الجلاد! هذه لوحة جملة يا ألوشا ، غير أنني أملك لوحات أخرى ربما كانت أجمل منها ، وهي تتعلق خاصة " بالأطفال من الروس • اليك قصة بنية في الخامسة من عمرها ، غضب منها أهلها، وهم « أناس محترمون ، موظفون مثقفون ، نشأوا نشأة كريمة وأأحسنت تربيتهم » • أَوْكُدُ لِكَ جَازِماً يَا أَلُوسًا أَنْ هَنَاكُ أَنَاساً يُشْعِرُونَ بَمِيلُ خَاصِي الى تعذيب الأطفال ، الأطفال وحدهم دون سواهم . ان هؤلاء الجلادين يبرهنون في تعاملهم مع سائر البشر على كثير من الدمائة والليونة ، كما يليق ذلك بأوروبيين متعلمين متنورين • ولكنهم في مقابل ذلك يجمعون لذة كبيرة في تعذيب الأطفال ، مع حبهم لهم على طريقتهم الخاصة • ان منظر هذه الكائنات الصغيرة المزلاء التي لا تحسن الدفاع عن نفسها ، ولا تعرف كيف تشتكي ولا الى أين تلجأ ولا بماذا تعتصم ، مع ما تتصف به هذه الكائنات من ثقة ملائكية ، يملك القدرة على ايقاظ القسوة الغريزية في نغوس أولئك الناس • لا شك أن في قرارة كل انسان وحشاً نائماً ، وحشأ ضاريأ مسعورا يلتذ بسماع صرخان ضسيحيته ، فينطلق عندثذ انطلاقاً كاملاً بكل قسوته التي ضاعفها الفجور وضاعفها كل ما يولده الفجور من أمراض كالنقرس والتهاب الكبد وما الى ذلك • ولنعد الى أهل تلك البنية • لقد أنزل الأبوان المثقفان في ابنتهما المسكينة أنواعاً من التعذيب لا يتصورها الخيال • كانا يضربانها ويجلدانها ويدوسانها بدون أى سبب ، حتى انهد جسم البنية المسكنة وامتلأ بقماً زرقاء • وشيئًا فشيئًا توصلا الى صور من التسوة فيها كثير من التفنن • من ذلك أنهما أنشأه الليالي الباردة كانا يحسسان الطفلة في المرحاض ، بحجة أنها كانت لا تطلب الخروج لقضاء حاجاتها في حينها (كأن طفلاً في العفامسة مور عمسره يستطيع دائما أن يستيقظ من نومه الهاديء العميق في الوقت المناسب للذهاب الى المرحاض) ؟ وكانا يلطخان لها وجهها بنائطها نفسه « لتعليمها » ، ويجبرانها على أن تبلع غائطها ، وكانت أمها ، أمها نفسها ، هي الَّتي تكرهها على ذلك • وكانت هذه الأم تستطيع أن تنام بمدَّلُذ نومًا هادئًا دون أن تهزها صرخات طفلتها السجينة في ذلك المكان الموبوء ! فهل تستطيع أن تتخيل يا ألبوشا ذلك الكائن الصغير الذي ما يزال عاجزاً عن أن يفهم ما يجرى له ، هل تستطيع أن تتخيله لاطمأ صدره المختنق؛ بيديه الصنيرتين في غياهب الفلام والبرد ضارعًا الى • الرب الرحيم ، بدموع شقية بريئة أن يحميه ؟ هل تستطيع أن تفهم علة وجود عالم سخف هذا السخف ، باطل هذا البطلان ، مستحل هذه الاستحالة ٠٠ قل لى يا صديقى ويا أخى ٥٠٠ جل تستطيع أن تدرك علة وجود هذا المالم أنت يا من تنهيأ لأن تكون راهباً ينذر حياته للرب تقياً متعبداً ؟ يزعم بعضهم أن الوجود على هذه الأرض لا يمكن تصسوره خاليا من الألم ومن الظلم للذين يستطيعان وحدهما أن يها للانسان معرفة الخير والشر! ألا بشست تلك المعرفة اذا كان نمنها هسفا الثمن! أن كل ما في العالم من علم لا يكفي للتكفير عن دموع تلك الطفلة التي تتوسل الى و الرب الرحيم ، أن ينجدها ، لن أقول شيئاً عن الآلام التي يعانيها الكبار ، فان الكبار قد أكلوا الثمرة المحرصة ، فليجنوا جزاء ما فعلوا ، وليأخذهم الشيطان جميعا اذا كان الشيطان ما يزال يلوى عليهم ويهتم بأمرهم ٥٠٠ أما الأطفال ، أما الصفار الأبرياء ، فعا ذنهم ؟ الاحظ أنني عبدالكرم ان شت » ،

تمتم ألبوشا يقول :

ـ لا ••• اتنى أحب أن أتألم أنا أيضا •

لن أقس عليك الاقصة واحدة أخسرى ، لأنها شائقة جدا ، ولأنها تتسم بطابع معيز حقا ، لقسد قرأتها منذ زمن قصير في مجلة دالسجل الروسى ، أو مجلة دالماضي الروسى ، * ، لا أدرى على وجه الدقة ، ١٠٠ يعجب التحقق من ذلك ، ١٠٠ الله وقت هذه القصة في أحلك عهود الرق عند بداية هذا القرن ، عاش محرر الشعب * ! كان يعيش في ذلك الزمان جنرال له علاقات رفيعة ويملك أطيانا واسعة ، هو واحد من أوائك الرجال (وقد أصبحوا قلة قليلة نادرة حتى في ذلك الزمان) الذين يستقدون حين يُحالون على التقاعد أنهسم بما قدموا للدولة من خدمات قد أصبح لهم على أقانهم حق الحاة والموت ، لقد وجد أمثال

هؤلاء الرجال في الماضي • كان ذلك الجنرال يعيش في أراضب التي يممرها ألفان من الأقدن • وكان يصطنع الأبهة والعظمة ، وينظر نظرة استعلاء الى جيرانه المتواضعين ، متظاهرا بأنه يمدهم مهرَّجين أو طفيليين. وكان يملك بضعة مئات من كلاب الصييد لها ما يقرب من مائة خادم يجرون وراءها على خيولهم ، لابسين زيًّا واحدا . ففي ذات يوم كان قن يصب باحداها الكلب الأثير لدى الجنرال ، سهواً وغفلة • وسأل الجنرال مستطلماً : « لماذا يمرج هذا الكلب الذي هو خير كلابي ؟ ، فقيل له انه قد جُرْح بحصى رماها ذلك الصبى • قال الجنرال وهو يتفرس في الصبي: « أأنت السبب اذن ؟ » • ثم أضاف : « احبسوه ! » • انتُرْع الصبي من أمه ، وألقى في زنزانة مظلمة ضبقة لبث فيها طول الليل ، وفي ساعة مكرة من صباح الغد تهمأ الجنرال للذهاب الى الصيد في احتفال عظيم • انه يمتطى صهوة جواده وقد أحاط به طفيلوه وكلابه وخسدمه الذين يحرون وراء الكلاب يطاردون الفرائس ، وقد امتطوا صهوات خيولهم جميعًا • وأمر الجنرال بجمع الخدم في الحوش لتلقينهم درساً ، وجُعلت أم الصبي الجاني في أول صف من صنوفهم • وأخسرج الصبي من زنزاته • كان ذلك في صباح كالع بارد يملؤه الضباب من أصباح الخريف ، صباح يبشر بصيد وافر . وأمر الجنرال بأن تُخسلع عن الصغير ثيابه فخُلُمت حتى صار عاريا كل العرى • ان الصبي يرتمش مصفراً من الخوف ، ولا يجرؤ أن يفتح فاه ••• قال الجنرال آمرا : «اجعلوه يركض، ، فأخذ المطاردون يدفعون الصبى فاثلين له : « اركض، اركض ء ، فأطاع الصبي أمرهم وأخسد يركض ، فاذا بالجنزال يعول صائحًا : « علمه ! » مهماً بكلابه أن تطارده ، فانطلقت الكلاب تمزق جسم الصبي على مرأى من أمه ٥٠٠ أحسب أن الجنرال قد حُمجر عليه بعدئذ.

فما رأيك ؟ أما كان يستحق أن يعــــدم رميًا بالرصاص ؟ ألم يكن من الضرورى اعدامه تهدئة ً للضمير الأخلاقي ؟ هلا ً أجبت يا أليوننا !

قل أليوشا بصوت خافت وهو يرفع عنيه نحو أخيه ويرسم على
 شفتيه المرتشتين ابتسامة ضعفة :

ـ نعم كان يجب رميه بالرصاص •

فصاح ايفان يقول بنوع من الحماسة :

ــ مرحى ! ما دمت تقر بذلك أنت نفسك ، فلا بد ••• هاه ••• يا لرسول المحبة ! ذلك هو الشيطان الذي تؤويه في قلبك يا أليسوشا كارامازوف !

قال ألوشا:

ــ لقد قلت ُ سخانة ، ولكن ٥٠٠

صاح ايفان :

ـــ ولكن ٥٠٠ هذا هو الأمر : وولكن ع ٥٠٠ أليس كذلك ؟ ألا فاعلم أيها الراهب المبتدىء أن السخافات لازمة لوجود هذا العالم • ان الكون يقوم على سخافات بدونها قد لا يوجد شيء وقد لا يحدث شيء • نحن نعلم ما نعلم !

_ ماذا تعلم ؟

ــ لست أفهم شيئًا (كذلك استأنف ايفان كلامه قائلاً في هذيان)، ولقد أصبحت لا أريد الآن أن أفهم شيئًا • أريد أن أكتفى بالوقائع وأن أقتصر عليها • لقد قررت منذ زمن طويل أن لا أحاول تأويلها • فلو حاولت أن أفهم اذن لشوءً من الوقائع فورا ، وأنا أحرص على أن أبقى في الواقع لا أخرج منه •••

صاح أليوشا يقول بمرارة :

ــ لماذا تعذبني هذا التعذيب ؟ هلا ً قلت لي أخيراً •••

ــ سأقول لك • ذلك ما كنت أريد الوصول اليه منذ البداية • أنت عزيز في نفسى يا أليوشا ، ولا أريد أن أتنازل عنك لصاحبك زوســيما بدون كفاح •

قال ايفان ذلك وصمت لحظة مظلم الوجه ، ثم أردف يقول :

ــ اصغ الى ً الآن • لقد اخترت لأمثلتي أطفالا ً حتى يكون برهامي ً أكثر اقناعاً • ولن أقول شيئًا عن سائر الدموع الانسانية التي تتبلل بها. الأرض ، انني أضيَّق موضوع مناقشتنا عامداً • ما أنا الا حشرة صغيرة من الحشرات • واني لأعترف ذليلاً كل الذل بمجسنري عن فهم نظام شرورهم ؟ لقد و ُهيت لهم الجنة ، ولكنهم آثروا أن ينسالوا حريتهم واختطفوا النار من السماء وهم يعلمون سلفاً أنهم بذلك يجلمون لأنفسهم الشقاء ، فلا داعي اذن الى أن نشفق عليهم ونرتى لحالهم • ولكن عقلي ، عقلي المسكين الاقليدسي الأرضي يؤكد لي ، على عكس ذلك ، أن العذاب موجود دون أن يكون هنالك مذنبون ، وأن جميع الأفعال الانسانية ينحدر بعضها من بعض بالضرورة ، وأن كل شيء ينقضي آخسر الأمر ، وأن التوازن يقوم مرة أخرى من تلقاء نفسه • ذلك على الأقل وهم " أنشأه عقلي الاقليدسي ، أعرف هذا ٥٠٠ وأنا لا أقبل أن أحا في عالم كهذا العالم • فيم يهمني أن أعلم أنه ليس هناك مذنبون ؟ انني في حاجة الى عدل ، وألا دمرت نفسي • وهذا العدل الذي أطالب به ، أنا لا أزيده في ه لا نهاية ، لا يمكن الوصول اليها ، وفي « أبدية ، تفوقني ، وانســـا أنَّا أريد أن أراء على هذه الأرض ، أن أراه بعيني • لقد آهنت ، وأريد أن

أشهد انتصار الحقيقية ! فاذا كنت مبتاً ساعة َ انتصارها فلأُ يعث حباً ! لسوف يسيء الى كثيراً أن يتحقق هذا المجد للإنسان في غيابي • هــل تألمت أنا من أجل أن أمهَّد الطريق بخطاياى وآلامي لانسجام مقبل لن ينتفع به الا آخرون ؟ انني أريد أن أرى الوعلة بعيني مستلقية " أمام الأسد في هدو. وسلام ، وأن أرى الضميحية مرتدة الى الحياة تعانق قاتلها • أريد أن أكون حاضراً حين ينكشف سر ُ هذا العالم للجميع • ان هذا الانتظار هو القاعدة التي تقوم عليها جميع الأديان ، وأنا امرؤ مؤمن • ولكن الأطفال ••• ما ذنب الأطفال ؟ كيف نسوِّع عســذاب الاطفال ؟ تلك مشكلة لا أجد الى حلها سبيلاً • أعود فأقول لك للمرة المائة : ان هناك في هذا العالم مشكلات كثيرة ، ولكنني اخترت هــــذه المشكلة ، مشكلة الاطفال ، لانها تتبح لي أن أُعبِّر عما يشغل بالي ويقض مضجمي تعبيراً أوضع • قل لي : اذا كان على البشير أن يتألموا من أجل أن يمهتِّدوا بألمهم للانسجام الكلي ، فلماذا يجب أن يتألم الأطفال أيضًا ؟ لماذا حُبِس الأطفال في همذه الدائرة ، لمساذا يجب عليهم هم أيضا أن يساهموا في الانسجام بعذابهم ؟ ذلك أمر لا سبل الى فهمه اطلاقاء ماذا جنوا حتى يُنجِرُثُوا في هذه الزوبعة ؟ قد أُسلم عنــد الاقتضاء بتضامن البشر في الخطيئة وتضامنهم في التكفير عنها ولكن الأطفال لم يشاركوا في الخطيُّمة فان قيل انهم يحملون في أجسمادهم خطمايا آبائهم وانهم متضامنون اذن مع آبائهم في هذه الخطايا قلت : هذه حقيقة لن تكون من هذا العالم على كل حال ولا يمكن أن يدركها عقل ! ر'بُّ مازح خست يعترض بقوله ان الطفل سيشتد ساعده وسسيقارف الخطئة متي حان الوقت ولكنني أقول ان ذلك العسبي الذي ما يزال في الثامنة من عمره لما يشتد ساعده بعد ْ وقد مزقته الكلاب ! آه يا ألموشا هيهات أن يكون في نيثي أن أجدً ف • انني أتخيل كيف سيتهلل الكون فرحاً حين ســـندوي

أصوات السماء والأرض جميعا منشدة للخالق نشيد الشكر معا وحين سيهتف جميع الأحياء وجميع من كانوا أحياء قائلين : « أنت على حق يا رب وقد فهمنا طرقك ! » • سوف تعانق الأم عندئذ الحلاد الذي أمر الكلاب بتمزيق ابنها وسوف يقول الثلاثة عندئذ من خلال دموع الحنان أنت على حق يا رب • ستنجلي عندئذ جميع الأسرار وسيكون ذلك اليوم يوم تمجيد المرفة • ولكن ذلك بعينه هو العقدة لأنني لا أقبل هذا الحل للغز وأنا أسارع الى اتخاذ اجراءات ما زلت في هذا العالم • قد يحــدث يا البوشا حين أشهد ذلك الانتصــــار النهائي للحقيقــة وحين أبعث حياً لأشهد ذلك الانتصبار أن أصبح أنا أيضًا مع الجميع اذ أرى الأم والجلاد والطفل يتمانقون ويتصالحـــون : « أنت على حقّ يا رب ! » • ولكنني لا أريد أن أفعل ذلك وأحسرص على أن أحمى نفسي سلماً من ذلك. الاستسلام ولهذا السبب تراني أتنازل تنازلا حاسما عن الانسجام الأعلى. ان هذا الانسجام لا يعدل في رأيي دمصة واحدة من دموع ذلك الطفل المعذب الذي كان يلطم صدره بقيضتي يديه في مكان موبوء ويضرع الى الله الرحيم من خلال دموعه التي لا يكفر عنها شيء • نعم ما من انسجام مقبل سيكفر عن تلك الدموع ولا بد من التكفير عنها والا فلا يمكن أن يقوم انسجام ولكن بماذا يمكن التكفير عنها ؟ ما الذي يمكن أن يمحوها ؟ أهو القصاص الذي سينزل بالجاني ؟ فما قيمة هذا القصاص ؟ فيم يهمني هذا القصاص ؟ أنني لا أريده ! انني لا أطالب بتعذيب الجلادين في الجحيم. ان جهنم لن تغير من الامر شيئًا ولن تنفى أن الطفل قد عذب • وأين عسى أن يكون الانسجام اذا كان ثمة جحيم ؟ اننى أحب أن أنحنسر وأن أصالح • انني أتمني أن لا يبقى في الكون عــذاب • فاذا كانت دموع الأطفال أمراً لا بد منه ولا غني عه لاكمال مقدار الألم الذي سبكون دية للحقيقة فانني أعلن جازماً أن الحقيقة لا تستحق أن يُدعم ثمنها باهظا

الى هذا الحد اننى لا أريد أن تصالح الأم الجلاد الذى أمر كلابه بتمزيق جسد ابنها • ليس من حقها أن تنفر له • لها أن تتفاضى عن ألمها هى ، عن عذاب الأم العظيم الذى قاسته ، لها أن لا تحقه على الجانى اذا شامت ولكن ليس لها أن تعفو عن التعذيب الذى نال ابنها حتى ولو عفا عنه ابنها • فاذا كان الامر كذلك ، اذا لم يكن من حق الضحايا أن تنفر فأين أن الانسجام ؟ قل لى : أين الانسجام ؟ هل فى الكون فرد يجب عليه ويحق له أن ينفر ؟ اتنى لا أريد هذا الانسجام بل أرفضه حباً بالانسانية • اننى أفضل أن تبقى آلام هذا العالم بغير تكفير • اتنى أؤثر أن يظل ألمى بغير قدية وأن يظل استيائى متأججاً بغير ارتواه ولو كت على خطأ • ان الشمن المطلوب للانسجام باهظ جدا وهو فوق ما نطبق أن ندفع من نمن ان بطاقة الدخول غالية مسرفة فى الفلاء • لذلك أسارع فأدد " بطاقى • اننى أشعر بأن على أنأردها بأقسى سرعة لأننى انسان شريف وذلك ما أهمله • اتنى لا أحيد الرب يا ألبوشا وانما أقتصر على أن أعيد اليه بطاقتى بكثير من الاحترام •

قال أليوشا بصوت رقيق وهو يخفض عينيه :

۔ هذا عصیان ه

فقال ايفان بلهجة نافذة مؤثرة :

ـ عصيان؟ لا أحب أن تحكم على ً هذا الحكم، ان من الستحيل على المرء أن يحيا في المصيان ، وأنا امرؤ يحرص على أن يحيا ، أجبنى عن سؤال ألوشا ولكن أجبنى بصراحة ، فاننى أحرص على جواب صريح عن هذا السؤال : لو كنت مهندس المصائر الانسانية وأحببت أن تبنى عالمًا تجد فيه الانسانية السعادة والهدو، والأمن أخيرا أفتشرع في هذا المسل اذا علمت أنه لن يتحقق الا اذا كان العذاب ثمنه ولو لم يكن الا

عذاب انسان واحد صغیر برىء هو مثلاً تلك الطفلة التى كانت تلطم صدرها بقبضتى يديها ؟ لو كان البناء لا يمكن أن يقسوم الا على تلك السموع التى لا فدية لها تذرفها تلك البنية الصغیرة ، لو كان ذلك ضرورة لا مناص منها ولا يمكن أن يتحقق الهدف بدونها أفتطل توافق على أن تكون مهندس الكون في تلك الشروط ؟

أجاب اليوشا بصوت جازم :

ـُــ لا ••• لا أوافق •

_ وهل في وسمك أن تسلم عدا ذلك بأن يقبل البشر الذين تبنى لهم هذا العالم أن يصبحوا سعداء على حساب آلام ودماء طفل برىء وأن يعرفوا السعادة الى الأبد بعد أن يقبلوا ذلك ؟

ـ لا ٥٠٠ لا أستطيع أن أسلم بهذا ٠

كذلك قال أليوشا ثم صاح يقُول فجأة وقد سطعت عيناه :

ــ أخى لقد سألتنى منذ لحظة هل فى الكون كائن فى وسعه ومن حقه أن يغفر ؟ ان هذا الكائن موجود يستطيع أن ينفـــر كل شىء وأن يففر لجميع الناس لأنه وهب هو نفسه دمه البرىء للانسانية بأسرها لقد نسيته أنت وهو هو الذى يقوم عليه البناء كله وهو الذى يقع علميــه أن يصبح: « أنت على حق يا رب فلقد أدركت طرقك » ه

- آه ••• انك تتكلم عن • ذلك المبرأ وحده من الخطيشة وعن
دمه ! لا يا البوشا أنا ما نسبته وانه ليدهشني أن تنتظر هذه المدة الطويلة
قبل أن تستشمه به فأمثالك في السادة 'يبرزون هذه الحجة منذ بداية
المناقشة ، اسمع يا البوشا هل تصملم أنني نظمت قصيدة في ذات مرة ؟
لا تمسخر مني لقد فعلت ذلك منذ سنة فاذا وافقت على أن تضبع في
صحتي بضم دقائق أخرى قلت لك هذه القصيدة •

_ كتبت تصيدة ؟

ـ لا لم أكتبها (كذلك أجاب ايفان ضاحكاً) ولا كنت قادرا في يوم من الأيام على أن أسطر بيتين من الشعر ولكنني تخيلت هذه القصيدة وحفظتها في فكرى لقد تصورتها وأنا في نوع من سورة النفس وستكون أنت أو ل و قرائي أو قل أول المستمعين الى و فلاذا يجب على المؤلف أن يتازل عن المستمم الوحيد الذي يملك أن يتسلو عليه ما أنف (كذلك

يدون عن المسلم ، القصيدة أم لا ؟ أضاف ايفان مبتسماً) أأقول القصيدة أم لا ؟

أجاب أليوشا :

ــ اننى أ'صنى اليك باهتمام وشوق •

ــ عنوان القصيدة • المفتش الكبير » • هي قصة خيالية ولكن يسرني أن أقصها عليك • ايفان كلامه يقول :

_ لا بد من مقدمة • هـذا من التقاليد الأدبية

وقال ايفان ذلك ضاحكا) • أست مؤلفا أنا الأحداث تجرى في القرن السادس أيضا ؟ ان الأحداث تجرى في القرن السادس عشر • ولقد كان رائعةً في ذلك الزمان ادخال القوى السماوية في القسائد ، كما لا بد أنك تعلمت ذلك في المدرسة • يكفى أن أذكرك عنى دون أن أستشهد بمثال دانتي ، بأن رجال الدين والرهبان كانوا المسيح ، ويظهر فيها حتى الله نفسه • تشليلات تظهر فيها حتى الله نفسه • تشليلات ساذجة • وقد وصف فكتور هوجو في روايته • أحدب نوتردام ، * تشلية أخلاقية مجانية مثلت للشعب في قاعة • الأوتمل دوفيل ، في عهد لويس السادس عشر احتفالاً بميلاد ابنه البكر ، وكان عنوان التشلية هو • الرأى الصائب للمدار رأيها بميلاد ابنه البكر ، وكان عنوان التشلية هو • الرأى الصائب للمدار رأيها الصائب وحكمها السديد • وعندنا في موسكو* ، قبل عهد بطرس الأكبر، كانت أسراو من هذا النوع تُمشًل من حين الى حين ، وكانت تُستوحى من التوراة خاصة • وعدا هذه التمثيلات ، قد انتشرت في المألم طائفة من التوراة خاصة • وعدا هذه التمثيلات ، قد انتشرت في المألم طائفة

من الأقاصيص أو القصائد يظهر فيهــــا القديسون وتظهر فيهــا الملائكة والقوى السماوية الأخرى ، تما للحاجات ، وفي أديرتنا كانت تُـــرجم

وكانت تنسخ أشاء كثيرة ، بل لقد كانت تؤلُّف قصائد في بعض الأحان، حتى في عهد الاحتسلال التترى • فكذلك على سبيل المثال ، احتفظ بقصدة رهانية (مترجمة عن البونانية طبعا) عنوانها : « نزول العذراء الى الجحيم ، * ، مليئة بلوحات تكاد تبلغ في جراتها وجسارتها لوحات دانتي • ففي تلك القصدة تذهب العذراء الى المعذبين في الجحيم يقودها رئیس الملائكة میخائیل ، فتراهم وتری ما یقاسون من عذاب ألیم ، وتری بنهم على وجه الخصوص طائفة عجبية من الخطاة تتخسط في بحيرة مشتعلة ، فالذين يغوصون في هذه البحيرة منهم لا يرجعون بعد ذلك الى سطحها قط ، ويقال عنهم « ان الله قد نسيهم » ، وذلك تعبير عميق زاخر بالقوة ؟ وقد استبدت بالعذراء شفقة قوية ، فسقطت بكة أمام عرش الرب تضرع اليه أن يعفو عن معذبي الجحيم ، وأن يغفر لهم جميعا بنسير تمييز ٠ ان حديثها مع الرب شائق جدا ، فهي تضرع اليه وتلح وتأبي أن تنصرف ، فاذ أوماً الرب الى قدمي ويدى ابنها الثقوبة بالمسامير وسألها : « كيف أعفو عن هؤلاء الجلادين » ، أمرت جميع القديسين والشهداء والملائكة أن يركموا معها وأن يسألوا العفو عن جميع الخطاة بغير استثناء. واستطاعت أخيرا أن تحصل على أن ينقطع عذاب جهنم كلَّ سنة بين الجمعة الحزينة وعيد الخمسين ، وأن يسارع المصذبون عندثذ الى أن ينشدوا من قرارة الجحيم نشيد العرفان بالجميل : • أنت على حق يارب، وعادل حكمك ٠ ، ٠

ان قصیدتی أنا كان یمكن أن تكون من هذا النوع لو أننی عشت فی ذلك العصر • ان الرب یظهر فی قصتی ، ولكنه لا ینطق بكلمسة واحدة ، ولا یزید علی أن یعجاز المسرح • لقسید انقضت خمسة عشر قرنا منذ أن وعد بأن یعود الی مملكته ، منذ أن كتب رسوله : • سأعود قریا * • أما الیوم والساعة فان الابن نفسه لا یعرفهما ، وانما یعرفهما

أبى الذى فى السموات ، على حد الأقوال التى نطق بها هو نفسه أتناء مروره بالارض ، ولكن الانسانية ما تزال تنتظره بايمان واحد وحماسة لم تنفسير ، بل ان الايمان قد قوى واشتد ، لأن خمسسة عشر قرنا قد انقضت منذ أن كفت السموات عن بذل ضمانات للبشر ،

صدق صوت قلبك ايها الانسان ان السموات لا تبلل ضمانات * •

فلا قيمة بعبد الآن الا ليقين القلب دليـــــــــلا وبرهانا • صحيح أن المعجزات كانت كثيرة في ذلك العصر • فلقد كان هنالك قديسون يسرئون المرضى بمعجــزات فوق الطبيعة ، واذا صــدق ما يروى في سير بعض الصالحين ، فإن ملكة السموات قد ظهرت لهم بشخصه: • ولكن الشيطان عندثذ هرطقة رهيبة في شسمال ألمانيا * فاذا بكوكب كبير « شبه بشعلة (هو الكنيسة طبعا) يسقط على نبع المياه فتصبح المياه مرة ، • لقد كان أولئك المجدِّقون الهراطقة ينكرون المعجزات • فازداد ايمان المؤمنين ، واشتدت حماستهم • وأخذت الانسانية ترفع أعينها الدامعسة الى الرب منتظرة مجيئه ، محبة " اياه بقلب حار ، مؤملَّلة " فيه ، ظامئة الى التألم من أجله والموت في سبيله ، كما حدث في الماضي ٥٠٠ ان صلوات البشر ترتفع الى السموات حارةً منذ قرون طويلة قائلةً له : « تفضل بالمجيء النَّا يا رب ، ، لذلك أراد الرب برحمت الواسعة ، أن يعبود الى أولئك الذين يضرعون البه هذه الضراعة • لقد ظهر حتى ذلك الحين لبض الصالحين والشهداء والقديسين النساك كما تروى سيرة حاتهم . وفي بلادنا روسيا تغني الشاعر تـوتشيف به في هذه الأبات (وكان يؤمن ايمانا عمقا بما يقول): ايتها الأرض التى ولد فيك ملك السموات * لقد طاف فى كل جهة من جهاتك فى صورة عبد ، منحنيا تحت ثقل صليبه ، يهب لك بركته الواسمة •

ذلك كله صحيح ، أؤكد لك ، لقد قرر الرب أن يظهر في هذه المرة لا لافراد من القديسين ، بل للشعب بأسره، لجمهرة الناس المفهودين الذين يتألمون في خطاياهم وعادهم ولكنهم يحيدة بقلب ساذح كقلب الاطفال ، الأحداث تجرى في اسبانيا ، بمدينة اشبيلية ، في أحلك عهود التفتيش ، ، أيام كانت أكوام الحطب تشتمل لاحراق المتهمين كل يوم في جميع أرجاء اسبانيا تمجيدا للرب* :

في نيران رائمة *

كان يحرق الزنادقة الأشرار •

لم يكن يقصد فى هذه المرة أن يرجع الى الارض ذلك الرجوع الدهور ، الذي بشَّرت به الكتب الدينية حين قالت انه سيرجع فى آخـر الدهور ، فيتجلي فجأة بكل مجده السماوى و كبرق يسطع من الشرق الى الفرب* فكل ما كان يريده هو أن يقضى بضع لحظات عابرة بين أبنائه فى تلك الأماكن نفسها التي تزفر فيها النيران الموقدة لاحراق الهراطقة و لقد أراد بغمل من أفصال محبّه الالهية أن يظهـــر للناس مرة أخرى فى الموردة الأنسانية التى اتخذها قبل ذلك يخمسة عشر قرنا أثناء حيـــته الأرضية التى دامت ثلاثة وثلاثين عاما و فهكذا نزل الى الشوارع الملتهبة من المدينة الجنوبة التى تم فيها أمس ، بأمر الكاردينال ، المفتش الكيري احراق مائة من الزنادقة ، تمحيداً قة ، بمعاونة الأهالى وحضور الملك ورجال البلاط والفرسان وأمراء الكنيسة والسيدات الحسناوات وسائر

من يعدون ألم أبذء المجتمع في اشبيلية • وقد ظهر الرب خفية " بدون ضوضاء ، ولكن الامر الغريب هو أن جميع الناس سرعان ما عرفوه • وها هنا مادة لأجمل أجزاء القصيدة : لماذا عرفه الناس جميما ؟ لقد انجذب اليه الجمهـــور بقوة لا تقاوَم ، وأحاط به ، واحتشــــد حوله ، وتابع خطواته • فسار هو بين الجمهور صامتاً وهو يبتسم ابتسامة عطف لانهاية له • ان شمس المحبة تتقد في قلبه ، ومن عينيه يشع الضياء وتشع القوة فنتشران في المؤمنين ويشعلان المحبة فيهم • وهـــو يعد ذراعيه تحــو الشعب لبياركه • ان ملامسته ، وحتى ملامسة ثيابه ، تملك القدرة على ابراء المرضى • فهذا شيخ من الجمهور ، أعمى منذ طفولته ، يهتف قائلا على حين فجأة : « ردَّ الى َّ البصر يا رب حتى أستطيع أن أتأملك ، فما هي الا لحظة حتى سقطت النشاوة عن عينيه ، فاذا هو يرى الرب • وبكي الشعب تأثراً ، وأغرق بالقبلات الأرض التي مشي عليها • وأخذ الأطغال يرمون الأزهار أمامه منشدين : « رحماك أنقذنا » • وتعالت الصحات من كل جانب تقول في حماسة : • انه هو ، انه هو ، لا يمكن الا أن يكون اياه • » • ووقف في الساحة أمام كاتدرائية أشسلية لحظة كان يؤثم إلى الممد ، بين عبرات الحضور ، بتابوت أبيض صغير مفتوح يرقد فيه جثمان بنية في السابعة من عمرها هي البنت الوحيدة لرجل من عيون سكان المدينة • أن الميتة منطأة بالأزهار • صاح الجمهور يقول الأم المحزونة : « سحمي لك ابنتك » • وكان كاهن الكنسة قد تقسدم نحو التابوت ، فظهرت علمه الحرة وقطب حاجبه • فأجهشت أم النبـــة المتة باكمةً" وارتمت على قدمي المسبح وضرعت اليه وهي تمد نحو. ذراعيها قائلة : « اذا كنت أنت هـــو حقاً ، فأحى ابنتي ! » • توقف الموكب ، ووضم التابوت على البلاطات عند قدميــه • فألقى على جثمان البنية نظرة تفيض بالعطف ، وتحركت شفتاه في رفق تقولان مرة أخرى : « قومي أيتهما البنية ، * فما ان تعلق بهذه الكلمات حتى خرجت الطفلة من التابوت ، وجلست متسمة ً ، ونظرت حولها بعنين محملقتين مدهوشتين • انهما تمسك بندها باقة من ورود بنضاء كانت قد و ضمت على جثمانها، اضطرب الجمهور وصاح وبكي • وفي تلك اللحظة نفسها ظهر الكاردينال كبير المنتشين في الساحة أمام الكاتدرائية • انه شيخ في نحو السنة التسعين من عمره ، طويل الجسم منتصب القامة معروق الوجه غائر العينين ، غير أن في عينيه شعلة "تسطع• انه لايرتدي الآن ثوب الكاردينالية الأرجواني الفخم الذي ظهر به للشعب في الليلة البارحة حين كان يُرمي اليالنيران أعداءُ الكنيسة الرومانية • وانما هو يليس في هذه المرة ثوب الكاهن ، المصنوع من خشن الصوف • وعلى مسافة منه يتبعه معونوه العابســون وخدمه وحرس القـــداس الاحتفالي • وقف الكاردينال أمام الجمهور وتأمله من بعيد • لقد رأى كل شيء ، رأى التابوت عند قدمي المسيح ، ورأى البنية تُبعث حية م فأظلم وجهه واكفهـــر • انه يقطب حاجبيه الكثيفين الأبيضين ، وان بريقاً متوحشاً كاسراً يومض في عينيه ، وهذا هو يشير الى المسيح بسبابته آمراً الحرس بأن يمتقلوه • ان هــذا الرجل الذى عرف كيف يروتض شعباً مرتجفاً وأن يخضعه لجميع اراداته يبلغ من القوة أن الجمهور سرعان ما أسرع يبتعد أمام الزبانية ، فاذا بهؤلاء ، وسط صمت الموت الذي خيَّم على حين فجأة ، يضعون أيديهم على السبيع ويقتادونه • وسجد الجمهور بحركة واحدة أمام المفتش الكبير الذي بارك الجمهور صامتًا وانصرف • أُخذ السجين الى المبنى العتبق الذي يقام فيه القداس ، وحُبِس في زنزانة مظلمة ضيقة مقبَّة. انقضي النهار، وهبط الليل • هي ليلة من ليسالي اشبلية تلك الثقلة الحالكة الخانقية الحارة • • الهواء معطر بعنق أشحار الرُّند والليمون* ، • وفحأة " ، في الظلمات ، فُنتع الباب الحديدي ، وتقدم المفتش المجوز يسير في الممر

ببطء حاملا بيده شعلة • وقف لحظة على عتبة الزنزانة وتفرس فى وجه السجين طويلا • ثم اقترب منه آخر الامر بعظمى صامتة ، ووضع الشعلة على المنضدة وقال له :

« ــ أهذا أنت اذن؟ أهذا أنت؟ (ولكنه حين لم يتلق جوابا أسرع يضيف :) اسكت ! لا تقل شيئًا ! وما عساك تعلمنى على كل حال ؟ اننى أعرف سلفاً كل ما قد تقوله لى • وبأى حق تريد من جهة أخرى أن تضيف أى شيء الى ما سبق أن قلته ؟ لماذا تجيء اليوم تزرع الاضطراب في حياتنا ؟ ذلك أنك أنما جئت لئبت فينا الاضطراب ما في ذلك ريب ، وأنت لا تجهل ذلك • فهسل تعلم مع هذا ما الذي سسيقع غدا ؟ اننى لا أعرفك ، ولا أريد أن أعرفك • أأنت هو حقا ، أم لست الا طيفه ؟ سيان • • • لأننى سأحكم عليك بالاعسدام وسآمر باحراقات شلما آمر باحراق أسوأ الزنادقة • ان ذلك الجمهور نفسه الذي كان يقبل قدميك باحراق أسوأ الزنادقة • ان ذلك الجمهور نفسه الذي كان يقبل قدميك مئذ بقع ماءات ، سيهرع غدا ، باشارة بسيطة منى ، فيورى لهيب النار، على تعلم ذلك ؟

ألقى عليه الكاردينال هذا السؤال ثم أضاف يقول شارد الفكر 'افذ النظرة دون أن يحول بصره عن سجينه لحظة واحدة :

« ... لا شك أنك تعلم ذلك !

قال أليوشا الذي كان الى ذلك الحين يصغى الى أخيه صامنا ، قال وهو يبتسم :

للله أنه أنهم جيدا يا اينان • أهذه تهاويل مضطربة أتشأها خيالك المحموم ، أم أنت تريد أن تقول ان الشيخ قد خدعه ظنه ، وان لُبْسة ً ما قد أضائته ؟

قال ايفان ضاحكاً:

لنسلتم بأن هناك لُبُسة ما ، ما دامت واقعية هـــذا المصر قد
 دمغتك أنت أيضا الى حد لا تستطيع معه أن تقبل تهاويل خيالية غريبة .
 لنفرض أن هناك لبسة ما ، اذا كنت تحرص على ذلك .

ثم أردف ايفان يقول وهو يضحك مرة أخرى :

_ يجب أن لا نسى أن هذا العجوز هو فى التسمين من عمره ، وأن من الجائز أن يكون قد جُن ً منذ زمن طويل فىعزلته المتكبرة المستملية ولمل منظر السجين قد أدهشه ، ولمل هذا كله لم يكن أيضا الا هذيان رجل عجوز قد أهاجه احراق المائة زنديق الذين أحرقوا فى الليسلة البارحة ، أو أهاجته هلوسة من تلك الهلوسات التي تسبق الموت فى بعض الأحيان ، وانه ليستوى على كل حال أن يكون الامر أمر تهاويل خيالية أو أمر لبُستة ، فانهما المهم أن هذا الشيخ سيقول فى هذه المرة ، وهمو فى التسمين من العمر ، سيقول ما فى قلبه وما فكر فيه صامنا طهوال

والسجين؟ أهو صامت؟ أهو ينظر الى زائره دون أن يفتح فمه بكلمة؟

قال ايفان شارحا وهو ما يزال يضحك :

- على هذا النحو انما يعجب أن تجرى الأمور ، ألم يُفهمه الشبخ المحور أنه ليس من حقه أن يضيف شيئا الى ما سبق أن قاله في الماضي؟ بل ان هذا في رأيي سمة من السمات الاساسية للكاثوليكية الرومانية : « لقد عهدت برسالتك الى البابا ، ومن اختصاص البابا أن يقرر بعد الآن، فلا تأت اليا لبت القلق والاضطراب في حياتنا بغير طائل ، لا تأت الآن ، لا تأت قبل الساعة المحدَّدة على كل حال ! » ، فهسذا ما يقوله صاتمو الكنيسة الرومانية ، أو هذا ما يقوله اليسوعيون على الأقل ، لقسد قرأت

هذا بنفسى في كتب لاهوتسهم • ان العجوز قد ألقي عله هذا السؤال : ه هل من حقك أن تكشف لنا ولو عن سر واحد من أسرار العالم الذي جئت منه ؟ ، ثم لم ينتظر جوابه ، بل أضاف يقول فورا : « لا • • لسن من حقك أن تفعل ٥٠٠ لس لك أن تضف شداً الى ما سق أن قلت في الماضي ، وذلك حتى لا تحرم البشر من تلك الحرية الني كنت تقدرها قدراً عظما حين عشت على الأرض • إن كل كشف جديد قد تأتي به سسىء الى حرية الايمان ، لأنه سوف يبدو معجزة من المعجزات ، وأنت قد رأيت منذ خمسة عشر قرناً أن ضدن حرية الايمان أمر أساسي • ألم تكن تردد على مسامعهم بغير كلال ولا ملال : « لقد جُتْنَكُم بالحرية » ؟٠ وأضاف العجوز يقول وهو يرسم على شفتيه ابتسامة مفكّرة على حين فجأة : ولقد رأيتهم بعينيك ، هؤلاء البشر « الأحــــرار ، ••• ان هذه الحرية هي من صنعنا ، وقد كلفتنا جهودا لا نهاية لها (كذلك أضاف المجوز وهو يلقى على المسيح نظرة قاسية) ، ولكننا أتممنا عملنا أخيرا باسمك . لقد اضطورنا خلال خمسة عشر قرنا أن نظل تتحرك جاهدين بهذه الحرية ، ولكن الامر انتهى الآن ، انتهى تماماً ! ألا تظن أنه انتهى الى الأبد؟ انك تنظر الى َّ بوداعة ولين ورفق ، فلا شك أنك تقدُّر أنك ان أظهرت استياك كنت تشرفني تشريفا لا أستحقه ! ألا فاعلم اذن أن البشر هم في هذا اليوم بعينه أشد اقتناعا منهم في أي وقت مضي بحريتهم الكاملة ، ومع ذلك فالواقع أنهم تنازلوا عنها ووضعوها في أيدينا بكثير من المذلة! ذَلَك هو عملنا ! أهذه هي الحرية التي كنت تنشدها لهم؟ قاطعه ألبوشا مرة أخرى قائلاً :

مرة "أخرى أصبحت لا أفهم • أهو يسخر ؟ أهو يتهكم ؟ ــ كلا ١٠٠٠ انه لا يسخر ولا يتهكم البتة ! بالمكس : انه يتباهى، لنفسه ولصحبه ، بأنهم أوقفوا نمو الحرية فاستطاعوا أن يجعلوا الناس يذلك سعداء و وذلك أتنا الآن ، للمرة الأولى، تستطيع أن تحلم للانسانية بالسعادة (انه يتكلم طبعا باسم محاكم التغيش) و ان الانسان محمول بطبيعته على المصيان والتمرد و ولكن هل يستطيع المتمردون أن يكونوا سعداء ؟ لقد 'نبهت الى هذا ولم تموزك النصائع والتحذيرات ، ولكنك لم تشأ أن تحسب حسابها ، ونبذت الطريق الوحيدة التي كان يمكن أن تضود البشر الى السحادة و ومن حسن الحيط أنك حين بارحت هذه الارض عهدت اليا بمهمة اتمام رسالتك و لقد كلفتنا بأن نوجمة الاسانية وأن ترشدها و بذلت لنا وعدك ، وأقمت سلطتنا على كلمنك ، ووهبت لنا حق المقد والحل ، ولن تستطيع طبعا أن تنتزع منا هذا الحق بعسد الآن و فلماذا جثت تعرقل عملنا في هذا العالم ؟

قال ألبوشا سائلاً :

_ ماذا كان يعنى بقوله ان النصائح والتحذيرات لم تعوزه ؟ أن مانان

وأجاب ايفان :

ــ ذلك هو المنصر الأساسى فى التفكير الذى كان السجوز يويد أن يعرب عنه ه

_ تابع المعجوز يقسول: ان الروح الرهيب المعيق ، روح الدمار والمدم ، قد خاطبك في الصحواء ؟ وتروى الكتب المقدسة أنه أغواك ، أيس كذلك ؟ هل تستطيع في الواقع أن تتخيل حقائق اكبر من الحقائق التي عرضها لك في أسئلته الثلاثة ؟ لقد رفضت أنت تلك الحقائق آتلذ ، والكتب المقدسة تصفها بأنها « غوايات » • ومع ذلك » لئن و بعدت على هذه الارض في يوم من الايام معجزة كبرى ، معجزة صادقة ، فان تلك المعجزة انما تحققت في ذلك اليوم بعينه ، وفي تلك النوايات الثلاث . لقد كانت تلك الاسئلة معجزة من المعجزات لمجرد أنها أل لقيد • لتتصوري

على سبيل الافتراض وحده، أن الأسئلة الثلاثة التي ألقاها الروح الرهيب قد تبددت دون أن تترك أثراً في الكتب المقدسة ، وأن علينا أن نمشر عليها اليوم وأن نعيد بناءها وأن نكتشفها من جديد حتى نضمها الى النصوص المقدسة • لنتصور أننا جمعنا لتحقيق هذا الهدف جميع حكماء الارض ــ رؤساء الدول وأمراء الكنيسة والعلماء والفلاسفة والشعراء ــ وقلنا لهم : ه أوجدوا لنا ، تخيلوا لنا ثلاثة أســــثلة لا تكون على مستوى الحـــدث فحسب ، بل تلخص بالاضافة الى ذلك ، في ثلاث جمل انسانة بسيطة، كل مستقبل العالم والانسانية، • فهل تغلن أن كل حكمة الارض المجتمعة في هؤلاء الرجال تقدر على أن تتصور ، ولو من بعيد ، شيئًا يشبه بقوته وعمقه ، تلك الأسئلة الثلاثة التي ألقاها عليك في الصحراء ذلك الروح القوى العميق؟ ان تلك الأسئلة الثلاثة وتلك الحادثة المعجسزة ، أعنى كون الأسئلة قد ألقيت ، تشهد بأن الأمر لم يكن أمر عقل انساني عادى، بل أمر فكر خالد مطلق • ذلك أنها تضم في ذاتها ، تشتمل في ذاتهــا على كل التاريخ المقبل للانسانية ، وتقدم رموزًا ثلاثة تنحل فيهـــا جميع تناقضات الطبيعة الانسانية ، التي لا سبيل الى حلُّها . ان تلك الحقائق لم تكن ظاهرة آنئذ ظهوراً واضحاً ، لأن التطور الذي تطوره العالم بعدثذ لم يكن معروفًا ؟ أما الآن ، بعد انقضاء خمسة عشر قرنًا ، فاننا نرى أن كل شيء قد تضمنته وتنبأت به تلك الأســــئلة الثلاثة ، وأنها قد تحققت تحققاً يبلغ من الكمال والتمام أننا لن نستطيع أن نضيف اليها شيئاً أو أن تحذف منها شيئًا بعد النوم •

ه فاحكم فى الأمر بنفسك : من ذا الذى كان على حق ، أأت أم سائلك ؟ تذكر السؤال الأول من تلك الأسئلة الثلاثة ، لا نصب بل ممناه العام : « تريد أن تمضى الى الناس » وأنت تمضى اليهم خالى اليدين الا من وعد محرية لا يستطيعون بحكم ما فطروا عليه من بساطة وحطة أن

يفهموها ، عدا أنهم بالاضافة الى ذلك يخشونها ويتخافون منها ، لأنه ليس هناك ولم يكن هناك في يوم من الأيام حالة لا يطيقها البشر والمجتمع مثلما لا يطبقان الحرية • هل ترى هــذه الحجارة في الصحراء الوعرة المحرقة ؟ حوَّلها الى خبر تهرع اليك الانسانية كقطيع جائع ، وتصبح شــاكرة لك مطبعة ً اياك ، ولكنها ســنظل ترتجف خوفاً من ان تسحب يديك وأن تُحرم هي من الخبز ، • غير أنك لم تشأ أن تحرم الانسان من الحرية ، فرفضت العرض قائلاً لنفسك لا حرية صادقة حيث 'تشترى الطاعة بالخنز • لقد أجبت بقولك : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان • أفكنت تجهل اذن أن روح الأرض سيثور عليك باسم هذا الخبز الأرضى نفسه ، وأنه ســــقاتلك ويغلبك ؟ وأن الجمهور ســـيهرع عندئذ نحوه قائلاً : « من ذا الذي يستطيع أن يقيس نفسه بهذا الوحش الذي وهب لنا نار السماء ؟ ، • لسوف تنقضي قرون ، فيأتي يوم تنادي فيه الحكمة الانسانية ويذدى فيه العلم الانساني بأن الشر لا وجود له ، وأن الخطيئة تبمًا لذلك لا وجود لها ، مؤكدين أن هناك جائمين فحسب · « أطممهم تجعلهم فاضملين ! ، • بهذه الصميحة انما سيحملون الراية ضداّك وسيقو "ضون معبدك • وسيقيمون في مكانه مبنى آخر ، هو « برج بايل » ثان مهدِّد • صحيح أن البناء لن يتم ، كما لم يتم في المرة الأولى ، ولكن كانَ في وسمك مع ذلك أن توفر على الانسانية آلام هذه المحاولة الجديدة وأن تختصر من عذابها ألف سنة • ذلك أن البشر انمـــا سيتجون البنا تحن بعد أن يجهدوا في بناء برجهم مدة عشرة قرون ! سيجيئون باحثين عنا كما فعلوا في الماضي ، وسيجدوننا في الأقبية التي نكون قد لجأنا اليها (لأننا سنتُضطهد وسنعذَّ ب من جديد) ، سيجيُّون قائلين لنا : « أطعمونا، لأن الذين وعدونا بنار السماء قد خدعونا ، • وسننهى عندثذ بناء البرج، لأن الذين سيُطعمون البشر يستطيعون وحدهم أن يتموا هذا العمل حتى

النهاية • وسوف تطعمهم ، سوف تطعمهم نبحن ولا أحد سوانا ، وسوف تفعل ذلك باسمك ، كاذبين عليهم مستمدين سلطتنا منك ، بدوننا لن يستطيعوا أن يعيشوا في هذا العالم ، وسيظلون دوماً جائمين ساغيين • لن يهب لهم العلم خبراً ما ظلوا أحرارا ، ولكنهم سينتهون الى أن يرموا حريتهم على أقدامنا قائلين : « استعبدونا ولكن أطعمونا » • سبدركون هم أنفسهم أن الحرية لا تتفق وخبز الأرض ، ولا تتبع أن يصب كل منهم من هذا الخبر كفايته ، لأنهم لن يتوصلوا الى اقتسامه بالعدل في يوم من الأيام • وسيقتنمون كذلك باستحالة أن يكونوا أحرارا ، لأنهم ضعاف فاسدون صبخار النفوس سريعون الى التمرد والعصيان • لقد وعدتهم بخبز السماء ، ولكنني أسألك مرة ً أخرى : هــــل يقاس خبز السماء بخبر الأرض في نظر الكثرة التي ستظل الى الأبد فاسدة عاقة ؟ اذا كانت ألوف من الناس أو كانت عشرات ألوف من الناس مستعدة لأن تتبعك في سبل خيز السماء فعاذا تفعل الملايين والملارات من الكاتسات التي لن تحس بأنها قادرة على أن تتنازل عن خبز الأرض في سبيل خبز السماء ؟ أتراك لا تعطف الا على بضع عشرات من ألوف النفوس الكبيرة القوية ، وهل يجب على ملايين الشر ، هل يجب على الجموع التي لانهاية لعددها ، كرمل البحر ، هل يجب على هؤلاء الذين هم ضعاف ولكنهم يحبونك أيضًا ، أن لا يكونوا الا مادة " مسخرة للكيار والأقوياء ؟ انسا نحن نرى غير هذا الرأى ، وان الضعاف أعزة على قلوبنا • انهم شريرون عصاة ، ولكن هؤلاء أنفسهم هم الذين يصب حون في آخر الأمر أكثر الناس طاعة وخضوعا • سوف يعجبون بنا ويعدوننا آلهة ، لأنسا تكون قد رضناء حين صرنا قادة ً لهم، أن نحمل عنهم عب، حريتهم وأن نسيطر عليهم ، فالى هذا الحد ستكون هذه الحرية قد أصبحت كريهة في نظرهم بتقدم الزمن ! وسوف نوهمهم مع ذلك بأنهم انما يطعونك أنت وبأننا

تحكمهم باسمك • سوف نكذب عليهم في هذه النقطة أيضا ، لأننا لن نسمح لك بعد الآن بأن تتدخل في شئوننا وسيكون هذا الكذب الضروري عذابنا • ذلك ما كان يعنيه السؤال الأول في الصحراء ، ولقد رفضت نداء الروح الجبار باسم الحرية التي وضعتها في أعلى منزلة ، وفضلتها على كل شيء • ولقد كان ذلك السؤال يخنى مع ذلك كل سرّ حــذا العالم • فلو قد رضيت أن تعطى الخيز ، اذن للبَّيت ما تنتظره الانسانية انتظارا أبديا منذ عهود سحقة ، ولهـــد أن القلق الذي يعــذب الفرد ويعذب الجماعة كليهما : « من نطيع ؟ ، فلا رغبة أقوى ولا هم َّ أبقى لدى الانسان الذي أصبح حراً من هم العثور على سيد يحكم بأصبي سرعة • ولكن الانسان يتطلع الى الخضوع لحقيقة مؤكدة لا تُنجِحد ، حقيقة يحترمها جميع الناس برضي اجماعي • ان حاجة هذه المخلوقات الضعيفة ليست الى اكتشاف قوة يمكن أن يطيعها هذا الفرد أو ذاك من الأفراد ، وانما الى اكتشاف حقيقة عليا يمكن أن يؤمن بهــــــا الجميع ، ويمكن أن ينحني لها « الناس كافة » • فهذه الحاجة إلى « الاشتراك » هي بعينها الهم الرئيسي الذي يعذب كل فرد ويعذب الانسانية جملة م منذ أقدم عهود التاريخ • فباسم هذا التطلع الى العبادة الجماعية المُستركة انما أفنت الشموب بمضها بعضا خلال الأحقاب • كانت الشعوب تصنع آلهة ثم تأخذ تتشاتم : « اتركوا آلهتكم وتعالوا اعبدوا آلهتنا • والا فالموت لكم ولآلهتكم ! » • وسيبقى الحال على هذا المنوال الى نهاية العالم ؟ وحتى بعد زوال الآلهة سيظلون يسجدون لمبودات جديدة . ولقد كنت تعلم هذا السر الأساسي من أسرار الطبيعة الانسانية ، فليس يمكن أن تجهل هذا السر ، ولكنك رفضت الراية الوحيدة التي تملك قوة جذب مطلق والتي قدِّمت لك للتأدي بجميع البشر الى الانحناء أمامك بغير تردد ــ أعنى راية الخبر الأرضى • لقد أقصيتِ هذه الراية باسم الحرية وباسم

العفير السماوي • فانظر الآن فيما صنعت ! انظر فيما فعلت باسم الحرية ! أعود فأقول لك انه لا قلق أرسخ في قلب الانسان من قلق الحاجة الى العثور على من يستطيع أن يضحى له سريعا بالحرية التي و'هبت له ، هو المخلوق التميس ، منذ ولد • ولكن لا سبيل الى التصرف في حرية البشر الا بتهدئة ضـــميرهم • ولقد كان في وســـمك أن تتخـــذ الخبز راية" لا تخطىء • اطمم الانسان يُطمُّك ، فلا شيء في هذا العالم أعــز " على الجحود من الحاجة الى الأكل • ولكن اذا استولى غيرك عندئذ على ضمير الشهر تركوك وعدلوا حتى عن خبزك ليتبعوا ذلك الذي يكون قد أخضع نفوسهم • في ذلك كان رأيك صحيحا • ان سر ً الوجـــود الانساني ومبرِّره ليسا في ارادة الحياة ، بل في الحاجة الى معرفة السبب الذي يدعو الانسان الى الحياة • فالانسان ما لم يكن على يقين من هدف حياته، لا يقبل أن يوجد في العالم بل يؤثر أن يدمِّر نفسه ، ولو ملك الخنز وافرآ كل الوفرة • تلك هي الطبيعة الانسانية • ولكن ما الذي حدث ؟ حدث أنك بدلاً من أن تسطر على الحرية الانسانة أردت لها مزيدا من النمو ، فهل نست اذن أن الانسان يؤثر هدوء نفسه بل وبؤثر الموت على أن تكون له ملكة حرية الاختبار في معرفة الخير والشر؟ لا شيء يخلب اللب في الوهلة الأولى أكثر من حرية الضمير ، ولكن لا شيء في الواقع يعذب الانسان أكثر مما تعذبه هذه الحرية • فبدلاً من أن تحمل للانسانية الأسس الراسسخة الثابتة الباقية للهسدوء النفسي والطمأنينة الروحية ، وبدلاً من أن توفر لها هذه الأسس الى الأبد ، عرضت عليها ما في هذا العالم من أمور سرية غامضة خارقة تفوق طاقة القوى الانسانية، وكنت في عملك هذا كأنك لا تحب الشر ، أنت الذي انسا جثت مع ذلك لتهم الحاة! انك بدلاً من أن تسيطر على الحرية الانسائية وسُمَّتُها ، وبذلك ضاعفت ، الى غير نهاية ، الآلام التي تولُّدها هــــذه

الحرية في نفوس البشر • أردت من البشر أن يمنحوك حبهم أحرارا، وأن يتبعوك بارادتهم ، مفتونين بشخصك . ألفيت القانون القديم الذي كان قاساً ولكنه كان وطيداً راسخاً ، فأصبح على الانسان أن يميِّز الحير والشر بنفسه ، مستلهماً حكم قلمه ، غير َ مسترشد في تردده الا صورتك أمام عينيه • أفلم تتنبأ اذن بأن البشر سينوءون بهــــذا الحمل الرهيب ، حمل حرية الأرادة ، فاذا هم آخر َ الأمر ينسبذون في يوم من الأيام صورتك ويشكون في تعالمك ؟ لسوف ينادون في النهاية بأن الحقيقة لم تكن فيك ء فمن المستحيل القاؤهم الى اضطراب أشد وعذاب أرهب من الاضطراب والعذاب اللذين ألقيتهم اليهما حين تركت لهم كل هــذه الأنواع من القلق ، وكل هذا العدد من المشكلات التي لاسبيل الى حلِّها. لقد زودتهم أنت نفسك بالأسلحة اللازمة لتهديم مملكتك ، فليس لك أن تنهم أحداً بتدميرها • فهل هذا ما عُـرض عليك مع ذلك ؟ ليس على الأرض الا قوى ثلاث تستطيع وحدها أن تتغلب علىضمير هؤلاء المتمردين الضعاف قرونا ، وأن تخضعه في سبيل سعادته نفسها ، ألا وهي: المعجزة، والسر ، والسلطة ، ولقد رفضت هذه القوى الثلاث جميعاً وعلمت البشر بقدوتك أن يحتقروها • فحين نقلك الروح الرهيب (ابليس) الى سطح الممد وقال لك : • اذا أردت أن تتأكد أنك ابن الرب فألق بنفسك في الفضاء ، لأنه كُنب أن الملائكة ستتلقفه وتسسنده فلا يقع ولا يتحطم ، وعندئذ تعلم أنك ابن الله وتبرهن على قوة ايمــانك بأبيــك ، * ، ولكنك رفضت هذا العرض ولم تلق بنفسك في الفضاء • صحيح أنك تصرفت في تلك اللحظة تصرفاً فيه ما في تصرف اله من عظمة وجلال ، ولكن هل تتصور أن البشر ، وهم جنس ضعيف متمرد ، يملكون من القوة الروحية ما يملكه اله ؟ لقد فهمت في تلك اللحظة أن حركة بسيطة هي أن تهم بالقاء نفسك في الغضاء كان ستعنى اغراء الرب ، فلو قمت بها

لكنت يطلب المعجزة تبرهن على قلة ايمانك ، فاذا حرمت من الايمسان تهشمت أسوأ تهشم على الأرض التي جئت لتخلصها وتنفذها ، وتهلل الروح المحتال جذلًا وطربًا • ولكنني أعود فأسألك : هل أمثالك كتسير في هذا العالم ؟ هل وقع في وهمك لحظة واحسدة أن البشر يمسكن أن يكونوا هم أيضا فوق اغراء من هذا النوع ؟ هـــل في طبيعة البشر أن يتنازلوا عن المعجزة وأن يعتمـــدوا على حكم القلب وحده في الساعات العصبية من الحياة ، أمام المشكلات الخطيرة الأليمة التي تعرض للنفس ؟ لقد كنت تعلم أزموقفك البطولي سينتقل بالكثب المقدسة الى آخر العصور، وكنت تأمل أن يقتـــدى الشر بك فقلوا أن يظــلوا وحيدين مع الله لا يطلبون معجزة من المعجزات • ولكنك لم تقدر أن الانسان متى جحد المعجزة أسرع يعجد الرب ، لأن ظمأه هو الى العجائب لا الى الرب ؟ وأنه لكونه لا يستطيع أن يحيا بغير معجزات ، سيخلق بنفسه معجزات ، فيهوى ، ولو كان متمردا وكافرا وملحداً ، الى خرافات سخيفة ، تنطلي علىه أباطل السحرة وخزعبلاتهم • انك لم تنزل عن الصليب حين دعاك الجمهور الى ذلك صائحاً من باب الاستهزاء : « انزل عن الصليب فنصد تى أبك أنت ، • انك لم تنزل ، لأنك مرة " أخرى لم تشأ أن تستعد الشر بالمعجزة ، وانما أردت أن يجيئوا اليك بدافع الايمان لا بتأثير العجائب . كنت تريد أن يهبوا لك محبتهم أحرارا لا أن ينصاعوا لك عبيدا أذهلتهم قوتك • هنــا أيضًا أسرفت في تقــدير البشر وأنزلتهــم منزلة أعلى من منزلتهم ، ذلك أن الشر عبد ، رغم انهم مفطورون على الثمرد • انظر فيما حولك : ماذا أصبح البشر بعد انقضاء خمسة عشر قرنا ؟ ما عدد أوائك الذين رفعتهم الى مستواك ؟ أحلف لك ان الانسان أضعف وأسوأ مما ظننت ِ! هل يستطيع هو الوضيع أن يحقق ما حققته أنت ؟ انك حين احترمته ذلك الاحترام كله قد تصرفت تصرف من فقــد عطفه عليه ،

لأنك سألته فوق ما يطبق ، أنت الذي أحبيته أكثر من نفسك! فلو أنك فدرته أقل مما قدرته اذن لطلبت منه أفل مما طلبت ، ولكان موقفك عندئذ أقرب الى المحبة ، لان العب، علمه يكون عندئذ أقل تقلاً • ان الانسان ضعيف وجبان • لا يهمني أن يكون الآن قد ثار في كل مكان على سلطتنا ، وأنه يرى في عصيانه الآثم هذا مجدًا يعتز به • ذلك غــرور طفل ، ذلك غرور تلميذ • ان البشر يشبهون تلامذة صدراً تاروا في المدرسة وطـــردوا معلمهم • ولكن فرحتهم لن تدوم ، وستكلفهم ثمناً باهظاً • سوف يهدمون المعابد ، وسوف يجرى الدم سبولاً على الأرض• وسوف يدركون عندئذ ، سوف يدرك هؤلاء الصمة الأغماء ، أنهم ان خلقوا عصاة متمردين ، فليس يتمح لهم ضعفهم أن يعشوا زمناً طــويلاً في التمرد والعصيان • وسيعترفون وهم يسكبون دموعاً باطلة أن الذي وهب لهم روح العصاة قد غرَّر بهم وسخر منهم • سقولون هذا محزونين مكروبين ، وسيكون هذا القول تجديفاً ينجلهم أعظم شقاء أيضا ، لأن الطسعة الانسانية لا تحتمل التحديف ، ولابد أن تثأر لنفسها منه آخي الأمر • القلق ، الاضطراب ، العذاب ، ذلك هو المصير الذي كتب على الشم الآن ، بعد أن تحملت أنت كل ما تحملته في الماضي من أجل أن تهب لهم الحرية ! ان رسولك الكبير* يروى أنه أبصر ، في رؤيا ، جمع المشتركين في النعث الاول ، فرأى اثنى عشير ألفا من كل سبط ، لقد كانوا ، مهما يكثر عددهم ، أقرب الى آلهة منهم الى بشر : قاسوا ما قاسيت وعاشوا عشرات السنين في الصحراء القاحلة ، وأضناهم النجوع ، واقتانوا بالجراد والجذور • صحح أن في وسمك أن تمتز بأبناء الحرية هــــ\$لاء الذين وهبوا لك محتهم أحرارا ، وارتضوا طائمين مختارين أن يضحوا في سبيلك بأنفسهم في سورة رائعة • ولكن تذكر أن هؤلاء لسوا الا بضعة آلاف ، وأنهم أشـــبه بآلهة منهم ببشر • والآخـــرون ؟ ما ذنب

الآخرين اذا هم لم يستطيعوا أن يحتملوا ما احتمله هؤلاء الأقوياء من محن؟ هل تأثم النفس الضعيفة حين لاتعرف كيف تسمو الى فضائل محيفة الى هذا الحد؟ أتراك جئت من أجل هذه الصفوة وحدها؟ أأنت لا تفكر الا فيها ولا يخطر ببالك من عداها ؟ اذا كان الأمر كذلك فهو سر ً يفوق ما تملك من قدرة على الفهم ؟ ومن حقنا في هذه الحالة تبحن أيضًا أن تلجأ الى السر ، وأن تعلُّم الجماهير أن الأمر الأساسي ليس هو المحبة ولا هو أن يقرر قلبهم تقريرا حراً ، وانما هو الخضوع الأعمى لما لا سبيل الى معرفته ، وأن يطيعونا اذن ولو عارضهم في ذلك ضميرهم. وهذا بعينه هو ما فعلناه • أصلحنا خطأك الذي ارتكبته حين عدلت ذلك المدول البطولي عن المعجزة ، فينينا عملك على ما هو « فوق الطبيعة » ، بنيناه على « السر » ، بنيناه على « المعجــــزة » • وابتهج الناس اذ رأوا أنفسهم يُقادون من جديد كما يُقاد قطيع ، ورأوا أنفسهم يتحررون من تلك الهبة المشؤمة التي وهبتها لهم فكانت مصدر أنواع من العــذاب قاسوها • قل : هل كنا على صواب حين فعلنا وعلَّمنا على هذا النحو ؟ هل يمكن أن يؤخذ علينا حقا أننا لم نحب الانسانية حبًّا كافيًا ، بينما نحن اعترفنا بوهنها في كثير من الاذعان والتسليم ، وخففنا عنها الحمل في كثير من الالحاح حتى لقد أبحنا لها أن ترتكب الخطيئة لعلمنا بضعفها الروحي ، شريطة أن تستأذننا في ذلك كل مرة ؟ فلماذا تجيء الآن لتبث الفوضى في عَملنا ؟ مالك نحد ق الى مكذا صامناً بعينسك الرقيقين النعاذتين ؟ أحرى بك أن تغضب • اتنى لا أريد محمتك ، لأتنى أنا نفسى لا أحبك • ولست أحاول أن أخفى عنك ذلك ، لأتنى أعلم من ذا الذي أخاطب ، ألس كذلك ؟ ثم انك تعرف كل ما قد أقوله لك ، أقرأ ذلك في عينِك • ففيم المواربة والحالة هـنـه ؟ ان سرنا لن يخفي عنـك • فلمل ما تريده اذن هو أن تسمع هذا السر من فسي ؟ ليكن لك ما تزيد

ألا فاعلم أننا لسنا ممك ، بل معه و هو ، • ذلك هو سرنا • اننا منذ زمان طويل قُد كففنا عن أن نكون ممك ، وتحيزنا له «هو» • فمنذ ثمانية قرون قلنا منه ما سبق أن وفضته أنت مستاءً ، أعنى الهبة الأخيرة التي عرضها علىك وهو يشمر لك الى ممالك الأرض*: لقد قبلنا أن نأخذ من يديه روما وأن نأخذ السف من قصر ، وأصدرنا قراراً بأن نكون لهذا العالم ملوكه الوحيدين ، رغم أننا لم تنجز الى الآن عملنا . ولكن من المذنب في هذا ؟ ان هذا المشروع ما يزال في أوله ، ولكنه بُديء • ولا بد من الصبر طويلاً قبل أن نصل به الى غايته ، ولا بد من آلام كبيرة في هذه الحاة الدنياء ولكننا سنبلغ هدفنا وسنصبح سادة الكون • وستاح لنسا عندئذ أن نفكر في سعادة مشتركة تنعم بها الانسانية • لقد كان في وسعك أن تقبل السنف من قبصر في الماضي ، فلماذا رفضت تلك الهية الأخيرة ؟ لو اتبعت الوصية الثالثة التي نصحك بهما الروح القوى ، اذن لكان في وسعك أن تتحقق كل ما تتمناه الانسانية ، وهو أن تعسرف : من تطبع ، والى من تعهد بقيادة ضميرها ، وبأى وسيلة توحُّد جميع البشر في مجتمع الشاملة هو ثالث هموم النفس الانسانية وهو في الوقت نفسه أقوى هذه الهموم طراً • ان الانسانية قد حاولت في جميع الأزمان أن تنظم نفسها على أساس شامل • ان هناك أمماً كثيرة عظمة كان لها تاريخ محيد ، ولكن شقاءها كان كبرا على مقدار نبلها ، لأنها أحست أكثر من غـيرها من الشعوب بالحاجة الى توحيد النوع البشرى • ان الغزاة الكبار ، من أمثال تبمورلنك وجنكيز خان ، الذين مروا على الأرض مرور اعصار مخرب وعاصفة مدمرة ، كانوا يتوقون الى أن يصمحوا سادة العالم بأسره، ولكن شوقاً عميقاً واحدا الى توحيد جميع الشعوب كان يحرُّكهم دون أن يشمروا بذلك • فلو أنك قبلت قانون القاصرة ومقامهم ، لكان في وسعك أن تبنى الامبراطورية الشاملة وأن تكفل السلام للانسانية الى الأبده على من يقع عب حكم البشر ان لم يقع على أولئك الذين يحكمون النفوس منذ الآن ويملكون الأغذية الأرضية ؟ لقد أخذنا السيف اذن من قبصر ، واذا فعلنا ذلك فقد أنكرناك أنت لنتبعه «هو» • ستنقضي قرون طويلة في قوضي التحلل الفكري والعلم الباطل وأكل لحوم البشر ، ذلك أنهم ما داموا قد شرعوا في بناء برج بابل بدوننا لا بد أن ينحدروا حتماً الى أكل لحوم البشر • ولكن « الوحش » سيجيء بعد ذلك الينا زاحفاً ، وسيلعق أرجلنا التي سيبللها بدموعه الدامية • وسوف نركبه ، وترقع نحو السماوات كأساً نقشت علىه هذه الكلمة : « السم ، • ويومئذ انها ستدق ساعة السلام والسعادة للانسانية • انك فخور بصفوتك المختارة ، ولكن الصفوة وحدها معك ، أما نحن فسوف نعرف كيف تحمل الطمأنينة هؤلاء الأَقوياء ، ما أكثر الذين كانوا يتطلمون الى خدمتك ، فانتظروك عبثاً ، ثم سشموا من هـــذا الصبر الطويل العقيم ، فوقفـــوا قوى فكرهم وحماسة قلبهم على غايات أرضية صرفة ، وانتهى بهم الأمر الى رفع راية حريتهم علىك ! ألست أنت الذي أعطيتهم راية الحرية هذه ؟ أما نحن الذين تهش على الشر بعصانا ، فإن الشر سيكونون سيعداء معنيا ، وسيعزفون عن التمرد علينا • ولن يبيد بعضهم بعضاً كما يفعلون الآن في كل مكان بفضل الحرية التي تركتها لهم • وسوف نعرف كيف نقنعهم من جهة أخرى بأنهم لن يكونوا أحراراً الا متى تنازلوا عن استعمال حريتهم ، وسنكون قد ألزمناهم بخضوع لا رجمة عنه • هل ما نقوله لهم هو الحقيقة أم هو كذب ؟ انهم لن يلبثوا أن يدركوا أنه هو الحقيقة ، لأنهم سيتذكرون العبودية والآلام التي قادتهم اليها حريتك • ان التحلل، وحق حرية النقد ، والعلم ، ان كل ذلك سيسيؤدى بهم الى طريق غير

نافذة ، لأنه سيلقيهم في اضطراب لا مخرج منه ملى ؛ بالألفاظ التي لا سبيل الى حلها ، زاخر بالمعجزات المحير َّة • فأما العصاة العنيفون منهم فسيدمرون أنفسهم من شدة الكرب ، وأما العصاة الضعاف فسيقتل بعضهم بعضاً • ولكن الجمهرة الكبرى من الضعاف ، وهم أشقى من أن يتمردوا ويعصوا ، فانهم سنزحفون على أقدامنا قائلين لنا : « أنتم على حق • اننا نعترف بهـــذا الآن ، لأنكم كنتم وحدكم تملكون أسراره • نحن نعود البكم • انقذونا من أنفسنا ! ، • وحين ستلقون الخبر من أيدينا ، سيرون حق الرؤية انهم هم الذين أنتجوء بعملهم ، وأننا أخذناه منهم لنوزعه بعد ذلك بدون أية معجزة • سيفهمون أننا لم نقلب حجارة الى خبز ، ولكنهم سيغتبطون بأنهم طعموا ، وسيغتبطون أكثر من ذلك بأنهم طعموا على أيدينا : لن ينسوا قط أن الخبر الذي صنعوء كان ، بدوننا ، يتحول في أيديهم الى حجارة ، حتى اذا رجعوا النا تحولت الحجارة خبراً لهم. ·· سيعرفون كيف يقدُّرون بعد الآن قيمة الخضوع النهائي ! لم يكن من الممكن أن تكون حياتهم الا شقاء ، ما ظلوا لا يفهمون ذلك • فمن ذا الذي ساهم أكثر من غيره في قلة الفهم تلك ؟ من الذي خرَّب تلاحم القطيع وبعثره في طرق مجهولة ؟ ولكن القطيع سيتجمع من جــــديد ، وسيعود الى طواعيته ، الى الأبد في هذه المرة • وسوف نهب عندئذ لهذه الكاثنات الضعيفة الجانة سعادة متواضعة وادعة هي السعادة الوحيدة التي تناسبهم • سنعلمهم أخيراً أن لا يزهوا بأنفسهم ، لأنك قد رفعتهم فجملتهم متكبرين • سنبرهن لهم على أنهم لا قوة لهم ولا شجاعة ، وأنهم أطفال يرثى لحالهم ، ولكن سعادة الأطفال هذه هي أعذب سعادة • سيوف يصبحون خجولين ، وسوف ينظرون الينا نظرتهم الى حماة يحمونهم ، وسوف يتراصون حولنا خائفين كما تتراص أفراخ الدجاجة حول أمها • سوف يدهشهم ويرعبهم أن يلاحظوا قوتنا ، فخورين بأن لهم سادة يبلغون

هذا المبلغ من القوة والذكاء ، سادة عرفوا كيف يسيطرون على هـذا القطيع من البشر الذي لا تهدأ حركته ولا يحصى عدده • سوف يرتعشون خوفًا أمام غضينًا ••• ســـوف تتخدر عقولهم وتدمع أعينهم كالنســـاء والأطفال • ولكنهم ، باشارة منا ، سوف ينتقلون بمثل هذه السرعة الى الفرح والمرح والغبطة ، ضــاحكين بهناءة ، مفتين كالصـــــة الصفار . وسنجبرهم على العمل طبعاً ، ولكننا سنهيئ، لهم في ساعات فراغهم حياة أشبه باللعب ، فيها أغان وجوقات وحتى رقصات بريثة • أوه ! وسنسمع لهم أيضًا بأن يأثموا ما دَّاموا ضعافاً الى هذا الحد من الضعف ، وسيحبوننا كالأطفال بسبب تسامحنا • سنقول لهم ان كل خطيئة يمكن التكفير عنها اذا هي ارتكبت بموافقتنا • سنبيح لهم أن يأثموا لأننا نحمهم ، أما المقاب فسنأخذه على عاتقنــا ، لا بأس ٥٠٠ لســوف يحبوننا على أننا مخلَّصون الرب • ولن يكتموا عنا سراً • سنبيح لهم أو تحظر عليهم ، تبعاً لدرجة طاعتهم ، أن يعيشــــوا مع نسائهم أو خليـــــلاتهم ، وأن ينسلوا أو أن لا يسمملوا ، وسخفعون لتوجهاتنا فرحين • سفضمون المنا بأخفى ما يعانون من آلام ، وأخفى ما يضطرم في ضميرهم من أنواع العذاب • وسنفصل في جميع الحالات ، وسيرتضون حلولنا سعداء، لانها ستحررهم من القلق الذي يعانيه المرء متى كان عليه أن يتخذ قرارا حراً • وسكون جميع الناس سعداء ، جميع هؤلاء الملايين من الشر ، باستثناء بضع مثات من الألوف الذين ستقودهم : سنكون وحدنا أشقاء ، نحن الذين نملك السر • سبكون في هذا العالم مئات الملايين من الأطفال السعداء ، لن يكون فيه الا مائة ألف من الأشقاء هم الذين أخذوا على عاتقهم تحمل عذاب المعرفة ، معرفة العنير والشر • وسوف يموت أولئك موتاً غامضاً، ينطفئون باسمك وادعين مسالمين ، فلا يجدون في الحياة الآخرة الا

العدم • ولكننا سنعرف كيف تحتفظ بسر الموت ؟ ومن أجل ســـعادتهم سنلألىء أمام أبصارهم جمال المكافآت السماوية والحياة الأبدية • لئن كان بعد القبر حياة أخرى فلا شك أن هؤلاء الضعاف ليسوا من ستوهب لهم تلك الحياة الأخرى • ان النبوءات تزعم أنك ستعود في يوم من الأيام لتحقق نصراً جديداً على الشر ، وأنك ستظهر محاطاً بمن اصطفيت من أصحاب النفوس القوية المتكبرة الذين أنقذتهم • لسوف نجيب عندئذ بأن هؤلاء انما أنقذوا أنفسهم وحدها ، أما نحن فقد جئنا بالخلاص للناس كافة • يقال ان الزانية الدنيئة التي تركب • الوحش ، * وتحمل بيديها « كأس السر » ، مسجلها الخزى والعار ذات يوم وان الضعاف سشورون من جديد فيمزقون رداها الديني الكاذب ويعر^وون جسدها « النجس »• ولكنني سأنهض عندئذ فأشير لك الى تلك المليارات من الاطفل السعداء الذين يجهلون كل خطيئة ؟ وتحن الذين نكون قد أخسدنا على عاتقنا أخطاءهم لنحقق سعادتهم ، سوف نمثل أمامك ونقول لك : « احكم علينا اذا كنت تستطيع ، اذا كنت تجرؤ ! ، • ألا فاعلم انني لا أخشاك • ألا فاعلم انني عشت أنا أيضا في الصحراء أقتات بالجراد وجذور النيات ، وأننى باركت الحرية التي وهمتها للشر • وكنت أتهاً لأن أدخل سلك صفوتك المختارة ، وأن أكون واحدا من الأقوياء المتكبرين الذين يتألف منهم جيش أتباعك الصغير ، وكنت أحترق شوقاً الى أن وأكمل عددهم، ولكنني رجعت الى صوابي في الوقت المنساس ، فأصبحت لا أريد أن أخدم عقيدة طائشة • لقد عدت عن الخطأ والضلال وانضممت الى صف أولئك الذين يعملون في « اصلاح ما قمت أنت به ، • تركت صفوف المتكبرين ، وانضممت الى المساكين لأعاون في تحقيق سمادتهم • ان ما أعلنه لك النوم ستحقق ، وإن مملكتنا ستُسنى في هذا العالم • أعود فأكرر لك : انك سترى غدا هذا الجمهور المطيع ، هذا القطيع الطيُّمــع 1.1

يسرع باشارة منى الى اضرام ألسنة اللهب التى ستُحرق بها مزيدا من الاضرام باضفة فحم متقد الى النار • ذلك أننى سآمر يحرقك لأعافيك على أنك جُنت تدخل البلبلة فيما تقوم به من عمل • لتن وجد زنديق يستحق أن يهلك فى النار ، فهذا الزنديق هو أنت • غداً ستُحرق • انتهى كلامى • » •

صمت ايفان • كان قد تحمس أثناء الكلام ، فختم قصته بنوع من الاندفاع الجامع • حتى اذا فرغ من حديثه ظهرت فى شـفتيه ابتسـامة على حين فجأة •

وقد أصغى اليه أليوشا صامتاً ، ولكنه في أواخسر الحديث حاول مراداً ، وقد استبد به اضطراب داخلي عنيف ، أن يقاطم أخاه ، ومع ذلك فقد كبح جماح نفسه حتى النهاية ، وها هو ذا الآن يدع لاستيائه أن ينفجر ، ويكاد يشب عن مقعده ، صساح وقد احمر وجهه احمرادا : شديدا :

- ولكن ٥٠٠ ولكن ٥٠٠ ان قصيدتك تمسيد السبح في الواقع بدلاً من أن تخزيه كما كنت تريد فيما يبدو ٥ من ذا الذي يقبل تأويلك هذا للحرية ؟ أهكذا يجب أن تخهم الحرية ؟ ان الكيسة الأرثوذكسية لا تتصور الحرية أبداً على طريقتك هذه ١٠٠٠ انك تمرض تصور الذين يدينون بالكاتوليكية الروماية ، بل ان هذا التصور ليس تصور جمسع الكاتوليكين - ذلك خطأ ! - وانما هو تصور أشرارهم فحسب ، هو تصور أغضاء محاكم التغيش واليسوعين ! ٥٠٠ ثم ان صاحبك كبير المنتشين رجل لا صلة له بالواقع ، وانما هو شخصية خيالة لا يمسكن وجودها ، ما هي خطايا البشر التي يدعي أنه أخذها على عاتقه ؟ أين وربدها السر هؤلاء الذين يزعم أنهم ارتضوا لا أدرى أي عهذاب

قال أيفان ضاحكاً :

_ لحفلة ، لحفلة ٥٠٠ لمساذا تتحسس ؟ ثمرة من تمسرات خيالى ؟ لا أعارض في هذا ٥ ذلك كله خيال طبعاً ٥ ولكننى أرجو أن تسمح لى يالقاء هذا السؤال : هل تمتقد حقاً بأن الحسركة الكاثوليكية في القرون الأخيرة لم تستلهم الا الغلماً الى السلطة والا شهوة الخيرات المادية الحقيرة؟ لا شك أن الأب بائيسى هو الذي قال لك هذا الكلام !

ــ بالمكس ! ان الأب بائيسي قــد قال لى في يوم من الأيام كلاماً يشبه كلامك تقريب ٥٠٠

كذلك قال أليوشـــا ، ولكنه ما لبث أن أسرع يقول مســندركا :

_ أعنى ••• انه لم يقل ما قلته أنت بعينه البتة •••

قال ايفان :

- اسمع اسمع • هذا اعتراف له شأنه رغم قولك و بالعكس ع !

كيف تستطيع أن تصميدق أن أولئك المنتشين وأولئك اليسوعيين الذين تتكلم عنهم فد اتحدوا وتنظموا لا لشيء الا امتلاك الخيرات المادية الحقيرة ؟ لماذا لا يكون قد وجد بينهم في يوم من الايام ولو انسان واحد من الصفوة المختارة يعذبه ألم نبيل ويستبد به حب الانسانية ؟ افرض أنه قد وجد ذات يوم ، في عداد هؤلاء الطامعين الفامتين الى الماهج الأرضية السافلة رجل واحد ، رجل واحد شــه بصحبي كـير المفتشين عاش في الصحراء مثله واقتان بالحراد وجــذور النبات وأضنى جـــــده وأماته في سبيل الوصول الى الحسرية والى الكمال • تخيل أن هسذا الرجل قد أحب الانسانية طوال حياته واقتنع أخيراً بأن السعادة النفسية التي يقال ان السمو الروحي يحققها انما هي وهم باطل ما دام ملايين البشر الآخرين، وهم مخلوقات الهية مثله ، ما يزالون غارقين في أقـــذار الفحش ، وأن حريتهم المزعومة ليست الا ســخرية لاذعة مرة ، وأن هؤلاء العمساة المساكين لن يكونوا في يوم من الايام عمالقة قادرة على اكمال بناء البرج ٠٠٠ أي أنهم لن يصــــــلوا في يوم من الايام الى حسريتهم ، وأن حلم الانسجام والتناسق الذي حلم به المثالي الكبير لم يخلق لهــذا النوع من الأوز ! • • • تخل أن هذا الرجل قد أدرك ذلك ، فعاد الى صحوابه ، وانضم الى الناس الأذكاء ٥٠٠ أهذا في رأيك افتراض مستحيل ؟

قال أليوشا فيما يشبه الغضب :

 الى من انضم ؟ من هم هؤلاء الناس الأذكياء ؟ انهم لا ذكاء لهم البتة ، وليس عندهم سر ولا ما يشبه السر ! هــــؤلاء زنادقة ٥٠٠ ذلك سر^وهم كله ! ان صاحبك المفتش لا يؤمن باقة ٥٠٠ الأمر بسيط !

ــ لنسلم بهذا • لقد فهمت َ أخيرا • صحيح ، انه أصبح لا يؤمن باقة ، ذلك كل سرةً • ولكن أليس هذا عذابا بالنسبة الى رجل مشـله أفسد مستقبله بحياة التقشف في العمحراء ثم لم يستطع أن يتحرر من حبه الانسانية ؟ لقد رأى في أواخـر أيامه بوضـــوح أن النصائح التي أسداها الروح الرهيب الكبير تستطيع وحدها أن تنظم على نحو مقبسول بعض الشيء حياة العصاة الضعاف ، حياة هذه « المخلوقات الناقصة التي كانت للخالق تجربة ، وظفرت بالحياة سهواً وغفلة ، • فلما اقتنع بهذه الحقيقة أدرك أن من الواجب اتباع الطسريق الذي تصميح به الروح العميق ، الروح الرهيب ، روح الموت والعـــدم • واذ كان منطقيـــاً مع نفسه ، فقد أَفْرَ أَ ضرورة الكذب على الناس وتضليلهم وخداعهم ، بفية السير بهم الى الموت والى العدم سيراً واعياً ، ولكن مع ترك أوهامهم لهم طوال الطريق ، حتى لا يكتشفوا الى أين يُسار بهم ﴿ فَبِهِذَهُ الطَّرِيقَةُ يستطيع هؤلاء العميان المساكين أن يتوهموا على الأقل أتنساء رحلتهم على الكذب باسم ذلك الذي آمن به ايمانا مشبوبا طوال حياته • أفليس هــذا عذابًا ؟ ألا انه لو اتفق أن وجد على مرَّ العصور رجل واحد من هذا النوع بين صميفوف • الجيش الظامى • الى السيطرة والى اللذات المادية الدنيئة ، ، لكان في هذا ما تُخلق منه مأساة حقة ! أكثر من ذلك : يكفي أن توجد شخصية واحدة من هذا النوع على رأس الكنيسة حتى توهب للكاثوليكية الرومانية روح وحتى تننفخ فكرة موجنّهة فى فرقها الكثيرة وجماعاتها المتعددة وكهنتها ويسوعسها ، فكرة علما . أقول لك بصراحة : اننى على يقين من أن رجالاً من هذا النوع قد و'جدوا في جميع الازمان بين قادة الكاثوليكيــة الرومانيــة ، وربما وجــد منهم بين الباباوات انفسسهم! ومهما يكن من أمر ، قان ذلك العجوز اللعين الذي يصر فلك الاصرار كله على حب الانسانية على طريقته يمكن أن يوجد في أيامنا هذه ، مع عدد من أمثاله ، وأن لا يكون وجوده هذا مع أمثاله تيجة مصادفة ، بل ثمرة تفاهم واتفاق ، وأن يكون نوعاً من جمعية سربة أنشت من زمن طبويل للمحافظة على السر واخفائه عن أظار الضعفاء والبؤساء ، وتأمين سعادتهم بذلك ، لا بد أن يكون الأمر كذلك حتما " مصدا لا مناص منه دويدو لى من جهة أخرى أن الماسويين الأحرار لا بد أن يكون لهم هم أيضا سر من هذا النوع يقوم عليه تنظيمهم ، ولمل هذا هو السبب فيما يحمله لهم الكاتوليكون من كره وبنض ، فهم يرون فهم منافسين لهم يسيئون الى وحدة الفكرة ، بينما يعجب أن لا يكون هناك الاقطيع واحد وراع واحد ، و ولكنني ألاحظ انني في دفاعى عن فكرتي أظهر بمظهر مؤلف عاجز عن احتمال تقدك .

لم يستطع ألبوشا أن يمنع نفسه عن أن يسأله فى تلك اللحظة : ــ أنراك تنتمي الى الماسونيين الأحرار ؟

ثم أضاف يقول:

_ أنت لا تؤمن بالله •

ولكنه أضاف هذه العبارة بلهجة تنم عن حزن عميق في هذه المرة. حتى لقد بدا له أن أخاء ينظر اليه وقد لاح في وجهه السخر •

وسأله فجأة وهو خافض عينيه :

_ كيف تنتهى قصيدتك؟ أهي تقف عند هذا الحد؟

- خطر ببالى أن أختمها على النحو التالى : صمت كبير المنتسين ينتظر من سجينه رداً • ان صمت السجين قد تقل على نفسه • لقد اقتصر أسيره طوال مدة كلامه على أن يحدثن اليه ينظسرة رقيقة نافذة ، عازماً عزماً واضحاً على أن لا يدخل فى منافشة ممه • كان السجوز يؤثر على ذلك أن يجيبه السجين ولو بكلمات لاذعة أو رهية • ولكن السجين لم ينطق بكلمة واحدة • وهذا هو يقترب من المجسوز فجأة فيطبع قبلة رقيقة على شفتيه الشاحيتين شحوب شفتى من بلغ من عبسره التسمين • كان ذلك كل جوابه • ارتمش المجوز بتأثير هذه القبلة ، واختلج شيء ما في طرفي فمه • واتجه نحو الباب ففتحه وقال لسجينه : « اذهب الآن، ولا تعد بعد اليوم أبدا ، أبدا ! » • وأوماً له بيده إلى « الشوارع المظلمة المقفرة من المدينة ، • واصرف السجين •

- _ والمجوز ؟
- _ حرقت القبلة قلبه ، ولكنه لم يعدل عن فكرته .
 - _ التي هي فكرتك أيضا ، أليس كذلك ؟

بهذا صاح أليوشا يقول في مرارة • فأخذ ايفان يضحك • وقال :

ـ ما بك يا أليونا ؟ ما هذا كله بجد • هي قصيدة سخيفة أألفها طالب غبى لم يكن في يوم من أيام حياته قادراً على أن يسطر بيتين من الشمر • فلماذا تهتم بها هذا الاهتمام كله > ولماذا توليها هذا الشأن كله ؟ أثراك سستظن أنني ذاهب الى الخارج لأنضم الى هسؤلاء اليسوعيين ولأبخرط في صفوف أولئك الذين يدعون • اصلاح ما قام به المسبح > ؟ فيم يمنيني هذا كله ؟ لقد سبق أن قلت لك أن كل ما يعنيني هو أن أديم ابتاجي الى الثلاثين من المعر ثم أرمى الكأس !

هتف ألبوشا يقول ممتاثاً مرارة :

- وبراعم الربيع النصة ، ماذا أنت صابع بها ؟ والقبور الصزيزة عليك ، والسماء الزرقاء ، والمرأة التي تحب ؟ كيف ستيش اذن ، وأين ستجد القدرة على أن تغلل تحب ؟ انك بهذه الأفكار الجهنسية في رأسك وفي قلبك لن تستطيع ذلك ! بلي بلي ٥٠٠ انك مسافر الى المخارج لتنضم المهم ، والا فستقتل نفسك ٥٠٠ انك لن تصمد !

قال ايفان ببطء وهو يبتسم ابتسامة باردة :

_ في نفسي قوة ستتيح لي أن أصمد مع ذلك •

ــ أية قوة ؟

ــــــقـــــــــــة آل كارامازوف ••• قـــــوة الحطـــة والخسبــــة في أل كارامازوف !

ـــ ماذا اذن ؟ أتغرق فى العهر والفجور والفحش ، أتخنق الروح فى حضيض الجسد ؟ أهذا ما تفكر فيه ؟

ريمـــا ••• ولكننى سأعرف كيف أتحاشاه حتى الشـلاتين من المعر • وبعدئذ •••

ــ ستعرف كيف تتحاشاه ؟ كيف ؟ هذا مستبعد ما دامت أفكارك هر هذه الأفكار •••

 بل سأعرف كيف أتحاشاه ، وذلك على طريقة آل كاراءازوف أيضاً ٠

على طريقة آل ٥٠٠ أيكون ذلك باستيحائك النظرية القائلة ان
 كل شيء مشروع ، متى كان متفقاً والمصلحة ؟

قطب ايفان حاجبيه وشحب لونه شحوبا غريباً • وقال :

- آه! أأنت تُمُمع الى الفكرة التى عبَّرتُ عنها أمس عند شيخك، فكان أن أثارت استياء ذلك الشهم ميوسوف ٥٠٠ تلك الفكرة التى تلقفها دمترى فصافها تلك الصياغة الساذجة المفرطة فى السذاجة ؟ (أضاف ايفان ذلك وهو يبتسم ابتسامة متكلفة) ٥٠٠ ليكن ! هو كذلك على وجه الإجمال ! كل شي، مباح • قلت ذلك ولن أتقضه • أما صياغة ميتا فليست دريئة هي الأخرى ٥٠٠

نظر اليه أليوشا صامتا •

واستأنف ايفان كلامه يقول بانفعال مباغت :

- كنت أحدث نفسى يا أخى بأنسى سأحتفظ حين أسسافر بانسان واحد يحبنى على الأقل ، ولكننى ألاحظ الآن أن ليس لى فى قلبك مكان يا عزيزى المعتزل • أنا لن أنكر فكرتى القائلة بأن « كل شيء مباح ، ؟ ولكنك أنت ستنكرنى بسبب هسذه الفكرة ، اذا صدق فهمى ، أليس كذلك ؟

نهض أليوشا واقترب من أخيه ، وطبع على فمه قبلة ً رقيقة دون أن يقول شيئاً •

هتف ايفان يقول في حماسة :

 هذا سطو أدبى • لقد سرقت الفكرة من قصيدتى • شكراً شكراً على كل حال • انهض يا ألبوشيا • آن أوان الانصراف ، لى ولك على السواء •

خرج الأخوان ولكنهما توقفا على درجات باب الكاباريه •

قال ایفان بصوت جازم :

- اسمع یا ألبوشا ۱۰۰ اذا یقی فی نفسی من الحیاة ما یکفی لأن أحب براعم الربیع النضرة ، فسیکون هذا بفضل ذکراك ، سوف یکفینی فی ساعات الکمد والیاس أن أتذکر أنك ما تزال تحیا فی مكان ما حتی أسترد حب الحیاة فوراً ، هل یرضیك هدا ؟ عُداً ، تصریح حب ان نشت ، والآن ۱۰۰ ان طریقیا یفترقان ، ستمفی أنت یمنة "، وسأمفی أنا یسرة ، کفی ترثرات ، هل فهمت ؟ وحتی اذا لم أسافر غذا (وأنا أعتمد اننی سأسافر) ، فالتقیا مرة أخری ، فلا تعد الی هذه المسائل التی نافشناها الیوم ، أرجوك ، حذار من کلمة واحدة فی هذا الموضوع ! ولا تكلمنی أیضا عن دمتری فی المستقبل ، اننی أطلب منك هذا جاذماً

قاطعاً • والأفضل أن لا تكلمنى بعد الآن قط (كذلك أضاف يقول بعصبية باغة) • لقد استغدا كل ما كان علينا أن تقوله ، أليس هذا صحيحا ؟ وفي مقابل ذلك فاننى أقطع لك هذا الوعد : حين ساقور في الثلاثين من المعر أن • أرمى الكأس » • فسوف أجى • لأراك مرة أخرى » حينما لكت أعيش في أمريكا • • • سأجى ولك فتناقش من جديد • • ولو كنت أعيش في أمريكا • • • سأجم اللك فتتاقش من جديد • • • في وسعك أن تمول على هسدا • سأقوم برحلة خاصة لهذا الفرض • سيشوقني أن أراك عنسدئذ وأن أعرف ما الذي صرت اليه • ذلك عهد أقطعه على نفسى • وقد لا نلتهي قبسل القضاء سبع سنين أو عشر سسنين • اذهب الآن ، أسرع الى صاحبك والأب سيرافيكوس» ، لأنه يحتضر • فاذا مات في غابك فقد تحقد على الأنس أخرت • الى اللقساء • قبلني أيضا • • • هكذا • • • والأن

تركه ايفان وسار في طريقه دون أن يلتفت ، ان هذا الانصراف المباغت يذكر بالطريقة التي ترك بها دمترى أخاه أليوشا أسس ، رغم أن الظروف مختلفة بعضها عن بعض كل الاختلاف ، مس عدا التشابه الغريب فكر أليوشا مساً خاطفاً جداً ، فتسعر فجأة بحرن وارهاق ، لب في مكانه بعض الوقت يتابع ببصره أخاه الذي كان يتمده لاحظ ، دون أن يعرف لماذا لاحظ ذلك في تلك اللحظة ، أن مشية ايفان كانت منايلة بعض التمايل وان كتفه المعنى تثرى من الظهير أخفض من الكتف الأخرى ، انه لم يلاحظ هذا يوماً من قبل ، وأخيراً استدار هو أيضاً واتجه نحو الدير مسرعاً يكاد يركض ركضاً ، كان الظلام قد هبط، شعر أليوشا بخوف غامض يجاحه ، لقد نبت في نفسه احساس لم يستطع أن يستبين طبيعته ، هبت الربح كما هبت في اللبلة البارحة ، وغمرته أشجار الصنوبر التي تبلغ المسنة المائة من أعمارها ، غمرته

بحفيف شجي حزين حين دخل غابة المنسك • كان يركض • • الأب سيرافيكوس، ءُ أين تراه وجد هذا الاسم ؟ كذلك تساط ألبوشا •

دوستو پفسکی

ـ ايفان ، أخى المسكين ، متى عسى أراك ؟ ••• هذا هو المنسك ! آه • • • يارب! نعم نعم ، ســوف ينقذني « الأب سيرافيكوس ، * • • • سوف ينقذني منه الى الأبد •

سوف يتسان ألبوشا مرارا أثناء حياته ، في دهشة عمقة ، كف أمكنه في ذلك اليوم ، بعد أن ترك أخاه ايفان ، أن ينسى نسياناً تاماً أُخاه دمترى ، مع أنه كان قد عزم عزماً أكيداً قبل ذلك ببضع ساعات على أن يعثر عليه مهما كلف الأمر ، ولو اضطر في سمبيل ذلَّك أن يعدل عن الذهاب الى الدير في تلك اللبلة •

. حيث لاسبيل إلى الفهم بعد

ایفان فیدوروفتش ، بعد أن ودَّع ألیوشا ، الی مسكنه أی الی منزل أبیه فیسندور بافلوفتش . ولكن الشیء الغریب هو أنه شعر فعبأة بقسلق لا یطاق ، ینزو نفسه ویزداد علی قدر اقترابه

من بيته و وليس القلق والحزن اللذان يشعر بهما هما اللذان يدهشانه وانما يدهشه أنه لا يستطيع أن يحدد لهما سبباً و لقد سبق له كشيرا في الماضى أن أحس بحزن يستولى على نفسه ، ولا غرابة في أن يكون حزيناً في هذه المدينة ، والتي ينهماً فيها للسفر بسلد أن قطع صلته بكل ما يشده الى هذه المدينة ، والتي يهم فيها أن يسير في اتجاه جديد مايزال يجهله وسوف يكون وحيدا من جديد ، وحيداً كل الوحدة كما كان من يجهله وسوف يكون وحيدا من جديد ، وحيداً كل الوحدة كما كان من لمها مسرفة في الكثرة ، دون أن يعرف ما هي هذه الأشياء من جهسة أخرى و وهو يشعر بأنه عاجز عن أن يعرف ما هي هذه الأشياء من جهسة أخرى و وهو يشعر بأنه عاجز عن أن يعرف هذه الأشياء من جهسة الأشواق رؤية واضحة ، غير أن الشيء الذي يعذبه في هذه المحظلة ليس هو تلك الخشية من مستقبل غير محدد ، وغم أن هذه الحشية قائمة في نفسه و تسامل قائلا : « أثراه هو الاشعثراز الذي يوقظه في نفسي منزل أنهى ؟ لكأنني قد بلفت من كره هذا المنزل أنني لا أستطيع التغلب على

التقرز من الذهاب اليه رغم علمي بأنني أجتاز عبيته آخر مرة ٥٠٠ ولكن لا ٥٠٠ لا ٥٠٠ ليس هذا سبب الارهاق الذي أشعر به الآن و أهمو اذن وداع ألبوشا والحديث الذي جرى بيني وبينه ؟ لقد أصررت على السمت سنين طويلة ، لا أتدزل أن أفتح فيي بكلمة لاسان ، نم هأناذا أخرج جبيع تلك السخافات دفعة واحدة ٥ عصحيع أن من الجائز أن يشمر لقلة تجربته وشدة غروره ، غرور المراهق ، بشيء من الحسرة والأسف على أنه لم يستطع أن يعبر عن نفسه كما كان يتمنى أن يعبر، ولا سيما أمام انسان كألبوشا يتنظر منه في قرارة نفسه أسسياء كشيرة ولا شك أن في نفسه الآن شيئاً من الحسرة والأسف ، ذلك لابد منه ٥٠ ولكن ليس هذا ما يثقل على صدره الآن ويخته خنقاً ٥٠٠ هناك شيء آخر ٥٠٠ ولكن ما هو ؟ و ان غماً يماؤ جسواتب نفسي حتى ليكاد يثير غناني ، ولست أصل الى معرفة ما يعوزني ومعرفة ما أريد ٥ لعل الأفضل أن لا أفكر في هذا الأمر ٥٠٠ » ٥

حاول ايفان فيدوروفتش أن « لا يفكر في هذا الأمر » ، ولكنه لم يفلح » ان الغم الذي يشمر به يتميز بهذا الطابع المثير وهو أن مصدره علم خارجية عرضية طارئة ، ان ايفان يحس ذلك احساساً واضحاً ، ان الأمر أمر شيء أو شخص لل يدرى ايفان على وجه الدقة للايفان وجوده في نظر ايفان ، ان ايفان يحس بضيق شبيه بالفيق الذي يثيره في النفس أحيانا ، أثناء الممل أو أثناء حديث حار ، وجود شيء مزعج لم يره المر، رؤية واعبة "بعد ، ولكنه يفتاظ منه غيفاً يحاصره ويسد علم الأبواب الى أن يخطر باله أخيرا أن يزيع سبب هذا الانزعاج الذي كيرا ما يكون سبباً افها : شيئاً ليس في مكانه ، منديلا ساقطا على الأرض، كتابا نسى وضعه في المكتبة ، الخ ،

بلغ ايفان منزل أبيه أخيرا ، ممتكر المزاج جدا ، مهتاج الأعصاب

اهتاجا تديدا ، وحين أصبح على مسافة خمس عشرة خطوة من باب الحديقة الحديدى ألقى نظرة على مدخل المنزل فأدرك على حين فجأة ما كان يحنقه ويعذبه طوال الطريق .

كان الخادم سمردياكوف جالساً على دكة قرب الباب الكبير يتمتع بطراوة الجو و فما أن لمحه أيفان فيدوروفتش حتى أدرك أن صورة هذا الخادم كانت قد لازمت خياله على غير علم منه ، فكان يضيق ذرعاً بها لازمت خياله على غير علم منه ، فكان يضيق ذرعاً بها ولا يعليقها و لقد اتضع كل شيء فحين كان أليوشا يتحدثه، في الكاباريمه عن اجتماعه بالعفادم ، شمر أيفان بانزعاج شديد ونفور قوى لم يلبئا أن أثناء الحديث الذى أعتب ذلك ، غير أن غيظاً تقيلاً قد يقى في قلبه ، فلما ترك أليوشك واتجه الى منزل أبه استيقظ فيه ذلك الاحساس بالانزعاج دون أن يستطيع الاهتداء الى أصله و تسامل أيفان محتداً : وكيف يمكن أن يقلقني هذا الجرو النبي مثل هذا الاقلاق ؟ ، و

والواقع أن إيفان فيدوروفتش كان قد كره هذا الرجل منذ زمن، ولا سيما في الأيام الأخيرة ، وكان يدرك هو نفسه أن المداوة التي يشعر بها نحو هذا الانسان تشبه أن تكون بفضاً ومقتاً ، ولمل عداوته له قسد استفحلت واحتدت لأن موقف إيفان فيدوروفتش من الخادم كان عسد وصوله الى مدينتنا يختلف عن هذا الموقف كل الاختلاف ، لقد أظهر ايفان في ذلك الوقت شسيئاً من الاهتمام بالخادم ، حتى لقد عدّ ، امرةا طريفاً كل الطرافة ، وشيحته على أن يتحدث اله ، دون أن يفوته مع ذلك ما كان في أحاديث هسنذا الرجسل من بعض التفكك ، أو قل من بعض القلق ، وكان إيفان يتسامل : تُرى ما الذي بهز محكر هذا النحو بغير انقطساع ؟ لقد عالجا موضوعات فلسفة ، وانشاء من انتفار والم وانقطاء من أول يوم من أيام خلق وانقساء ، في أول يوم من أيام خلق وانقساء ، في أول يوم من أيام خلق

العالم ما دامت الشمس والنجوم والقمر لم تخلق الا في اليوم الرابع من أيام الخلق ؟ وتساءلا : كيف يمكن تأويل هذه الآية من التوراة ؟ ولكن ايفان فيدوروفتش لم يلبِت أن لاحظ أن سمردياكوف لا يعبُّا بالكواكب كثيرا وأن مسائل علم النجوم لا تعنيه كثيرا وان تكن جذابة. كان واضحا أن ما يشغل باله ويملأ رأسه هو غير هذا تماماً • وشيئاً فشيئاً ظهرت أنانيته وظهر غروره ، يفاقمهما أنه سريع التأذي على ادعاء وتبجع • فهسخه الخصال لم تمجب ايفان ، وولَّدتُّ نفوره منه وكرهه له ، وبعد ذلك ، حين انشقت المشكلات العائلية المبقدة بظهور جروشنكا وقيام المنازعات بين دمتري وأبيه ، أتبع لايفان أن يتحدث عن هــنــ المصاعب مع الخادم ، فكان يستحيل عليه ، رغم أن سمردياكوف كان يتكلم عن هذه المشكلات دائماً باضطراب شدید ، أن یدرك ماذا كان یرید الخادم أن یقـــول ، وما هو الشيء الذي يتمناه هو نفسه • ان ما يلمحه المرء في رغباته من بعد عن المنطق والرشاد ، على نحو غامض ، يثير الدهشة والاستغراب • كان سمردياكوف يستوضح كثيراً ، ويلقى بعض الأسئلة موارباً ، لغرض قى نفسه من غير شك ، وَلَكن دون أن يفصح عن هذا الفرض ، وكان يصمت فجأة في بعض الأحبان أو ينتقل الى موضوع آخس في وسلط الكلام • ولكن ايفان انما أصبح يحنقه خاصة "أن سمردياكوف قد أخذ يرفع الكلفة بينه وبينه ، فهو يخاطبه في غير تحرج ، وهو يمعن في ذلك مزيداً من الامعان يوماً بعد يوم • وقد ولَّد هذا الموقف في نفس إيفان نفوراً شديداً وعداوة حاسمة وكراهية قاطعسة • ليس معنى ذلك أن سمردياكوف يجيز لنفسه أن لا يكون مؤدباً مهذباً مع ايفان • بالمكس: لقد كان يصطنع في مخاطبته كثيرًا من الاحترام • ومع ذلك فقد انتهت الأمور بالخادم الى حيث اعتقد ، لا تدرى لماذا ، أنه متضامن مع ايفان فيدوروفتش • فهو يتحدث اليه بطريقة خاصة ، كأن بين الرجلين تفاهماً

مضمراً سرياً ، وتواطؤاً قائماً منذ زمن طويل ، وروابط لا يعرفها أحد غيرهما ولا يفهمها من يحيط بهما ، ولقد لبث ايفان مدة طويلة لا يفهم السبب الحقيقى الذي يثير حنقه المتزايد ، ثم لم يدركه الا منذ بضمة أيام ،

أراد ایفان ، وقد استبد به الاسمئزاز والفضب ، أن یجناز الباب دون أن یبدو علیه أنه رأی سمردیاکوف ، ولکن سمردیاکوف نهض عن دکته ، فسرعان ما أدرك ایفان من وضعه أنه برید أن یحدته حدیثا خاصا ، خطر الله ایفان وتوقف ، وما أشد ما أحقه توقف هذا ! لقسد كان ینوی منذ أخطات قلیلة أن یمر "دون توقف ، فلما رأی نفسه یتوقف شعر بغیظ شدید ! وأخذ ینظر بكراهیة حاقدة الی هذا الوجه المصوص الذی یشبه وجوه الخصیان ، والی هذا الشعر المصفف بكتیر من المنایة علی المسدفین ، والی تلك الذؤابة المتصبة علی الرأس ، وكانت عین سمردیاكوف السمری التی تفضن حاجها ، تفمز غمزة ماكرة ، فكأنه یقول : « قف ، ان أدعك تمر ، ألا تری أن هناك كلاماً یبجب أن تنادله نحز، مشمر الأذكاء ؟ » »

كذلك سأله برقة فيها اذعان وتسليم أدهشاه ؟ وعلى هـذا النحو نفسه الذى لم يكن فى الحسبان أيضا ، رأى نفسه يجلس على الدكة • وقد تذكر فيما بعد أن ذلك كاد يرعبه فى اللمنظة الأولى • كان سمردياكوف واقفاً أمامه ، جاعلاً يديه وراء ظهره ، ينظر اليه نظرة فها ثقة بل وفها قسوة • وقال دون تسجل :

- انه ما يزال يرتاح .

قال ايفان يخاطب نفسه: «آها! هو الذي يبادرني بالكلام الآن!» وأردف سمردياكوف يقبول بعد صمت ، وهمسو يغض عينيه في تصنع ، ويقدم رجله اليمني ، ويهز رأس حذائه الملمّع:

_ هل تعلم أنك تدهشني يا سبدي ؟

فأجابه ايفان فيدوروفتش بلهجة خشنة قاسسية ، وهو يحاول أن يسيطر على نفسه ، قائلا :

_ ما الذي يدهشك ؟

ولكن ايفان شعر فى الوقت نفسه ، على اشمئزاز وتقزز ، أن فى نفسه استطلاعاً قوياً لن ينصرف قبل أن يرضيه ه

واستأنف سمردياكوف كلامه قائلا وهو يرفع عينيه ، ويبتسم في ألفة :

- لماذا لم تسافر يا سيدي الى تشرماشنا *؟

وكانت عينه اليسرى كأنها تقول : « ما دمت ذكياً هذا الذكاء كله فيجب أن تفهم سبب ابتسامتي » ه

قال ايفان فىدوروفتش متمحاً :

- لأى غرض أذهب الى تشرماشنا ؟

فأجابه سمر دياكوفي أخبرا:

ــ لقد رجاك فيدور بافلوفتش أن تسافر اليها في كثير من الالحاح.

کان سمردیاکوف یتکلم ببطہ کأنه لا یولی جوابه هذا أی اهتمام. فكأنه یقول له : « اننی أجیبك بأی شیء ، بأول جواب یخطر علی بالی ، لا لهدف الا أن أقول شيئًا ما ، • _ ما هذه الأساليب الغامضة الملتوية ؟ هلاً تكلمت بوضوح ؟ ماذا تريد ؟

ردَّ سمردیاکوف قدمه الیمنی تحو قدمه الیسری ، ونصب قامته ، ولکنه لم یتخلُّ عن هدوئه ، وظل یبتسم •

_ ليس هناك أى شيء هام ••• وانما تكلمت بغير هدف محدد أو غاية ممنة •••

وساد صمت ، صمت الرجلان كلاهما قراية دقيقة ، أدرك ايفان فيدوروفتش أن عليه أن ينهض وأن يغضب ، وكان سمردياكوف واقفاً أمامه وقد بدا على وجهه كأنه يقول له : « سنرى الآن هل تغضب أو لا تغضب ، • ذلك ما شمر به ايفان على الأقل ، وهم ايفان أخيرا أن ينهض ، ففتح سمردياكوف عندئذ فعمه كأنه قد انتظر هملة اللحظة لتكلم ،

قال في بطء ، بصوت جازم ، وهو يقطِّع كلامه :

۔ اننی فی وضع رہب یا ایفان فیدوروفتش ، وأنا أتسسامل كیف یمكننی أن أخرج من المأثرق •

ثم تنهد تنهدة كبيرة • عاد ايفان يجلس • واستأنف سمردياكوف كلامه فقال :

ل نكأنهما فقدا كلاهمما المقل • انهما يتصرفان تصرف أطفال صنار • اننى أتكلم عن أبيك وعن أخيك دمترى فيدوروفتش • سموف يأخذ فيدور بافلوفتش يعذبنى بأسئلته متى نهض من فراشه ، سمسوف يسألنى فى كل لحظة : • هيه ؟ ألم تجيء ؟ كاذا لم تجيء ؟ ، • وسموف

تستمر هذه الأسئلة الى منتصف الليل ، والى ما بعد منتصف الليل ، واذا لم تنجىء آجرافين الكسندروفنا (وفي دأيي أنها لا تنوى أن تنجىء أبدا) ، فسوف يستأنف أسئلته في صباح الفد متهجماً على تا « لماذا لم تنجىء ؟ من تنجىء ؟ ، > كأننى أنا المذنب ، والقصة هي نفسها في الجانب الآخر، فنتى هب ط الفسق ، بل وقبل هبسوط الفسق ، يأخذ أخوك دمترى بالاستمداد فيكمن في مكان قريب مسلّجاً ، ويقول لى: «انتبه أيها الوغد! بلن تركتها تدخل دون أن تنبثني ، لأقتلنك أنت أول من أقتل ! ، • حتى اذا انقضى الليل عاد يعذبني بأسئلته كأبيك : « ألم تنجىء بعد ؟ هل تنجىء قريبا ؟ » • لكأنه يعدني ، هو أيضا ، مسئولاً عن سلوك هذه السيدة ! الأمور تسير من سيء الى أسوأ ، وغضبهما كلهما يزداد من ساعة الى ساعة ، والخوف يتحاصرني حتى لأفكر في قتل نفسي تخلصاً من هذا المأذق • اننى لا أتوقع منهما أي خير يا سيدى !

قال ايفان منزعجاً :

 ما كان ينبغى لك أن تحتمر نفسك فى هذا الأمر! لماذا ارتضيت أن تكون لدمترى فيدوروفتش مُخْمَراً ؟

- كيف كان يمكنني أن أبقى بعيسدا ؟ انني لم أحشر نفسى في الأمر ، اذا تشت أن تعرف ذلك • كنت أصمت ولا أجرؤ أن أرد ، ولكن أخاك ألح وأكرهني على أن أكون له في هذه القضية خادماً • وهو منذ ذلك الحين ما ينفك يكرر على مسسامي قوله : « لأقتلنك يها الوغد ، لأقتلنك اذا تركتها تمر ! ، . أنا على يقين من أنني سأصاب غداً بنوبة طويلة •

۔ أية نوبة ؟

- نوبة صرع ، طويلة ، طويلة جدا ، ربما دامت بضع ساعات ، وربما استمرت الى الفد ، لقد سبق أن أصبت بنوبة امتدت ثلاثة أيام ، سقطت من الشونة • وبقيت ثلاثة أيام لا أفيق من الاغماء • يحدث لى هذا فجأة • وفي تلك المرة استدعى فيدور بافلوفتش الطبيب ، استدعى ذلك الدكتور هرتسنشتوبه ، فوصف لى ثلجاً على الجين ودواء آخر •• وكدت أموت •

_ يُقال ان نوبات الصرع لا يمكن النتبؤ بها • فكيف تزعم أنك ستصار غداً بنوبة ؟

كذلك سأله ايفان باستطلاع يمازجه غيظ • فقال سمردياكوف : _ صحيح • • • لا يمكن التنبؤ بها •

_ ثم انك عند تلك النوبة الطويلة قد سقطت من طابق الشونة •

ــ ذلك أتنى أصعد الى ذلك الطابق كل يوم ، ومن الجائز جــداً أن أُسقط منه فى الفد أيضا ، واذا لم أسقط من طابق الشونة ، فقد أُسقط فى القبو ، لأننى أذهب الى القبو كل يوم للقيام بالخدمة ،

تفرس فيه ايفان فيدوروفتش طويلا •

ثم قال بصوت خافت ولكن مع شيء من التهديد :

_ هبنى دبرت لهم « مقلباً » من هذا النوع : ان هناك أسبابا وجيهة تدفشى الى أن أفسل ذلك • لما كان من السهل على المرء أن يتظاهر بالصوع اذا كان يملك بعض التجربة ، فسيكون من حقى تماما أن ألمجأ الى هذه الوسيلة انتاذاً لحياتى • فاذا حدث أن قررت أجسرافين الكسندروفنا أن تعجى • الى أبيك ، فلن يستطيع أخوك أن يسأل رجلاً مريضا : • لماذا لم تبلغنى ؟ » • سوف يستحى هو نفسه أن يفعل ذلك •

هتف ايفان فيدوروفتش يقول وقد تقبض وجهه غضبًا :

ــ شيطان يأخذك ! لماذا تخاف على جلدك أيهــا الجبان ؟ ليست تهديدات دمترى الاكلاماً فى الهواء ! انه لن يقتلك • قد يقتل ، ولكنه لن يقتلك أنت على كل حال •

بلى ! سيتتنى كذبابة ، وسيتتلنى قبل أن يقتل أى انسان آخر!
 هناك مع ذلك ثيء أخشاه أكثر من هذا أيضا : هو أن أ"تهم بالتواطؤ ممه
 اذا هو أقدم على ارتكاب عمل طائش مجنون في حق أبلك .

_ علام تُنهم في هذه المحالة ؟

- سيُنظن انني شريك لأنني أطلمته على تلك الاشارات السرية •

أى اشارات تعنى ؟ معحةًا لأساليبك المخاتلة هذه! هلاً قلت كلاماً
 واضعا آخر الأمر ؟

بدأ سمردياكوف يقول مقطماً كلامه كانما ليضفى على نفسه قيمة وشأناً :

_ يجب أن أعترف لك بأن هناك سرا بني وبين فيدور بافلوفتس • فمنذ بضمة ايام ، كما لعلك تعلم ذلك (وقد لا تعلم على كل حال !) ، تعود و يدور بافلوفتش ان يقفل الباب على نفست بانمتاح ، منذ يهبط الملل ، ومنذ يهبط المسق أحيانا • الك في الأونة الأخيرة تصحد الى جاحك في ساعة مبكرة ، وامس مثلا لم تحرج قط ؟ لذلك فلعلك لم تلاحظ شدة اعتصامه بفرفته الآن ، ومدى حرصه على احكام اغلاقها •

انه لايفتح الباب حتى لجريجوري فاسيلفتش ادا هو لم يتعرف سوته على وجه اليقين • ولكن جريجوري فاسيلفتش لا يحيى • ، لذلك فأنا وحدى أخدمه في غرفته • هذا ما قرر أن يعمد البه منذ اندفع في تلك المغامرة مع أجرافين ألكسندروفنا • وتنفيذاً لأوامره • فانني أترك المنزل أنا أيضا متى حلَّ الظلام ، وأمضى أقضى الليل في الملحقات ، ملز َما بالسهر الى منتصف الليل على كل حال ، لأتربص وأخرج الى الفناء من حين الى حين بفية أن أرى ألم تجيء أجرافين الكسندروقنا • ذلك أنه ينتظرها منذ عدة أيام بالحاح هو الجنون • انه يفكر على النحو التالي : لا شك أنها تخاف منه ، من دمتری فیدوروفتش (وهو یسمیه میتکا) ، لذلك ستؤثر أن تنجيء في الليل مارة" من الفناء • وأنا مكلف اذن بانتظارها كل مساء الى منتصف الليل والى ما بعد منتصف الليل • قال لى : « متى ظهرتُ كان عليك أن تسرع اليُّ ، فتقرع بابي أو نافذة الحديقة قرعتين أولاً ، قرعتين غير قويتين جـــدا ، هكذا : طق ، طق ؟ ثم ثلاث قرعات أكثر تقارباً : طق ، طق ، طق ؟ فاعلم عندثذ أنها جاءت ، فأفتح الباب برفق وهدوء ٥ ء ، ثم شرح لي بعد ذلك اشارة أخرى استعملها حين يحمدت شيء استثنائي : أقرع في أول الأمر قرعتين متقاربتين : طق طق ، وبعد برهة أقرع قرعة" ثالثة أقوى ، فيفهم عندئذ أنه وقع حادث مفاجى وأننى أريد أن أكلمه ، فيفتح لي الباب ، فأروى له ما وقَّم ، هذا اذا لم تجيء أجرافين ألكسندروفنا وانما أوفدت رسولاً برسالة ، أو اذا ظهر دمترى فيدوروفتش على مقربة من المنزل ، فبذلك أستطيع ابلاغه الأمر فوراً • انه یخاف دمتری فیدوروفتش خوفاً رهبیاً وقد آمرنی بأن علی م اذا حدث أن كانت أجرافين ايفانوفنا في المنزل مختلبة " به ، فظهر دمترى فيدوروفتش على مقربة من المنزل ، أن أبلغه ذلك فورا بقرع الباب أو النافذة ثلاث قرعات • لقد علمني اذن اشارتين : الأولى تتألف من خمس

قرعات ، ومعناها أن أجرافين ألكسندروفنا جامت ، والنانية تتأنف من ثلاث قرعات ومصناها أنتي أريد أن أكلمه حالاً ، وقد جرَّب هاتين الاشارتين أمامي مرارا لا تعلمهما ، وإذ أن أحداً في المسالم لا يعرف هاتين الاشارتين ، الا أنا وهو ، فانه متى سمع الاشارة سينتج الباب فورا بلا تردد ، وبدون أن يلقي أي سؤال (لأنه يتخاف أن يسمع صوته) ، والمشكلة الآن هي أن دمترى فيدوروفتش أصبح يعرف هاتين الاشارتين،

من أين عرفهما ؟ أأنت كشفت له اذن عنهما ؟ فكيف تجرأت أن تفعل ؟

_ كيف تجرأت ؟ من الخوف طبماً ! وهل من سبيل الى الصمت ممه ؟ كان لا ينفك يكرر على مسامعى فى كل يوم قوله : « أنت تكذب ! أنت تخفى عنى شبئاً • لأحطمن ساقيك ! » وعندئذ أطلمته على هاتين الاشارتين السريتين ليرى على الأقل اننى أطيعه ولا أعصى أمره ، وأن ليس عليه بعد الآن أن يتخيل أننى أخفى عنه الحقيقة ما دمت أبوح له بهذه التفاصيل السرية •

اذا كنت تقدّر أنه ينوى أن يستخدم هاتين الاشارتين ليدخل ،
 فما عليك الا أن تمنمه من الدخول ٥٠٠ الأمر بسيط ٥٠٠

سه فاذا اتفق أن كنت فى تلك اللحظة بعينها فاقداً وعيى بسبب نوبة صرع ؟ كيف أستطيع عندئذ أن أمنعه من الدخول ، هذا اذا كنت أملك المجرأة على اعتراضه وأنا أعرف ما يكون عليه فى تلك الحالة من ضراوة وعنف !

ــ سحقاً لك ولنوبة الصرع التي تتكلم عنها هذه! كيف علمت أنه نوبة صرع ستصيبك غداً ؟ أتراك تضحك على ؟

ــ وهل أجرؤ أن أضحك عليك يا سيدى ؟ هل تظن أن بي رغبةً "

فى الضحك وأنا فيما أنا فيه من فزع؟ ان الخوف بعينه هو الذى سيح**دث** لى هذه النوبة •

ــ طيب ٥٠٠ اذا كنت أنت مريضاً ، أمكن أن يتــــولى الحراسة جريجورى ، وسوف يمنعه هو من الدخول في جميع الأحوال ٠

ــ ولكننى ممنـــوع من اطلاع جريجـــورى فاسيلفتش على هاتين الاشارتين الا باذن من السيد . أما عن امكان أن يسمم جريجورى مجيئه وأن يمنعه من الدخول فيجب أن أقول لك ان جريجوري مريض منذ أمس, ، وان مارفا اجناتفنا تنوى أن تداويه في الفد • على هذا اتفقا الـوم • وان لها في مداواة زوجها طريقة غريبة جداً : انها تعرف مزيجاً من العقاقير تحتفظ به في بستها دائماً لمثل هذه الحالات ، وهو سائل قوى جداً تعرف سرَّه فيما يبدو وتصنعه من أعشاب تغليها في الماء وتداوي به زوجها ثلاث مرات فى العام تقريبا حين يلح عليه مرض اللمباجو ويصبح شبه مشلول • انها تىلل بهذا السائل قطعة من قماش تأخذ تدلك بها ظهره على طوله خسلال نصف سباعة الى أن ينتفخ الحسلد ويحمر ، حتى اذا فرغت من ذلك جرَّعته ما ينقى في الزجاجة من هذا السائل بعد أن تتلو دعاءً ممينًا ؟ ولكنها تبقى لنفسها من السائل مقدارا قليلاً تشربه مع زوجها انتهازاً للفرصة • ويجب أن أقول لك أيضا انهما ، بسبب عدم تعودهما الشراب ، ما يكادان يحسوان هذا السيائل حتى يسيقطا كلاهما حث يكونان ، فنساما نوماً عمقاً خسلال مدة طويلة • فاذا استقطا شعر جريحوري فاسلفتش كل مرة بأنه شنفي من مرضه ، أما مارفا اجناتفنا فلا بد أن يصبها صداع • فاذا نفذا في الند عزمهما على استعمال هــدا الدواء ، قانهما لن يسمعا شيئًا ، لأنهما سينامان ، ولن يمنعها دمتري فدوروفتش من دخول المنزل •

صاح ايفان فيدوروفتش يقول :

ــ عجيب ! كل شيء يحســدث في آن واحــد • أنت تصاب بنوبة الصرع ، وهما ينامان توما عميقاً ! أمر لا يُصدَّق !

ثم أضاف يسأله مقطباً حاجبيه فيما يشبه التهديد :

ـ أتراك رتبت هذا التصادف بالمكر والحيلة ؟

ـ علام أفسل ؟ اننى لا شأن لى فى كل ما يحدث ! كل شىء رهن بارادة دمشرى فيدوروفتش وحده ، وبما يعزم عليه ويقرره ، قاذ! كان ينوى أن يوقع مصيبة فسيفعل ؛ واذا لم يكن ينوى فلست أنا من سيجره من يده لدفعه الى ذلك دفعاً ، فما أتخل ، ألس كذلك ؟

عاد ايغان فيدروفتش يقول وقد اصفر وجهه غضباً :

لست أدى لماذا يمكن أن يجيء دمترى الى هنا ، وأن يتسلل تسللاً ، اذا كانت أجرافين الكسندروفنا لا تفكر في المجيء الى أبى ، كما قلت هذا بنفسك ، لقد أكدت كي أنت هذا منذ لحظة ، وكنت أنا على يقين منذ حللت هذا المنزل أن المحوز تراوده أوهام ، لأن هذه المخلوقة لن تجيء اليه في يوم من الأيام ، فهلاً قلت لى ما هي الفاية التي يمكن أن يتسلل دمترى الى هنا في سيلها والحالة هذه ؟ تكلم ٥٠٠ انني أريد أن أعرف حقيقة ما يحول في خاطرك ،

د انك تعرف هذه الفاية حق المعرفة ، وليس لما يجول في خاطرى شأن فيها البتة ، سوف يقتحم أخوك منزل أبيه حباً بالشر وحده أو من فرط سو، الفلن ، سوف يتسامل عما يجسرى في المنزل ، وسيحب من فرط نفاد صبره أن يفتش جميع الفرف كما فعل أمس ليتأكد من أنهما ليست مختبة في احسداها ، وهو يصلم حق العلم من جهة أخرى أن فيدور بافلوقش قد أعد طرفاً كبرا يحوى ثلاثة آلاف روبل ، قد ختمه بثلاثة أختام وربطه بشريط معقود ، وكتب عليه بغط يده : « الى ملاكئ جروشنكا ، اذا هى رضيت أن تجى. ، ، وأضـــاف الى هذه العارة بعد ثلاثة أيام : « الى حمامتى الغالية » •

صرخ ایفان یقول خارجاً عن طورہ :

ـ انه الآن في حاجة ملحة الى المال ، انه في ضيق شديد ، صدقني يا ايفان فيدوروفتش • لا تستطيع أن تتصور مدى رغبت في الحصول على مال (هكذا شرح سمردياكوف بهدوء كبير) • أضف الى ذلك أنه يمد هذه الآلاف الثلاثة حقاً له • لقد أكد لى ذلك أمس • قال : « ان أبي ما يزال مديناً لي بثلاثة آلاف روبل تماما » • ويجب أن لا يفيب عن بالك يا ايفان فيدوروفتش ، لأن هذا هو الحقيقة بعنها ، أن أجسرافين ألكسندروفنا تستطيع أن تحمل فيدور بافلوفتش على زواجها متى رغبت في ذلك أيسر رغبة • ومن الجائز جدا أن تراودها هذه الرغبة • يجب أن نقول هذا • لقد أسرفت أنا في التعجل حين أكدت أنها لن تنجيء الى هنا ، مع أنها قادرة جدا على ان تسدُّر الى هدف بعيد وأن تداور في سبل أن تصبح سدة حقة • لقد قال لها صاحبها التَّاجِيرِ سامسونوف ، وأنا أعرف ذلك من مصدر مطلع موثوق ، قال لها يصراحة تامة ان هذا سيكون لها حلاً ذكياً ، وكان يُضحك وهو يقول هــذا الكلام • ليست جروشنكا امرأة غبية ، ثق من ذلك ! لن تبسلغ من الحماقة أن تتزوج رجلاً فقيراً مثل دمتري فيدوروفتش ، فما قولك والحالة هذه يا ايفان فيدوروفتش ؟ ولمسلك تقدر أن دمترى فيسدوروفتش ، اذا أصبحت أجرافين الكسندروفنا زوجة أبيه ، لن ينال روبلاً واحداً من ميراث أبيه بعد وفاته ، لا هــو ولا أنت ولا أخـــوك ألكسي • ذلك أن أجــرافين الكسندروفنا لن تقبل هذا الزوج الا في سبيل أن تنقل الى اسمه جميع ثروة أبيك ، جميع أملاكه المقارية ورءوس أمواله السبائلة • أما اذا حدث مكروه لأبيك فمات قبل أن يتم هذا الزواج ، فان كلاً منكم سينال على الغور أربعين ألف روبل ، بالتمام والكمال • ان دمترى سينال هذا المبلغ رغم أن أباء يكرهه ، وذلك لأن فيدور بافلوفتش لم يكتب حتى اللان وصيته ••• وهذه التفاصيل كلها يعرفها دمترى فيدوروفتش •••

تقلص وجه اینان فیدوروفتش ، وألمت به اختلاجة ، واحمر علیٰ حین فجأة ؛ وقال مقاطماً سمردیاکوف وہو یتنفس تنفساً تقیلا :

فأجاب سمرد: كوف يقول بلهجة هادئة متروية ، وهو يحدق الى ايفان فيدوروفتش مترقباً آثار كلامه فيه :

_ هذا صحيح تماما ه

قال ايفان يسأله وهو يبذل جهداً كبيراً من أجل أن يكظم غيظهـ ويسيطر على نفسه :

- صحم تماما ؟ ما معنى هذا ؟

ـــ لئن قلت هذا الكلام ، فلأننى أشفق عليك وأرثى لحالك • اسمع لى أن أقول لك : لو كنت فى مكانك لآترت أن أسافر على أن أجد نفسى مقحماً فى قضية من هذا النوع •••

كذلك أجاب سمردياكوف بلهجة طلقة ليس فيها شيء من تحرج، دون أ زيحول بصره عن ايفان فيدوروفتش الذي كانت عيساه تقدحان شرراً •

وأعقب ذلك صمت •

ثم قال ايفان بعد لحظة وهو ينهض عن الدكة :

_ لا بد أنك أبله ٥٠٠ أضف الى ذلك أنك وغد !

وكان يهم أن يجتاز الباب الحديدى ، ولكنه توقف فجأة والنفت تحو سمردياكوف ، وحدث عندئذ شيء غريب : لقد عض ايفسان على شفتيه متشنجاً ، وقيض يديه ، فكأنه يهم أن يهجم على الخادم ، فأدرك سمردياكوف ذلك ، فارتجف ، وتراجع خطوة الى وراه، وانقضت ثوان دون أن يصب سمردياكوف بأذى ، واتجه ايفان فيدوروفتش تحو الباب حائر الهيئة دون أن ينطق بكلمة ، ثم صاح بعد ذلك يقول بصوت قوى، مقطعاً ألفاظه ، وقد فاضت نفسه حنقاً :

_ سأسافر غدا الى موسكو ، اذا كنت تحرص على أن تعرف ذلك. هذا كل شيء !

وقد أدهشه فيما بعد أن يكون قد شعر في ذلك الظرف بالحباجة إلى أن يخير سمردياكوف بأنه مسافر •

أجاب سمردياكوف يقول وكأنه كان يتوقع أن يغضى اليه ايضان بهذا السر :

_ هذه فكرة عظيمة ! ولكنك تظل معرَّضاً للاستدعاء من موسكو ببرقية اذا حدث هنا شيء ٠

فتوقف ايفان مرة ثانية والنفت تحو سمردياكوف النفساتة قوية • فاذا بوضع سمردياكوف يتغير فعباة بمشل لمح البصر سرعة " و تبددا الألفة التى كان يصطنعها وتبدد الاهمال الذى كان يظهره ، تبددا بمسا يشبه السجر ٥٠٠ وعبر وجهه عندئذ عن انتباه شديد ، كما عبر عن انتظار ذلك خاضع ، وكأن عينيه المحد تنان الى ايفان فيدوروفتش بالحاح غريب تسالانه : « أن تقول شيئاً آخر ؟ أن تضيف كلمة واحدة ؟ » • فوعوع إيفان يقول رافعاً صوته بدون سب ظاهر :

 اذا حدث شىء فيمكن أن أستدعى من تشرماننيا أيضا ٥٠٠ فتمتم سمردياكوف يقول بما يشبه الهمس ، وكأنه ضائع الفكر شارد اللب ، ولكنه لا ينقطم عن التحديق إلى ايفان فيدوروفتش بالحاح :

_ طبعاً ••• اذا حدث شيء ••• فستستدعى ••• من تشرماشنيا••

ــ الفرق الوحيد هو أن موسكو بعيدة ، أما تشرماشنيا فهى قريبة من هنا كل القرب • هل النفقات التي لا داعى اليها هى التي تفلقك ، أم أنت تحب أن توفر على وحلة طويلة فتنصحنى بأن أسافر الى تشرماشنيا بدلا من أن أسافر الى موسكو ؟

ــ هو كذلك تماما !

هكذا تمتم سمردياكوف يقول بصوت مرتم*ش* وهو يبتسم ابتسامةً" خشة ه

وكان يستمد لأن يتقهقر الى وراء ، فما كان أشد دهشته حين رأى ايفان فيدوروفتش ينفجر ضاحكاً على حين فجأة ، ويتجه بسرعة نحو الباب وهو ما يزال يضحك ، ولكن لو رآء ملاحظ يقظ منتبه فى تلك المحظة لأدرك أنه لم يكن يضحك هذا الضحك عن مرح وفرح ، ثم انه هو نفسه ما كان ليستطيع أن يقول ما الذي كان يشمر به حينذاك ، وكان مسيته متقطمة ، وكان في حركاته شي، يشبه أن يكون حسركات

۷ پىلذالمىدە ئىحياناأن يىخسىدىشىمەرجىلەنكى

الحالة النفسية الغريبة التي كان فيها ايضان قد ظهرت في أقواله أيضاً • فانه ما ان دخل المنزل فلمح فيدور بافلونتش في الصالون حتى صاح يقول له من بعيد وهو يلوح بيده:

_ أنا صاعد الى غرفتى رأساً • لن آنى اليك •

ومر َّ بسرعة محاولاً أن لا ينظر الى أبيه •

لمل مشهد الشيخ كان في نظره عندئذ لا يطاق ، ولسكن اظهاره هذه الكراهية بنير تحرج قد أدهش حتى فيدور بافلوفتش نفسه ، وكان واضحاً أن مناك شيئًا مستمجلاً يريد الأب أن يفغى به الى ابنه ، لذلك هب ً الى لقائه ، ولكنه بسد الكلمات اللطيفة التى سسمها من ايضان فيدوروفتش توقف حيث كان ، دون أن ينطق بكلمة ، وتابمسه بنظرة ساخرة بنما كان يصعد السلم وينيب في الطابق الأعلى ،

وظهر سمردياكوف للمجوز في تلك اللحظة ، فسأله المجوز :

ــ ماذا به اليوم ؟

فقال سمردياكوف متهرباً :

ـ انه معتكر المزاج جدا !

ـ شيطان يأخذه اذن! ألا فليمتكر مزاجه اذا كان ذلك يسره! أما أنت فهي السماور ثم انصرُف ، أسرع! أما من جديد حتى الآن؟ قال العجوز ذلك وبدأ الاستجواب الذي كان سسمردياكوف قد اشتكى منه لايفان منذ قليل ، انه يلقى عليه السؤال تلو السيؤال عن المرأة التي ينتظر زيارتها ، ولا داعى الى تكوار هذه الأسئلة هنا ، وبعد نصف ساعة كان المنزل قد أتحكم افقاله بالمفتاح ، وخسلا العجوز الى جنونه ، فأخذ يسير في غرفته طولاً وعرضاً ، منتظراً على نار كار الحمى أن يسمع القرعات الخمس المتفسق عليها اشارة الى أن جروشنكا قد وصلت ، وهو ينظر من خلال النوافذ من حين الى حين ، فلا يرى في الخارج الا الفلام ،

انقضى شطر من الليل ، ولكن اينان فيدوروفتش لم يتم بعد ، كان يفكر ويتأمل و لم يرقد على فراشه تلك الليلة الا في تحو الساعة الدنية و لن تحلل مجرى الخواطر التي دارت في رأسه ، لأن قراءة ما كان يعتمل في نفسه عند ثد لم يحن حينها ، وسيأتي دورها فيما بعد ، ثم ان وصف ما كان يحيش في قرارة قلبه ليس بالأمر السهل ، لأن خواطره كانت غامضة ، وكانت مضطربة مسرفة في الاضطراب خاصة ، وكان يشمع هو نفسه بأنه قد فقد السيطرة على فكره ، هذا عدا رغبات غرية كانت تعذبه في بعض اللحظات ، من ذلك مثلاً أنه عند منتصف الليل قد شعر فجأة برغبة قوية في أن ينزل وأن يخرج وأن يذهب الى الملحقات بفية أن يضرب سمردياكوف ضرباً مبرحاً ، لماذا ؟ لو سألته هذا السؤال لما شعربه على وجه الدقة ، ولكنه أصبح يكره هذا المخادم كرها شديدا ، كما لو كان قد ناله بأقدح الأذى وأشد الاهانة ، ثم انه قد اتفق شديدا ، كما لو كان قد ناله بأقدح الأذى وأشد الاهانة ، ثم انه قد اتفق شديدا ل الاضطراب في نفسه أنه أحص بشلل مذابي، في قواه الجمعية .

وكان يشمسعر في الوقت نفسه بصداع ودوار • واستولى علمه بغض غامض ، كما استولت عليه حاجة الى الانتقام لم تتضح ولم تتحدد . انه يشعر بعداوة حتى لألبوشا ، حين يتذكر الحديث الذي جرى بينه وبينه في النهار • وكان يبدو له في لحفات أخرى أنه يكره ذاته نفسها • أما كاترين ايفانوفنا فكأنه نسبها ، فلم تخطر على باله في تلك الللة الا مرة أو مرتين • وقد أدهشته قلة الاكتراث هذه فيما بعد ، لا سيما وأنه كان في الصباح ، حين أعلن للمرأة الشابة صاخباً أنه مسافر غداً الى موسكو، قد سمع صوتاً يدمدم في قرارة نفسه (انه يتذكر هذا تذكراً واضحاً) قائلًا له : « كذبت ! لن تسافر ! لن تستطيع فراقها بمثل هذه السهولة التي تشاهي بها الآن ! ٥ • ومن بين ذكريات تلك اللمة ذكري صنعيرة ستظل تنبحس في خاله كثيرا أثناء السنوات اللاحقة ، فتملؤه اشهمئزازأ وتقززاً • لقد ظل يتذكر بوضوح كيف أنه نهض عن أريكته مراراً ففتح الباب بدون ضوضاء ، كانه يخشى أن يُسمع ، وخرج الى فسمحة السلم ، وأصاخ بسمعه يتجسس على حركات فيدور بافلوفتش الذي كان يمشى في غرف الطابق الأرضى • كان يتنصت على حركاته بفضول غريب منحسن الأنفاس خافق القلب ، لا يدري هـــو نفسه لمــاذا يتصرف هذا التصرف ، ولأى سبب يصيخ بسمعه اليه دقائق طويلة ، لقد ظل طوال حاته بعد ذلك يصف سلوكه ذاك في تلك اللملة بأنه « سلوك حقير » ، معتقداً في دخيلة نفسه أن ذلك الفضول الفسيريب الذي كان يحسركه حينذاك هو أكبر دناءة انحدر البها في حياته كلها • كان لا يشعر في تلك اللحفات بأية عداوة خاصة نحو فيدور بافلوفتش نفسه ، وانما كان يويد أن يعرف ما يعمله فحسب ، محاولا أن يتصور ، بفضول قوى ، كف يمشى أبوه في غرفته محموما من نفاد الصر ، وكف يقترب من النوافذ المظلمة لنظر الى الخارج ، وكيف يتوقف بعد ذلك في ومسط

الحجرة منتظراً على أحر من الجمر أن يسمم الاشارة المتفق عليها • لقد خرج ايفان الى فسحة السلُّم على هذا النحو مرتين • فلما عاد الهـــدوء يخسُّم على كل شيء ، فأوى فدور بافلوفتش الى فراشه ، في نحو الساعة الثانية من الصباح ، قرر أن يرقد هو أيضًا ، عازمًا عزمًا قويًا على أن ينام بأقسى سرعة ، لأنه كان يحس بأنه مهدود القوى • وسرعان ما غــرق فعلاً في نوم عميق لم تتخلله أحلام • واستيقظ في الصباح ميكراً ، في نحو الساعة السبابعة ، وكان النهار قد طلع • فمــــا ان فتح عينيه حتى أحسَّ في نفسه بسبل خارق من القوة ، فأدهشه ذلك كثيرًا • وما هي الالحظة حتى نهض عن سريره بوثية واحدة ، ولبس ثبابه ، وأخسرج حقيبته ، وأخذ يجمع أمتمته لا يضيع لحظة واحدة • وكانت النســَّالة قدُّ جاءته بنسيله أمس • ابتسم ايفان فيدوروفتش راضيا حين لاحظ أن كل شيء يسير على خير حال ، وأن سفره المفاجيء لا يصطدم بأية عقبة غير متوقعة • ولقد كان هذا الســـفر مفاجئًا حقًّا ؟ فرغم أنه قد أعلنه أمس (لكاترين ايفانوفنا ، ولألبوشا ، ثم لسمردياكوف) ، فانه لم يفكر فيه البتة حين رقد على سريره (انه يتذكر ذلك الآن) ، ولم يكن يتنبأ بأن أول حركة سيقوم بها حين ينهض في الصباح هي أن يجمع أمتمته تهيؤًا للرحل • وسرعان ما امتلأت حقبته وامتلأ كس السفر • فلما أزفت الساعة الناسعة جاءته مرفا اجناتفنا تلقي علمه سؤالها المألوف: وأبين تويد أن تتناول الشاي ، أهنا أم تحت ؟ ، • فنزل ايفان فيدوروفتش إلى الطابق الأرضى • كان يلوح عليه أنه يكاد يكون فرحاً رغم أن شيئاً من التمحل العصسي كان باديا في حركاته وفي أقواله. وبعد أن سلَّم على أبيه متوددًا حتى لقد سأله عن صحته خاصة " ، أعلن ، قبل أن يجمه أبوء عن سؤالهم انه مسافر الى موسكو بعد ساعة ، ورجا أن يؤمر باعداد الخيل • لم يظهو العجوز أية دهشة لاعلان ابنه سفره ونسى حتى أن يعيِّر عما اصطلع الناس على التميير عنه فى مثل هذه الأحوال من أسف ، فكان ذلك لايخلو من قلة اللياقة • وفى مقابل ذلك لم يفته أن يقلق فجأه على أمر من أموره الخاصة ، ورأى أن ينتهز الفرصة ليكلمه فيه • قال :

_ أوه ! كان ينبخى أن تبلغنى أمس • لا بأس على كل حال •••
سيتسع الوقت لحل هذه السألة • أرجو أن تقدم لى هذه الخدمة يا بنى
الشهم : توقف فى تشرماشنيا عابراً • لن يكون عليك ، حين تحسل الى
محطة فولفيا ، الا أن تعرج شهمالا مسافة اثنى عشر فوسحاً فى أكثر
تقدير ، فاذا أنت فى تشرماشنا •

ــ مستحيل • صدقنى • ان المسافة من هنا الى محطة القطار أربعة وعشرون فرسخاً ، وقطار موسكو يسافر فى الساعة السابعة مساء ، فلا يكاد يتسم وقتى لادراكه •

- تسافر فى قطار القد أو غداة القده أما اليوم فاذهب الى تشرمانشياه أيصمب عليك الى هذا الحد أن تقدم هذه المخدمة الصغيرة لأبيك ؟ لولا النه البقاء هنا الأسباب قاهرة لذهبت الى تشرمانشيا بنفى منذ زمن طويل و الأمر مستمجل وهام جدا ، ولكننى لا أستطيع الابتماد عن المنزل الآن وهوه الأن وهوام جدا ، ولكننى لا أستطيع الابتماد عن المنزل الآن وهوا الن فى تشرمانسسيا غابة من حصستين فى أراضى ثمانية آلاف روبل ثمناً لأشجارها المحدة للقطع ، على حين أن مشترياً آخر كان مستمدا فى المام المساضى لأن يدفع لى اتنى عشر ألف روبل يمكل سرور و لم يكن ذلك المسترى من هذه المنطقة ، وهذا هو تفسير الأمر، فما من سبيل الى الشور على مشتر من أهل المنطقة ، فأن آل ماسلوف فل من سبيل الى الشور على مشتر من أهل المنطقة ، لأن آل ماسلوف عليها ارادتهم فرض القانون و الووبلات يسيطرون على المقاطمة ويفرضون علىها ارادتهم فرض القانون و الكن القس يلنسكى كتب لى يوم الخميس فى وجههم وأن يصمد لهم و ولكن القس يلنسكى كتب لى يوم الخميس

الماضى يقول ان رجلاً اسمه جورستكين قد جاء يعرض شراء الاشجار، والرجل تاجر هو أيضا ، وأنا أعرفه ، انه من مدينة بوجريبونو ، وهو لا يختى آل ماسلوف، لأنه ليس من سكان المنطقة، انه يعرض أحد عشر ألف روبل نمناً للأشجار المعدة للقطع ، فهمت ؟ وقد ذكر لى القس أنه الآن فى تشرمانيا الى حين ، وأنه سيبارحها بعد أسبوع ، عليمك أن تغهب اليه لتناقس الأمر معه ،

ــ ما عليك الا أن تكتب للقس ، فيتم لك الصفقة !

القس رجل أعمى فى هذه الأمور شيئا ، ذلك هو المزعج ، ان هسنمد القس رجل أعمى فى النشؤن المملية ، ان له قلباً من ذهب ، واتنى لمستمد أن أودعه عشرين ألف روبل بدون وصل ، ولكنه تصير النظر حتى لقد يخدعه صوص ، ما هو من هذه الناحية برجل ، وهو مع ذلك عالم كبير، هل تتصور هذا ؟ ان هيئة جورستكين هذا هى هيئة فلاح ، وهو يرتدى قسيصاً أذرق ، لكنه وغسد كبير من سوء حظال جميعا ! انه يكذب كما يتنفس ، حتى لقد يراكم الكذب بعضسه فوق بعض لا لشيء الا لذة الكذب ! لقد روى منذ ثلاث سنين ، مثلا ، أن امرأته ماتت ، وأنه تزوج أمرأته لم يخطر بالها أن تموت ، وهى ما تزال حية وما تزال تضربه أمرأته لم يخطر بالها أن تموت ، وهى ما تزال حية وما تزال حيد عدض كل يوم ، فيجب أن تموف أولا أكان صادقاً أم كان كاذباً حين عدض أحد عشر ألف روبل ثمناً للأشهجار ،

انك لتعلم جيدا أتنى أنا أيضا لا أفهم في هذه الأمور شيئا • ففيم
 يمكنني أن أنفعك ؟

سريرته • ان له لحية صنيرة حمراء مبشرة ، فاذا أخذت هـسـذه اللحـة ترتعش بينما هو غاضب أثناء الكلام ، فاعلم أنه يقول صدقاً ويريد أن يتم الصفقة ؟ أما اذا رأيته يلاعب لحبته بيده اليسرى وهو يبتسم ، فاعلم أنه يراوغ ويمكر ويحاول أن يغش • لا تحاول أن تقرأ في عينيه • فلسن في وسمك أن تعرف بهذه الوسيلة شيئًا • انه وغد لثيم ، وما عيناه الا ماه عكر • وانما يجب عليك أن تنظر الى لحيته • سموف أعطيمك رسالة ، فما يكون عليك الا أن تناوله الرسالة • وليس اسمه الحقيقي جورستكين وانما اسمه في الواقع لياجافي * • ولكن اياك أن تخاطبه باسم لىاجافى ، والا استاء استياء رهبيا . ومتى تم الاتفاق ورأيت الأمور تجرى مجرى حسنًا ، فأبلنني ذلك فورا : يكفي أن تكتب اليَّ في هذه الحالة هذه العبارة : « ليس يكذب » • حاول أن تصر على الثمن الذي ذكرته لك ، وهو أحد عشر ألف روبل • ولا مانع أن تتناذل عن ألف روبل اذا اقتضى الأمر ، ولكن لا تتنازل عن أكثر من ذلك ، هذا مال يهبط على من السماء لأن المشترين نادرون في هذه الأيام • وأنا في حاجة ماسة الى هذا المبلغ ٠ انك لا تستطيع أن تتصور مدى حاجتي الشديدة اليه • فمتى أبلغتني أن الامر جد م وثبت الى هناك لأتم الصفقة ينسى • سوف أستطع أن أجد لهذا متسما من الوقت • أما أن أذهب الى هناك منذ الآن ، فليس ينفعني هذا في شيء ، لأن من الجائز أن يكون القس قد استرسل مع خياله • هيه ؟ اتفقنا ؟ أتذهب أم لا ؟

ــ لا يتسع وقتى ، فلا تحرجني !

_ أرجوك ، اصنع هذا الجميل لأبيك ! سأذكره لك ما حييت . أأتتم جميعا اذن بغير قلب ؟ ما قيمة يوم أو يومين زيادة ؟ الى أين تنوى أن تسافر ؟ الى البندقية ؟ ان البندقية لن تهوى الى قاع البحر خلال هذين المومين ! كان يمكن أن أرسل ألبوشا ، ولكن ألبوشا لا يفهم في هسفه الأمور شيئا • ولئن تجهت اليك فلأنك ذكى ، أنا أعرف ذلك • ما أنت بتاجر ، ولكنك ترى رؤية واضحة • المطلوب هو أن نعرف أهذا الرجل جاد فيما يقول أم غير جاد • أعود فأكرر أنه يكفى النظر الى لحيته ، فاذا ارتشت كان يقول صدقا •

صاح ايفان يقول وهو يضحك ضحكة خبيثة :

ـ سوف يكون الذنب ذنبك أخيراً اذا أنا ذهبت الى تشرماشنيا هذه اللعينة •

تظاهر فيدور بافلوفتش بأنه لم يلاحظ النبرة المعادية في كلام ابنه، ولكنه تشبث بهذء الصيحة على الفور فقال :

 اذن وافقت ، وافقت على أن تذهب الى تشرماشـــنيا • سأكتب الرسالة الصفيرة حالاً •

ــ لا أدرى بعد أأذهب أم لا أذهب • سأقرر ذلك أثناء الطريق •

ــ لماذا أثناء الطريق ؟ قرر حالا !.بادرة طبية ً يا عزيزى ! فاذا سُوتَى الأمر وتعت الصفقة ، كتبت الى ً سطرين تودعهما القس ، فيبادر الى ارسالهما الى ً بنير ابطاء ، ولك بعد ذلك أن تسافر الى البندقية ، فلن أمنمك ، وسبعيدك القس الى محطة فولوفيا بعربته ه...

تهلل السجوز فرحاً • وأسرع يكتب الى التاجر رسالة قصيرة • ثم أمر باعداد العربة • وجيء للرجلين بوجبة خفيفة باردة ، وجيء لهما بكونياك • ان عادة فيدور بافلوفتش أن يصبح في لحظات السمادة منطلقاً كثير الكلام والحركة، ولكن كان يبدو في هذه المرة أنه يحاول السيطرة على نفسه • وقد تحاشى أيضا أن يجيء على ذكر دمترى فيدوروفتش • ولم يكن يلوح عليه من جهة أخسرى أنه متأثر لفسراق ابنه ، وكان صامتا كأنه أصبح لا يعجد ما يقوله ، فوجيء ايفان بذلك ، وقال يحدد نفسه : « لا شك أن وجودى يضايقه منذ زمن » ، ومع ذلك فان المعجوز حين شبع ابنه الى درجات الباب بدا متأثرا بعض التأثر وتظاهر بأنه يريد أن يقبلة ، ولكن اينان أسرع يمد اليه يده ، راغا في تحانى القبلات رغية واضحة لا تخفى على الناظر ، أدرك أبوه ذلك ، فلجم اندفاعت وأمسك عن تقبيله ؛ وأخذ يقول مردداً من على درجات الباب :

كان الله في رعايتك ، كان الله في رعايتك • سوف تأتى لرؤيتى
 في يوم من الأيام ، أليس كذلك ؟ أهلا وسهلا بك في منزلى دائما •
 اذهب ، ولكن المسج معك !

ركب ايفان فيدوروفتش العموبة • وصماح أبوء يقول له مرة أخيرة :

_ في أمان الله يا ايفان • لا تؤاخذ أباك!

وكان الخدم قد خرجوا للوداع • كان هناك سمردياكوف ومارفا وجريجورى • أعطى ايفان كلا منهم عشرة روبلات • وحين اسستقر ايفان فى العربة أسرع سمردياكوف يرتم الأغطية • فقال له ايضان فدورونش وهو يضحك ضحكة عصية صغيرة :

_ أرأيت ؟ هأناذا ذاهب الى تشرماشنيا أخيراً !

وكما حدث بالأمس ، تسال ايفان لماذا شعر بالحاجة الى أن يبلغ سمردياكوف ذلك ، ولقد ظل يتذكر هذا الامر كتيراً في الستقبل ·

_ صحيح اذن أنه يلذ للمرء أحيانا أن يتحدث مع رجل ذكى ، كما يقول الناس • هكذا أجاب سمردياكوف بصوت قاطع جازم وهو يفرس في ايفان فيدوروفتش نظرة نافذة •

تحركت العربة ، وانطلقت تعدو ، كان المسافر في البداية في حالة نفسة مضطربة ، وكان ينظر الى ما حوله بشراهة ، متأملاً الحقول والروابي والأشجار • ومر َّ سرب من الأوز البرى فوقه ، محلقاً في السماء الصافية • فاذا بايفان يشمر بسعادة خفيفة على حين فجأة • فخاطب الحوذي ، واهتم اهتماماً قوياً بعبواب أجابه الحوذي ، ومع ذلك رأى بمد بضمة لحظات أن الضجة قد حالت بينه وبين سماع كلامه ، وانه لم يدرك ما أراد هذا الموجيك أن يقول له • ولكنه صمت راضياً • الهواء نقي طري ۽ تشبط بعض النشاط ۽ والسماء صافية لا غوم فيها • وفي لحظة ما خطر باله ألوشا وكاترين • ولكنه ابتسم ابتسامة رفيقة ، وتنهد على الطيفين المسزيزين اللذين غسابا ، وحدث نفسمه قائلاً : سمسوف أراهما ، • ولم يلمث أن وصل الى محطة العربات. فأبدلت خله ، واستأنف طريقه الى فولوفيا • سأل ايفان نفسه فجأة : « لماذا قال لى انه يلدُ للمر، أحيانا ان يتحدث مع رجل ذكى ؟ ماذا كان يعنى بذلك ؟ ، • واستغرق هذا السؤال فكره أستفراقاً كاملاً • « ثم ما كانت حاجتي الى ابلاغه انني ذاهب الى تشرماشنا ؟ ، • ووصيات العربة أخيراً الى فولوفيا ، فتزل ايفان • أحاط به أصحاب العربات ، فناتشهم وساومهم ، وانتهى الى تحديد أجر ايصاله بخبول ممتازة الى تشرماشنيا التي تبعد مسافة اتني عشر فرسخًا في طريق زراعي • أمر بأن تُقرن الخيل ، ثم دخل الى المحطة ، فألقى نظرة على القاعة ، ثم اذا به يخرج فيقف على درجات الباب ويقول:

ـــ لن أذهب الى تشرماشنيا • قولوا لى يا شباب : هل يمكننى أن أدرك قطار الساعة السابعة ؟

- _ ستدركه . هل نقرن الخيل ؟
- ــ اقرنوها فوراً هل منكم أحد يذهب الى المدينة غداً ؟
 - ـ طبعاً مترى ذاهب اليها •
- حل لی منك بجمیل تصنعه لی یا متری ؟ اذهب الی أبی فیدور بافلوفتش كارامازوف ، وقل له اننی لم أذهب الی تشرماشنیا هل تستطیع آن تفعل ذلك ؟
 - ــ لم لا ؟ اتنى أعرف فيدور بافلوفتش منذ زمن طويل •
 - _ خذ هذه المكافأة ، لأن من الجائز أن لا يعطيك شيئاً .
- قال ایفان ذلك وهو یضحك فرحاً فأجابه متری وهو یضحك أیضاً :
- لجماً أنا أعرف أنه لن يعطيني شـــيثاً شكراً يا سيدى •
 سأذهب اليه حتماً •

فى الساعة السابعة من المساء ، استقر ايفان فى حافلة القطار الذى أقله سريعاً الى موسكو ، « ألا فليتعد عنى الماضى ! لقد قطمت صلتى الى الأبد والعالم الذى عشت فيه ، ولا أريد بعد اليهوم أن أتذكره ! ألا فليختف هذا الماضى من نفسى ! ألا فليقطع عن الوصول الى مسمعى أي نداء من الحياة التى أبارحها ! اننى أسافر لا ألوى على شيء ولا التفت الى وراء ! هيّا الى مستقبل جديد ، الى أمكنة مجهولة ! » بهذا كان ايفان يحدث نفسه ، ولكنه بدلاً من أن يشعر بالفرح ، أحس بعضض شديد يتجمش صدره ، وامتلاً قلبه بحزن أليم لم يشعر بمثله من قبل، ظل طوال اللي يفكر ويتأمل ، وسط قرقمة القطار الذى كان يعجرى بسرعة كبيرة، وعند الفجر ، بينما كان القطار يقترب من موسكو ، خسرج ايفان من

خدره فجأة ، ودمدم يقول :

_ أنا انسان تعسى !

أما فيدور بافلوفتش فقد شعر بسعادة كبيرة بعد أن ودَّع ابنه ء وظل خلال ساعتين في حالة قريبة من الهناءة والغبطة ، يفرغ في جوفه قدحاً من الكونياك بين الفينة والفينة • غير أن حادثاً ألماً قد حدث في المنزل بعد ذلك ، قاذ: هو يبدل الحالة النفسية التي كان علمه السجوز تبديلاً كاملاً ، واذا هو يفرقه في اضطراب شديد . أن سمر دياكوف الذي ذهب الى القبو قد سقط من على أول درجة ، وتدحرج الى أسفل الدرج • ومن حسن الحظ أن مارفا اجناتفنا كانت في فناء المنزل عندثذ ، فعرفت هذه النازلة التي وقعت • انها لم تدرك ضحة السقوط ، ولكنهـــا سمعت تلك الصرخة الغريبة الخاصة الني تعرفها منذ عهد بعد ، أعنى الصرخة التي تنطلق من صدر المريض بالصرع عند أول النوبة • لقد كان يستحيل أن يعرف أحد هل وافت النوبة سمردياكوف حين وضع قدمه على السلم فكان لا بد أن يتدحرج الى آخــر الدرجات لأنه أغمي عليه ، أم أن السقوط والارتجاج الذي نشأ عن السقوط هما اللذان سبيا له نوبة الصرع • المهم على كل حال ان سيمردياكوف و'جد في قاع الكهف تهزه تشنجات قوية ويخرج من فمه زبد ، وقد ظُنُن في أول الأمر أنه قد جُرْح حين سقط ، وأن ساقه أو ذراعه قد كسرت ، ولكن تَبِيِّن أَن « الله قد سلَّمه » على حد تعبير مارفا اجناتفنا ، فلم يُصب بأى أذى • ومع ذلك كان نقله من القبو الى الهواء الطلق شاقاً • وقد أمكن نقله أخبراً بغضل الجبران الذي هرعوا يسساعدون • وحضر فيدور بافلوفتش مهمة النقل بل وساعد في حمل المريض ، وهو يشعر بقلق شديد واضطراب عظيم •

ظل سمر دياكوف غائبًا عن وعيه • وكانت التشنجات تنقطع أحيانًا

ولكنها ما تلبث أن تعود بعد قليل • وأجمع الرأى على أن الأمور ستجرى في هذه المرة كما جرت في السنة الماضية حين سقط سمردياكوف من طابق الشونة • وتذكروا أن الدكتور هرتسنشتويه قد وصف له حنذاك اللجاً يوضع على جينه ، وكان ما يزال في القبو بعض الثلج ، فتولت مارفا اجناتفنا أمر العناية بالمريض، حتى اذا كان المساء استدعى فيدور بافلوفتش الدكتور هرتسنشتوبه ، فلم يلبث الدكتــور أن جاء ، فعــــد أن فحص المريض فحصاً دقيقاً (وهو أكثر أطباء المنطقة دقة وأشدهم عناية ، كما أنه من أحق الناس بالاحترام ، وقد طمن في السن كثيرا) ، أعلن أن النوبة خطيرة يمكن أن « تعرض الحاة للخطر » ، وأضاف الى ذلك أنه لم يفهم الحالة كثيرا بمد ، ولكنه سيرجع من الغد ، فيصف دواء جديدا اذا اتضم أن الاجمراءات السابقة لم تعجمه المريض نفعاً • وأرُّرقد سمودياكوف في ملحقات المنزل، في غرفة تتاخم غرفة جريجوري ومارفا اجناتفنا • وفي أثناء ذلك النهار عرف فيدور بافلوفتش سلسلة متصلة غير منقطعة من المكدرات والمنفصات ، أولها وجبة الطعام التي أعدتها مارقا اجناتفنا والتي كان حساؤها ، اذا قس بحساء سمردياكوف ، لا يفضل كثيرًا د ماء النسيل ، ، أما لحم طيورها فكان من القسوة بحيث لا يمكن مضغه ؟ وحين لام رب المنزل مارفا اجناتفنا على ذلك لوماً مراً وان يكن مسوًّغاً ، أجابت المرأة بأن الدجاجة عحوز ، كما أنها هي مارفا نم توظف في منزل رب البيت طباخة ! وفي الساء حلَّ بفدور بافلوفتش مكدُّر جدید : أَأَبْلُمْ أَنْ جَریجوری ، وهو مریض منذ یومین ، قد لزم سریر. وأن مرض اللماجو الذي يعاني منه قد جمَّده تماما • وأسرع فدور بافلوفتش يحتسي شايه ، وسحن نفسه في المنزل وحيدا . انه في حالة ترقب مهموم مغموم ، وانه لمضطرب اضمطرابا شديدا ، فهو يعتقد أن جروشنكا ستأتى في هذا الساء نفسه ، وهـــو يكاد يكون من ذلك على يقين ، لأن سمردياكوف قد أكد له في ساعة ميكوة من الصياح و أنها وعدت بالمجيء هذه المرة ، كان قلب السجوز الفاسق يخفق خفقانا يكاد يحطم صدره ، وهو يمشى بلا توقف خلال غرفه المقفرة ، مصيحاً بسمعه الى كن ركن من الأركان ؟ ذلك أن عليه أن يكون يقظاً كل اليقظة ، لأن من الجائز أن يرقب دمترى فيدوروفتش مرور المرأة الشابة ، فمتى قرعت النافذة (وكان سمردياكوفى قد أكد لفيدور بافلوفتش ، منسذ يومين ، أنه قد ذكر لها أين ومتى يحجب عليها أن تقرع) كان عليه أن يمرع الى الباب لا يضيعً خلطة واحدة ، ولا يحجلها تنظر في غير داع الى انتظار ، لأنها قد تخاف في الظلام فتهرب لا سمع الله ! كان فيدور بافلوفتش قلقا اذن ، ولكن نفسه لم يهدهدها في يوم من الأيام أمل أعذب من هذا الأمل : ألم يكن في وسعه أن يؤكد بما يشبه اليقين أنها ستأدر أخوراً في ذلك الموم ؟! البابالسادس الراهبب الروسي

الشيخ زوسيما وضيوف

أليوشا غرقة الشيخ قلقاً قد هـد ً قلبـه الألم ، ولكنه توقف على العتبة وقد استبدت به دهشــة قوية : فانه بدلاً من أن يرى المريض المحتضر الذي لمله غاب عن وعبـه ، رأى الشخ جالساً

في مقعد و صحيح أن وجه السنخ مرهق من التعب ، ولكن هذا الوجه ما يزال يعبر عن الشجاعة والمرح و وقد تحلق حول الشيخ زوار كان الشيخ يحادثهم وديماً هادئاً رابط الجأش فرحاً و والحق أنه لم ينهض الا قبل وصول ألبوشا بربع ساعة و أما الزوار فكانوا قد اجتمعوا في الحجرة منذ زمن طويل ، منتظرين صحوة الشيخ ، لأن الأب بائسي كان قد أكد لهم أن والمعلم سينهض حتماً من أجل أن يتحدث آخر مرة الى أحبة قلبه، كما أعلن ذلك هو نفسه ووعد به في هذا الصباح و ، و ان الأب بائسي يؤمن بهذا الوعد ، ويؤمن بكل ما قد يقوله الشيخ المحتضر ، وقد بلغ من قوة ايمانه أنه لو رأى الشيخ هامداً لا يتحرك ولا يتنفس ، لما صدتى أن الشيخ مات ، ما دام الشيخ قد وعده بأنه سينهض مرة أخرى ليودعه ، أو لتوقع أن يرثد الشيخ الى الحابة براً بوعده و وقد صراً له الشيخ أوسيما بوضوح كيد في الصباح ، قبل أن ينام و انه لن يموت الا بعد أن

يسعد مرة أخرى بالتحدث الى أعزته ، وبعد أن يرى من جديد تلك الوجوء التي أحبها، وبعد أن يفتح قلبه لهؤلاء جميعا آخر مرة، والذين اجتمعو. اسماع ذلك الحديث الذي يغلب على الفلن أنه آخر حديث ، انما كانرًا أقدم أصدقاء الشيخ وأشدهم اخلاصاً له. انهم أربعة : الراهبان الكاهنان جوزيف وبائسي ، والأب مشمل ، رئس رهمان المنسب ك ، وهو راهب كاهن أيضاً ، ما يزال شاباً بعض الشباب ، متواضع الأصل ، ليس على جانب كبير من العلم ، ولكنه صلب النفس ، قسوى الايمان بسيط ساذج ؟ ولئن كان قاسي المظهر ، فان في قليه حساسسية عميقة يحاول أن يكبتها حياءً وخجلاً • أما الزائر الرابع فهو الأخ آنتيم ، وهو راهب قصير ، طاعن في السن شديد التواضع ، قد خرج من بيئة فلاحين فقراء ، لا يكاد يمرف القراءة والكتابة ، رَفيق دائماً ، صحوت يندر أن يكلم أحداً • وهو خاضع مذعن أكثر من أى انســـان آخر ، وكأن عظمة الوجود الرهيبة التي لا يستطيع فكرء أن يرقى اليها قد روَّعته الى الأبد • لقد كان الأب زوسيما يحب هـــذا الراهب المرتمد الخائف حمّاً كثيراً ، وقد أظهر له خلال حاته كلها احتراماً عظمماً ، رغم أنه لس في هذا العالم الا قلة من الناس كان يمكن أن يخاطبها أقل مما يخاطب هذا الراهب المتواضع • ولقد عاش في صحبته مع ذلك سنين كثيرة ، لأنه طاف معه جميع أرجاء روسيا المقدسة • حدث ذلك منذ زمان بعید ، منــذ ما یقرب من أربعین عاماً ، أیام کان زوسیما یبدأ حياة الرهبنة بين جدران دير مظلم فقير في مقاطمة كوستروما • فعد أن دخل زوسيما ذلك الدير بزمن كثير ، كُلتَّف بأن يوافق الأخ آنتيم في جولاته لجمع الصدقات لهذا الدير الفقير .

كان هؤلاء الزوار جالسين في حجرة الشبخ الثانية ، أعنى الحجرة التي كان يتخذها مهجماً له ، والتي كانت كما ذكرنا ضيقة "جداً ، تبلغ من الغسيق أن الرهبان الأربعة (والراهب المبتدى، بورفير الذى ظل واقفاً) ولم يكادوا يجدون فيها متسماً لهم. لقد جاءوا بكراسيتهم من الفرفة الأخرى وصفوها حول مقمد الشيخ • كان النسق يهبط ، وكانت تغيى، الفرفة مصابح الزيت والشموع الموقدة أمام الأيقونات • فلما لمح الشيخ ألوشا الذى لبث واقفا على عتبة الباب من شدة اضطرابه ، ابتسم له ابتسامة فرحة ومداً لله يده قائلاً له :

_ طاب یومك یا بنی الطیب ، یاعزیزی ألبوشا الودیع • أجئت اذن ؟ لقد كنت أعلم أنك ستجیء!

فاقترب أليوشا منه ، واتحنى له حتى الأرض ، وأجهش باكياً • كان شيء ما يتمزق في قلبه ، وكانت نفسه منقبضة "انقباضاً شديداً ، فهو يتمنى أن ينفجر ناشجاً •

قال الشيخ مبتسما وهو يضع يده اليمني على وأس أليوشا :

ما بك؟ لما يحن خين البكاء على بعد • هأنت ذا تراني أتحدث في هدوء • ومن يدرى ؟ فقد أعيش عشرين عاما أخرى كما تمنت لى ذلك بالأمس تملك المرأة الطببة العزيزة التي جامت من فيشيجوريا وكانت تحمل بين ذراعيها صفيرتها اليزابث • اسأل اقة أن يحرس الأم والبنية ! (رسم الثمينغ اشارة العمليب وهو ينطق بهذه الكلمات) • هل حملت قرشها يا بورفير الى حدث قلت لك أن تحمله ؟

كان الشيخ يشير الى مبلغ الستين كوبك التى تصدقت بها أمس تلك المرأة الفرحة المحبة بالشيخ من أجل أن يهبها « لمن هو أفقر منها » • ان الصدقات التى من هذا النوع انما يتصدق بها أصحابها فى العادة على أثر نذر ينذرونه أحرارا فلا بد لهم من اقطاعه من حصيلة عملهم وقد أمر الشيخ فى ذلك المساء نفسه بأن يحمل بورقير هذا المبلغ الزهيد الى

امرأة فقيرة من ساكنات المدينة ، هي أرملة لها ولدان قد احترق منزلها في الآونة الأخيرة فأصبحت منسلة ذلك الحين تستعلى لتعيش ، أسرع بروفير يقول انه نفذ الأمر فأعطى المرأة الفقيرة ذلك المبلغ قائلاً انه من « محسنة لم تشأ أن تذكر اسمها » ،

تابع الشيخ كلامه يقول لأليوشا :

انهض یا صدیقی العزیز لأراك قلیلاً • هل ذهبت الی ذویك ،
 وهل رأیت أخاك ؟

د'هش أليوشا من سؤال الشيخ عن أحد أخويه بمثل هذا الالحاح، ولكن أى الأخوين يقصد ؟ هل يُستتج من ذلك أن الشيخ انما أرسله الى المدينة أمس واليوم بسبب هذا الأخ ؟

أجاب أليوشا قائلاً :

ـ رأيت أحد أخوى ؟

م أقسم أخاك الأكبر ، أخماك ذاك الرهيب الذي سجمت له أمس .

ـ ذاك لم أره الا أمس ، ولم أستطع أن ألقاه اليوم •

ـــ حاول ن تهتدى اليه بسرعة • عد الى المدينة من الغد لرؤيته • دع كل شىء ، ولكن رتب أمورك لادراكه • ربما كان لا يزال فىالوقت متسع لتجنب مصية • لقد الحنيت أمس للآلام الكبرى التى تنظره •

وصمت الشيخ فجأة ، وشرد فكر، كأنه يحلم ، لقد كانت أقواله غريبة ، وهذا هو الأب جوزيف الذي شهد بالأسس تحية الشيخ لدمترى يبادل الأب باليسى نظرة ، ولم يستطع أليوشا أن يتمالك نفسه ، فعساح يقول وقد استولى عليه انفعال شديد : ـــ أبى ومعلمى ! ان ما قلته الآن يبدو غامضاً مسرفاً فى الغموض ••• ما هى المحن التى تنتظره ؟

لا تعاول أن تعرف ذلك و لقد ترامى لى بالأمس أننى أدرك شيئا وهيياً وو لقد قرأت مصيره في نظرته و رأيت في لخلة معينة تعبيراً خاصاً في عينه و و و مسيراً أرعشني بسبب المصير الذي يهيء هذا الانسان له نفسه و سبق لى مرة أو مرتين في الماضى أن لاحظت ذلك التمبير وا أسغاه ! ولقد أرسلتك اليه يا أليوشا آملا أن تسلطيع كلمة "أخوية أن تساعده بعض المساعدة ولكن مصيرنا جيما هو بين يدى الربه و ان لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى و حسدها ، ولكن ان مات تأتى بشمسر كبير ، * احفظ هذه الحقيقية و أما أنت يا أليوشسا فكثيراً ما باركتك أضاف الشيخ يقسول وهو يبتسم في فكرى بسبب تمبير وجهك (كذلك أضاف الشيخ يقسول وهو يبتسم تميش في العالم كراهب و سيكون لك أعداء كبيرون ، ولكنهم سيحبونك هم أيضا و ان الحياة تخبىء لك آلاماً كبيرة ، ولكنك بهذه الآلام انما ستسمد وستبارك الوجود ، ومتحمل الآخرين أيضا على أن باركوه ، مستسمد وستبارك الوجود ، ومتحمل الآخرين أيضا على أن باركوه ، مستسمد وستبارك الوجود ، ومتحمل الآخرين أيضا على أن باركوه ،

ثم التفت الشيخ الى زواره فقـــال يخاطبهم وهو يبتسسم ابتسامة ودوداً :

یا آبائی ومعلمی تا انتی لم أفل الی الآن حتی لهذا الفتی لمساذا
 یستمذب قلبی وجهه • فسأسر الیکم الآن بهذا • کنت أری فی قسمائه
 ذکری الماضی و نذیر المستقبل • ففی فجر حیاتی ، حین کنت لا أزال فی
 سن الطفولة ، کان لی أخ أکبر مات أمام عینی فی ریعان شبابه ولیاً یکمل

السنة السابعة عشرة من عمره • ولقد رسخ في اعتقادي أثناء حياتي ، شئًا بعد شيء ، أن هذا الأخ قد كان له في تحديد مصيري دور حاسم ، وأُنه كان لى نذيراً واشارةً من الملأ الأعلى ، ويقيني أنني لولاه لما سرت في طريق الرهينة ولا اخترت الدرب الذي قادني الى السعادة • ان هذا التجل الأول للمناية الالهمة قد حدث في فجر أيامي، وهأناذا أرى تكرره في خاتمة المطاف من طريقي + انه لشيء بارز ، يا آبائي ومعلمي " ، أن ألكس الذي لا يشبه أخي ذاك كثيرا بوجهه ــ فانه ليس له منه الا بعض السمات الخارجة ـ قد بدا لي شمها به كل الشمه من الناحة الروحة. وياطاً حسبته ذلك الأخ المراهق نفسه الذي كان لي في الماضي وقد آب اليُّ الآن أوبة " سرية في أواخـــر أيامي ذكري من الماضي ونداء " الى التأمل ، حتى لقد دُهشت أنا نفسي في يعض الأحيان من غرابة هــــذه الظاهرة ودهشت من غرابة الحلم الذي كان يغرقني فيه • هل تسممني يا بروفير ؟ (كذلك قال يخاطب الراهب المبتدىء المكلف بخدمته) • كم من مرة لاحظت فيك تمبيراً عن الحزن لأنني أحب ألكسي أكثر ممما أحبك • فهأنت ذا تعرف سبب ذلك الآن • ولكن اعلم أنني أحبك كثيرا أنت أيضًا ، وطالما أحزنني حزنك . يا ضوفي الأعزاء ، اسمحوا لي أز. أحدثكم عن أخي الفتي ذاك ، لأنني لم أعرف في حياتي طيفاً أحب من طفه الى قلمي ، ولا أشد تأثيراً في نفسي ، ولا أصحدق نبوءً في كل شأن من شئوني • ان قلبي ممتلىء به في هذه اللحظة ، لأنني أرى فيسه حياتي مرة أخرى رؤية كاملة كأتني أعيشها من جديد ٥٠٠

يجب أن أنبه القارىء هنا الى أن هذا الحديث الأخير الذى أجراه النسيخ مع أصدقائه الذين تحلقوا حوله فى آخر يوم من أيام حياته قد حُفظ بعضه مكتوباً • ذلك أن ألكسى فيدوروفتش كارامازوف قد سجله بعد موت الشيخ بقليل • لا أستطيع أن أقطع على وجه اليقين بأن ما رواه

ألكسي هو تص ذلك الحديث تماما ، وأن ألكسي لم يضف الى النص فقرات استمدها من أحاديث سابقة لمعلمه • ويجب أن تلاحظ من جهة أخرى أن ما سجله الكسى يوهم بأن الشيخ قد ألقى خطابا متصلاً حتى يروى قصة حياته لزواره ، مع أن الشهادات تجمع على أن الأمور جرت في الواقع مجرى آخر يختلف عن هذا المجرى بعض الاختلاف في ذلك المساء • فالحديث قد كان عاما ، ورغم أن أصـــدقاء الشيخ لم يقاطعوه كثيرا ، فقد تدخلوا في الحديث يضيفون كلمة شيخصية وملاحظيات شخصية وربما مساراًت عن حياتهم هم • ثم انه لم يكن من الممكن أن يتكلم الشيخ بلا توقف ، لأن أنفاسه كانت تتقطع دائما ، ولأن صوته كان يضعف على حين فجأة ، ولقد اضطر مرارا أن يمضى الى سريره يستريح علمه مفتوح العينين بينما ضيوفه في أماكنهم لم يبارحوها • ولقد تخللت الحديث ، مرة " أو مرتين ، قراءة آيات في الأناجيل قرأها الأب يائيسي جهراً • ويعجب أن تذكر أن أحداً من الحضور لم يتنبأ بأن الشيخ سبموت في تلك اللملة تفسها ، لا سيما وأنه قد بدا عليه في ذلك المساء الأخسير أنه قد استرد قوة جديدة على أثر نومه أثناء النهار ؟ وهذه القوى التي استردها على هذا النحو قد شدت أزره وعززت عزيمته طوال الحسديث الذي أجراء مع أصدقائه • كان ذلك أشبه بوقدة أخيرة من الحياة أذكت روحه اذكاءٌ قَوياً ، ولكنها أذكتها وقتــاً قصيراً جداً ، لأن روحه فاضت دفعة " واحدة على حين فجأة ، وعن هذا سأتكلم فيما بعد على كل حال. أما الآن فحسبي أن أقول انني آثرت أن أسقط التفاصيل من حساما الحديث ، وأن أقتصر على ما رواه الشيخ ، معتمدا على المخطوطة التي خلفها ألكسي فمدوروفتش كارامازوف ، فذلك أقرب الى الايجاز وأبعد عن الاملال ، رغم أن أليوشا ، كما سبق أن قلت ذلك ، قد ضمَّن مادو َّنه فقرات كثيرة استمدها من أحاديث سابقة له مع الشيخ •

حياة الشيخ زوسيما ، مستمدة من المسارًات النج عها ودقينا ألكس فيدور فتش كارامازوف

(أ) أخو الشيخ زوسيما

ومعلميَّ الأحبة ! ولدت بمسدينة ف ••• في مقاطعة نائية بشمال روسيا • كان أبي من طبقة النبلاء ، ولكنه من صفار النبلاء ، ولم يكن يحتل رتبة عالية في سلم رتب الدولة • وقد مات ولمًا

أتجاوز السنة الثانية من عمرى ، فليس فى ذهنى أية ذكرى عنه ، وقد ترك لأمى منزلاً من خشب ، ليس بالكبير ، وترك لها رأس مال متواضعاء ولكنه كافي لأن تميش مع أولادها فى منجى من الموز ، كنا ولدين ، أخى الأكبر ، مارسيل، وأنا ، زينوفى ، كانأخى أكبر منى شانية أعوام ، وكان جامع الطبع شديد النزق ، ولكنه كان طيب القلب ، لا يسخر من الآخرين قط ، وكان كثير الصمت الى حد غريب ، ولا سيما مع ذويه ، أى ممى ومع أمى ومع المخدم ، وكان فى المدرسة معجداً مجتهداً يبرهن على أنه ينم بذكاء قوى ، ومع ذلك كان لا يألف رفاقه فى المدرسة كثيراً، ولكنه لا يشاجرهم أيضا ، تملك هى على الأقل الذكرى التى حفظتها أمى عنه ، وقبل نهايته بستة آمهر ، بينما كان يدخل السنة الثامنة عشرة من عمره ، عوقت الصلة بينه وبين رجلي كان يسيش فى مدينتنا حياة اعتزال، عمره ، توقت الصلة بينه وبين رجلي كان يسيش فى مدينتنا حياة اعتزال،

رجل يشبه أن يكون منفياً سياسياً ، لأنه 'أجبر على أن يغادر موسكو بأمر سام ، وأن يحدُّد اقامته في مدينتنا بسبب آرائه اللبرالية • كان هــذا الرَّجُل عالمًا كبيرًا وفيلسوفا تقدره الأوساط الجامعية قدرًا كبيرًا • وقد شعر بشمور الصداقة نحو أخى مارسيل ، لا أدرى لماذا ، فكان يستقبله كثيراً في منزله • فقضي أخي عند هذا الرجل سهرات طويلة ، على مدى فصل الشتاء كله ، الى أن استُدعى الرجل الى سان بطرسبرج بطلب منه ، ليُعهد اليه بمنصب رسمي ، لأنه كان ذا صلات عالية . كان هذا في وقت الصيام الكبير ، وقد رفض أخى أن يصوم ، مستهزئاً بالعبادات متهكماً عليهـا مستخفاً بها محقَّرا لهـا ، حتى لقــد قال « هذه سخافات وأباطيل الكلام ، أنا وأمى والخدم! لقـــد شعرت حين سمعت قوله ذاك بهول رهيب ، رغم أنني لم أكن قد تجاوزت السنة التاسعة من عمري في ذلك الحين • وكان جميع خدمنا ، وهم أربعة فحسب ، أقدَّناً اشتريناهم من رجل من مالكي الأطيان كنا على صلة به • وما زلت أتذكر اليوم الذي باعت أمى فيه احدى خادماتنا ، وهي الطباخة العجوز العرجاء أوفيميا ، بسبعين روبلاً ورقاً ، واستخدمت بدلاً منها خادماً ليست من الأقنان • وها هو ذا أخى يُصاب بمرض أثناء الأسبوع السادس من الصيام الكبير. لقد كان أخى ضعيف البنية كثير المرض ، مستعداً للاصابة بالسل • انه قصير القد نحيل القامة هزيل النجسم ، ولكنه وسيم الطلعة جميل الوجه. تُرى هل أصبابه برد؟ المهم أن الطبيب الذي كان يمالجه قد أسر ً الى أمى خفية " أن مارسيل مصاب بسل يتفاقم تفاقماً سريعا وأنه لن يعيش الى آخر الربيع • فأخذت أمى تبكى وتضرعت الى مارسسيل محاذ رة" (حتى لا تروُّعه خاصة ً) أن يتناول القربان المقدس في عبد الفصح • ذلك أنه لم يكن قد اضطر بعد ُ الى ملازمة الفراش • فأجابها أخى غاضبا

وحقَّر الكنيسة وأهانها وشتمها ثم أطرق يفكر شارد اللب • لقد أدرك خطورة حالته حين رأى الحاح أمي عليه أن يذهب الى الكنيسة لتناول القربان المقدس ما دام لا يزال يملك من القوة ما يسمح له بذلك • ثم انه كان يمرف منذ زمن طويل أنه مريض ، حتى لقد قال لنا منذ مايقرب من عام ، بنما كنا على المـــائدة أنا وهو وأمى : « اتنى لن أعيش زمناً طويلاً ، وقد لا أكون معكم بعد سنة ، • وها قد تحقق ما كان يوجسه • انقضت أيام ودخلنا الأسبوع المقدس • فاذا بأخي يذهب الى الكنيسة منذ صباح النسلاناء قائلاً لأمى : « انني أذهب الى الكنيسة من أجلك أنت يا أماه ، وذلك حتى تطمئني بالاً وتهدئي نفساً • ، • فكت أمي ، فرحاً في أول الأمر ، وحزناً وألماً بعد ذلك ، وحدثت نفسها قائلة : « لا شك أن نهايته قريبة ما دام قد حدث هذ التبدل فيه ، • ولم يتج له أن يكنر من الدهاب الى الكنيسة ، لأنه اضطر الى ملازمة الفراش ، فصار يعترف ويتناول في المنزل • لقد جاء الفصح متأخراً في ذلك العام • الأيام صافحة مضيَّة ، والهواء عبق معطَّر ، أذكـــر أن أخى كان يسمل في جميــع الليالي ، ولا يكاد ينام • حتى اذا طلع الصباح ارتدى ملابسه وحاول أن يجلس على أريكة • وفي هذه الصورة انما أراه الآن : جالساً ، وديماً ، رقيقًا ، مبتسمًا ، مريضًا جدًا ولكنه مرح جدًا ، سعيد جدًا في الظاهر • لقد تبدلت نفسه تبدلاً كبيرا ، فبدا لي هذا التبدل خارقاً ، قالت له الخادم العجوز يوما : « اسمح لي يا بني العزيز أن أشعل شمعة أمام الأيقونة في غرفتك ، • ما كان لأخي أن يرضى بهذا من قبل ، وربما نفخ على الشمعة فأطفأها • ولكنه قال يومثذ للخادم العجوز : « اشطى يا عزيزتمي ، اشعلي ! الأيقونة ، وأنا أيضا أصلتَى لله حين أنظر اليك ، لأن مرآك يبهج قلبي ، ونحن كلانا نصلي اذن لاله واحد ٠ ٥ ٠ بدت لنـــا تلك الأقوال غريةً

حنذاك • وكانت أمي لا تنفك تبكى خفية " ، وتنجفف دموعها قبـل أن تدنو منه ، محاولة أن تصطنع هيئة فرحة • فكان يقسمول لها في بعض الأحان : « لا تكي يا أماه ، يا ملاكي الصـــغير ، فلسوف أعش زمناً طويلاً ، ولسوف أبتهج معكم ، فجميلة هي الحياة ، وزاخرة بالسمادة والفرح! ، وكانت أمي تقول له عندئذ محتجة : « أين السعادة ، وأنت تصاب بالحمى في كل لبلة ، وتسعل حتى لبكاد ينفجر صدرك ؟ ، ، فعود يقول لها : « لا تبكي يا أماه ، فالحاة جنة نحن فيها جمعا ، ولكننا لا نريد أن تعترف بذلك ، فلو ارتضنا أن نسلتُم به لأصبحت الحياة جنةً " منذ اليوم ، • كانت هذه الأقوال تدهشنا ، لأنه كان يتكلم مقتنماً بما يقوله اقتناعاً عجبياً • وكنا تتأثر من هذا الكلام تأثراً قوياً ، فتترقرق في أعيننا الدموع • وكان يزورنا بعض الأصحاب فاذا هو يقول لهم : « يا أعزائي، يا أصدقائي الطبين ، ماذا فعلت حتى أستحق حكم ؟ كف تستطعون أن تحبوا شاباً مثلي ؟ ولماذا لم أعرف من قبل كنف أفهم عاطفتكم وكنف أقدرها ؟ه• وكان يكرر للخدم دائما قوله : « لماذا تخدمونني يا أصدقائمي الأعزة الطبيين ؟ ما الذي يجعلني أستحق أن تخدموني ؟ اذا منَّ عليَّ الله فأبقاني حياً ، فلأخدمنكم أنا ، لأن علينا أن يخدم بعضنا بعضا في هذه النحو ، فتقول له : «ان المرض هو الذي يوحي اليك بهذه الأفكار يابني»، فيجيبها قائلا : • أماه ، يا فرحة حياتي ! أنا أعلم أن العالم لا يمكن أن يوجد ما لم يكن هناك سادة وخدم ، ولكنني أتمنى أن أكون خادم خدمي، وأن أخدمهم كما يخدمونني ؟ وأحب أن تعلمي أيضًا ، ان كلاً منا مذت في حق الآخرين ومسئول عن جميع آلامهم • وأنا أكبر ذنها من سائر الناس! » • لم تستطع أمى أن تمنع نفسها من الضحك حين قال لها هذا

الكلام • وكانت تبكى وتضحك في آن واحد • سـألنه : • هلا ً قلت لي كيف تكون أكبر ذنبا من سائر الناس! ان العالم ملى اللصوص والقتلة، أما أنت فان وقتك لم يتسع حتى لارتكاب ذنب ومقسارفة اثم ! فكيف يمكنك أن تتهم نفسك هذا الاتهام ؟ ، • قال آخي: « أماه! ياحملي الوديم! (ذلك أنه كان يجد عندئذ ألفاظاً للملاطفة لا تخطر بالبال) ، يا فرحتى الكبيرة ، يا حمامتي اللطيفة ! أؤكد لك أن كل انسان في هذه الحياة الدنيا مرتكب جميع الذنوب ، في حق جميع النسساس! لا أدرى كف أشرح لك هذا آلأمر ، ولكنني أحسه ، أحسه احساسا قويا عنيفا الى حدِّ العَدَابِ • كيف رضينا أن نعيش حتى الآن غاضبين بغير انقطاع، لا تفهم من الحياة شيئًا ؟ » • وكان يستبقظ كل يوم وقد ازداد قلبه رقة وحنانا ، وطفحت نفسه فرحاً ومحة . وكان الطب المحوز آيسنشمدت، يموده أحيانا • فسأله أخى ذات يوم ضاحكا : « هيه يا دكتور ! أأعيش الى الفد؟ ، فأجابه الطب : « ستعش لا الى الفد فحسب ، وانما ستعش أياما وأشهراً بل وسنين ٠ ، ، فهتف عندثذ يقول : « ما خير أن يعيش المرء أشسهرا وسنين ؟ ان يوما واحدا لكاف من أجل أن يعرفالانسان كل سعادة هذا العالم • يا أصدقائي الأعزاء ! نحن مجانين اذ تنسساجر وتتباهى ويحقد بعضناً على بعض لاساءة نالته - ألا فلنخرج الى الحديقة فنيتهج ويحب بعضنا بعضاً ! ألا فَليتفن كل منا بفضائل أخيه ! ألا فلنتمانق ونمارك الحماة ! » • قال الطبيب لأمى حين شيعته الى درج الباب : « لن يعش ابنك طويلا • لقد اختل من المرض عقله • » • وكانت غرقته تطل على الحديقة الظلملة المليثة بالاشجار الكبيرة التي نبئت على فروعها البراعم؟ وكانت أوائل عصافير الربيع التى وصلت منذ زمن قصير تزقزق وتنرد تحت نوافذه ، فكان يتأملها طويلا ويسجب بها كثيرا ، حتى لقد أخذ في ذات يوم يستغفرها هي أيضًا قائلًا لها : «أيتها المصافير التي خلقها الله ، أيتما الطيور الصغيرة ، اغفرى لى أمت أيضا ، لأننى أذنبت فى حقك ! ، ، وبدا لنا هذا أمرا لا سيل الى فهمه قط ، وكان هو يبكى عطفاً وحناناً ، وقال شارحا : « نم ، لقد كانت عظمة الله مبسوطة أمامى : الطيور وقال شارحا : « نم ، لقد كانت عظمة الله مبسوطة أمامى : الطيور والأشجار و المراعى والسماوات ، كان كل شي، يتغنى بعظمة الله ويسبح بحدلية ، لأننى لم أكن أرى جمال الحياة وسناءها ، ، ، فكنت أمى تقول له باكة : « انك تنهم نفسك بعطايا كثيرة ، ، فيقول لها : « أماه مذنباً في حق المصنيح ؛ لا أعرف ، و وددت لو أكون مذنباً في حق المصنافير الصغيرة ! لا أسخطيع أن أشرح لك هذا ، كا أعرف كيف أشرح لك حبى إياها ، ألا فلاكن مذنباً في حقكم جميما ، فنففروا لى عند ثذ جميما ، تلك هي الجنة ، ألست الآن في الحذة ؟ ، ،

وكان يقول أشياء أخرى أصبحت لا أتذكرها • دخلت ذات يوم الى غرفته وكان وحده • كان ذلك في المساء بموالجو صساح مغي • به والشمس الفاربة تغرق الغرفة بأشعتها المائلة • فلما رآني أشار الى أن اقرب ، ثم وضع يديه على كتفي و أملني طويلاً متفرساً في عيني ، وقد بدا في وجهه حب وحنان • واتقضت على ذلك دقيقة دون أن ينطق بكلمة ثم أسبل يديه وقال في : • هيا العب الآن وانتهج ! انني أديد أن تحيا عني ! ، • خرجت ومضيت ألمب ؟ ولكنني كثيرا ما فكرت أتناء حياي ، والدموع في عيني ، في هذا الامر الذي أصدره الى الي وهو أن أحل محلك في هذا العالم • وفي مرات كثيرة بمسد ذلك عبر عن عواطف رائمة سامية رفيمة ، لم نكن نفهمها كثيرا في ذلك الحين • وانطفاً في الاسبوع الثالث بعد عيد الفصح ، واعيا كل الوعي ، صاحيا كل الصحوء ورغم أنه أصبح لا يتكلم في أواخر أيامه ، فقد ظل على ما كان عليه حتى

النهاية ، ينتظر الينا سعيدا فرحا متسما ، ويبحث عنا وينادينا يعنيه • وقد تكلم الناس عن موته كثيرا في مدينتنا • وأثر هذا المحادث في نفسي ولكن بدون افراط ، وإن أكن قد ذرفت دموعا سخينة " يوم الجنازة • لقد كنت صغيرا جدا ، كنت طفلا ، ولكن ذكرى هذا الأخ ستفلل قائمة في أعماق قلبي ، لتنتصب أمنى متى آن الأوان ، نداء " من الملأ الأعلى • هكذا جرت الأمور فعلا" •

ب ـ أثر الكتب المقدسة في حياة الاب زوسيما *

بقیت وحیدا مع أمی و ولم یلبت أصدفاء طیبون أن قالوا لها آنها تتحسن صنماً ، بعد أن لم یبق لها الا ابن واحد ، وما هی محرومة من الموادد ، أن ترسل هذا الابن الی سان بطرسبرج للدراسة ، علی غرار ما تقعل أسر بها أخری ؟ وأكد هؤلاء الأصدقاء أنها ، اذا هی احتفظت بابنها الی جانبها فی مدینة صغیرة ، تعرّضه للحرمان من مستقبل لامع و وأقسوا أمی أخیرا بأن تسجلنی فی د مدرسة المرشحین ، ببطرسبرج ، لاکون فی المستقبل ضابطا من ضباط الحرس الامبراطوری وقد ترددت أمی كثیراً فی العزم علی فراق ابنها الاخیر ، ولكنها اتحدت قرارها أخیرا فاطفتنی بمدرسة الاعداد العسكری هذه ، ثم لم أرها منذ ذلك الحین ، فأطفتنی بمدرسة الاعداد العسكری هذه ، ثم لم أرها منذ ذلك الحین ، لائاء حزناً علی ابنها الفقید ، ولا انقطم عن الارتماد قلقاً علی مصید الباقی ، وقد احتفظ خیالی بذكریات مضیئة عن المزاداد قلقاً علی مصید ابنها الباقی ، وقد احتفظ خیالی بذكریات مضیئة عن المزاداد قلقاً علی مصید ابنها الباقی ، وقد احتفظ خیالی بذكریات مضیئة عن المزاد التی یكون قد أحساها فی سنی طفواته ، الأمر كذلك دائداً متی كان الحب والوفاق أحساها فی سنی طفواته ، الأمر كذلك دائداً متی كان الحب والوفاق أحساها فی سنی طفواته ، الأمر كذلك دائداً متی كان الحب والوفاق أحد المساور القدار الحد الحد المساور المنا متی كان الحد والوفاق أحد المنا متی كان الحواته و المواق أحد المساور المنه المنا می كذب الحد العالی متی كان الحد والوفاق أحد المنا می كان الحد و المنا المنه والوفاق أحد المنا المنه المنه المنه المنه المنه المنا المنه و الوفاق أحد المنا المنه المن

مسيطرين على حياة الأسرة • ولكن ذكريات الطفولة يمكن أن تكون ذكريات سعيدة حتى في الأسر الممزقة متى كانت النفس قادرة على أن ترى وأن تجنى من عناصر الوجود ما هو طيب نييسل • ولقد ارتبطت الكتب المقدسة بذكريات طغولتي ، لأننى كنت أهتم بها أثناء طغولني في المنزل اهتماما كبيرا • كنت أملك كتابا فيه صور جميلة عنوانه : « مائة وأربع قصص مستمدة من التوراة والانجيل ، * ، وفي هذا الكتــاب انما تعلمتُ القراءة • وما يزال هذا الكتاب عندي حتى الآن • هو هنـــاك ، على الرف ، وأنا أحافظ عليه محافظتي على أثر ثمين جدا من آثار النصي. على انني أتذكر أن الانفعال الديني الأول الذي شعرت به * انما كان قبل تعلمي القراءة ، ولم أكن قد تجاوزت الثامنة من عمري حينذاك • لقد قادتني أمي الى الكنيسة للصلاة في وأسبوع آلام السيد المسيح، (لا أدري الآن أين كان أخي حنــذاك) ، وكان ذلك في يوم من أيام الاثنين • النهار صحو ، والشمس ساطعة ، وما زلت أرى حتى هذه اللحظة ، كأن الأمر قد وقع أمس ، ما زلت أرى أدخنــة البخور تتصاعد بطيئة نحــو القبة ؟ وفي أعلى الكنيسة كانت أشمة شمس الاله تنفذ من نافذة ضيقة هابطة تحونا ، فكانت أدخنة البخور كأنها تندفع لاستقبالها أمواجاً متسقة، ثم تنصهر في الضبياء الذهبي أخيرا • كنت أتأمل هذا المشهد معجباً ، وأحسست أن بذرة « كلمة الرب » 'تغرس في نفسي • وتقدم مراهق الى وسط المعبد • كان يحمل كتماباً كبيرا يبلغ من الثقمل أن الفتي كان يبدو أنه ينوء بحمله • وضع الفتى الكتاب على منضدة الترتيل ؟ ثم فتحه وأخذ يقرأ • فهمت في ذلك اليوم ، لأول مرة في حياتي ، ما يُقرأ في الكنيسة : كان يميش في أرض عوص رجل تقي صالح يملك ثروات طائلة ، ونوقاً لا حصر لمددها ، وقطعان خراف وحمير . وكان أولاده سعداء فرحين ، وكان يحبهم كثيرا ، ويصلي من أجلهم للرب • هــل

ارتكب هؤلاء الأولاد خطيئة ما في سعادتهم ؟ ذلك أن ابليس مثل يوما أمام الرب وقال له انه طاف الارض كلهــــا وما تبحت الارض • فسأله الرب : « هل رأيت عبدي أيوب ؟ ، • وتباهى الرب أمام ابلس بقداسة عده العظم أيوب • ولكن ابلس ضحك وأجاب : « مكّني منه فترى أنه سمصت وسلمن اسمك ، • فمكِّن الرب ابلس من عده الأمين الذي كان يحمه الرب كثيراً ؟ فضرب لشيطان قطعانه ، وضرب أولاده ، ودمر ثرواته ، وأرسل اليه جميع المصائب دفعة واحدة ، كأن صاعْقة من عند الله قد نزلت على داره • مَزَّق أيوب ثيابه ، وارتمى على الارض صائحاً : « لقد خرجت من بطن أمي عاريا ، وعاريا سأعود الى الارض • وهب الرب لي كل شيء ، والرب يسترد ما وهب • تبارك اسم :لرب ، الآن وفي كل حين ، • يا آبائي ومعلمي َّ ، ســامحوني اذا رأيتمــوني أسكب المرات في هذه اللحظة • ان طفولتي تنشق الآن أمامي ، حتى لحل الى أنني أتنفس كما كنت أتنفس في طفولتي بذلك الصدر الصغير، صدر الطفل الذي لم يتجاوز السنة الثامنة من عمره • ان ذلك الانفعال نفسه الذي أحسست به يومذاك يغزوني في هسند اللحظة ، فاذا أنا مدهوش مغتون كما كنت مدهوشا مفتونا في ذلك اليوم البعيد بالكنيسة. لقد أحدثت تلك النوق تأثيرا قوياً في خيالي ، وأذهلتني قصة الشيطان الذي كلم الرب ، وشدهني قرار الرب أن يمكِّن الشيطان من عبده الأمين ، وكذلك هتاف العبد مخاطباً ربه : « تبارك اسمك ، رغم أنك تعاقبني ، • ثم تصاعدت في الكنسة أغنية رقيقة جـــدا : • سمع الله لصلاتي ، • وارتفعت أدخنة البخور ، وركع المصلون • ومنذ ذلك الحين أصحت لا أستطع أن أقرأ تلك القصة المقدسة _ وقد حدث لي هذا أمس أيضًا ــ الا وتنسكب الدموع من عيني • ما أروع العظمة والسرُّ الخارقين اللذين ينبعان من هذا النص! لقد اتفق لى أن سمعت تقــداً لهذا النص من أناس يقبُّحون الدين ويثلبونه ، أنس أعماهم غرورهم وصلفهم ، فهم يسخرون مما لا يفهمون ؟ قالوا : « كيف يمكنِّن الربُّ الشيطان من قديسه الأثير ، فستهزئ الشيطان بالقديس ، ويخطف أولاده ، ويرسل اليه الأمراض ، ويغطى جسمه بالجروح ، حتى صار يزاح القبع عن قروحه بشقفة من فعاد ؟ أكل هذا من أجل أن يتباهى الرب أمام الشيطان قائلاً : « انظر ماذا يستطيع أن يتحمله واحد من أولائي الصالحين في سبيل محبتي ! ، ؟ لقد غاب عن هؤلاء الناقدين أن عظمة هذه القصة انما هي في هذا السرُّ الذي يتأكد فيها! ان المظاهر العرضية للحياة الارضية تلامس في هذه القصيمة الحقيقة الأبدية التي لا تدركها • فمن خلال ما يبدو لنا على أنه واقع الأرض ، يتجلى فعمل قوة أبدية تفوق هذا الواقع • ان الخالق في هذه القصية يتصرف كما تصرف في الآيام الاولى من الخلق حين قال انه أبدع فيما صنع • انه ينظر الى أيوب فيهجه أنه خلقه • وأيوب الذي يمجد الرب لا يخدم الرب وحده بل يخدم الخليقة أيضا ، من عصر الى عصر ومن جيل الى جِلَ ، فذلك هو ما يُستِّر له • رباء ما أروعه سفراً ، وما أروعها تعاليم! ما أعظم الكتب المقدسة ، وما أكبر تلك القوة المعجـــزة التي توقظها في الانسان ! لكأنها صورة الكون والانسان نفسه • كل شيء قد قبل فيها وأعلن لقرون • ما أعظم الأسرار التي تكشف عنها وتحلها ! ان الرب يرد السعادة الى أيوب ، ويهب له ثروات جديدة ؟ وتنقضي أعوام فيولد له أولاد آخرون يحبهم أيضا • رباه ! قد يتساءل متسمائل : • فكيف استطاع أن يحمم وقد عال أبناؤه الأول الى غير رجعة ؟ هل يمكن أن يشعر بأنه سميد حقاً بين أولاده الجدد ، مهما يكونوا أحبة " في قلبه ، اذا هو تذكر أواثك الذين غابوا الى الأبد؟ ، • الحق أنه كن يستطبع أن يشعر بالسعادة ، لأن الآلام القديمة تهدأ بمرور الزمن ، ويطامنهـــا

سر ُ الطبيعة الانسانية الكبير ، وتستحيل شيئًا فشيئًا الى افراح ساجية • ان العدم الذي يغلي في سن الشباب يفسح المجال في الشبخوخة لهمدوء ساكن • اننى أبارك في جميع الأيام طلوع الشمس ، وإن قلمي لستهج بشروقها كم كان يبتهج به في الماضي ، ولكنني أوثر اليوم محد الكوكب الغارب وأشمته المائلة التي توقظ في نفسي ذكريات بعيدة عذبة ، وتحيي أطياف الماضي الحبيبة من حياة طويلة سمدة ، ففوق هذه الذكسريات تحلق الحقيقة الالهية التي تهدىء وتصالح وتبرىء! سوف أموت ، أنا أعرف ذلك وأفهمــه ، ولكنني أحس في كل يوم بأن الحــــاة ما تزال توهب لى ، وأن حياتي الأرضية تندفع نحو حياة جديدة ، أبدية ، مجهولة، هي منذ الآن قريبة يملأ الاحساس بها نفسي فرحاً ، ويهز قلبي هزاً قوياً. يا أصدقائي ومعلمي !! لقد سمعت من يقول ، سمعت ذلك مراوا وأسمعه الآن أكثر من أي وقت مضي ، ان الكهنة ، ولا سيما كهنة الأرياف يشكون مر الشكوى من أن رأتيهم غـــير كاف ، ومن أن منزلتهم الاجتماعــة وضميعة ، قائلين بل كاتبين _ وقد قرأت ذلك بعيني ً _ أنهم أصحوا عاجزين عن شرح الانجيال للشعب ، بسبب قلة رزقهم • « اذا جاء لوثريون أو هراطقة فأضلوا رعايانا ، فليفعلوا ذلك ، لأننا لا نجنى من الرزق ما يكفنا ، • هكذا يقولون • يا عدالة السماء! ألا اتني لأســأل الرب أن يربى راتبهم هذا الذي يحرصون عليه ذلك الحسوس كله (لأن شكواهم لا تخلو من حق) ولكنني أقول مخلصاً : من المسئول عين هذا الوضع ان لم تكن تحن المسئولين عنه الى حد ما ؟ اتني أسلم بأن القس في الريف مثقل بأعباء العمل ، وليس في وقته من الفراغ ما يمكنه من الاهتمام بالشعب • ولكنتي أرى أن وظفته وعمله لا يشغلانه الى الحد الذي يسجِّز فيه عن أن يقف على الرب ولو ساعة " من وقته في الأسوع. ثم انه لا يعمل طوال السنة بلا انقطاع • ألا فليجمع في داره ، مرة ً في الاسبوع ، والأفضل أن يكون ذلك في الساء ، ألا فليجمع الأطفـال في أول الأمر ، فاذا بآبائهم يعلمون ذلك فيجيئون هم أيضًا • لا حاجة الى أن يكون هناك مكان خاص يُمقد فيه هذا الاجتماع • ما على القس الا أن يجمع الناس في منزله الفقير نفسه • وليس له أن يخاف ، فانهم لن يفسدوا مسكنه ! ما ساعة ٌ في الأسبوع ؟ ألا فليفتح التوراة المقدسة فيقرأ لهم فيها بنير قصاحة مصطنعة أو كلام متفيهق! فَليقــــرأ قراءة "بسيطة طبيعة ، مبتهجاً بأن الناس يسمعونه ويفهمونه ، ممتلئاً بحب النص المقدس • وفي وسعه أن يتوقف عن القراءة من حين الى حين ليشرح معنى كلمة لا يعرف معنــــاها أبناء الشعب • وليكن على يقين من أنهم سيفهمسون بسرعة ، لأن الروح الارثوذكسية تحس الحقيقة احساسا سريعاً • ان القصص التي تروى حياة ابراهيم وسارة ، واسحق وربيكا ، ويعقوب الذي ذهب الى عند لابان ، وقال بعد أن اصطرع مع الرب في الحلم : « هذا مكان رهيب » ، ان هذه القصص ستمضى قدماً الى القلب النقى ، قلب البسطاء الذين لم تفسدهم الحياة بعسد . يجب أن تقص علمهم ، وعلى الأطفال خاصة "، قصة الفتى الجميل الفتان يوسف ، النبي الكبير ، مفسِّر الأحلام ، كيف باعه اخوته ثم زعموا لأبيهم أن وحشـــاً أكله ، وأظهروا أباهم على ثيابه تدليلاً على صدق قولهم ؟ وكيف سافر اخوته بعد ذلك الى مصر الثماسا للخبز ، وكان يوسف قد أصبح فيهما عظيماً من عظماء رجال فرعون ، ولكنهم لم يعرفوه ، فاضطهدهم ، واتهمهم وحبس بنيامين الفتى رغم ما يكنــه لهم من حب : « اننى أحبكم ، وانهى لأعذبكم وأنا أحكم ، • ذلك أنه لم يستطع أن ينسى اليوم الذي باعه فيه اخوته لأناس من تجار العبيد ، في سهل مقفر ، قرب َ بشر ، بينما كان يضرع اليهم باكيا عاقفاً ذراعيه أن لا يتركوه للمبودية في أرض غريبة • فلما رآهم بعد ذلك العدد الكبير من السنين أحسَّ بحبه لهم ينبعث في

قلبه ، ولكنه عذبهم بسبب تلك الذكرى المرة ، وتركهم أخيرا وانصرف، لأنه لم يعد قادرا على أن يحتمل الشكاة التي تصدر عن قلبه هو نفسه . وارتمى على سريره وأجهش باكيا؟ ثم جفف وجهه وعاد اليهم هادىء النفس مشرق المحيا وقال لهم : « يا اخـــوتي ، أنا يوسف أخوكم ، • ولقرأ القس للناس تتمة القصة : كف سُمرًّ يعقوب حين عرف أن ابنه لم يمت ، وكيف سافر هو أيضا الى مصر ، هاجراً الارض التي و'لد سيتحقق للانسانية على مدى العصور ، كاشفاً عن السر الذي كتمه طول حياته في قلبه المتواضع الوجل ، ألا وهو الوعد الذي يبشر الانسانـة بأنه سيولد في يوم من الأيام انسان هو أمل العالم ، وهو للانسانية مخلِّصها وَفَادَيْهَا ! يَا آبَائَي ومعلميَّ ! اغفروا لي أنني أذكركم ، كتلميذ صغير ، بأشياء تعرفونها منذ زمان طويل ، ويمكنكم أن تعلُّمونيها بأحسن مصا أَفْمَلُ فَنَا وَعَلَماً ! لقد اندفعت مع الحماسة، واغفروا لى دموعي، لأننيأحب هذا السفر • واذا استطاع الكَّاهن أن يكي هو أيضًا أثناء القسراءة ، فلسوف يرى مدى أثر ذلك في نفوس سامعيه قوة انفعال وعمق عاطفة. ألا ان بذرة لتكفى مهما تكن يسيرة • فاذا بُذرت في قلب السطاء ، لم تفن بعد ذلك يوماً ، وانما هي تعيش في نفوســـهم وتظل تثمــر طوال حياتهم ، من أعماق ظلمات ضلالاتهم وخطاياهم ، نبعاً من ضـــيا. ومن حقيقة أبدية ، ذكري خفة ونداءً مستسراً • لا حاجة الى شروح طويلة واستطرادات متعالمة يتيه في شعابها الفكر • ان أبناء الشعب يفهمون الأمور بساطة كبيرة • أتظنون أنهم عاجزون عن ذلك ؟ قوموا اذن بهذه التحربة ، اقرأوا لهم تلك القصة الحملة المؤثرة ، قصة أستير الرائعــة وقاستي المتكبرة ، أو اقرأوا لهم تلك المفامرة المعجزة ، مغامرة يونس في جوف الحوت • ولا تنسموا كذلك رموز الرب ، ولا سيما رموز

الانجل كما وردت في كتاب القديس لوقا (وذلك ماكنت أفعله دائما)، وافرأوا لهم في كتاب الشهداء حياة ألكسي ولي الله ، وكذلك حياة كسرى الشهيدات مريم القبطية • فلسوف ترون مدى تأثير هذه القصص البسيطة في قلوبهم! تكفي ساعة في الأسبوع ، ساعة واحدة ، رغم قلة الراتب. فاذا ارتضى الكاهن بذل هذا الجهد لم يلبث أن يدرك أن لتسمنا نفساً كريمة تعترف بالجميل • لسوف يرد اليه الفلاح مصروفه مضاعفاً ماثة مرة • لسوف يتذكر نشاط الكاهن وقراءاته المؤثرة ، فاذا هو يهب من تلقاء نفسه الى مساعدته في أعماله في الحقل أو المنزل • ولسوف يمحضه احتراماً متزايداً ؟ وهذه المزايا ، مجتمعة من تساوى زيادة في الدخل ، ذلك حل يبلغ من السهولة في الواقع أن المرء يستحى أحيانا أن يقترحه، مخافة أن يُضحَك عليه • ومع ذلك فهذه هي الحقيقة • ان من لا يؤمن بالله لا يؤمن بشعبه أيضاً • ولكن الذي لا يشك في شعبه ، لن يلبث أن تتجلى له قداسة روح الشعب ، ولو لم تخطر على باله يوما قبل ذلك • ان مُثقفينا الملحدين ، الذين أصبحوا غرباء عن الأرض التي أنبتهم ، لن ينقذهم ولن يردهم الى طريق الرشاد الاشمنا الذي ستتأكد قوته الروحية في يوم من الأيام • ما قسمة أقوال المسلح اذا لم تسلمها قوة القلموة ؟ ألا ان الشعب ليهلك ويفني ما لم تنجده الكلمة الالهيسة ، لأن الشعب ظامى. الى حقيقة دينية ، والى مثل أعلى أخلاقى رفيع • فى أثناء شبابى ، منذ أكثر من أربعين عاما ، طفت أرجاء روسا بصحبة الأب آنتم نجمسم المعونات لديرنا الفقير • قفي ذات يوم ، توقفنا لبلا عند شاطئء نهر كبير من الأنهار الصالحة للملاحة ، بين العــــادين • فجلس الى جانبنا فتى ملمح الوجه هو فلاح في تحو الثامنة عشرة من عمر. كان يتعجل الالتحاق بممله في الفد ، لأنه قد استؤجر لحر سفنة تحارية • كان الفتي ينظر أمامه حالمًا بعينيه الصافيتين الحلوتين • الليلة سماجية حارة ، هي ليلة

مشرفه مضيئة من لبالي شهر تموز • ومن النهر العريض تتصاعد أبخرة تحمل الينا طراوة منعشة • وتنيجس سمكة الى سطح الماء من حين الى حين ، فتتلاطم الأمواج تلاطماً خفيفا ، سكتت العصافير ، فكأن الطبيعة كلها تصلى لله صامتة " في هذه الهدأة التي ترين من حولنا على الأرض والسماء • ونحن وحدنا لم ننم ، أنا وهذا الفتى • تحدثنا عن جمــال خلق الله وعن سره ، عن الأعشباب والنميل والحشرات والنحل ، عن جميع هذه المخلوقات التي تعرف طريقها جميعا في هذا العالم ، دون أن يكون لها ذكاء ، فاذا هي بهذا العلم المعجز تشهد بعظمة حسم الله وتساهم في كل لحظة ، بعملها المتواضيع ، في تنحقيق الضايات العلما للخالق • فلاحظت أن هذا الشاب اللطيف المحبب قد تأثر تأثراً قوياً وأن نفسم النهيت حماسة وحميًّا • وأسرًّ اليُّ بأنه يحب الغمابات وطيورها ، لأنه كان هو نفسه يربى الطيور ويعرف تغريد جميع أنواعها، ويعرف كذلك وسائل اجتذابها • قال لى : « لا شيء أروع من النسابة ، وكل شيء في الطبيعة جميل على كل حال » فأجبته قائلاً : « هذا صحيح. كل شيء في خلقة الله رائع ومؤثر ، لأن كل شيء فيها حق • انظر الي الحصان مثلاً ، هذا الحيوان النبيل المتعلق بالانسان ذلك التعلق كله ، أو انظر الى البقرة الخاضعة المطرقة التي تطعمه وتعمل من أجله • ما أعذب هذه الحيوانات الأليفة ، ما أكرم عاطفتها نحـــو أصـحابها الذين كثيرا ما يضربونها بغير شفقة ، ما ألطف الوداعة والثقــة اللتين تتجلبــان في ظراتها! ألس هذا جملًا ؟ انه لأمر مؤثر في النفس أن نتذكر أن هذه الحيوانات هي بلا خطيئة ، لأن كل ما في الكون برى. كامل الا الانسان • لقد كان المسلح مع الحوانات ، قبل أن يجيء لخلصنا ، • فسألنى هذا الفتى : « هل تعتقد حقاً أن المسيح معها أيضًا ؟ ، فأجبته فائلا: « وكف لا يكون الأمر كذلك ، ما دامت الكلمـــة للحمـــع • ان كل مخلوق ، ان كل من تنفس ، حتى أحقر ورقة من أوراق الأسحياد ، يسهد بعظمة الخالق ويسبّع بحمده ، ان كل شيء في الطبيعة يندفع نحو المسيع ، ويناديه على غير شعور ، لأنه يملك هذه الفضيلة السرية ، وهي أنه بغير خطية ، انظر في النابة الى الدب ، المخيف الضارى دون أن يكون مسئولا عن ذلك ! ٠٠٠ ، قلت له هذا وقصصت عليه أن دبا القرب ذات يوم من قديس عظيم كان يميش معتزلا في حجرة وسعط الخابة ، فأشفق الناسك على الوحش الجائم ، فهب الى لقائه بضير وجل، ومد اله قطعة من خبز قائلا له : « كُلْ في سسلام ، وليكن المسيع تأثر الفتي تأثراً شديدا من أن الدب المصرف دون أن يهجم على القديس ومن أن المسبح كان معه ، وصاح يقول : « ما أروع هذا ! ما أروع كل شيء اذن في خلق الله ! » و خلل مطرقاً مفكراً خلال مدة طويلة ، غارقاً في تأملات لطيفة وأحلام عذبة ، وأيت أنه فهمني ، ثم استلقى قريبا مني في تأملات لطيفة وأحلام عذبة ، وأيت أنه فهمني ، ثم استلقى قريبا مني في تأملات لطيفة وأحلام عذبة ، وأيت أنه فهمني ، ثم استلقى قريبا مني أنها نوما بريثاً هادئاً ، بارك الرب في الشباب ! صليت من أجله قبل أن أنها أيضا ، وب اسم السلام والأمن والضياء الى جميع مخلوقاتك !

ج ــ ذكريات سنى الشباب التى عاشها الشيخ زوسيما فى العالم • البارزة

لبت في ه مدرسة المرشحين ، بسان بطرسبرج زمناً طويلاً يقرب من أساني سنين ، ان التربية التي تلقيتها في تلك المدرسة قد كبت في نفسى كثيرا من مشاعر الطفولة ، ولكنني لم أنس تلك المشاعر حقاً ، وفي مقابل ذلك أكسبتني هذه التربية أفكارا وعادات جديدة جعلت مني انسانا يكاد يكون متوحشا ، انسانا قاسيا غيباً ، ويتعلم اللغة الفرنمسية تزينت بأداب المجتمع وطلبت بطلاء من حضارة ، أما الجنود الذين كانوا

يخدموننا فقد كنا جميعا ، وأنا أيضا ، نعدُهم بهائم ؛ ولعلني كنت أسبق من غيري في ذلك ۽ لأنني كنت في كل أمر من الأمور أكثر تأثراً بالبيئة من سائر رفاقي • ولما أصبحنا ضباطا كنا مستعدين لأن نبذل دم: فيسبيل شرف كتستنا ، ولكننا كنا نجهل كل الجهل ما هو الشرف حقاً • ما من أحد منا كان يملك أية فكرة عنه ، فلو قيل لنا ما هو الشرف حقا" لرفعنا أكتافنا استخفافا واحتقاراً • وكنا نكاد نعتز بما ننهمك فيه من سكر ومجون ، وما نندفع فيه من وقاحة واستهتار ، ونكاد نعــده مجداً من الأمجاد • ليس معنى هذا أتنا كنا في قرارة أنفسنا أشراراً • فلقد كان في هؤلاء الشباب خير طبيعي فطـــري ، ولكنهم كانوا يسلكون سلوكاً سئاً ، وكنت أنا في ذلك شراً من سائر رفاقي • وفي تلك الفترة استلمت ثروتی ، فأخذت أعيش على ما يريد لى هواى وخيالى وعلى ما تشاء لى نزواتي وبدواتي ، مندفعاً اندفاع الشباب بغير أي تحفظ أو قصد • لقد مخرت ناشراً جميع أشرعتي • ولكن الشيء الغريب هو أنني كنت أقرأ في كثير من الأحيآن ، حتى لقد كنت أجد في القراءة لذة ومتعة • ومع ذلك لم أفتح التوراة يوما غير أنني لم أفارقها ، وانما كنت أحتفظ بهـــا قريبة ً مني في تنقلاتي ، كأنما أنا أنوى أن أقرأها « في يوم من الأيام وساعة من الساءات ، في شهر من الأشهر وسنة من السنين فيالمستقبل، وبعد أربع سنين من الخدمة ، وجدت نفسي في مدينة ك ٠٠٠ التي كانت كتيبتنا تسكر فيها • ان المجتمع في هذه المدينة كبير العدد متنوع الملأ • وكان أكثر هؤلاء أناساً أغنياء لطافاً يعيشون حياة فرح وبهجة • وقحه أحسنوا استقبالي لأنني مرح بطبيعتي. يضاف الى ذلك أنهم كانوا يعدونني ثرياً ، وذلك أمر يقدره المجتمع قدراً عظيماً • وهنا انسا حدث لي حادث كان له أثر حاسم في مصيري • فقد تولهت بحب فتاة جميلة ذكية ` نبيلة الخلق يتمتع أهلهما باحترام كبير ، فهم ينعمسون بالثراء ، ولهم

صلات عالية • وقد أحسن أهلها وفادتبي • وأحسست أن الفتاة لبست غير مكترثة بوجودي ، فالنهب خيالي من ذلك النهابا شديدا . ولقد أدركت فيما بعد أنني لم أكن أحبها فعلاً ، وانما كنت مفتتناً بذكاتها وسمو طبعها ورفعة خلقها ، وتلك أمور ما كان لها الا أن تؤثر في نفسي • وقد منعتني أنانتي من خطبتها ، اذ صعب على " أن أتنازل في مثل تلك السن من ريعان الشباب عميًّا في حساة العازب الحسرة المتحللة ، من اغسراءات • لذلك اقتصرت على بعض التلميحات الخفية ، وأرجأت الخطوة الحاسمة الى ما بعد • وفي أثناء ذلك تلقيت أمرا عسكريا بالسمسفر مدة شهرين الى مقاطعة أخرى • فلما عدت عرفت أن الفتاة تزوجت في غيابي • لقســد تزوجت رجلاً غنيا من أصحاب الأملاك في منطقة معاورة ، وهو أكبر منى سناً ولكنه ما يزال شاباً ، كما أن له صلات في العاصمة وفي المجتمع الراقى ، وذلك ما لم يكن لى مثله • ثم انه عدا هذا رجل لطف محب جدا منقف جدا ، على حين أن ثقافتي أنا كانت ناقصة نقصاً كبيراً • وقد بلغت من الاضطراب لهذا الحادث ما جعلني أتصور أنني فاقد بسميه صوابي • وكان أنكي ما آلمني انني علمت أن الرجل خطب الفتــاة منذ زمن طويل • ولقد حدث أن قابلته فعلاً في منزل أهلها مرارا كثيرة دون أن يخطر ببالى شيء ، من شدة ما أعماني غروري • وقد أحنقني هذا الأمر وأغاظتي أكثر من أي شيء عداه • تساءلت : كيف ؟ أيعلم ذلك جميع الناس الا أنا ؟ وشعرت من ذلك بحقد شديد . لقد شعرت بالدم يصعد الى جبهتى حين تذكرت تصريحات الحب التي أوشكت أن أقولها لها مرارا • ان الفتاة لم توقفني بل تركتني أتكلم دون أن تنشي بأنها مخطوبة • فاستنتجت من ذلك أنها كانت تسخر مني وتضحك على ٠٠ وقد فهمت فيما بعد أن الأمر لم يكن كذلك قط وتذكـــوت أنها ، على خلاف ما توهمت ، كانت تقاطعني في كل مرة مازحة" ، وتغير موضوع

الحديث ، غير أننى عجزت فى ذلك الحين عن أن أحكم فى الأمر حكماً سليماً صحيحا ، فكنت أحترق توفاً الى لانتقام .

واني لأتذكر الآن ، بغير قلىل من الدهشة ، أن ذلك الفضب وذلك التوق الى الاتتقام اللذين شعرت بهما كانا شاقين على نفسى ، لأن خفة طمى كانت لا تتمع لى أن أظل حاقداً على الناس مدة طـــويلة • فصرت أحرُّض استائى وحنقى تحريضًا مصــطنعًا من أجل أن أصل أخـيرًا الى اندفاع أحمق غير انساني. ارتقبت فرصة " أنتقم فيها لنفسي ، واستطعت في ذات مساء ، بينما كنا في مجتمع غفير ، أن أهين «غريمي» في أمر لاعلاقة له في الظاهر بشخصي • سخرت من رأيه في موضوع حــدث كان قد وقم وهز َّ أفكار الناس كثيراً في ذلك المهد* _ كنا في عام١٨٢٩ _ وكانت سخرياتي _ في رأى الحضور _ 'محكمة حاذقة فكهة _ ثم طلمت منه أن يصفى حسابه معى بمبارزتي ، وبلغت من الفظاظة والفلظة أثناء ذلك انه لم يملك الا أن يقبل التحدي رغم كل ما بيني وبينه من مسافة ، فأنا أولاً أصغر منه سناً ، وأنا ثانا ضابط صغير لا قيمة له في حين أنه يحتل هو مركزا اجتماعيا عالياً جداً • وقد علمت فيما بعد أن شيئًا من الغيرة قد دفعه الى قبول التحدي ، فمن جهة أولى كان هو قبل ذلك الحين ، أثناء خطوبته ، قد ساءته ملازمتي لخطسته ؟ وهو من جهة ثانية يخشي الآن ، اذا علمت زوجته بأنه تحمل اهاناتي دون أن يبارزني ، أن تحنقره على غير ارادة منها ، وأن يتزعزع من ذلك حبها له • ولم ألبث أن عثرت على شاهد لي يغير عناه ، وهو رفيق من رفاقي كان ملازماً في كتبتي نفسها. ولقد كانت المارزات رائجة جدا بين الضباط في ذلك الزمان ، رغم أنها محظورة محرَّمة ، وهذا يدل على مدى ترسخ الأحكام الاجتماعية الناطلة في النفس الانسانية • كنا في أواخر شهر حزيران (يونيو) ، وحُمدٌّد الفد موعدا للقاء ، في الساعة السابعة من الصباح ، على أرض مهجمورة

خارج المدينة • ووقع لى في ذلك المساء حادث لا أستطيع الا أن أعده تدخلاً من القدر • فحين عدت الى مسكنى في ساعة متأخرة من الليسل مهتاجا اهتباجا شديدا ، ثرت على الجندي الذي يخدمني ، واسمه أنانازي، وجهه . ان آتانازی یخدمنی منذ زمن غیر طویل ، ولقد سبق أن ضربته من قبل ، ولكنني لم أضربه بوحشية حيوانية كهذه المسرة • صدَّقوني يا أصدقائي الأعزاء اذا قلت لكم : انني ما زلت الى اليوم ، بعد أكثر من أربعين عاما ، لا أستطيع أن أتذكر سلوكي حينذاك الا وأشعر بخسترى وعار وألم عميق • وقد رقدت فنمت زهاء ثلاث ساعات • فلما استيقظت كان الصبح قد تنفس . فأسرعت أرتدى ملابسي لأن النوم قد طار من عنى ، واقتربت من النافذة ففتحتها • ان النافذة تطل على الحديقة • وقد أخذت الشمس تطلع في الأفق • والجو جميل طرى ، والعصافير تغرد • سألت نفسي : « لماذا هذا الاحساس الفريب في نفسي بالخزى والعسار والاشمئزاز؟ ألأنني سأسفح دم انسان؟ لا ٠٠٠ يبدو أن هذا ليس هو السب • أأكون اذن خائفا من الموت أخشى أن أ'قتل ؟ لا ، لا ، ليس هذا هو السبب ، ليس هذا هو السبب أبدا ٥٠٠ ، وفجأة أدركت علة ذلك الضق الذي كنت أشعر به : لقد كنت أحس بعذاب في ضميري لأتنى ضربت آتانازي في الليــلة البــارحة • ترادي لي المشــهد بجميع تفاصله على حين بنتة : كان آتانازى واقفاً أمامى ، منتصب القامة ، مرفوع الرأس ، جاعلاً يديه على درزة سرواله ، وأنا أهوى على وجهه بالصفعة تلو الصفعة بكل ما أوتنت من قوة • وكان هو ينحــــدُّق أمامه كأنه في استمراض عسكرى ، ولا يجرؤ أن يرفع ذراعه ليحسى وجهه رغم أنه يرتجف عند كل صفعة • انظروا الى أى حالة يمكن أن يُسرد الكاثن الانساني ! كيف يستطيع انسان أن يرضى ضرب أخبه الانسان ؟ يا لها

من جريمة ! شعرت كأن ابرة تنفذ في جسمي • انتي أرى الآن كيف كتت واقفاً أمام النافذة مشمدوهاً مصعوفاً • كانت الشمس في الخارج تتلألأ ، وكانت عصافير صغيرة تغرد بسراءة ، مسلحة " بحمد الرب ٥٠٠ وهأنذا أخفى وجهي بندي على حين فحأة ، وأرتمي على سريري ناشحاً منتحباً • لقد عاودتني في تلك اللحظة ذكري أخي مارسل ، وخطـوت بالى الكلمات التي قالها للخدم قبل موته بقلبل: « يا أصدقائي الطبين ، ماذا فعلت حتى أسستحق أن تخدموني ؟ ما الذي يجعلني حسديرا بعاطفتكم ؟ ، • وقلت لنفسى : « ما الذي يجعلني أنا أيضا جديرا بأن يعفدمني قريني الانسان؟ ، • وحاصرت هذه الفكرة عقلى فحأة • فأخذت أتساط : « لماذا يجب على انسان شبيه بي ، انسان خُلق مثلي على صورة الله ، أن يكون خادمي ؟ ما الذي جعلني جديرا بذلك ؟ ، • لقد طرحت على نفسى هذا السؤال لأول مرة في حياتي ٥ ، أماه ، يا حَمَلي الوديم، ان كل انسان مرتكب جميع الذَّنوب في حق جميع النــاس ••• البشر لا يعرفون هذا ٥٠٠ ولو ارتضــوا أن يعترفوا به لأصبحت الأرض جنة" منذ الآن » • تساءلت من خلال دموعي : « أيجوز حقاً يا رب أن أكون مرتكمًا جمع الذنوب ، وأن أكون أكبر النساس اتماً ؟ اني اذن لأسوأ الناس طراً ! ٥ • وتراءت لي الحقيقة فجأة في ضباء باهر ! ما الذي كنت أريد أن أفعله ؟ أن أقتل انسانا طبا ذكما نبيل الخلق لم يعسسني بسوء ولم يلمحق بي أذى ، وأن أحرم زوجته من السعادة الى الأبد في الوقت تفسيم ، فأسلمها للعذاب وأدمِّر روحها ! وكنت أثناء استسلامي لهذه التماملات راقداً على سريري ، دافئاً وجهي في الوسائد ، لا ألاحظ أن الوقت كان ينقضي • وها هو ذا رفيقي الملازم يظهــــر في غرفتي فجأة حاملاً إلى السدسات • قال لي : ـــ أنهضت من نومك ؟ أحسنت ٥٠٠ ما يزال في الوقت متسمع ٠. هيًّا بنا !

اضطربت ، وزاغ لبى ، لكننى تبعته ؛ وفيما كنا نوشك أن نركب العربة التى كانت تنتظر أمام المنزل ، عدلت عن الركوب فعجأة ، وقلت لرفيقى شارحاً :

ـــ انتظرنى لحظة ، أنا عائد الى البيت لأجىء بمحفظة نفودى الثى تركتها فيه •

وأسرعت قدماً الى الغرفة الصغيرة التى يسكنها خادمى العِسْـدى • قلت له :

ـ آتانازی ! لقد صفعتك على وجهك مرتبين أمس • سامحنی !

ارتمش حین سمع کلامی کأنه قد خاف و وشعرت عندئد أن ذلك لیس کافیا ، وأن بادرتمی لا تتناسب و لأذی الذی ألحقت به ، فاذا أنا أخضع فجأة لاندفاعة مباغت فأرتمی علی قدمیه بملابسی الفخمة حتی لامست جهتی الأرض ، وأقول له صائحاً :

_ سامحنی یا آتانازی

بدا آتانازی مصموفاً ، وأخذ يقول :

مه يا صاحب النبالة ٥٠٠ يا أبتاه ٥٠٠ يا مولاى ٥٠٠ كيف يمكنك أن ٥٠٠ أنا لست جديراً بهذا ! ٥٠٠

وأخذ يبكى هو نفسه ، كما بكيت أنا منذ قليل ، دافناً وجهه في يديه ، واستدار نحو النافذة ، مرتشاً من قمة رأسه الى أخمض قدميه ، غارقاً بدموعه ، وهرعت ألحق برفيقى الملازم الذي كان ينتظررني في العربة ، صحت أقول للحوذي :

.. سر" ۵۰۰

وأضفت مخاطباً رفيقى :

ــ هل تريد أن ترى الغالب؟ انه أمامك!

كنت أشعر بعصاسة شديدة ، وظللت أفسسحك بغير انقطاع أثناه الطريق ، وأتكلم بلا توقف ، أخبط في الكلام خبط عشواه ٥٠٠٠ لا أدرى ماذا قلت ! وكان رفيقي ينظر الى واضياً مرتاحاً ، قال لى :

ـ أرى انك شجاع ! لسوف تشرُّف بزُّتنا العسكرية •

ووصلنا الى أرض المركة ، حيث كنا 'نتظر ، وضعنا أنا وخصمي على بعد اثنتي عشرة قدما ، وكان عليه هو أن يطلق النار أولا ، وقابلته جذلا ً فرحاً ، وأنا أنظر الى عينيه فأتسمر أن قلبي يفيض حباً له ، لم لم عني ، كنت وائقاً مما سأفطه ، أطلق النار ، خدشت الرصاصة خدى خدشاً ، ولاسست أذني ملامسة ،

صحت أقول:

ـ الحمد لله ! انك لم تقتل أخاك •

ثم تناولت مسدسي فرميته وراثي في اتجاء الغابة •

قلت:

_ هذا ما أفعله بالسدس •

ثم التفت تحو خصمي وقلت له :

ــ سيدى ! انحفر لى انني أســأت اليك بغير سبب لطيشى وخفتى ، . ثم أجبرتك على أن تطلق على النار • أتنى لا أســــاويك ولا أعدلك ، فأنت خير ٌ منى عشر مرات ، وربما أكثر من ذلك • قل هذا عن لسسانى للانسان الذى تقدره أكثر من أى انسان آخر فى هذا العالم •

فما ان تطقت بهذه الكلمات حتى أخذ الثلاثة يصرخون ٠

قال خصمي وقد بدا علمه حتى شيء من الغضب :

ـــ ما ممنی هذا ؟ ما كان ينېغی أن تزعجنی اذا لم تكن تنوی أن هانل •

فأجبته قائلاً بمرح :

ــ لقد كنت حتى الأمس غيبًا أحمق ، ولكننى صرت ذكيًا عافلاً بعد ذاك •

فقال:

_ أما انك كنت بالأمس غيباً أحمق ، فهذا أمر أسلتم به ؟ وأما أنك أصبحت ذكياً عاقلاً ، فهذا ما لا يبدو صحيحاً اذا تعن نظرنا الى سلوكك •

قلت وأتا أصفق بيدي :

ـــ مرحى ! اننى أوافقك على ما تقول • لقد استحققت أن أسمع هذا الكلام •

قال ملحاً:

س أأنت عازم على أن تطلق النار يا سيدى أم لا ؟

فأجبته :

لن أفعل • ولك أن تطلق مرة ً ثانية اذا كنت تحرص على ذلك، ولكنك تحسن صنعاً اذا أنت لم تطلق •

اضطرب الشاهدان ، ولا سيما صاحبي .

ــ كيف تجرؤ على أن تلطخ شرف كتيتنا بالعار؟ أتطلب الصـــفح وأنت على أرض المركة؟ آه ٥٠٠ ليتني تنبأت بهذا! ٥٠٠

كففت فى هذه المرة عن الضحك ، وقلت لهم جميعا وأنا أنظر فى أعينهم :

 سادتی! أعجب الى هذا الحد حقا أن يوجد في أيامنا هذه رجل يستطيع أن يندم على خطيئة اوتكبها ، وأن يشرف بها أمام الناس ؟

فصاح صاحبي يقول من جديد :

ــ لا ••• ولكن هذا لا يكون على أرض القتال •

فاستأنفت كلامي قائلا":

_ أهذا ما يدهسكم اذن؟ لقد كان يجب على في الواقع أن أعتدر اليه منذ وصلت ، قبل أن يطلق على النار ، وذلك لأجبه ارتكاب خطئة قاتلة • ولكن من المؤسف أنسا قد نظمنا حياتنا على تصسورات تبلغ من السخف أنه كان يستحيل على أن أفسل ذلك ان صح التمير ، فانني ما كنت لأستطيع أن أتكلم آملا أن أفهم حق فهمي الا بعد أن أطلق على النار من على بعد انتي عشرة قدما ؟ والا لكان يمكن أن تعدوني جبانا غير جدير بأن ينسمع كلامي اذا أنا اعتذرت اليه منذ وصولى قبل أن يطلق •

ثم حتفت فبجأة أقول مندفعاً بكل نفسى :

ـ أيها السادة ! تأملوا خلق الله من حولكم : السماء الصافية ، والهواء النقى ، والعشب الطرى ، والطيور المغردة ! ان الطبيعة تنبسط أمامكم رائمــة بغير خطئة ، وتحن وحــدنا ، مشر الأغياء الأدنياء ، لا تستطيع أن نرى أن الحياة جنة ، يكنى أن تعقد النية على أن تعرف

هذه الحقيقة حتى يبدو لنا العـالم فورا بكل سنائه وبهائه وجماله • ألا فلنتمانق ولنيك •••

كنت أوشك أن أبكى ، ولكننى أمسكت وقسمه القطعت أنفاسى • شعرت بانفعال شديد لذيذ ، وكان قلبى يفيض سعادة ً لا عهد لى بعثلها من قبل •

قال خصمي :

ــ كلامك فيه عقل وشرف ٠٠٠ لا شك في أنك انسان طــريف جدا ٠٠٠

فأجبته ضاحكا :

اسخر منى الآن ، ولكنك ستطرينى فى المستقبل .

قال:

بل أنا مستمد لأن أثنى عليك منذ الآن • اسمح لى أن أمد اليك
 يدى ، لأنك فيما يبدو لى انسان صادق جدا •

قلت :

لا ۱۰۰۰ لا تمدد لى يدك الآن ۱۰۰۰ وانما تمدها لى فى المستقبل ،
 بعد أن أصلح نفسى وأستحق تقديرك ۱۰۰۰ يومثذ تصافحنى وتكون على
 حق اذا صافحتنى ٠

وعدنا الى المنزل • كان شاهدى حانقاً فهو لا ينفــــك يقرعنى فى المربة • أما أنا فكنت أقبَّله • وما أن علم رفاقى بما حدث حتى اجتمعوا ليحكموا على ّ • قال بعضهم :

- لقد لطخ شرف بزتنا السكرية بالعار ، فعليه أن يستقبل .

ودافع بعضهم الآخر عنى قائلاً :

 ولكنه صمد أمام اطلاق النار عليه دون أن يختلج ٠ فقال الآخرون ;

غیر أنه جبن بعد ذلك ، وخاف استثناف تبادل الرصاص ، فاعتذر
 على أرض المركة •

فأجاب المدافعون عنى قائلين :

لو أنه خاف لأطلق النار أولا قبل أن يعتسبذر ، أما وأنه رمى
 مسدسه فى النابة محشواً بالرصاص فهذا دليل أن الأمر ليس كذلك ،
 واتما هو شيء آخر جديد طريف ،

وكنت أصنى اليهم ، فتملؤنى أقوالهم فرحاً ، ثم قلت لهم أخسر الأمر :

 يا أصدقائي ورفاقي الأعزة! لا يقلقنكم أمر استقالتي ، فقسد أوسلتها الى المكتب منذ هسذا الصباح ، وسأدخسل الدير متى فبلت الاستقالة .

فما ان ســـمموا هذه الكلمــات حتى انفجــروا يضحكون ضحكاً صاخباً ه

كان ينبغى أن تقول هذا من قبل • الآن اتضح كل شىء • ليس
 يحاكم راهب •

كان رفاقى يضحكون ولكن بفسير خبث ؟ انهم يضحكون وهم يشمرون نحوى بثق، من العطف والحنان ، ومنذ تلك اللحظة أصبحوا جميعاً يظهرون لى المحبة والمودة ، حتى أعناهم انهاماً لى وأقساهم حكماً على ، واحتفلوا بى فى الكتية طوال الشهر الذى انقضى بين تقديمى الاستقالة واحالتي على التقاعد • كانوا يقولون :

ـ هذا راهينا •

وأصبح كل واحد منهم يخاطبنى بأقوال فيها محبة وعظف ، محاولا أن يصرفنى عما عزمت عليه ، بل ومشفقاً على واثياً لحالى •

ـ لماذا تفسد حياتك هذا الافساد ؟

ــ لا بل انه شجاع • لقد جابه اطلاق النار عليه وكان في وسعه أن يرد ، ولكن لا شك أنه رأى في منامه حلماً أثناء الليلة التي سيقت يوم النزال فقرر أن يدخل الدير •

وكان الامر كذلك في المدينة أيضا و لقد كان الناس في المسافي يحسنون استقبالي وكفي و أما بعد ذلك الحادث فقد أصبحوا يهتمون بي جميعا و انهمرت على دعمواتهم الى ولائم يقيمونها لى وصحيح أنهم يسخرون قليلاً من قرارى ، ولكنهم يحبوننى و ويجب أن أذكر أن السلطان قد أغمضت أعينها عن حادث مبارزتنا ، رغم أن هذه المبارزة أصبحت مدار حديث الناس جميعا ، وذلك لأن خصمي يمت الى جنرالنا بقريم قريبة و ثم انه ما من دم قد سفح ، وقسد استقلت ٥٠٠ لذلك عد تعرج ، رغم سخريات أبناء المجتمع الراقي التي لم تمن سخريات بنير تحرج ، رغم سخريات أبناء المجتمع الراقي التي لم تمن سخريات خيشة شريرة والحق يقال ، بل كانت سخريات بويئة طبية ٥٠٠ وكانت تحرى تلك الأحاديث عادة في الساء ، بعضور السيدات ، لأن اهتمام النساء بي كان أكبر من اهتمام الرجال ، فكان يحلو لهن أن يحمين الى كلامي ، وكن يحبرن وجالهن قان يحمين الى كلامي ، وكن يحبرن وجالهن على أن يحميوا الى كما يحمين هن ،

كنت أُسأل بلهجة ساخرة :

كيف تزعم أننى مرتكب جميع الذنوب فى حقى جميع الناس ؟
 أأنا الذى اقترف أخطاط مثلاً ؟

فكنت أجيبهم بقولى :

— لا تستطيعون أن تدركوا هذه الحقيقة اليوم ، لأن المجتمع قد سار منذ زمان بعيد في طريق خطأ ، فرفع الى مصاف الحقائق ضالالات مشئومة ، وطلب من أعضائه أن يتينوا هذه الأحكام ، هذا أنا شلا : لقد أردت مرة في حياتي أن أتصرف تصرفاً صادفاً ، فاذا أنا أصبح في نظركم رجلا ملتك العقل ، ومهما تحيوني ، فاتكم تظلون تسخرون منى ،

قالت سيدة المنزل ضاحكة :

_ كيف يمكن أن لا يُحسَبُّ فتى مثلك ؟

كان الجمع غفيراً جداً في ذلك المساء ، ولحت فجاة ، بين السيدات الحاضرات ، تلك المرأة التي أددت بسسبها أن أبارز ، والتي كنت أحلم أن تكون خطيتي قبل ذلك بقلمل ، لم أكن قد لا حظت وصسولها ، وها هي ذي تنهض وتدتو مني وتمد الى عدها وتقول لى :

اسمح لى أن أقول لك اننى ، أنا ، لا يخطر بالى لحظة أن أسحر منك ، بالمكس : اننى لأحرص على أن أعرب لك عن تصديرى واحترامى للسلوك الذى سلكته في ذلك الظرف .

وجاء الى وجها أيضا ، وتبعه سائر المدعوين ، كادوا يقبلونني جميما ، اجتاح الفرح نفسى ، ولاحظت خاصة ، بين الأشخاص الذين أظهروا لى مودتهم وعاطفتهم ، سيداً متقدما في السن بعض الشيء ، كنت أعرف اسمه منذ زمن ، ولكنني لم أأقد م اليه ، فلم أخاطبه قبل ذلك المساء بكلمة واحدة ،

د - الزائر العجيب

كان يشغل منصبا هاما في مدينتنا منذ سنين كثيرة ، انه شسخص مرموق ، غنى ، يتمتع باحترام عام ، اشتهر ببره واحسانه ، فقد وهب للمجأ الفقراء ولمأوى الأيتام مبالغ ضخمة ، وكان عدا ذلك يساعد عددا كبيراً من الفقراء ، متخفيا متكنماً ، حتى أن ذلك لم يسرف الا بعد موته، انه في نحو الخمسين من عمره ، وهو قليل الكلام ويوشك مظهره أن يكون قاسيا ، وقد تزوج منذ عشر سنين فحسب ، وامرأته ماتزال شابة ، وله منها ثلاثة أولاد كانوا صفارا في ذلك الحين ،

فى غد ذلك المساء الذى جرى فيه الحديث ، كنت فى منزلى ، فاذا بالباب يُفتح فجأة ، واذ بى أرى هذا السيد يدخل على ً •

يحسن أن أذكر هنا أننى كت قد غيَّرت مسكنى • فاننى بعسد احالتى على التقاعد قد استأجرت غرفة فى دار امرأة عجبوز هى أرملة موظف من الموظفين ، فكانت خادمة هسده المجوز تقوم على خدمتى • والحق اننى تركت منزلى القديم فى يوم المبارزة نفسه ، فما ان رجعت الى منزلى فى ذلك الصباح حتى صرفت آتانازى وأرسسلته الى الثكنة ، لأننى أصبحت لا أجورة أن أنظر اليه بعد الذى حدث بيننا • انظروا الى مدى هيمنة الأفكار لسائدة على انسان من أبناه المجتمع لم يتها للحياة الروحية الأخلاقية ! ان هذا الانسان يمكن أن يحمر خجلاً حتى من أتيل الأفعال وأجدرها بالاحترام •

قال لى هذا السيد :

_ لقد أتبح لى أن أسمعك عدة مرات فى منازل صـــديقة كثيرة ، فكنت أصنى الى كلامك باهتمام عظيم فى كل مرة • واننى لأحب أن أحظى بمعرفتك لأتحدث معك بمزيد من التفصيل • فهل تمن ُ على َ بهذا الفضل ؟

أجبته قائلاً:

ـ ذلك يسرنى أعظم السرور ، وهو لى شرف كبير .

ومع ذلك فقد شعرت بشىء من الخوف • لقد أوحى الى حسنا الرجل خوفاً عميقا • صحيع أننى كنت قد ألفت أن يكون لى مستمعون كيرون ، وأن هؤلاء المستمعين كانوا فى كثير من الأحيان يصغون الى كلامى باستطلاع واهتمام ، ولكن ما من أحد منهم قد واجهنى حتى ذلك الحين بهيئة فيها هذا الجد كله وهذا النفاذ كله • أضف الى ذلك أن الرجل قد جاء الى بثى بنفسه •

قال لي بعد أن جلس :

ــ لقــد تبينت فيك قوة خلقيــة كبيرة ، لأنك لم تخش أن تخدم الحقيقة في ظروف تعرَّضك لاحتقار الجميع •

فأجبته :

_ لملك تقدرني فوق قدري في هذه القضية ٠

فقال :

- لا ٥٠٠ فان القيام بعمل كهذا العمل أصعب مما تظن .

وتابع يقول :

 كانت أثناء استرساله فى هسـذا الكلام أنظر اليه بانتباه ، فشعرت فجأة باطمئنان اليه وتقة به ؟ حتى لقــد أحسست أنا أيضا باســتطلاع قوى ، لأتنى قدرت أن فى حياته سرآ ، قلت له :

_ قبل أن أذكر لك ما شعرت به أثناء اعتذارى الى خصمى على أرض المصركة ، أحسب أن من المفيهد أن أروى لك كيف تسلسلت ، الأحداث منذ المداية تسللاً لا يعرفه أحد الى الآن .

وأطلمته على ما وقع لى مع آتانازى ، ورويت له كيف أتنى سجدت أمامه ، وقلت أختم كلامى :

- تستطيع أن تفهم بعد هذا أن موقفى فى لحظة المبارزة كان سهلاً ، لأننى كنت قد رجعت الى الاحساس بالحقيقة وأنا فى منزلى ، فلما سرت فى هذا الطريق لم يكن على الله أن أتابع المضى في هذا الطريق لم يكن على الله أن أتابع المضى في يكن كان الى ذلك مصحوبا لا يتصف بأنه لم يكلفنى أى عنساء فحسب ، بل كان الى ذلك مصحوبا باحساس بالسعادة والفرح .

أصفى الرجل الى كلامى بانتباه ، وكان فى نظرته الى ً مودة كبيرة وحب عظيم ه قال :

ــ هذا كله شائق جدا ، وسأعود اليك لأتحدث ممك مرارا •

وأصبح يحى الى كل مساء تقريبا • وكان يمكن أن تتوتق بينا عرى الصدافة ، لو أنه حدثنى عن نفسه أيضا • ولكنه لم يكد يفضى الى بشى عن حاته ، وكان لا يزيد على أن يسألنى عن حاتى أنا • ومع ذلك فقد أحببته كثيرا ، وفتحت له قلبى كله ، قائلاً لنفسى اننى فى غير حاجة البتة الى معرفة سرّ ، وحسبى أن أعلم أنه رجل صادق مستقيم • وأرضانى أن أدى رجلا كرم منى سنا ، رجلا يبلغ هذا المبلغ من الجد،

ثم هو لا يعتقر صحبة شاب مثلى ، بل يجيء اليه في منزله ••• وقــد تعلمت منه أشياء هامة كثيرة ، لأنه كان على جانب كبير من الذكاء •

قال لى فجأة ذات يوم :

أما أن الحياة جنة ، فذلك ما أفكّر فيه منذ زمان طويل •

وسرعان ما أضاف قوله :

ــ بل اتنى لا أفكر الا في هذا .

ونظر الى مبتسماً .

ـ حتى اننى أشد اقتناعا بذلك منك ، لأسباب ستعرفها فيما بعد • كذلك أضاف يقول بعد قليل •

وقدًّرت وأنا أضنى اليه انه ربما كان يريد أن يفضى الى بيعض أسراره •

واستأنف كلامه قائلاً :

ــ ان كلاً منا يحمل فى نفسه جنة مدفونة ، ان هذه الجنة قائمة فى نفسى وان تكن مختبئة ، وحسبى أن أريد ، حتى أجعلها تنبجس منذ اليوم فأحتفظ بها طوال حياتى ،

كان يتكلم بشىء من الحماسة ؛ وفى نظـــرته المنصبة على ً رأيت ما يشبه أن يكون سؤالا ً مستسراً عجيباً • وتابع كلامه يقول :

- انه لصحيح كل الصحة أن كل انسان مرتكب كل الذنوب في حق كل الناس ، هذا عدا خطاياه الخاصة ، تلك حقيقة كبرى عبرّت عنها ، ولا يسعنى الا أن يدهشنى أنك استطعت أن تكتشــفها كاملة ،

دفعة ً واحدة • ومن المحقق أن ملكوت السموات سيكون واقعا لا حلماً فحسب ، في اليوم الذي تفهم الانسانية فيه هذء الحقيقة •

فهتفت أقول بمرارة :

_ متى يحدث هذا ؟ هل يجىء ذلك اليوم حقا ؟ أليس ذلك أملاً لا أكثر ؟

_ أأت لا تؤمن بهذا اذن؟ أتبشر بالحقيقة تم تستسلم للشك؟ ألا فاعلم أن ما تسميه أملاً سيتحقق لا محالة • كن من ذلك على تقة ! على أن هذا لن يتحقق اليوم ، لأن لكل فعل ميقاته في الزمان بحكم قوانين صارمة • لا بد أن تتغير الانسانية تغيراً نفسيا وأخلاقيا • لن يكون من الممكن أن يتبدل العالم ما لم يكتسب البشر روحا جديدة ، وما لم يتجهوا في طريق جديد • لن يكون على الارض أخوة ما لم يشعر البشر بأنهم بالعدل اذا هم لم يستوحوا الا العلم ومصالحهم • أن كل واحد سيجد بالعدل اذا هم لم يستوحوا الا العلم ومصالحهم • أن كل واحد سيجد نصيبه أصغر مما يستحق أن يكون له من تصيب ؟ وان الحسد والحقد سيسودان فيدفعان البشر الى أن يكنى بعضهم بعضا • تسألنى متى يتحقق على سيسودان فيدفعان البشر الى أن يكنى بعضهم بعضا • تسألنى متى يتحقق على الارض • فاعلم أن ملكوت السموات سيتحقق على الارض • فاعلم أن ملكوت السموات استحقق على الارض • فاعلم أن ملكوت السموات التهاء • عهد الدزلة » •

سأية عزلة تعنى ؟

ـــ العزلة التى يعيش فيها البشر ، وتتجلى فى جميع الميادين ، ولا سيما فى عصرنا هذا ، ان عهد العزلة هذا لم ينته ، حتى انه لم يصل الى ذروته ، ان كل انسان فى هذا العصر يجهد فى سبيل أن يتذوق العجاة كاملة ً ، مبتمداً عن أقرانه ، ساعياً الى السعادة الفردية ، ولكن هيهسات أن تؤدي هذه الجهود الى تذوق الحياة كاملةً ، فهي لا تقود الا الى فناء النفس فناء كاملا ، ولا تقود الا الى نوع من الانتحار الروحي بعسىزلة خانقة • لقمد انحمل المجتمع في عصرنا الى أفراد يعش كل منهم في جحره كوحش ، ويهرب بعضهم من بعض ، ولا يفكرون الا في أن يخفوا ثرواتهم بعضهم عن بعض • وهم يصلون من ذلك الى أن يكوم بعضهم بعضا ، والى أن يصبحوا جديرين بالكره هم أيضا • أن الانسان يكدُّس الخيرات فوق الخيرات في العـزلة ، وتسره القـوة التي يحسب أنه يملكها بذلك ، قائلاً لنفسه ان أيامه قد أصبحت بذلك مؤمّنة مضمونة ؟ انه لا يرى ، لحماقته ، أنه كلما أوغل في التكديس كان يغوص في عجز قاتل • ذلك أنه يتعود أن لا يعتمد الا على نفسه ، ويفقد ايمانه بالتعاون ، وينسى في عزلته القوانين التي تحكم الانسانية حمّا ، وينتهى من ذلك الى أن يرتمد في كل يوم خوفًا على ماله الذي أصبح فقدائه يحرمه من كل شيء • لقد غاب عن الشر تماما في أيامنا هــذه أن الأمن العقيقي في الحياة لا يتحقق بالعزلة ، وانما يتحقق باتحاد الجهود وتناسق الأعمال الفردية • ان عهد العزلة الرهب هذا سنتهى حتماً في يوم من الايام ، وسيفهم البشر فجـــأة مدى تناقض العزلة مع طبيعتهم الحقيقة ، وستهب على الانسانية يومئذ نفحة جديدة ، وستتساءل الانسانية مدهوشية يومئذ: كيف أمكنها أن تعش طوال هذه المدة في ظلمات الضلالة لا ترى النور ؟ وعندئذ سوف تظهر علامة ابن الانسان في السموات • • • وانما المهم أن نحافظ على عَلَمه الى أن يحر، ذلك الحين ، وأن نحاول ، ولو بالقدوة الفـــودية ، أن نخلتُص النفس من عزلتها بزرع المحبة الأخوية دون أن نخشى اتهامنا بالفاء • ما ينغي أن ندع لهذا الأمل العظم أن يموت ٥٠٠

هكذا كانت تنقضي ليالينا في أحاديث متسوبة متحمسة • وأصبحت

أهمل مجمع المدينة شيئاً بعد شيء ، وأصبحت لا ألبي دعوات الناس الا لما ، ثم أن الحماسة لشمخي كانت قمد بدأت تزول ، لقمد عفت «موضتي ، ولست أقول ذلك لاثما ولا عاتبا ، لأن الناس ظلوا يحبونني ويحسنون وفادتي ، ولكن يجب أن نمترف بأن « الموضمة ، تلمب في المجتمع دورا كبيما ، أما زائري المحبب فقد أصبحت أحمل له مع مرور الزمن اعجابا شديدا ، كنت أشعر أمام ذكائه بنشوة قوية ووجد عظيم، في أنني لا أتدخل فيما لا يمنيني فضولا ، فانني لم أحاول ، لا علي نحو ماشر ولا على نحو غير ماشر ؟ أن أستدرجه الى حيث يسر اللي بشيء ماشر و لا على نحو على المرد ، والمئة يشترق من أمره ، ولكنني لاحظت أخيرا أن سره ينقل على صدره ، وأنه يحترق شواً الى أن ينتح لى قلبه ، أو ذلك هو على الأقل ما شعرت به شعوراً واضحا كل الوضوح بعد شهر ، قال لى يوما :

 هل تعلم أن النساس في المدينة يشرثرون كتسيرا عنا ، وأنهم يدهشون لزياراتي المتكررة لك ؟ لا ضير على كل حال ، فان كل شي٠
 سيتضم قريبا ٠

وكان يتفق له فى بعض الأحيان أن يتنابه اضطراب شديد ، وكان فى مناسبات أخرى يطل التحفات ينهض فى الفالب لينصرف ، وكان فى مناسبات أخرى يطل التحديق الى ، ويلقى على فلسرات نافذة ، فأقول لنفسى عندئذ: د ها ٥٠٠ سيتكلم ، ولكنه ما يلبث أن يغير الحديث ، ويتطرق الى موضوعات لا قيمة لها ، أو يقول أشياء معادة مكرورة ، وكان يشكو من صداع فى كثير من الاحيان ، وفى يوم من الايام ، بعد أن تمكلم بكثير من الحرارة ، رأيته يصفر العلى عين فجأة ، ورأيت وجهسه يتقلص ، ورأيت وجهسه يتقلص ،

_ ماذا بك؟ أأنت مريض؟

ذلك أنه كان قد شكا من صداع منذ قليل .

فقال:

_ أنا • • • هل تعلم ؟ أنا • • • أنا قاتل ! • • •

وابتسم بعد أن أفلتت منه هذه الكلمة ولكن وجهه كان فد اصطبغ بزرقة ضاربة الى سواد • • ما هذه الابتسامة ؟ ، • برق هذا السؤال فى ذهنى ونفذ الى قلبى ، قبــــل أن يتسع وقتى لأن أرد بشى• • ولـكننى شحبت أنا أيضا •

صحت أسأله :

ــ ماذا تمنى ؟

فاستأنف كلامه يقول وهو يبتسم ابتسامة حزينة : `

ـــ هأنت ذا ترى كم كلفنى هذا الاعتراف الاول من عناء ! ولقــد تم الاعتراف الآن ، وستكون متابعته أسهل وأيسر ••• فهيئًا أتابع •••

لبت زمنا طويلا لا أصدق ما كان يقوله لي ؟ ولم أستطع أن أصل الى التصديق الا شيئاً عبد أن رجع الى ثلاث أسيات متناليات فروى لى القصة بجميع تفاصيلها و ظننته في أول الامر مجنونا ، ثم أدركت الحقيقة أخيرا بمرارة قوية ودهشة عيقة و لقد ارتكب هسنا الرجل فعلا جريمة قتل رهية منذ أربعة عشر عاما : قتل امرأة شابة غنية ، جميلة جدا ، كانت أرملة رجل من مالكي الاطيان ، وكان لها في مدينتنا قصر تقيم فيه من حين الى حين و لقد افتتن هذا الرجل بها افتنانا شديدا ، وتوله بها تولها مشبوبا ، وصارحها ذات يوم بحبه ، وحاول أن شديدا ، وتوله بها تولها مشبوبا ، وصارحها ذات يوم بحبه ، وحاول أن يقمها بزواجه و ولكنها كانت تحب رجلا آخر هو ضابط في الجيش على الرتبة واسع الشهرة كان عندئذ في الريف وكان عليها أن تلحق على الربقة واسع الشسهرة كان عندئذ في الريف وكان عليها أن تلحق

به قريباً • لذلك رفضت عرض صاحبي ، ورجته أن لا يحبيء اليها بعد ذلك اليوم أبدا • فلما صرفته بهذه الخشونة ، وأصبح لا يستطع أن يزورها ، تسلل ذات ليلة الى منزلهـا الذي كان يعــرف ترتــه ، مارا بالحديقة والسطح ، متهورا أشد التهور ، معرضا نفسه لأن يُكتشف . ولكن الحظ واتاء ، كما يحدث هذا كثيرا في الجراثم الجريثة ، فنفذ الى دارها من كوة في السطح ، ثم هبط السلم المؤدى من طابق السقف الى شقة السيدة • كان يعلم أن الباب الذي يوجد في أسفل هذا السلم يظل مفتوحاً في كثير من الأحان بسب اهمال الخدم • وعلى هذا انســـا كان يموسٌ صاحبي، ، فصدق حسابه ، فلما صار في الشقة اتجه في الظلام الى غرفة نوم السيدة ، التي كان يشتعل فيها سراج . وشاءت المصادفة أن تكون وصيفتا السيدة قد خرجتا في ذلك المساء ، دون أن تستأذناها ، وذلك لحضور حفلة صفيرة تقيمها صبيديقة لهما تحتفل بعيبد مبلادها وتسكن غير بعيد • أما الخدم والخادمات فقد كانوا ينامون في الملحقات بالحديقة ، أو في المطبخ بالطابق الأدنى • فلما رأى المرأة الشابة نائمة اضطرم هـــواه واستمر ، فاذا بغيرة حانقة ظامئــة الى الانتقام تشب في قلبه ، واذا هو يقترب من السيدة كالسكران ، ويغمـــــد في قلمها سكيناً وهو لا يدرك ماذا يفعل • لم يتسم وقت السيدة حتى لاطلاق صرخة • ورتب الرجل أموره بمكر شيطاني وحيل رهبية من أجل أن تقم الشبهات كلها على ساكني المنزل • لم يرض أن يستولى على محفظة القتيل ، وانما فتح أدراج صندوقها مستعنا بمفاتح وجدها تبحت وسادتها ء فاختسار مهز محتويات هذه الأدراج أشاء هي ما يمكن أن يسرقه خادم جاهل . لم يمد يده الى السندات والصكوك والاوراق التي لها قيمة كبيرة ، وانسا سرق الأموال النقدية ، وسرق الحلي الذهبية مسترشدا بحجمها ووزنها، محتقراً التحف التي يغوق ثمنها ثمن الحلي الذهبية كثيرًا • وسرق كذلك بعض الاشياء التذكارية التي سنتحدث عنها فيما بعـــد • حتى اذا أتم جريمته على هذا النحو r خرج من الدار متبعاً نفس الطريق الذي اتبعه في الدخول • ولم يخطر بيـال أحــد على الاطلاق ، لا في الغــد حين اكتشفت الجريمة ، ولا في أية لحظة من لحظات حياته ، أن يكون هــو الجاني • وكان الناس يجهلون حبه للمرأة القتيل على كل حال ، لأنه كان شديد الصمت قليل الكلام ، ولم يكن له أصدقاء يمكن أن يُسرَ البهم بشئونه • كان الناس يعدونه أحد أصدقاء القتيل لا أكثر ، حتى أنهم كانوا لا يعدونه من أصدقائها الحممين ، لأنهم لم يروه في منزلها حلال الأسابع التي سبقت المأساة • وانصبت الشبهات رأساً على خادم قن اسمه بطرس ، وكانت جميع الظروف تشير اليه وتنهمه • كان هــذا الخادم لا يعجهل أن المتوفاة _ التي لم تكن تحفي ما عقدت تيتها عليه _ تريد أن تدخله في قائمة الفلاحين الذين ستقدمهم للخدمة العسكرية ، أولا لأنه عازب ، وثانيا لأنه سيء السلوك • وقد سمعه الناس في احدى الخمارات يطلق أقوالاً يهدد فيها مولاته بالقتل وهو في حالة سكر شديد وحنسق قوى • وفي غداة الجريمة ، و'جد على الطريق ، غير َ بعيد عن الضيعة، فاقد ً الوعى من شدة السكر ، في جيبه سكين ويده اليمني ملطخة بدم. وقد فسَّر هو ذلك بأن أنفسه رعف ، ولكنه لم يُصدَّق • واعترفت الوصيفتان بأنهما غابتا عن المنزل فعلاً ، وأقرَّتا بأنهما تركتا باب الدار مفتوحاً عن سهو وغفلة • وجاءت تفاصيل أخرى مؤيدة لقرائن الاتهام هذه ، فاعتقل الخادم البرىء ، وأودع السجن ، وكان سيمثل أمام القضاء لولا أنه أصيب بحمى حارة بعد أسوع ، ثم مات في المستشفى قبل أن يفيق من غيبوبته • وأغلق التحقيق ، ولم يبق الا تسليم الأمر لله ••• وظل جميع الناس ، القضاة ورجال السلطة وأبناء المجتمع في المدينة ، مقتنمين بأن الجريمة لا يمكن أن يكون قد ارتكبها أحـــد غير الخادم المتوفى • وعندئذ انما بدأ العقاب •

وقد أسر الى الزائر العجيب ، بعد أن أصبح صديقي ، أنه لم يعرف عذاب الضمير في الاونة الاولى • صحيح أنه تألم زمنا طويلاً ، ولكن ألمه كان حسرةً على أنه قنل المرأة التي يحبها وعلى أنه فقمـد الى الأبد كل أمل في أن يسعد بقريها ، وكانت نار الحب ما تزال تكوى عروقه • أما أنه سفح دماً وقتل انسانا قذلك أمر لم يزعجه كثيراً ، ولم يكن يفكر هو فيه الا نادرا • كان اذا تصور أن تلك المرأة كان يمكن أن تصمح زوجة رجل آخر غيره لا يطبق أن يحتمل هذا التصور؟ وكان لهذا السب موقنًا بأنه كان يستحل علمه أن يتصرف الاكما تصرف. وقد هزَّه اعتقال الخادم فيأول الأمر ، ولكن مرض المتهم ووفاته لم يلمثا أن ردًا اليه هدوء وطمأنينته ، اذ كان واضحاً (هذا ما كان يقوله لنفسه) أن الخادم لم يمت بسبب اعتقاله أو بسبب صدمة نفسية ، وانما مات بسبب البرد الذي أصابه أثناء هــــروبه ، حين بات لبلة " بكاملها على الأرض الرطبة فاقد َ الوعي من السكر ﴿ أَمَا المال والأشاء المسروقة فانه لم يأبه لها قط ، لأنه (هذا ما كان يقوله لنفسيه أيضا) لم يسرقها طمعاً بل تمويهاً • ثم ان قيمة هــــذم الأشياء المسروقة لم تكن كـــيرة جــدا ، وسرعان ما وهب لمأوى الفقراء الذي أنشيء في المدينة في الآونة الأخيرة مبلغاً يساوى قيمة الأشمياء المسروقة بل يفوقه كثيراً • وقد فعل ذلك ليهدىء ضميره في موضوع السرقة ، ومن الغريب أنه استطاع أن يهدئه فعلاً خــلال مدة طويلة من الزمن كمــا أسر ً هو الي َّ يذلك • واندفع يزاول نشاط مهنته اندفاعاً قوياً ففرق في هذا النســـــاط ، واستطاع أنَّ يحصل على أن يُعهد اله بمهمة صعة متعة مضنة شفلته خلال سنتين ؟ واذ كان رجلا جمَّ النشاط فائض القوة فقد أمكنه أن ينسى الجريمــة التم ارتكبها نسبانا يشبه أن يكون كاملا • وكان اذا راودته ذكراها يبادر الى طرد هذه الذكرى • وقسد انصرف أيضًا الى البر والاحسان فدعم وأنشأ أعمالا خيرية في مدينتنا ، وذاع صيته في العواصم ، فانتخب عضوا في الجمعات الخيرية بموسكو وتنان بطرسبرج • غير أن قلقا أليما قه. استقف في نفسه بمرور الزمن ، وأخذت ذكرى الماضي تحاصره محاصرة ما تنفك تزداد الحاحاً وما تنفك تنقص اندفاعه في العمل • وتعرف في تلك الفترة الى امرأة شابة جملة ذكة ، أعجته كثيراً فقرر أن يتزوجها، آملاً أن يستطيع هذا الزواج أن يطرد كآبته ويبدد قلقه • كان يقول لنفسه انه اذا دخل حياة جديدة وأصبح ينهض، فيهمة ونشاط ، بواجباته نحو امرأته وأولاده الذين سينجبهم منها ، فانه سيستطيع أن يتخلص من شبح الماضي الذي يحاصره تخلصا تاما • ولكن ما كان يتوقعه لم يتحقق، وانما تحقق نقيضه • فانه منذ الشهر الأول من حياته الزوجية شمسعر بهذه الفكرة تعذبه وتقض مضجعه : « صحيح أن زوجتي تحبني • ولكن كيف عساها تتصرف اذا هي عرفت الحقيقة ؟ ، • وحين أسرَّت الب أول مرة أنها ستصبح أماً اضطرب وقال لنفسه : « أأهب الحياة أنا الذي قتلت ؟ ، • ثم لما كر أولاده ، أصبحت تهاجمه وتلازمه أسئلة أخرى : « كيف أجرؤ أن أحبهم وأن أربيهم وأنشئهم كأنني أستاذ يعلم الغضيلة، في حين انني ارتكت جريمة قتل ؟ » • وكان أولاده على غاية من الظرف والجمال ، ولكنه كان اذا اشتهى أن يلاعبهم يقول لنفسه : « لست جديرا بأن أتأمل وجوههم الحلوة الطاهرة التي تتلألأ فيها براءة نفوسهم • • • وأخيرا انبجس أمام ضميره طيف المرأة التى فتلها ء انبجس وعبدآ غامضآ كأنه نداء الدم المسفوح يهيب الى الانتقام! وأصبحت توافيه في اللبــل أحلام ثقيلة وكوابيس مرهقة • ومع ذلك استطاع بفضل قوة قلبه وثبات جنانه أن يحتمل هذا المذاب زمناً طويلاً ، واستطاع أن يقبله قائلاً لنفسه انه سكفِّر بآلامه الخفية عن خطيته • ولكن أمله هذا قد خاب. فَانَ القَلَقُ الدَّاخَلِي مَا انفَكَ يَزِدُادُ وَيَتَفَاقَمُ * وَالنَّاسُ فَى الْمُجْتَمَعُ يَحْشُرُمُونَهُ تقديرا نبره واحسانه ، مع تهيهم فسوة طبعه وانخلاق نفسه ، ولدنه كان يزداد شعورا بلارهاق دلما ازداد شعورا باحترام الناس له ، وقد اعترف لى بأنه فحر في الانتجار غير مرة ، غير أن قرارا اخر قد آخذ ينضج في نفسه ، قرارا بدا في آول الامر حلماً طائشاً مجسوناً ولكنه ما زال يستولى على وجدانه ويترسخ في ضميره حتى اصبح لا يستطيع أن يصرف عنه فكره ، كان يقسول لنفسه : « يجب أن أنهم نفسي أمام جمسع الناس بأنني قاتل ، » ، وظل ثلاث سنين يحمل في خياله هذ الحلم الذي يعاوده في صسور جديدة بغير انقطاع ، واتبهي الى الاقتناع بأنه سشفي روحه وسسترد أمنسه الداخلي الى الأبد ، اذا هسو اعترف بجريمته ، ولكن ما ان تأصل هذ الاقتناع فيه حتى غزا الرعب قلبه ، فأصبح يقول لنفسه : «كيف أفعل مثل هذا ؟ ، ، وفي ذلك الحين انما وقعت المارزة بنني وبين ذلك الرجل ،

قال لی الزائر العجیب :

_ حين نظرت اليك وجدت في نفسى القوة على أن أعزم أمرى وأتخذ قراري •

فهتفت أسأله وأنا أضم م يديُّ احداهما الى الأخرى :

_ هل يمكن حقاً أن يكون حادث تافه كهذا المحادث قد ولَّد في نفسك عزيمة كهذه العزيمة ؟

فأجابني قائلا :

ـــ ان هذا القرار قد نضج فى نضى خلال ثلاث سنين ، ولم تزد مبارزتك على أن أخرجته الى النور ، اننى ازاء المثل الذى ضربته أنت قد استحييت من ضعفى وحسدتك ، كذلك قال بلهجة تشبه أن تكون قاسية • قلت :

_ لن يصدُّ قوك ، فيعد أربعة عشر عاماً •••

ــ عندی براهین ، براهین رهیبة ، لا یمکن دحضها ••• ســأقدم هذه البراهین •

بكيت وعانقته ٠

وقال لى بعد ذلك كأنه يخاطب انسانا يتعلق به مصيره :

ـ أجبنى مع ذلك عن سؤال ، سؤال واحد : ما الذى سيحدث فى هذه الحالة لزوجتى وأولادى ؟ قد تموت زوجتى حزنا ، أما أولادى فانهم لن تسقط عنهم نبالتهم ولن يحرموا من أموالهم ، ولكنهم سلطلون الى الأبد أولاد سجين محكوم عليه بالأشفال لشاقة ، وأية ذكرى سحفظونها عنه ؟

صمت فلم أقل شيئًا •

وأردف يقول :

ـ سيكون على أن أنفصل عنهم وأن أتركهم الى الأبد!

لم أجب بشى ، ء وكنت أتلو صلاةً بصوت خافت ، ونهضت أخيراً وقد امثلات نفسى رعباً وفزعا ، سألنى وهو ينظر الى ً :

_ میه ؟

قلت:

ــ سلتَم نفسك للقضاء ! كل شيء سينقضي وتبقى الحقيقة وحدهاه وسيفهم أولادك حين يكبرون مدى ما احتجت اليه من نبل وسمو روحي في سبيل اتخاذ هذا القرار ه تركتى فى ذلك المساء وقد بدا عليه واضحا أنه قرر أن يعترف بجريمته • ولكنه ظل خلال الأسبوعين اللذين أعقبا ذلك ، يجى الى ً كل مساء تقريبا ، ويستمد كل يوم لتحقيق ما عقد النية عليه ، حتى اذا جاء الند جبن فى آخر لخظة عن تعقيق عزمه • وكان تردده يقلقنى ويعذبنى • انه يدو فى بعض الأحيان ثابت الجنان صلب العزيمة ، فها هو ذا يقول فى رقة وحنان :

ـ أنا أدرى أننى سأعرف الجنة منى اعترفت بجريعتى • لقد عشت أربعة عشر عاماً فى الجحيم • أريد أن أتألم • سأقبل المحنة وسأستأنف الحياة • الكذب لا يؤدى الا الى الظلمات ، وهو يسد الطريق نحو الفساء الى الأبد ! أنا الآن لا أجسرة أن أحب حتى أولادى فكيف بالناس ! سيفهم أولادى ••• آه يا رب! سيفهمون ما قاسيت ولن يدينوني !

ـــ سيفهمون القرار الذى اتخذته ، وسيستحسنونه جميعا ، ان لم يكن فورا فنى المستقبل حتما ، انك بهذا العمل تخدم الحقيقة ، تخدم حقيقة أعلى من الواقع الأرضى .

انصرف بعد ذلك وقد رضيت نفسه واشتد أذره ، ولكننى رأيت. فى الغد عائدا الى وقد شحب وجهه وتشعثت هيئته ، فقال لى بلهجة فيها سخرية :

_ كلما دخلت عليك أحسست أنك تفرس في كمن يقول لنفسه:

« لم يقرر بعد! ، • صبرك ولا تسرع في احتقارى : ان انفاذ هـــنا
الأمر أصعب معا تظن • ومن يدرى ؟ فقد أعدل عنه أخيراً! أحسب أنك
لن تمضى تشى بى !

والحق أنني لم أكن أتفرس فيه مستطلعا ، فلقـــد كنت لا أكاد

أجرؤ أن أنظر اليه • كانت هذه المأساة الداخلية تـُمـرضني ، وكنت أهم . أن أبكي في كل حين ، حتى لأوشك أن أ'حرم النوم •

قال يوما حين وصل إلى :

ــ تركت امرأتى منذ هنية • هل تستطيع أن تفهم ما معنى هـذه الكلمة : امرأتى ؟ • • • • لقد صاح أولادى يقولون لى حين خرجت من المنزل : • عد بسرعة يا بابا لتقرأ منا فى كتاب الحكايات ، • لا • • • انك لا تستطيع أن تفهم هذا • ان شقاء غيرنا يبدو لنا خفيفا •

هتف يقول :

أهذا ضرورى فعلا؟ أهو مفيد خفا أن أتى بنفسى؟ ما الداعى عند الاعتراف ولم يُحكم على أحد بسبب جريمتى ، ولم يرسسل برى الى السبجن بدلا عنى ، وقد مات ذلك الخادم من مرض ؟ أما الدم المسفوح فاتنى أكفر عنه بآلامى وعذابى ، ثم انهسم لن يصمد تونى ، وسيعدون الأدلة التى يمكن أن أقدمها ، فقيم أتى بنفسى ؟ هلا قلت لى في نفسى ، شريطة أن لا أجر زوجتى وأولادى معى الى الشقاء ، هل من المعدل أن أجرهم على مشاركتى في المقاب ؟ ألا ترى أننا قد ضللنا طريق الرشاد ؟ أين المحقيقة ؟ وهل هرؤلاء الناس جميعا قادرون حقا على أن الرساد ؟ أين المحقيقة ؟ وهل هرؤلاء الناس جميعا قادرون حقا على أن تحدر وأن يحدر كوا الحقيقة ، وعلى أن يقدروها ويحترموها كما يجب أن تقدد وأن

قلت أخاطب نفسى : « رباه ! انه يهتم بتقدير الناس في مثل هذه هذه اللحظة ! ، • واجتاحت نفسى عندئذ شفقة شديدة عليه حتى بدا لى أتنى مستمد لأن أشاطره مصيره لو كان ذلك يخفف عذابه • لقد اتقلبت سحنته انقلابا رهيبا • وما كان أشد انصعاقى حين أدركت لا بعقلى في هذه المرة ، بل بروحى وقلبى ، مدى ما يكلفه مثل هذا القرار من نممن ماهلا !

هتف يقول:

ــ قر رُ مصیری •

فأجبته هامساً:

_ سلتم نفسك للقضاء!

كان صوتى واهناً ضعفا ، غير أن فيه حزماً وصلابة ، ثم تناولت الكتاب المقدس من على المائدة ... في ترجمته الروسية ... ودللته على هذه الفقرة من انسجيل يوحنا ، الاصحاح ١٧ ، الآية ٢٤ : « الحقّ الحقّ أقول لكم : ان لم تقع حبة القمح في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ، ولكن ان مات فهي تأتى بشر كنير ، ، وكنت قد وقمت على هذه الآية قل زيارته بلحظات ، قرأ الآية وقال :

ــ هذه هي الحقيقة •

ولكنه ابتسم بعد ذلك بمرارة ، وصمت لحظة ثم قال :

ـــ ما أكثر ما يجد المرء في هذه الكتب! ما أسهل ما يوضع تحت أنفك كلام كهذا الكلام! فمن ذا الذي كتب هذا كله ؟ هل يمكن أن يكون الذين كتبوه بشرآ ؟

قلت:

ـ مم • ولكنهم كتبوه بوحى من الروح القدس •

عاد يقول مېتسما مرة ً أخرى ، ولكن ابتسامته فى هذه المرة يكاد يكون فيها كره :

_ مهما تنكلم !

فنحت الانجيل على موضع آخر ، وأريته الآية ٣٩ من الاصحاح ١٠ ، « الرسالة الى العبرانيين ، • فقرأ : « مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحي ، •

فرمى الكتاب وأخذ جسمه كله يرتعد • قال :

ــ هذه آية رهيبة • يجب أن أعترف لك بأنك أحسنت اختيباره للمناسية •

وتهض قائلا :

ــ الوداع • أغلب الفلن أننى لن أجىء اليك بعد اليوم • سننتقى فى الجنة • لقد « وقعت اذن فى يدى الرب الحى ، مدة أربعة عشر عاماه يظهر أن على أن أسمتى هذه الفترة من حياتى هكذا • غدا سأضرع الى تينك البدين أن تتركاتى •••

وددت لو أقبله ، ولكننى لم أجرؤ ، كانت فسمات وجهه متقبضة وكانت نظرته ثقبلة ، خرج ، تساءلت : « الى أين يمضى هذا الانسسان الآن يا رب ! ، ، وارتميت جاتيا على ركبتى أمام أيقونة المغداء ، صليت باكيا لأم الرب التى تحف للى النماعة والحماية ، اتقضى نصف ساعة دون أن أكف عن الدعاء والبكاء ، أوشك الليل أن ينتصف ، هذا باب المعرفة يُغتح فجأة ، وهذا صاحبى يظهر من جديد ، أذهلتنى رؤيته ،

سالته:

۔ من أين جثت ؟

ـــ نسيت ٥٠٠ أظن أننى نسيت عنــــدك شيئا ٥٠٠ هو منديل فى أغلب الغلن ٥ وهبنى لم أنس شيئا ، قان هذا لا يمنعنا من أن نتحدث ٥٠٠

جلس • بقيت واقفا أمامه • قال لى :

ـ اجلس أنت أيضًا •

أطعه • لبننا على هذه الحال بضع دقائق لا تتكلم • كان يحدّق الى أ • وفجأة ، ضحك ضحكة صغيرة ••• أنذكر ذلك ••• ثم نهض ، وافترب منى ، وعانقنى بحرارة ••• وقال يخاطبنى فى هذه المرة بعسيغة المفرد :

ـ تذكَّر أننى جئت اليك هذه الليلة • لا تنس ذلك • فهمت ؟

تلك أول مرة يخاطبنى فيها بصيغة المفرده ثم خرج • قلت لنفسى: « انه فاعل غدا » •

لم يخطى، ظنى • كنت أجهل فى ذلك المساء أنه يحتفل غداً بعيد ميلاد • اننى لا أخرج منذ حين الا لماماً ، فلم يذكر لى أحد ذلك • كان يقيم فى كل سنة حفلة كبيرة فى منزله يدعو اليها كل أبناء المجتمع الراقى من أهل المدينة • وكذلك فعل فى هذه السنة • حتى اذا انتهى المشاء تقدم الى وسط الهالة ، مسكاً بيده ورقة كتب عليها اعترافاته موجهة الى رؤسائه • كان رؤساؤه حاضرين الحفلة • قرأ تصريحه بصوت عالى ، ذاكراً جميع تفاصيل الجريمة التى ارتكبها منذ أربمة عشر

السنين ، والتي يأمل أن يبرهن بها الآن على قامه بجريمته : حلى المرأة القتيل ، التي سرقها تمويهاً ودفعاً للشبهات ، والصليب والنيشان (الذي يضم صورة خطيب المرأة القتيل) ودفترا ورسالتين ؟ فأما الرسالة الأولى فهي من الخطيب يبلغ فيها خطيبته أنه آت قريبا ، وأما الثانية فهي جواب لم تتم كتابته وقد تركته على منضدتها لترسله الى خطيبها فيالفد. ماذا كان هدفه من أخذ هاتين الرسالتين ؟ وماذا كان الدافع الذي دفعه بعد ذلك الى أن يحتفظ خلال تلك السنين كلها بهذه الأدلة التي تتهمه وتمرُّضه للخطر بدلًا من أن يتلفها ؟ مهما يكن من أمر ، قاليكم ماحدث: ذُ هل الحضور من اعترافاته ، وانتابهم جزع ، ولكنهم رفضوا أن يصدقوا هذه الاعترافات • صحيح انهم أصغوا اليه بكثير من الانتباه والاستطارع، ولكنهم انها أصغوا اليه اصناءهم الى انسان مريض • وبعـــد بضعة أيام كانت المدينة كلها مجمعة على أن المسكين قد فقد عقله • والن لم يكن في وسع رؤساته ورجل السلطة أن لا يتابعوا الأمر ، فقد أرتأوا أخيراً أنه لا مجال لتحريك القضاء • ذلك أن الرسالتين والأشياء التي قدمها ان كانت تبعث على التفكير ، فلا يمكن أن يُنبني عليها وحدها اتهام ، حتى ولو ثبت أنها للقتيل ، فمن المكن أن تكون القتبل قد عهدت السه بها كصديق . وقد علمت ُ فيما بعد أن أصدقاء الضحية وأقرباءها قد تعرفوا هذه الأشياء ، فلم يبق حول ذلك شك • ولكن القضية لم تُحرَّك رغم هذا ، فقد عُلم بعد خمسة أيام أن المسكين قسيد مرض وأن حياته في خطر ٥ لا أستطيع أن أقول ماذا كان مرضه ٥ وقد تبحدث النــاس عن اضطرابات قلبة • ومهما يكن من أمر ، قان الأطباء قد فحصوا حالتــه العقلية أيضًا ، وذلك بالحاح من امرأته ، قاتتهوا الى أنه مصاب ببداية جنون • ولم أكشف عن اعترافاته لى طبعا ، رغم أن جميع الناس قـــد

حاصروني بالأسئلة ، وحين أردت أن أذوره مع ذلك أُغلق دوني بابه ، وكانت امرأته خاصة مى التى حالت بينى وبينه ، قانت لى : «أنت الذى أدخلت الاضطراب والاختسلال الى عقله ! لقسد كان دائماً قاتم المزاج ؟ وأصبح ضطرابه النفسى وسلوكه الغريب يقلفاننا منذ عام ، فجئت أنت فأجهزت على عقله ! أنت الذى حشوت رأسه بهذه الأفكار ! انه منذ شهر لا يكاد يخرج من عندك !

ولم يكن هذا شأن امرأته وحدها ••• هل تصدقون هذا ؟ لقــد هاجمتنى المدينة كلها عندئذ وأغرفتنى لوماً وتقريعاً •

_ هذه خطئتك !

هذا ما كان يقوله لى الناس في كل مكان .

وكنت أصمت فلا أجيب ، وكنت في قرارة نفسي سعداً ، ذلك أنني أدركت أن الرب قد أشفق على الرجل الذي أدان نفسه وأداد أن يلقي جزاء ، أما جنونه المزعوم ، فما كان لى أن أصدقه ، وسُمح لى أخيرا بأن أراه ، لأنه أعسرب هو نفسه عن هسند الرغبة ملحاً من أجل أن يود عني و دخلت عليه أدركت منسد اللحظة الأولى أن ساعاته لا أيامه وحدها ، معدودات ، كان واهنا ضعيفا أصفر الوجه مرتش اليدين يتنفس بكثير من المناء ، ولكن نظرته تبسّر عن الفرح والهدوء وتات الحنان ، قال لى :

ــ اتصرت الحقيقة ! اننى انتظرك منذ مدة طويلة ، لماذا تأخرت في المجيء ؟

أخفيت عنه أنثى مُنعت من مقاربته •

 يعد تلك السنين الطويلة كلها ، لقد وجدت الجنة في نفسي مند تكلمت مستوحياً ضعيري ، أصبحت لا أخشى أن أحب أولادى وأن الاطفهم وألاعبهم ، ان الناس ترفض أن تصدقني ؟ ما من أحد يريد أن يسلم بأنني قاتل ، لا زوجتي ولا قضاتي ، وأولادى لن يصدقوا هسندا ، هم أيضا ، سوف أموت ، ولكن اسمى سيظل في نظرهم طاهرا لم يدنسًس ولم ينطئة ، وان قلبي لمبتهج كأنني في الجنة ، • ولقد قعت بواجبي • • •

لم يستطع أن يكمل كلامه ، فقد اتنابه اختناق ، غير أنه شد على يدى بحرارة ، ونظر الى صادنا ، وقد سطعت عيناه بلهيب ، لم تتمكن من اطالة حديثنا ، لأن امرأته قد نفسه صبرها ، فهى تشق البساب بغير انقطاع ، واتسع وقته مع ذلك لأن يدمدم قائلا :

هل تتذكر أننى جئت اليك فى ذلك المساء ، عند منقصف الليل؟
 لقد أوصيتك عندئذ بأن لا تنسى ذلك ٠٠٠ فهل تعلم ماذا كان هدفى
 حين جئت اليك فى تلك الساعة ؟ كان هدفى أن أقتلك !

رتشت ه

_ فبعد أن تركتك ، لبت أطوف في الشوارع على غير هدى زمناً طويلا أصارع نفسى ، فاذا أنا أشمر فجأة بكره لك بلغ من القوة أننى أحسست أن قلبى يوشك أن ينفجر ، قلت لنفسى : « بسببه وحده انعا أنا مضطر الى الاعتراف الآن ، لقد أصبح قاضى ، ولن أستطع أن أفلت من المقاب غدا لأنه يعلم كل شيء ، « ليس معنى هذا أننى كنت أخشى أن تشى بى (ان هذه الفكرة لم تخطر ببالى في لخظة من اللحظات) ولكننى كنت أقول لنفسى اننى لن أستطيع أن أنظر اليك بعد ذلك اذا أنا لم أسلم نفسى للسلطات ، وسيان أن تكون في هذه المدينة وأن تكون في هذه المدينة وأن تكون في المدينة وأن تكون في المدينة وأن تكون في المدينة وأن تكون في المدينة وأن المدينة وأن

عالماً بأمرى حاكما على مدينا اياى و فأخذت أكرهك ، كما لو كنت علة شقائى ، كما لو كنت مسئولاً عما أنا فيه و ورجعت اليك متذكراً أن عندك على المائدة خنجرا و وجلست ، ودعوتك أن تجلس أنت أيضا ، ولبت دفيقة طويلة أفكر وأنا أحدثق اليك و بديهى أن حيساتى كانت ستحطم على أى حال لو قتلتك ، وأننى كنت سأتهى نهاية شقية ، سواء اعترفت بالجريمة الأخرى أم لم أعترف ولكن ذلك لم يخطر ببالى فى تعدوقنى رفية قوية فى أن أثار منك لكل ما كنت قد قاسيته من عداب و كانت أما عسدا ذلك فكان لا يعنينى و ثم انتصر الرب فى تلك الدقيقة على السيطان فى قلبى و ولكن اعلم أن الموت لم يقترب منسك فى يوم من الشيطان فى قلبى و ولكن اعلم أن الموت لم يقترب منسك فى يوم من الأيام كما اقترب منسك فى يوم من

مات الرجل بعد أسبوع • ونبيت المدينة كلها جثمانه الى المقبرة وألتى الكاهن كلمات مؤثرة • وانتحب المنتجون حزناً عليه ، واستكوا مراً الشكوى من المسرض الذى أمانه • وبعسد الجنازة قاموا على • وأصبحوا منذ ذلك الحين لا يدعوننى الى منازلهم • غسير أن عدد امن الأشخاص ، كانوا قلة في أول الأمر ثم تكاثروا بسرعة بعد ذلك ، قد انتهوا الى الاقتناع بعسدق اعترافاته ، فكانوا يجيسون الى في كثير من الأحيان يزعجوننى بأسئلتهم عنه ، وقد امتلأت نفوسهم فضولا شديدا وخبناً خفياً • ان الانسان يحلو له يرى رجلاً صالحا يسقط ويتلطخ شرفه • أبيت أن أتكلم مع ذلك ، ثم لم ألبت أن بارحت تلك المسدينة ما مبارحة تلمة • وبعد خمسة أشهر من على الرب فوجهنى في طسريق ما اليين والنور ؟ بوركت اليد الخفية التي قادت خطاى تحو الهدف • أما صحيى ذلك ميسبل ، خادم الرب ، الذى كان عائر الحلف ، فعا حتى صاحبى ذلك ميسبل ، خادم الرب ، الذى كان عائر الحلف ، فها حتى هنه في صلواتى كل يوم منذ ذلك الحين ، وما ذلت أذكره فيها حتى هنه الساعة •

بعضل لنعاليم التي عبرّ عنها الأب زوسيما في أحساديثه

ه ... حديث عن الراهب الرومي والدود الذي يمكن أن يقوم به ٠

الراهب يا اخوتي ومعلمي ؟ ان بعض النساس في الأولية في الأوساط المثقفة ينطقون بهسفه الكلمة في الأوساط المثقفة ينطقون بهسفه لآخر يعدها هسبة واهانة و وسوء النهم هذا ما ينفك يتعاقم الحقيقة وا أسفاه ! ــ كسالي وفجرة وفاسسقين و فأولئك أناس أفاقون المقياء ارتموا في الأديرة و والمتنورون من أبناه المجتمع يدلنون علينا بهذا ليعدونا رجالا وابن ع لا خير فيهم ولا نفع منهم ، ولياملونا كما يعامل طفيليون ومتسسولون لا شرف لهم و ولكن ما أكثر المتواضعين بينا مع ذلك ! ما أكثر الذين لا يطمحون الا الى أن يصلوا للرب صلاة حارة في عزلتهم الهادئة ! ان الناس لا يلقون بالا الى أولئك ، حتى أنهم لا يأتون على ذكرهم ولا يتكلمون عنهم البتة والا ما أشد الدهشة التي سيشعر بها أولئك الثالسون المشتمون اذا هم

علموا أن روسيا المقدسة انما سينقدها مرة أخسرى في يوم من الأيام هؤلاء الرهبان المتواضعون الظامئون الى العزلة والصلاة! ان هؤلاء الرهبان يستعدون صامتين د لليوم والساعة > للشهر والسنة > التي سيحين حينهاه هم الآن يسهرون على صورة المسيح > محاولين بكثير من التقى والخشوع في حياتهم المنمورة > أن يحافظوا على ما لهذه الصورة من سناء ونقاء > فهم يسيسسون في الحقيقة الالهية وفقاً لتماليم آباء الكنيسة والرسل والشهداء • حتى اذا دفت الساعة ذكروا البشر برسالته الى الانسانية المترتحة • ان هناك فكرة عظيمة هي قاعدة حياتهم • انها النجمة التي ستطلم يوما من المشرق •

ذلكم هو رأيى في الرهبان و أأكون على ضلال ، أيكون حكمي قائما على عجب وغرور ؟ انظروا الى الطمانيين ، هؤلاء الذين يعيشون في المجتمع ويعدون أنفسهم أعلى من رجال الدين : ألم يدنسوا المنوسهم في المجتمع ويعدون أنفسهم أعلى من رجال الدين : ألم يدنسوا النوسهم يعيكون العلم ، ولكن العلم لا يعرف الا ما تدركه لحواس و أما الكون الروحي ، أما المنصر الأسمى في الطبيعة الانسانية ، فقد رفضوه وبنووه من الرحوه وأدانوه ، شاعرين بنوع من فرح الانتصار ، بل وبنوع من الكره والبغض و ان العالم يعتز بالحرية ، ولا سيما في أيامنا هسنه ، ولكن ما الذي تؤدى البه هذه الحرية ، وما الذي تراه يتأكد باسمها ؟ عودية النفوس والانتحار الأخسلاقي وهو الذي تراه يتأكد باسمها ؟ عبدات ، فعليك أن تسمى الى ارضائها ، لأن حقوقك لا تقل عن حقوق حاجات ، فعليك أن تسمى الى ارضائها ، لأن حقوقك لا تقل عن حقوق عقيدة هذه الأيام ، هكذا يتصور الناس الحرية في هسندا المصر و فعا الذي يؤدى البه هذا الحق المزعوم في الكار المره رغبائه ؟ انه يؤدى الدى الأغنياء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى الحديد الدى الأغنياء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى الحديد لدى الفقراء الى الحديد الذي الأغناء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى الحديد الدى الأغناء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى الحديد المناه الحرية المناه المورية المه المناه المورة المناه المناه المؤلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى الفقراء الى المزلة والموت النفسى ، ويؤدى لدى المناه المزلة والموت النفس المناه المؤلف المناه المؤلف المناه المؤلف المؤلف المؤلف المؤلف المناء المؤلف المناه المؤلف ا

والقتل • ذلك أن الناس قد أعطوا حقوفا ، ولكنهم لم يعلمُمــوا بعد' وسائل تحقيق الفلبة لها ووسالى ارضاء حاجاتهم • يزعم بعضـــهم أن التطور الطبيعي يقود الانسانية نحو مزيد من الاتحاد ، فازالة المسافات بالمكتشفات الحديثة ، وانتشار الفكر في الهواء ينميان الاحساس بالأخوة والتضامن • واحسرتاه! لا تدعوا لهذه الأوهام أن تخدعكم! ما من وفاق يمكن أن يقوم على أسس من هذا النوع • اننا اذا تصورنا الحرية على أنها قدرة الفرد على اكثار حاجاته وارضائها بسرعة ، كنا نشوَّ. طبعة الانسان ، ونثير فيه حاجات باطلة لا سبيل الى تحقيقها ، ونخلق له عادات حمقاء وأحلاماً مجنـونة • ان الناس لا يعيشـــون اليوم الا في الحسد اشباعا لشبهواتهم أو ارضاء لغرورهم • ان اقامة الحفلات ، و لخروج فىالنزهات ، والتمتع بالمآدب، واقتناء العربات لفاخرة ، والظهور بالمظاهر الخلابة وامتلاك العدم الأفنان ، ان ذلك كله يبدو لأبناء المجتمع ضرورة وشرفهم ، وأن يتخلوا عن حب الانسان أخاه الانسان ، حتى لمؤثرون أن ينتحروا على أن يتنازلوا عنها • وهذا يصدق أيضًا على من لا يملكون ثراءً طائلاً • أما الفقراء فانهم يخنقون بالسكر ، الى حين ، ما يشمرون به من حسد ، وما يدركونه من استحالة ارضاء رغاتهم • ولكن سأتي يوم" يسكرون فيه بدم لا بخمر • فالى هذا انما يُدفعون • انبي لألقى عليكم هذا السؤال: هل هؤلاء الرجال أحرار ؟ لقد عرفت في الماضي مثقفاً كان « يناضل في سبيل فكرة » • وقد أسر " الي " هذا الرجل في ذات يوم أنه حين حُرم من التدخين في السجن بلغ ألمه من هذا الحرمان أنه أوشك أن يعنون « فكرته ، في سبيل التسدخين • وكان يزعم أنه يريد أن « يناضل في سبيل الانسانية ، • هل تصدق أن رجلاً كهـذا الرجل يمكن أن يعضى بعيدا في بذل الجهد ؟ انه عاجز الا عن اندفاعات مؤقتة وعمل مباشر ، أما الثبات والاسستمرار فلا طاقة له بهما ، فهسل غريب بعد هذا أن البشر لم يجدوا الحرية بل المبودية ، وأنهم بدلاً من أن يخدموا الانسانية وأن يوحدوها قد سقطوا الى « العزلة ، > كما قال لى في شبابي زائرى المحبب ومعلمي ذاك ؟ لهذا نرى العالم الآن بسبيل أن يفقد اليوم حس الاخلاص للانسانية ، حس الوحدة الانسانية لا تتير الا ابتسامات من أصبحت لا يؤمن بالأوهام ، و وأنتى لانتير الا ابتسامات من أصبح لا يؤمن بالأوهام ، و وأنتى للانسان فعلا أن يتحرر من عاداته المكتسبة ، وماذا يمكن أن يصير اليه الانسان الذي استبدته حاجاته ، اذا كنا قد علمناه أن يرخى الشهوات الكثيرة التي يخلقها هو نفسه ؟ ان انسانا هذا شأنه انما يميش في عزلة روحية ، وهل تعنيه الجماعة في هذه الحالة ؟ ذلك ما وصل اليه البشر: جمعوا ثروات فوق ثروات ، أما الفرح فقد تنافس في قلوبهم ،

ولا كذلك لطريق التي يسير فيها الراهب • كيرا ما يسخر الناس من الطاعة والصيام والصلاة مى في الطاعة والصيام الوصدة الى بلوغ الحرية الحقيقة : اننى حين أضحى بحاجاتي الزائدة ، وحين أسيطر بالطاعة على ادادتي المزهوة الأثانية ، انما أرتفع بمون الله الى الحرية الروحية التي تهب لى الفرح النفسى • أيّهما أكر تأهيا للنضال في سبيل فكرة عظيمة ، ألفنى الذي يعيش في عزلته الروحية أم الراهب الذي تحرر من استبداد العادات والحاجات المدية ؟ ان بعض الناس يأخذون على الرهبان أنهم معتكفون ، فهم يقولون لهم : « لقد اعتزلتم العالم المتضمنوا سلامتكم وراء جدران دير ، ونسيتم لهم : « لقد اعتزلتم العالم الموقت من الموقت تضامنكم مع البشر اخوتكم ، ونسيتم واجب خدمة الانسانية ، • لسوف نرى من الذي سيخدم قضية الأخوة الانسانية خيرا من غيره • ألا انهم هم الذين يسيشون في العزلة ، لا تحن ، وكثنهم لا يدركون ذلك • ومن

ينتا انها خرج ، منذ أقدم العصور ، أوائك الرجال الذين ناضلوا في سيل سعادة الشعب ، فلماذا لا يكون الامر على هذا النحو اليوم ؟ لسوف يُسرى هؤلاء الرهان المتواضعون الذين يلتزمون قواعد العيام والصمت لسوف يرون في يوم من الايام يهبون للقيام بطائم الأعمال ، ان الشعب هو الذي سينقذ روسيا ، وان الرهبان الروس قد ظلوا متحدين بشعبنا اتحادا قوياً في جميع الأزمان ، اذا كان الشسعب في المعزلة فنحن في المزلة أيضيا ، ان ابن الشعب يؤمن بها نؤمن به نحن ، أما متقفونا الملحدون ، فانهم لن يصلوا الى شيء في روسيا ، ولو صسدقت قلوبهم وكانوا ينعمون بذكاء عقرى ، تذكروا هذا : ان الشعب سيقوم أخيرا على الملحدين وسيفلهم ، سوف تسترد روسيا العظيمة وحدتها الروحية في الأرثوذكسية ، اسهروا على الشعب ، وصونوا طهارة روحه ، ربوه في صمت ، تلكم هي رسالتنا أيها الرهبان ، لأن هذا الشعب يحمل في نفسه الله .

و ــ حديث عن السادة والغدم هل يمكن أن يصبحوا اخوة في الروح ؟

انه الصحيح ، وا أسفاه ، أن الشعب يعيش فى الخطيئة هو أيضا ،
ان عوامل الاتحلال والتفسيخ تنابع عملها ، وان الشر ينتشر ساعة بمد
ساعة ، لأن عدواه تأتمى من الطبقات العليا ، فاذا بالصفار والفقراء يقمون
فى العزلة هم أيضا ، اتنا نرى ظهور المحتكرين والمستفلين ، والتجار
يزدادون ظماً الى مظاهر المجد ، انهم يريدون أن يُعدروا متقفين ، مع
أنهم لا يملكون أية تقاقة فى الواقع ، وهم يحسبون أنهم يصلون الى
ذلك باظهار احتقارهم للعادات القديمة ، ويبلغون فى هذا حد الشسمور
بالخجل والعار من إيمان آيائهم ، انهم يختلفون الى مجتمع الأمراء ،

مع أنهم ليسوا الا فلاحين متدهورين • ان الادمان على الخمر يهلك روح شعبنا الذي لا يستطيع التحرر منه • ما أشد قسمسوة حياة المرأة وحتى حياة الاطفال في الاسر الفقيرة! ان الاسراف في شرب الخمرة هو سبب ذلك • لقد رأيت أطفالا يعملون في المصانع وهم لمَّا يكادوا يبلغون العاشرة من أعمارهم : انهم ضعاف هزيلون مقوَّسو الظهور قد فسدت أخلاقهم منذ ؛لآن • القاعات الخانقة المسوبوء هــــواؤها ، ضبجة الآلات ، العمل الذي لا تتخلله راحة كافية ، الأحاديث البديئــة التهر يسمعها الطفل في هذه البيئة ، المشروبات الكحولية ، ذلك كله لا يخلق مناخا صالحا لنفس الطفل، أن الأطفال في حاجة إلى الشمس ، والألماب، والقدوة الحسنة ، وحد أدنى من العاطفة والحنان ! يحب أن تنتهي هذه الحالة أيها الرهبان ، وأن يتخلص الاطفال من العذاب ! امضوا الى سينقذ روسيا رغم كل شيء • ذلك أن ابن الشعب ان تدهور وأصبح لا يشعر بالقدرة على العدول عن هذه الخطايا لرهبية ، فانه يعلم على الأقل أن سوء سلوكه هذا لا يرضى الرب ، وأنه يخطىء اذ ينقاد للشر. ان شعبنا لم يفقد ايمانه بالخسير • انه مؤمن بالله ، وهو يكي ندماً على خطاياه بدموع صادقة • وليس هذا حال أبناء المجتمع الراقي وا أسفاه ! فهؤلاء يدعون اقامة العدالة بمعونة عقلهم وحده ، مستلهمين تعاليم العلم مستغنين عن المسح بعد النوم • حتى لقد نادوا منذ الآن بأنه لا خطئة ، بأنه لا جريمة • ولا شك أنهم من وجهة نظرهم على حق : فاذا لم يكن هنالك اله ، لم يكن هنالك خطيئة ! في أوروبا تنور الشعوب على الأغناء وتريد أن تقاتلهم بالقوة ؟ وقادتها تقودها في كل مكان الى اراقة الدماء قائلة " لها ان غضبها حق وعدل • ألا ان « الفضب ملمون لأنه قاس ، • ان روسا سخلِّصها الرب ، كما ســـق أن خلَّصـها الرب مرارا فير الماضي • وسيأتي الخلاص من الشعب ، سيأتي الخــــلاص مما يملــكه الشعب من روح الأذعان لمشيئة لله ، ومن ايمان بوجود الله • ف آبائي ومعلمي" ، صونوا ايمان شعبنا ، لأن ما أبشركم به الأن ليس حلما من الاحلام • لطالما شدهت أثناء حيماتي كلها مما يتمتع به شعينا الروسي العظم من كرامة صادقة ونيل كسمير + لقد رأيت هذا بنفسي ، وكنت شاهداً علمه ، وفي وسعى أن أؤكده لكم ، رغم الخطايا الكثيرة والمبائس الشديدة التي يعش فيها ٠ ،ن الفقراء والصيخار لم يصحوا عبدا في بلادنا ، بعد قرنين من الرق ، بل حافظوا على مسلك الحرية ، دون أية غطرسة مع ذلك ؟ ولم تعصف بنفوسهم روح الحسد والانتقام • لسان حالهم يقول : « أنت غني ، وأنت في مرتبة عالبة ، وأنت ذكي ، وأنت صاحب موهمة • انني أعلم ذلك ، وأسأل الله أن يحملك ! انني أحترمك، ولكنني لا أنهي أنني أنا أيضًا انسان • واذا احترمتك دون أن أحسدك، فانني أؤكد أمامك كرامتي الانسانية ، • لئن كانوا لا يقولون هذا الكلام صراحة (لأنهم لا يحسنون التعير عما بأنفسهم) ، فان هـــذا الموقف النفسي يتجلى في سلوكهم • رأيت ذلك ، وكنت شاهداً عليه • صدقوني اذا قلت لكم : ان الروس تزخر نفوســهم بالحققة النبلة على قـــدو ما يكونون فقـراء صـغارا • ذلك أن الذين اغتنــوا منهم قد أصــِحوا محتكرين ومستغلين وفسدت أخلاق أكثرهم منذ الآنء وهذا أمر نمسأل عنه نحن أنفسنا بعض الشيء بسبب اهماننا وضعف تشاطنا وهمتناه ولكن الرب سينقذ ذويه ، لأن روسيا عظيمة باذعانها لمشيئة الله • انني أحسلم بمستقبلنا ، قب دو لى أحيانا أننى أراه : سيأتي يوم يشعر فيه أفسد أغنياتنا أخيرا بالخجل والعار من ترواته أمام الفقير ؟ وسبيرهن الفقسير يومذاك ، بعد أن يرى تدم الفني ومذلته ، على حسن الفهم هو أيضا ، فترك له خيراته فرحا ، مستجما بالحب للتوبة النملة يتوبها ذاك الذي أسم عليه القدر • صدقوني أن هذا ما سيكون ، لأن هذا هو ما يقودنا اليه التطور • لن يكون هناك مساواة الا في الشسمور بكرامة الانسان الروحية ، وهذه حقيقة غير مفهومة الا في بلادنا • لسوف تسود الأخوة متى أصبح البشر اخوة بالقلب ، وبدون هذه الأخوة لا يمكن أن يكون هناك قسمة عادلة • ألا فلتحتفظ في أنفسنا بصورة المسبح ، حتى تشرق على العالم في يوم من الأيام درة "تشع ضياء • آمين ، آمين !

يا آبائي ومعلمي علم الله اتفق لى في الماضي أن عانيت تجربة تمهز النفس هزآ فوياً • حينما كنت أجوب روسيا ، النقيت في مدينة ك •••، وهي مركز مقاطعة ، بعقادمي الجندي آتانازي الذي لم أكن قد رأيته منذ ثماني سنين ، أي منذ اليوم الذي صرفته فيه الى الثكنة • لقد لمحنى مصادفة في السوق فعرفني فهرع الى وقد استحفه الفرح :

وقادتی الی منزله ۰ کان قد تحرر من الجندیة وتزوج وأنجب طفلین ، وهو یمیش مع أسرته من تجارة صفیرة علی بسطة ، ان مسکنه ضیق ولکنه ظیف مفی، ۰ فلما أجلسنی ، سخنًن السماور وامستدعی امرأته ، کأن زیارتی عبد له ، وقدم الی ولدیه قائلا :

ـ باركهما يا أبانا ه

فأجبته :

۔ أأنا من يباركهما ؟ ما أنا الا راهب متواضع • سأدعو الله لهما• أما أنت يا آنانازى بافلوفتش ، فانى ما كففت عن الدعاء لك كل يوم ، منذ ذلك الحادث الذى وقع بينا ، لأن كل شىء قد بدأ يومذاك •

شرحت له ما وسمعني أن أشرح • فكان ينظــر الي مدهــوشا ،

لا يستطيع أن يفهم أن مولاء القـديم ، الضابط ، موجـــود الآن أمامه بمسوح واهب بسيط ، حتى لقد أخذ يبكي ، سألته :

ـــ لماذا تبكى يا من لم أنسه قط ؟ ألا ان الأفضل أن تُـــر وتفرح يا عزيزى لأن الطريق الذى اخترته لنفسى طريق جميل مضيء ٠

کان لا یتکلم وانما هو یتنهد تنهداً ویهز رأسه بعطف قوی وتأثر شدید ۰ وسألنہ :

_ ماذا صنعت بشروتك ؟

فأجبته :

ــ وهبتها للدير الذي نعيش فيه حياة مشتركة •

وودعتهم بعد أن شربنا الشاى ، فاذا هـــو يعطينى خمسين كوبكا للدير ؟ واذا هو يدس ُ فى يدى خمسين كوبكا أخرى ، خلسة ّ ، وهو يقول :

ـــ هذه لك أنت • فما دمت راهبا تضرب فى الأرض فقـــد تنفعك فى الطريق •

قبلت صدقته ، وحبيته وحبيت امرأته ، وانصرفت مبتهج القلب ، أحدث نفسى قائلاً : « لا شك أنه مثلى في هسنده اللحظة ، ينتهد تارة وينسم تارة أخرى ، هازاً رأسه منسائلاً كيف جمع الرب بينا من جديد ، • ولم أره منذ ذلك الحين ، لقسد كنت سيده وكان خادمى ، ولكنا حين تمانقنا أثناء لقاتا بمحبة وحنان قد أعدنا أقامة الاخوة الانسانية الكبرى بيننا • لطالما فكرت في هسندا الأمر بعد ذلك ، واني لأساط اليوم : « لماذا لا يكون من الممكن أن يتحقق الاتحاد بين الروس على هذه الطريقة السيطة الصادقة نفسها في يوم من الايام متى آن الأوان؟ • انتي أعتمد بأن هذا الاتحاد العظيم سيتم وأن ساعته اقتربت •

واتى لأضيف ما يلى في موضوع الخدم : كان يتفق لى في السنين

الأولى من شبابي أن أغضب على الخدم : « سكبت الطباخة الحساء ساخناً مفرطا في السخونة ؟ الخادم لم ينظف ثبابي بالفرشاة ، • ولكن ذكري أخي العزيز قد بعثت في نفسي نورا ، لان افواله كانت تعاودني دائما : ه أأنا جدير بأن يخدمني الانسان ؟ هل يحق لي أن أعده أدني مني لانه فقير جاهل ؟ » • وقد أدهشني بعد ذلك أن معاني بسيطة هذه البساطه واضحة هذا الوضوح لا تمرض لعقولنا الا متاخرة • ان الحياة تصبح اليوم مستحيلة ما لم يكن هناك سادة وخدم • فلا أقلَّ من أن نجمل سلوكنا يُشعر خدمناً بأن خدمتهم ايانا لا تُنقص حريتهم • لماذا لا تصبح خدماً لخدمنا ؟ انهم اذا لاحظوا أننا لا نتكبر عليهم أى تكبر ، سيتحررون من الشك فينا ومن محاذرتنا. لماذا لا تمدهم أقرباء ولا نستقبلهم في أسرنا مبتهجين بوجودهم بيننا ؟ ان هذا الموقف يمكن اتخاذه منذ الآن ، ويمكن أن يكون قاعدة " للاتحاد العظيم الذي سيتحقق للانسانية في المستقبل ، يوم َ يشعر الانسان أنه لس في حاجة الى أن يكون له خدم ، ويوم يحاول أن لا يرد أقرانه الشر الى السودية كما يفعل الآن ، وانما يتطلع بكل نفسه الى أن يصبح خادمًا لجميع الناس عميلاً بروح الانجيال • أتظنون أنه حلم باطل أن يراودنا الأمل في أن نرى البشر أخيرا ينشدون . السعادة في السمو النفسي وممارسة المحبة ، بدلا من السعى الى الملذات المتوحشة في النهم والفجور وحب الظهور وفي ذلك الظمأ الحاسد الى الارتفاع فوق الآخرين ؟ أما أنا فانني أؤمن ايمانا راسخا بأن هذا ليس أملاً باطلاً ، وأن الزمان الذي ستحقق فيه هذا الأمل قد اقترب • ان الناس يرفعون أكتافهم ويسألونكم ساخرين : « متى يأتى هذا الزمان ، وهل ما نراه الآن في العالم يسمح بمثل هذه التنبؤات؟ ، • انني أعتقد بأننا سنحقق هذا العمل العظيم بمعـونة السبح • ما أكثر الأفكار التي بدت في الماضي مستحيلة التحقيق ، والتي عُدت قبل عشر سنين أَفْكَارا

حمقاء طائشة ، ثم اذا هي تنتصر فجاة عني الارض وتنتشر في كل مكن، لأن ساعة تحققها قد دقت وكانت خافية مستسرة ! ذلكم ما سيكون في بلادنا ، وسيشرق نور شعبنا على الانسانية ، وسيهتف جميع البشر عندثذ قائلين : « ان الحجر الذي رماه البناءون ورفضوء قد أصبح حجر الزاوية في الناء ، • أما الساخرون المستهزئون فاننا نستطع أن تلقى علمهم بدورنا هذا السؤال : « اذا كانت جمع أشواقنا أضفات أحلام ، فهــلاً قلتم لنا متى تقدرون أن تشيدوا بناءكم وأن تنظموا أنفسكم على العدل بمعونة العقل وحده مع رفض السبيع ؟ » • قد يجيبون بأنهم هم الذين سبقيمون الوحدة الانسانية ، ولكن السذج منهم هم الذين يؤمنون بهذا الكلام ، حتى لمكن أن يدهش المرء من بساطة هؤلاء • الحق أن في أفكارهم من الخال الباطل ما لس في أفكارنا تحن • انهم يأملون أن يقيموا العدل في هذا العالم ، لكنهم وقد رفضوا المسيح سوف ينتهي بهم الأمر الى اشعال الحريق وسفك الدم في كل مكان ، لأن العنف يستدعى العنف؟ ومن يشهر السف يهلك بالسيف • ما لم نؤمن بوعد السبيع ، فان الشم سبيد بعضهم بعضاً ، الى أن لايبقى منهم على قيد الحياة الا اثنان. وهذان الاثنان سيكونان عاجزين من غطرستهما عن التفاهم ، فاذا بأحدهم يقتل الثاني آخر الأمر ثم يقتل نفسه • ذلكم ما سلحدث اذا لم يتحقق وعد يسوع بوقف المذبحة حباً بالضعفاء والمسالمين الوديمين • حين كنت ما أزال أرتدى البزة العسكرية بعد المارزة ، تحدثت في المجتمع كثيراً عن الخدم ، فكان السامعون يندهشون من كلامي ويسألون :

_ هل علينا أن ندعوا خدمنا الى الجلوس على أريكة ، وأن نقدم اليهم الشاى •

وقد أُجبت عن هذا السؤال مرة بقولى (َ ننى أُتذكر هذا) : _ لم لا ، ولو من حين الى حين ؟ فسخر الحضور منى • الا أن سؤالهم يدل على خفة عقــولهم • ان اجابتى لم تكن واضحة جداً • • • أنا أسلتم بهذا • • • ولكن يخيل الى اليوم أن قد كان فيها شىء من حقيقة •

ز ـ حديث عن المعبة والصالة ، ومعرفة الحياة الآخرة

لا تنس أن تصلى أيها الشاب • فاذا كانت صلاتك صادقة صاحبها في كل مرة شعور جديد ، وولَّد هذا الشعور الحديد فكرة جديدة كنت تحهلها الى ذلك الحين ، فكرة " ستشد أزرك ويقوى عزيمتك بعد ذلك • وستدرك عندئذ أن الصلاة تربية للنفس • تذكر أيضاً أن تُردُّد كلُّ مساء وكلما استطعت الى ذلك سبلاً : « هب رحمتك يا رب لكل الذين يمثلون أمامك الآن ۽ • ذلك أن ألوفاً من البشير يبارحون الأرض في كل ساعة ، في كل دقيقة ، وتمضى أرواحهم تمثل أمام المخالق • ما أكثر الذين قضوا منهم نحبهم في العزلة ، بعيدين عن نظر أي صديق، ممتلئي القلب مرارة وحزناً ، لأن أحداً لن يأسف على رحيلهم ، حتى أن حياتهم ستكون قد انقضت دون أن يراها أحد • لن يعلم أحد غـداً أنهم عاشوا • فاذا بصلاتك تصعد فجأة الى الرب من الطرف الأقصى من الأرض تدعو لروح من الأرواح ، رغم انك لم تعرف هذه الروح ، ولا هي تعرف من أنت • لسوف تتأثر هذه الروح من ذلك تأثراً عظيماً حين تمثُّل جزعة " أمام الآله العلى القدير • سوف تعلم أن أحداً يصل لله من أجلها هي أيضاً ، سوف تعلم أن على الأرض انساناً واحـــداً على الأقل يتشفع لها ويحبها • وسينظر الرب عندثذ اليكما بمزيد من التسامع ، لأنك قد أشفقت على ذلك الميت ، وسيكون الرب أكثر رحمة " به ، لأن حبه أوسع من حبك ، واحسانه أعظم من احسانك . وسيعفو الله عنــه بسبيك .

يا اخوتى ، لا تحتقروا البشر لخطاياهم ، أحبوهم رغم خطاياهم ، فَذَلَكَ تَمْرُفُونَ اللَّحِبِّةِ العَظْمَى الَّتَى هَى عَلَى صُورَةً مَحِبَّةِ الرَّبِّ • أُحبُّوا شجرة ، وكل شعاع ضوء ! أحبوا الحيوانات ، أحبوا النباتات ، أحبوا كل موجود • انكم حين تحبون الخليقة تنفذون الى السر الالهي الذي تضمه ، والمعرفة التي تحصلون عليها بهذا ستنمو بعد ذلك ، ثم ما تنفك تكبر في كل يوم ، فاذا حبكم يمم الكون بأسره ، ويصبح شاملاً • أحبوا البهائم لأن الرب قد وهب لها بذرة فكر وأودع في قلبها فرحاً بريثاً • لا تمكروا هناءها ، لا تمذيوها ، لا تشموها ، لا تخالفوا ارادة الخالق • أيها الانسان ، لا تحملنك كبرياؤك على التعالى على الحيوانات ، فهي بلا خطيئة ء أما أنت فانك مع عظمتك تدنس الأرض بوجودك وتخلف أثراً نعِساً حـث تمر • ذلك شأتنا جميعا وا أسفاه ! ذلك شأتنا جميعا ، بغــير استثناء تقريباً _ أحبوا الأطفال خاصة ، لأنهم بلا خطيئة ، لأنهم أشب بالملائكة ؟ انهم يعيشون لفرحة قلوبنا وتطهير نفوسنا ، كقدوة مضيئة الى جانبنا • ويل للذين يسميئون الى الأطفال ! لقمد علمني الأب آنتيم أن أحبهم : كان هذا الراهب المتواضع ، يشترى بالكوبكات التي توهب لسا أثناء طوافنا ، يشترى حلوى يوزّعها على الأطفال • كان لا يستطيع أن يراهم دون أن تهتز نفسه اهتزازا عميقا • كذلك كان هذا الانسأن •

ان شكاً يراودنا فى بعض الأحيان ، ولا سيما حين نرى الخطيئة فتساط عندئذ : « أنرد بالقوة أم بالحب المتواضع ؟ ، • عليك دائماً بالرفق واللين • فمتى اخترت الرفق واللين الى الأبد ، استطعت أن تستولى على الأرض بأسرها • ان الحب المتواضع قوة هائلة ، أقوى من سائر القوى، ليس لها مثيل في العالم • راقب سلوكك في كل ساعة وفي كل دقيقة من اليوم ، حتى تشع الطهارة منك ، قد تمر قرب طفــــل وقد عصف بك الغضب ، فتفلت من لسانك كلمة سيئة : لعلك لم تلاحظ وجود الطفل ، ولكن الطغل رآك ، والصورة النجسة الخبيثة التي تركتها له ستبقى في قرارة قلبه البرىء • أنت لم يخطر ببالك شيء ، ولكنك قد بذرت بذور الشر في هذا الكائن الصغير ، ولا شك أن البــــذرة السيئة ستطلع يوما فتحلب له الشـــقاء • كل ذلك لأنك لم تراقب نفسك بعضور الطفل ، ولأنك توانيت عن تعهد الحب اليقظ الفعال في نفسك • الحب يا الحوتمي معلم كبير ، ولكن يعجب أن نعرف كيف نملكه • انه لا يكتسب بسهولة ؟ وانما يحصل عليه الانسان بثمن باهظ ، بجهد متصل طويل . ذلك أن المقصود ليس هو أن تحب موقتًا ومصادفة "، بل أن تحب حبًّا مستمرًا مطَّرداً • ان أي انسان ، حتى المجرم ، يمكن أن يشمر بحب طاري. عابر • لقد كان أخى يستنفر العصافير ، وقد يبدو هذا سخيفا من أول تختلط فيه وتتمازج فيه جميع الأمواج • ان ضربة تقع على مكان من الأمكنة تترجع آثارها في أقصى الطرف الآخر من الأرض • هل استغفار العصافير أحمق الى هــــذا الحد؟ لو كنتَ خبراً مما أنت الآن ، لشعر العصفور بمزيد من الأمن والطمأنينة في قربك • ان الطفل وكل كاثن حى آخر سيكون أسعد حالاً وأهدأ بالاً قربكُ اذا توافــرت في قلبك ولو قطرة واحدة أخرى من الطبية • أعسود فأقول : ان الكون أشسبه بأوقيانوس جميع أجزائه متواصلة • فمتى أدركت مدنه الحقيقة استغفرت َ العصافير أنت أيضا • اذا أدركت هـــذه الحقيقة تملكك حب واسع يملأ قلبك سعادة ووجداً فاذا أنت تسألها ، تسأل العصمافير ، أن تغفر لك خطاياك • فتعهد بالتنمية والاذكاء هذه الحماسة الروحية وهذا الوجد ، دون أن تخشى أن تعد مجنوناً في نظر الناس •

يا أصدقائي اسألوا الرب أن يهب لكم الفسرح • كونوا فرحين كالأطفال ، كالعصافير الصمينيرة في السماء • لا تدعوا للاضمطراب أن يستولى عليكم ، ولا لخطايا البشر أن تصرفكم رؤيتهما عن جهودكم ؟ لا تخشوا من ضلالاتهم أن تحسل عملكم عقماً أو أن لا تسمح له بالظهور • لا تقولوا قط « ان الشر في هذا العالم قوى ، وان الغلم منتصر ، وان الأشرار مسيطرون ، على حين أننا نحن معزولون لا حول لنا ولا قوة ولا سلطان ، وإن القوة الشريرة ستدمرنا قبــل أن نســـتطيع القام بعمل صالح ، • لا تدعوا لهذا اليأس يا أبنائي أن يستولى عليكم • وليس هنالك الا سبيل واحدة تنفع المرء في حماية نفسه منه ، ألا وهي يا أصدقائي ، فمتى اعترفتم بأنكم مسمئولون عن كل شيء تجاه جميع الناس ، أدركتم أن الأمر هو كذلك حقا ، وأن ذنبكم ليس وهما صوَّره لكم الخيال • أما اذا ألقيتم على عاتق غيركم ما هو في الواقع نتيجة كسلكم وتوانيكم وضعفكم ، انتهيتم الى الســـقوط في هوة التكبر الشــيطاني ، وأخذتم تدمدمون متمردين على ارادة الله • سأقول لكم رأيي في التكبر الشيطاني : انه لمسير علينا أن تنفذ الى دلالته الحقيقية أثناء حياتنا الأرضية، وتحن لهذا ميالون بطبيعتنا الى الوقوع في الخطأ ، فاذا نحن تنكبر تكبر الشيطان ظائّين أتنا بذلك نكبر ونحقق عملاً رائماً جديراً بالاعجاب • ان المني الحقيقي لكثير من عواطفنا القوية واندفاعات قلبنا يغوتنا أثناء حياتنا الأرضية على كل حال • فلا تستسلموا للاغراء ولا تظنوا أن الجهل يمكن أن يكون لكم مسوِّغاً • على ان « القاضي الأعلى ، سيحاسبكم عما كان في وسعكم أن تمرفوه ، لا عمًّا يفوق عقولكم • ستدركون هذا في حينه ،

وستكفون عندئذ عن المناقشة بحضور الحقيقة التي ستعرفونها • لقد كتب علينا أن نضرب في الأرض ، وما لم تكن صورة السيح الفالية نصب أعيناء فسنهلك بسبب أخطاتنا كما هلك النوع الانساني قبل الطوفان • هناك أثياء كثيرة تبقى خافية عنا في هسذا العالم ، ولكننا في مقابل ذلك قسد أوتينا معرفة الحياة الآخرة والصلات التي تربطنا بعالم أعلى وأفضل ؛ على كل حال • لذلك يعدِّم الفلاسفة أن ماهية الأشياء لا يمكن ادراكها على كل حال • لذلك يقدّ أخذ الرب بذوراً من عالم الغيب فنشرها على الأرض ليزرع حسديقته ، فنيت كل ما كان يمكن أن ينبت ، ولسكن الأرض ليزرع حسديقته ، فنيت كل ما كان يمكن أن ينبت ، ولسكن الموجودات التي نبتت على هذه الأرض لا تحيا ولا تبقى حية الا بوعي الصلة التي تربطها بالعالم الآخر السرى • حتى اذا ضعف هذا الوعي أو زال ، مات عندثذ ما يكون قد طلع فيها ، فلا تكثرث بعد ذلك بالعياة ، أو هي تكره الحياة • ذلكم هو رأيي على الأقل •

ح ــ هل يجوز للمرء أن يحكم عل أقرانه ؟ الايمان الذي لا يتزعزع

تذكر خاصة "أنه ليس من حقسك أن تحكم على قرينك كاتنا من كان م ما من أحد يستطيع أن يجبل نفسه قاضيا على مجرم قبل أن يدرك أنه ، وهو القاضى ، لا يقل اجراما عن اللجاني المائل أمامه ، وأنه ربما كان هو المسئول الأول عن الخطأ الذي ارتكبه هذا الرجل ، حتى اذا أدرك ذلك استطاع أن يحكم ، قد يدو هذا الرأى باطلا ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة ، فلو قد استطعت أن أكون عادلا على الدوام ، لكان من البجائز

أن لا يرتكب هذا الرجل جريمته و فاذا أمكنك أن تلقى على عاتقك جناية الجاني المائل أمامك ، وأن تجعل حكمك في قلبك ، فافعل ذلك بغير تردد واقبل أن تتألم بياية عنه و أما الجاني فدعه ينصرف دون أن توجه السه لوماً و استلم هذه القاعدة في السلوك ما وسمك ذلك ، ولو تحسك القانون قاضيا له ، لأن المذتب سينصرف بعد ذلك ليدين نفسمه ادانة أقسى من ادانتك اياه و واذا ظهر لك أنه لم يحس رفقك به ، واذا رد على حبك بالسخرية ، فلا تدع لموقفه هذا أن يفضك : فانما يدل هذا الموقف على أن ساعته لم تدق بعد ، وأنها ستحين في المستقبل و وهبها لن تحين أبدا، فلا تهتم كثيرا بذلك ، لأن شخصا آخر سيعترف يوما بذنيه وسيتألم منه ، وسيدركه ، وسيدين نفسه بنفسه ، فاذا بالحقيقة تتأكد رغم كل شيء و صدتى ما أقوله لك ، صدقة تصديقا جازما قاطعا ، لأن هذا هو الأساس صدق الذي يقوم عليه الأمل ويقوم عليه إيمان القديسين ،

لا تقد عن العمل ولا تدع لهمتك أن تفتر ، فاذا تذكرت ، بعد أن رقدت في سريرك لتنام ، أنك أغفت القيام بواجب من الواجبات ، فانهض فورا لتدارك هذا النسيان ، واذا رأيت نفسك محاطا بأناس أشرار لا يحسون ، ويرفضون أن يسمعوا لك ، فارتم على أقدامهم واستففرهم، لأبك أنت الذي تحمل ذب عنادهم في الحقيقة ، واذا شعرت بأنك عاجز عن أن تخاطب الأثرار بالحسني ، فاخدمهم صامتا متواضعا دون أن تمأس قط ، واذا هجرك جميع الناس وطردوك شر طردة ، فاسجد على الارض حين تصبح وحيدا واغمرها بقبلاتك ، اسق الارض بدموعك ، فتحمل حين تصبح وحيدا واغمرها بقبلاتك ، اسق الارض بدموعك ، فتحمل هذه الدموع ثمارا ، ولو لم يرك أو يسمعك في عزلتك أحد ، حافظ على المائك حتى النهاية ، ولو كان عليك أن تبقى الانسان الوحيد الذي يحافظ على م اذا تذكر سائر الناس لمقيدتهم ، فنابر أنت على المغي في طريق التضحية واستمر قبي تمجيد الله يا آخر مؤمن ، فقد يلقاك مؤمن

آخر ، فتصبحا اثنين ، وهذا كافي لعودة الكون حيّا بالحب : سسـوف تتفاتفان عندئذ وقد امثلات نفساكما عاطفة ، وسوف تسبحان بحمد الله فاذا الحقيقة تتأكد بكما رغم أنكما لسنما الا اثنين •

اذا اتفق أن أثمت فأخذ الندم على ارتكابك الأخطاء بعذبك ويرهقك ارهافا شديدا ، فليبهجك أن تتذكر أن هناك انسانا صالحا لم يرتكب ائملكم وقل لنفسك منتبطاً سعيدا : الثن وقعت أنا في الشر ، ان ثمة انسانا غيرى قد ظل طاهرا لم يتلوث .

واذا ملأك خبث البشر اسـنياء وألما عنيفــاً رغم ذلك ، حتى صرت تتمنى معاقبة المجرمين انتقاما ، فصن نفسك من هذه العاطفة بكل ما تملك من قوة ، وابحث لنفسك عن آلام مباشرة كأنك مسئول عن جرائم هؤلاء الناس • اقبل هذه الآلام وتحملها • فذلك يهدىء قلبك ويطمئن نفسك • سوف تدرك أنك آثم فعلا ، لأنك كنت تستطيع أن تهدىء هؤلاء الناس بالقدوة ، ولو كان عليك أن تبقى الانسان الوحيد الذي يعيش بلا خطيثة، ثم لم تفعل ٥٠٠ فلو أنك اتبعت طريق النور هذا في حياتك ، لاستطاع الآخرون أن يروا طريقهم بنور طهارتك ، ولأمكن الانسان الذي تتهمه اليوم بالجريمة أن يبقى شريفا طاهرا • قد يحدث مع ذلك أن تكون أنت قدوة حسنة ثم يرفض الآخرون الخلاص الذي يأتيهم من نورك ، فلا يتزعزعن ايمانك حينذاك ، ولا يراودنك شك في أن الحقيقة السماوية منتصرة آخر الأمر • اعلم أن لبشر سيُنقَذون غدا ان لم يمكن انقاذهم اليوم • واذا لم يمكن انقاذهم أثناء حياتهم ، فسيُنقَدُ أبناؤهم من بعدهم، لأن نورك لن يزول وسيبقى بعد مبارحتك هذا العالم • قد يزول الرجل الصالح ، ولكن نوره باق لا يزول • ثم ان الناس لا يقبلون الخلاص الا بعد موت ذلك الذي أراد أن يخلصهم • ان البشر لا يعترفون بأنبيائهم بل يقلتونهم ، ولكن البشر في مقابل ذلك يحبون شهداهم ويقدسون أولئك الذين استشهدوا بأيديهم ، فني الستقبل وفي الاسانية بمجموعها انما يجب عليك أن تفكر حين تبذل ما تبذل من جهود ، لا تتنظر نواباً على الخير الذي تعمل ، لأن نصبيك في هذا العالم كبير حتى بدون همذا التواب : لسوف تعرف نفسك الفرح الحتى الذي لا يوهب الا للصالحين، لا تخش العظماء ولا الأقوياء ، كن عاقلا حكيما كريما على نفسك في كل خرف ، النزم القصد والاعتدال ، اعلم أن هناك آجالاً تفرض نفسها على تشوقنا الى العمل ، وتقيد بهذه الآجال ، لند السلاة في العزلة ، تعلم كيف تحب الارتماء على الارض وتقبيلها ، قبل الماسك ، الشر حبك على كل ما يوجد ، اندفع في الحب واسع الى حماسة القلب ، اسق الأرض بدموع فرحك ، واحب هذه واسع الدموع ، لا يخجانك وجدك ، وقد هذا الوجد ، لأن الله مصدره ، فهو هية كبرى لا توهب في هذه الحياة الدنيا الا للمصطفين ،

حدیث عن الجمیم والناد الابدیة تامل صوفی

یا آبائی ومعلمی ت القد تسامات : « ما الجحیم » ، فأجبت : « هو عندا الانسان من أنه أصبح لا یستطیع أن یحب » • فغی المکان والزمان اللانهائین ، تتاح للکائن الروحی الذی یظهر علی الارض ، لحظة " وحیدة یمکنه فیها أن یقول : « أنا موجود وأنا أحب ، • مرة " واحدة ، مرة واحدة ، مرة الحدة توهب لهذا ،لکائن الحی القدرة علی أن یحتار طریق الحب الفعال الحی ، وقد وهبت له الحیاة لهذه الفایة مع ما تشتمل علیه الحیاة من زمان

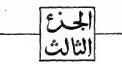
وآجال • وهذا الكائن الذي أُغدقت عليه هذه النعمة قد رفض النعمة التي لا توصف ، ولم يقدرها حق قدرها ، ولم يتمتع بها ، بل استخف بهما وآثر أن تنخلو نفسه من الحس • ان هــــذا الكائن يرى ابراهيم بعـــــد أن يبارح الارض ، ويتحدث مع رب العائلة ، كما ورد في رمز لازار والفتى الشرير • انه يرى الجنة ويعلم أنه سيمثل أمام الرب؟ واذا كان يعذبه شيء فانما يعذبه أنه سيمثل أمام الخالق دون أن يكون قد أحب ، وأنه سيسير الى جانب مخلوقات مُعجبة احتقر هو حبها • ذلك أنه الآن يرى ويدرك ، فيقول لنفسه : « أنا الآن أعلم ، ورغم انني اليوم ظاميء الى الحب فلن يكون لحبي قيمة ولن تكون فيه تضحية، لأن حياتي الأرضية قد انتهت ، ولن يأتمي ابراهيم فيهدىء بقطرة من ماء الحياة (أي باعطائي حاة " أرضة جديدة فعالة شبيهة بالسابقة) ظمئي الى الحب الروحي لذي يحرق الآن نفسى بعد أن ازدريته على الارض : لن تكون بعد اليوم حياة، لن يكون بعد اليوم وقت ! انني أتمنى الآن أن أضحى بوجودي فيسبيل غيري ، ولكن فات الأوان ، لأن الحياة التي كان يمكن أن أضحى بهما قد انقضت الى غير رجعة ، فالهوة تفصل بيني وبينها الى الأبد ، • كشيرا ما يتكلم الناس عن نار الجحيم وهم يفهمونها بالمنى المادى • انني لا أريد أن أبحث هذا المرَّ الذي يمارُ نفسي رعاً وهولاً ، ولكنني أتصور أن هذه النيران لو كانت محسوسة مادية اذن لابتهج بها المعذبون ، لأن الألم الجسمي يتبح لهم عندئذ أن ينسوا ، ولو لحظة " قصيرة ، العذاب الروحي الرهيب • ثم ان تخليصهم من عذاب نفوسهم مستحيل ، لأنه عذاب داخلي لا خارجے ، فلا يمكن أن يناله تأثير الآخرين. وهينا استطعنا أن نجر ّدهم من هذا العذاب ، فإن شقاءهم سيزداد من ذلك فيما يخيسل الي م حب العادلين في السماء غفروا لهم حين رأوا آلامهم ، وهبهم نادوهم اليهسم بحب لا نهاية له ؟ انهم سيضاعفون بذلك آلامهم ، لأنهم سيوقفلون فيهسم

مزيدًا من الظمأ البحار الى البحب المتبسادل والعرفان والنبسل ، في وقت أصبحوا فيه عاجزين عن ذلك الى الأبد • على أنني أتصور، خاشع َ النفس ذله ، أن شعورهم بهذا العجز سنخفف عنهم آخر الأمر بعض التخفيف، واليكم كيف يكون ذلك : انهم حين يقب لمون حب العسالحين دون أن يكونوا قادرين على أن يردوه بمثله ، سيجدون في التسليم بهذا التفاؤت بينهم وبينهم وفي الوضع الذي سيمليه عليهم الشعور الصادق بأنهم دونهم، سبجدون في ذلك معــادلاً أو صــورة للحب الفعــال الذي ازدروه على الأرض، وسيصبحون قاردين عندئذ على فعل يذكِّر بفعل النفسالمحبة.. يؤسفني ، يا آبائي ومعلمي ً ، أن لا أستطيع التمبير عما بنفسي بمزيد من الوضوح • ولكن ويل للذين أنهوا حياتهم على هذه الأرض بأنفسهم ، ويل للمنتجرين ! أحسب أنه ليس هناك من يفوق هؤلاء شقاءً ! يقسال انه اثم أن ندعو الله لمن قتل نفسه بارادته ، وواضح أن الكنيسة تطرد من حضنها ذلك الذي قتل نفسه بارادته • ولكنني أشمر مع ذلك ، في سريرة نفسي ، أنه يجوز الدعاء للمنتجرين ، لأن المسيح لن يسموه افراط في الحب ، لقد دعوت طـــوال حياتي للمنتحرين ، أعترف لكم بهــذا الآن يا آبائي ومعلمي ، وما زلت أدعو لهم كل يوم •

لا شك أن فى الجحيم أيضا مداً بين أصروا على صلفهم وضراوتهم وظراوتهم وظلوا لا يتأثرون بالحقيقة رغم أنهم أصبحوا يعرفونها ويرونها ساطعة كل السطوع • ان بنهم أنساً رحيين قد اتحسدوا بالشيطان وانضسموا الى عسيانه • انهم يقبلون الجحيم بغرح مظلم ولا يستطيعون أن يتسبعوا منه • أولئك يتعذبون ويريدون أن يتعذبوا • فقد لمنوا أنفسهم بأنفسهم اذ لمنوا الله والحياة • انهم يقتانون بكرههم المتكبر السلف اقيات الجائمين في الصحراء بدمائهم يمتصونها • ان غليلهم لن يشفى يوما ، وهم يرفضون ألى المنفرة الى الأبد ، لاعنين الرب الذى يناديهم • انهم لا يستطيعون الا أن

يشمروا بحنق مسمور حين يتأملون الاله الحي ، ويتمنون أن لا يوجد ، ويودون لو يننى الخالق نفسه مع الخليقة كلها ، هؤلاء سيظلون يحترقون الى الأبد بنيران كرههم منادين الموت والمدم فمي غير طائل ، ولكن لن يوهب لهم أن يموتوا ٠٠٠

هنا تنتهي مخطوطة ألكسي فيدوروفتش كارامازوف. وأعود فأقول: هذا عمل غير مكتمل ، هذه أجزاء متفرقة • فالاشارات التي تتصل بحاة الشمخ زوسما مثلاً لا تتناول الا الفترة الأولى من شباب الشبخ • وان شذرات من تعالمه ومن الآراء التي أطلقهها في عهود مختلفة وبتأثير مناسبات شتى ، قد جُسمت هنا وصُهرت كما يرى القارىء ذلك واضحا . والأقوال التي نطق بها الشيخ في الساعات الأخيرة من حياته لم تُنقــل نقلاً كاملاً وانما 'عرضت عرضا موجزا فيما يظهر ، بحيث تؤدى روح ذلك الحديث الأخير وتبرز عناصره الأساسية مزيدا من الابراز بمصونة أقوال أخرى استمدها الكسى فيدوروفتش من تعاليم شيخه السابقة • وقد وافت الشيخ َ منيته على نحو لم يكن في الحسبان حقاً • فرغم أن جميع الأشخاص الذين اجتمعوا حوله في ذلك المساء قد أدركوا أن وفاته قريبة، فان أحداً منهم لم يتنبأ بأنها ستوافيه على هذا النحو الماغت • وكما سبق أن قلت فان أصدقاء قد اعتقدوا حين رأوا ما رأوا من شعجاعته ومله الى الكلام طوال تلك اللملة أن صحته ستتحسن تحسناً ملحموظاً وان يكن عابراً موقتاً ؟ ولا شيء كان يسمح لأحد ، إلى ما قبل موته بخمس دقائق (كما رُوى هذا بدهشة فيما بعد) ، أن يتنبأ بأن وفاته وشكة • ولكن بدا عليه فجأة أنه ينصل بألم شديد في صدره ، واصفر وجهه ، وشهد يده شداً قوياً على قلبه • نهض جميع الحضور وهرعوا اليه • وظل هو رغم الألم ينظر الى أصدقائه ميتسما • وترك نفسسه ينزلق برفق عن كرسيه ، فجنا على ركبتيـه ، ثم سلجد جاعـلاً وجهـه على الأرض ، وبسط ذراعيه بنوع من الوجد الجذل. وقبَّل الأرض بعدائد ، ولغظ روحه على نحو ما أورد هو نفسه في تعاليمه ، مصلباً في اندفاعة عظمي من فرح هادىء مطمئن • انتشر نبأ وفاته فورا في الصومعة والدير • وقام أصدقاؤه والأشخاص المختصون بتكفينه على ما توجبه الطقوس القديمة ، ثم اجتمع أعضاء الرهبنة في الكنيسة • وقد عُرف موت الشيخ في المدينة قبل أن يطلع الفجر ، كما أكد الناس ذلك فيما بعد • ومهما يكن من أمر، فقد تحدث الملأ عن موته في كل مكان منذ الساعات الأولى من العساح، وازدحم في الدير جمع غفير من المواطنين • سنعود الى الكلام عن هــذا في الباب التالي ، وحسبنا أن نشير هنا ، مستبقين تتمة هذه القصة ، أن حادثًا غير منتظر قد وقع قبل نهاية النهار ، فأحدث في نفوس سكان الدير وفي نفوس سكان المدينة على السواء أثراً يبلغ من الغرابة ومن الاقسلاق ومن العنف أن ذكراه ما تزال حتى يومنا هذا ، بعد انقضاء ذلك الصدد الكبر كله من السنبن ، ما تزال حمة في أذهان جمع الذين عاشوا تلك الساعات المضطربة القلقة ٠٠٠



البالبالسابع السيوشسسيا

۱ دانخــة الجث

جثمان الأب زوسيما للدفن وفقاً للطقوس!لقررة. وقد جرت العادة ، كما تعلمون ، بأن لا يُنسل رفات الرهبان والنساك • يقول كتاب الطقــوس في هذا الصدد : « اذا نادي الرب راها اليه ، فعلى الأخ المكلف بزينة المتوفى أن يدلكه بماء فاتر ، بعد أن يرسم اشارة الصليب باسفنجة على جبينه وصدره ويديه وقدمه وركشه ، وهذا كل شيء ٠ ، • وقد تولى الأب بائيسي القيام بهذه المهمة بنفسه وفقاً للطقوس. فلما فرغ من تدليك جسمه ألبسه مسوح الرهبنة ، وكفنه بالجبة بعد أن شقها قليلاً بحيث يجعلها في صورة صليب ، كما تأمر الطقوس بذلك. ووضع على رأسه بعد ثذ طاقية مزينة بصليب ذي ثمانية أفرع ، تاركاً الطاقية تسـفر عن الوجه ، منطبًا الوجه ببرقع أسـود ؟ ووضع صورة المخلِّص بين يدى المتوفى • حتى اذا انتهى تُكفين الجثمان على هـــذا النحو سُجِّي عند الصباح في ثابوت سبق اعداده منذ زمن طويل • وأريد أن يُشرك التابوت طوال النهار في حمجرة الشيخ (الحجرة الكبيرة التي اعتاد الشيخ أن يستقبل فيها الرهبان والزوار العلمانيين) • واذ أن المتوفى في رتبة « هيروشيموناكوس » ، فقد كان على الرهبان الكهنة وعلى الشماسية أن يقرأوا أمام رفاته الانجيل لا المزامير • فشرع الأب جوزيف في القراءة بعد قداس الجنازة فورا • أما الأب بائيسي الذي حل محلَّه ، باصرار منه ، أثناء يقية النهار وأثناء الليلة التالية ، فقد كان في تلك الآونة مهموما جدا (مثلما كان كبير النساك) من ذلك الاضطراب الشديد ، الخارق ، « غير اللائق » ، المشوب بنوع من انتظار ٍ محموم ، الذي استولى على الرهبان وعلى جموع الناس الغفيرة التي هرعت من المدينة ومن الفنادق المحاورة للدير • كان ذلك الاضطراب ما ينفلك يزداد قوة وظهوراً ، فاضطر الأب بائسي وكبير النساك الى بذل جميع جهودهما في سبيل أن يهدئا النفوس المهتاجة ما أمكنت التهدئة • وما ان طلع النهار تماماً حتى أخسة يفد من المدينة أشخاص يصسطحبون مرضى ، مرضى من الأطفال خاصة ، كأن جميع الناس كانوا ينتظرون هذه اللحظة آملين أن يروا ظهور معجزة الشفاء التي لا بد في اعتقادهم من أن تصدر عن جُمَان الشيخ • في تلك اللحظة انما تجلي مدى تعود الناس على اعتبار الشيخ ، حتى أثناء حياته ، قديساً صادقاً عظيماً • ولم يكن جميع المؤمنين الوافدين من المدينة ينتمون الى الأوساط الشعبية • وبدا للأب باثيسي أن هذا التوقع العظيم الذي يتـــوقعه المؤمنون والذي يتجلى بهذا القدر من التسرع ونفاد الصبر وهمذا القدر من الصراحة حتى لكأنه مطلب من المطالب ، بدا للأب بائيسي أن هذا التوقع فيه شيء من مجافاة الأدب والحشمة ؟ ورغم أن الأب بائسي قد تنبأ بهذا التوقع منذ زمن طويل ، فان القوة التي يتجلى بها هذا التوقع الآن قد تجاوزت جميع تنبؤات الأب بائيسي • فكان ينجه الى الرهبان المتحمسين فيقسول لهم • ان انتظار معجزة كبرة ماشرة دلىل على عواطف طائشة يُنفهم صدورها عن علمانيين ولكنها لا تليق برهبان » • وكان هؤلاء لايسمعون له كثيرا ، وذلك أمر لاحظه الأب بائيسي قلقًا • ومع هــــذا كان الأب باثیسی هو نفسه (تلك حقیقة یجب أن نعترف بها اذا أردنا الصدق) ،

رغم استيائه الشديد من مظاهر نفاد الصبر هسيذه التي يرى فيها خفة وطيشاً ، كان هو نفسه يحس في قرءرة ضميره بهذا الانتظار نفسه الذي يشعر به المضطربون المهتاجون ، وكان لا بد له أن يعترف لنفسه بذلك. على أن رؤية بمض الأشخاص قد ساءته كثيرا ، لأن وجودهم قد أيقظ في نفسه شكوكا غامضة لم تنشأ والحق يقال الا من احساسات ممهمة . من ذلك أنه شعر بنفور داخلي شديد (سرعان ما لام نفسه علمه) حين لح بين الجمهور المحتشد في حجرة الشيخ ، حين لمح راكيتين وراهب أوبدورسك الذي طالت اقامته في الدير • لقــد بدا الرجلان كلاهما مشبوهين في نظر الأب بائيسي ، رغم أن هنــاك أشخاصا آخرين كاتوا مشبوهين مثلهم أيضم وكان راهب أوبدورسك يتمنز بكثرة ذهابه وايابه • فهو يُسرى في كل مكان مستطلعاً سائلاً أو مصغباً أو مدمدماً على نحو سرى • وكان وجهه يعبر عن نفاد الصبر نفاداً شديداً يوشك أن يستحيل في بعض اللحظات الى اهتياج وحنق ، لأن الحادث الذي يتوقع الناس في كثير من الاندفاع والحماسة والحميًّا أن يحدث قمه تأخر حدوثه • أما راكيتين فقد عُلم فيما بعد أنه ان جاء الى الصومعة في ساعة مبكرة هذا التبكير من الصباح ، فلأن السيدة هوخلاكوفا هي التي طلت منه ذلك صراحة • ان هذه المرأة التي تتصف بالطمة ولكن تموزها قوة الطبع ، قد أحست بفضول شديد يقرصها قرصاً حين علمت بموت الشيخ عند استيقاظها من النوم ، وبلغت من شدة الفضول أنها لمرفتها بأن مجيئهما الى الصمومعة لن يكون مقولاً قد أسرعت توفد راكتين موصمة " اياه بأن يلاحظ كل شيء وأن ينشها حالاً ، في رسالة يعث بها اللها كل تصف ساعة ، بكل ما قد يحدث ، كانت السدة هوخلاكوفا تعد راكبتين شابا شديد التقى قوى الايمان ، فالى هذا الحد كان راكيتين بارعا فى الحظوة برخى الناس حادًقا فى اتخاذ المظاهر التى تطابق رغباتهم متى وجد فى ذلك مصلحة ً له •

بدأ النهار صاحيا مضيئا مسمسا • والحجاج الذين وصلوا الىالدير •
يزدحمون حول القبور ، ولكن بعضه قد تفرقوا في جوار الدير •
وحين طاف الأب بائيسى في الصومعة ، تذكر أليوشا فجأة ، وتذكر أنه لم يره منذ مدة طويلة ، منذ الليل على كل حال • فما ان خطر باله هذا حتى لمحه في ركن ناء قرب السياج جالساً على الحجر من قبر راهب مات منذ سنين وعرف أثناء حياته بشدة تعبده وقسوة كفاراته • كان أليوشا قد أدار ظهره للصومعة واتجه برأسه نحو السياج، وكأنه يختبي، ووراء شاهدة القبر • فلما اقترب الأب بائيسى رأى أليوشا قد وضع وجهه في يديه وأخذ يكي بكاء مرآ وان يكن صامتاً ، وأن جسمه كان يهزه بيديا • ليث الأب بائيسى وافقاً قربه بضع لحظات • وقال له أخيرا بصوت متأثر ؛

حدى، روعك يا بنى ٥ ما بك؟ عليك أن تبتهج لا أن تبكى ٥ أفتجهل أن هذا اليوم هو أجمل وأعظم من جميع الأيام التى و هب له أن يعرفها؟ أنسيت أين هو فى هذه اللحظة؟ هلا فكرت فى هذا!

رفع أليوشا عينيه فرأى الأب باليسى وجهه محتقناً بالدموع كوجه طفل ؛ ثم تحول أليوشا دون أن ينطق بكلمة وأخفى وجهه فى يديه من جديد • قال الأب بائسى مطرقاً مفكراً :

ـــ قد تكون على حق مع ذلك ! ابك فى سلام يا بنى لا"ن المسيح هو الذى يرسل اليك هذه الدموع •

ثم أضاف يقول بصوت خافت كأنه يخاطب نفسه :

ــ ستساهم انتحاباتك المؤثرة في تهدئة روعك ، وستبعث الفــرح في قلبك النبيل . ثم ابتعد ممثلى، النفس عطفاً على أليوشسا وحبا له ، والحق أنه سارع ينصرف لأنه أحس أنه يوشك هو نفسه أن ينفجر ناشجاً وهــو ينظر الى الفتى ،

كان الوقت ينقضي ، وكانت صلوات الجنــازة وقداساتها تتعاقب وفقاً للنظام المقرر • ولمح الأب بائيسي الأب جوزيف قـــرب التابوت ، فحل محله في قراءة الانجيل • ولكن ما ان دقت الساعة التالشـة بعــد الظهر حتى وقم الحادث الذي أشرت اليه في ختام الياب السابق • وقد جاء هذا الحادث على نمير ما يتوقع جميع الناس ، وجاء مخالفا مخالفة مذهلة لما كانوا يأملونه ، وبلغ من ذلك أن ذكراه وذكرى حميع التفاصيل التافهة التي رافقته قد ظلت حـة الى أيامنا هذه في أذهان سكَّان مدينتنا وسكان المنطقة المجـــاورة كما سبق أن قلت • وأحب أن أســوق هنا ملاحظة خاصة بي : انه ليشق على نفسي أن أتكلم عن هذا الحادث المقلق الذي لا بدأن يهز النفوس رغم أنه في حقيقة الامر طبيعي ويمكن فهمه جدا ؟ وكان في وسمى أن أسكت عنه حتما لولا أنه قد أحدث تأثيرا قويًا جدا _ في اتتجاه محدد تحديدا واضحا _ في نفس وقلب البطل الرئيسي (وان يكن البطل المقبل) الذي تدور عليه أحداث هذه القصة، أعنى ألبوشا • لقد اضطرب ألبوشا من هذا الحادث اضطرابا رهبيا ، والى هذا المهد انما يرجع انعطاف حياته النفسية ، لأن عقله الذي أوشك أن يهزه الحادث ، قد خرج من الأزمة منتصرا ، ثابتا منذ ذلك الجين الى الأبد ، متجهاً نحو هدف معين محدد •

وهأناذا أصل الى الوقاتم: حين أُرقد جثمان النسيخ في تابوت بعد تكفينه قبيل الفجر ، ووضع التابوت في الغرفة الأولى من بيت التسييخ _ وهي حجرة الاسستقبال _ فان أحسد الأشخاص الحاضريي سأل ألا يُستحسن فتح النوافذ ، ان هذا السؤال الذي ألقاء صاحبه كمسؤال

عابر وهو يشعر بما يشبه الخجل ، قد ظل بغير جواب ولم يكد ينتبه اليه أحد • والذين سمعوه رأوا أن فكرة صدور رائحة تنسخ من جثمان ميت كهذا الميت تبلغ من السخف أنها لا تستحق في أبعد تقــدير أكثر من أن يرفعوا أكتافهم مشفقين (أو أن يبتسموا محتقرين) ازاء مايتصف به الذهن الذي أمكن أن تخطر له من قلة الايمان وشدة الطيش وفرط الغاوة • أليس ما يُنتظر من قداسة الشيخ هو نقيض هذا تماما ؟ ولكن الذي حدث هو أن الأشخاص الذين دخلوا الحجرة ابتداءً من الظهر قد أخذوا يلاحظون ملاحظات كتموها فيأول الأمر عن غيرهم واحتفظوا بها لأنفسهم ، خشية أن ينقلوا الى الآخرين شمورا لا يكادون يصدقونه؟ غير أن الظاهرة التي أ'دركت ادراكا غامضا في البداية قد تأكدت في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر تأكداً بلغ من الوضــوح أنه أصبح يستحيل الشك فيها ، فاذا الخبر ينتشر في الصومعة على الغور ، واذا هو يشيع بين المتدفقين من أنواع الحجاج ، واذا هو يصل الى الدير في الوقت نفسه تقريباً فغرق الرهان في دهشة شديدة وحزن مرتح • وانتقل الناً من الدير الى المدينة فأحدث اضمطرابا في النساس ، المؤمنين منهم واللحدين على السواء • لقد انتصر الملحدون • وأما المؤمنون فمنهم من كان ابتهاجه أشد من ابتهاج غير المؤمنين أيضًا ، لأن الانسان « يتحلو له أن يرى سقوط الرجل الصالح وتلطخ شرفه بالعار ، كما قال المتوفي في أحد أحاديثه • وما وقع هو أن رائحة تفسخ قد صدرت عن التابوت خففة " في أول الأمر ، ثم ما زالت تشتد وتشتد ساعة بعد ساعة ؟ قمــا حانت الساعة الثالثة بعد الظهر حتى أصبحت واضحة كل الوضوح ، وما فتثت تشتد بعد ذلك • عبثاً تحاولون أن تعبدوا في حوليات ديرنا ذكرى اضطراب فاضح عنيف كالاضطراب الذي استولى على الرهبان منذ أن عُرف الحادث ، والذي ما كان يمكن تصوره في أي ظرف آخر من الظروف • وبعد انقضاء عدد كبير من السنين ظل حتى أعقل الرهبان وأحصفهم يشعرون بدهشة شذيدة وروع هائل حين يتذكرون تفاصيل وقائع ذلك النهار ، والغوضي التي أطاشت العقول ، وما نشأ عن ذلك لدى رهبان الدير من موقف غير لاثق • كثيرا ما حدث في الماضي أن رهاناً عُرِفُوا باستقامة الحياة وطهارتها ، أن رجالاً يعظمهم جميع الناس ويخافون الله ، قد ماتوا أتقياء أنقياء ، ثم لوحظت مع ذلك حول جثمانهم المسكين بعض الافرازات ، كما يحدث هذا لجميع الموتى في هذه الحياة الدنيا ، ولكن الأمر لم يصدم عندئذ أحداً بل ولا أدهش أحداً • صحيح أن الأذهان تحتفظ عندنا أيضا بذكرى رهبان متوفين منذ زمان طويل ، يتناقل الناس عنهم أن بقاياهم لم تظهر عليها أية عالامة من علامات التفسخ ؟ وقد أحسدت ذلك في تفوس الرهيسان أثرا عظيما ، فكانوا يتحدثون عنه معجبين ، وكانوا يحرصون أشد الحرص على حفظ ذكرى هذه الوقائع المعجزة التي تشهد بالقداسة ؟ وكانوا يقدِّرون أن مزيدا من المجد سيتحقق في المستقبل لقبور هؤلاء الأخيار المختارين في الساعة التي يشاء فيها الله ذلك • فهكذا كان شأن القديس يعقوب مثلاً ، الذي عاشر مائة وخمس سنين والذي بقت ذكراه حنةً في ديرنا • ُلقد كان يعقوب ناسكاً كبيراً ، اشتهر بفرائض الصمت والصيام التي كان يلزم بها نفسه ؟ وقد مات منذ زمن بعيد ، في السنين الأولى من القسون التاسع عشر ؟ وأصبح قيره الآن محل تعظيم خاص ، فسكان الدير يقودون الحجاج الى زيارته قبل سائر القبور ، مشيرين بكلام يحمل معانى السر والاعجاب الى الآمال الكبرة المعودة على مثوى ذلك الرجل الصالح (على ذلك القبر انما لمح الأب بائيسي ، في الصباح ، أليوشا) • وعدا ذلك الراهب الذي توفي منذ سنين كثيرة ، هناك راهب آخر مات منذ عهد غير بعيسه كثيرا ، وخلَّف في الدير ذكري كهذه الذكري • انه الشميخ العظيم

فارسونوف الذي خلفه الأب زوسيما ، والذي كان يعده جميع الحجاج الذين يزورون الدير « يوروديفوي » • ان الناس يروون عن كل من هذين الراهبين أن الناظر اليه في تابوته كان لا يشمر الا بأنه نائم نوماً ، وأنه دُفن دون أن يفسد جثمانه ؟ بل وأن نوراً كان يشع من وجهه • حتى أن بعض الناس ذهبوا الى حد القول في الحاح واصرار ان رفاته كان ينشر روائح عطرة • ومع ذلك ، رغم همانه الذكريات الموحية ، فان من العسير على المرء أن يدرك السبب الذي دفع الرهبان في ذلك اليوم الى أن يقفوا موقفا يبلغ هذا البلغ من الخفة والطيش والسخف والعداوة ازاء تابوت الشيخ زوسيما • أما أنا فأعتقد أن الأسياب كشيرة متنوعة ، ولكنها تعمل جميعا في اتجاء واحد • ويحسن أن تذكر ، من بين هذه الأسباب ، المعاداة الشديدة لنظام المشايخ هذا الذي كان يعد بدعة مشؤمة ، وهي عداوة قد ترسخت عميقة ً في تفوس عدد كبير من الرهبان • وهناك سبب آخر لعله أهم الأسباب ، هو الحسد الذي كانت تُنيره قداسة الشمخ التي بلغت أثناء حباته من الرسوخ أنه كان يبدو من غير الجائز أن يناقش أحد فيها • فلئن أيقظ الشمخ تعلقا عمقا به ء ولئن عرف كيف يكسب محبة عدد كبير من الرهبان برقة روحه لا بمعجزاته، والن أحاط به أناس أخلصوا له كل الاخلاص ، فلقد خلق من حوله ، رغم ذلك وربما يسب ذلك ، حُسنًاداً كتبرين أصحوا أعبداء ألدًاء شبتًا بعد شيء ، فبعضهم يخفى هذه العداوة وبعضهم يعلنها • ولقد كان له أعداء من هذا النوع لا في صفوف رهبان الدير فحسب ، بل بين غير رجال الدين أيضًا • انه لم يسيء يوما الى أحسد ، ولكن الناس كانوا يتساءلون : « لماذا يُمدُ قديساً عظيماً ؟ ، • وكان هذا السؤال كافساً بتردده المستمر الى أن يخلق من حوله بغضاً لا تنطفىء جذوته • ذلكم في رأيي هو السب الذي جمسل كيرا من الرهان يتهجون ابتهاجا

شديدا حين علموا أن جسمه يصدر رائحة تفسخ ، وأن هــذه الرائحة قد بدأت تصدر عن الجسم بعد برهة قصيرة ، لأنه لم ينقض على موته يوم. أما الرهبان المؤمنون بالشيخ المخلصون له ، الذين ظلوا يقدسونه الىذلك الحين ، فقد أحسوا بحادثة التفسخ هذه نوعاً من اساءة نالتهم هم أنفسهم، واهانة لحقت بهم شخصيا • اليكم كيف جرت الأمور على وجه الدقة : منذ اللحظة التي ظهرت فيها أولى علائم التفسخ ، أصبح من اليســير على المرء أن يحزر ، من هيئة الرهبان الذين كانوا يدخلون حجرة المتوفى ، الهدفَ الذي دخلوا من أجله • كانوا يدخلون فيمكثون بضع لحظات تم يسرعون خارجين ليؤكدوا النبأ لمن كانوا يزدحمون أمام الباب؟ فيعض هؤلاء يهزون رءوسهم بنحزن وأسى ، ويعضهم لا يكلفون نفسهم حتى عناء اخفاء الفرح الخبيث الذي يسطع في تظراتهم الكارهة • ولم يعخطر ببال أحد أن يؤاخذهم ، وما من صوت ارتفع يدافع عن الشيخ ، وذلك أمر يثير الدهشة في الواقع ، لأن المعجبين بالشيخ كانوا أكثرية الدير يسمح للأقلية بالانتصار الى حين • ولم يلبث أن تدفق الى الحجرة رجال علمانيون ينتمي أكثرهم الى الأوساط المثقفة ، فاما أن الفضول هو الذي يدفعهم الى ذلك ، واما أن أصدقاءهم قد أرسلوهم يستطلعون الخبر اليقين . أما أبناء الشعب فقد كانوا أميل الى النأى والابتماد ، رغم أن عددا كبيرًا منهم قد تجمهر على أبواب النسك • ومهما يكن من أمر فممــا لا شك فيه أن سبل الزوار العلمانيين قد ازداد ازديادا ضخما بعد الساعة الثالثة على أثر شيوع النبأ الفاضح • وهنـــاك أشخاص ما كان لهــم أن يجيئوا بمناسبة وفاة الشيخ ، ولكنهم هرعوا الى الدير مع ذلك وليس لهم من هدف الا أن يتحققوا من صدق النبأ بأنفسهم ، وكان بينهم رجال من كبار موظفى الدولة • يجب أن تذكر مع ذلك أن سلوك المستطامين

الفضوليين لمَّا يمكر جو الحسمة صراحة حتى ذلك الحسين ، فما زال الأب بائسي يستطيع أن يتلو آيات الانجيل جهراً بلهجة ثابتة وهيئة قاسية دون أن يبدو عليه أنه يلاحظ شيئا ، رغم أنه قد لاحظ منذ بعض الوقت أن شيئًا خارقًا يحدث • ولكن ها هي ذي ملاحظات قد أخذت تصل الى مسامعه • ان أصحابها يبدونها خجلة وجلة أول الأمر ، فهم يهمسون بها همساً ، غير أنها ما تنفك تلح وتتجرأ فاذا هو يسمع هــذه الملاحظة بوضوح : • يبدو أن حكم الله لا يؤيد دائما حكم البشر ، • ان الذي جازف فقال هذه الكلمات أول القائلين هو رجل علماني متقدم في السن موظف في البلدية يمد على جانب كبير من التقي والورع • على أن هذا الرجل لم يزد على أن كرر جهراً ما كان الرهبان يسر به بعضهم الى بعض همساً في الآذان منذ وهلة طويلة • ان هؤلاء الرهبان لم ينتظروا طويلا من أجل أن يفصحوا عن هذه الفكرة التي تمبر عن تبدد الأوهام ، والأنكى من ذلك أنهم كانوا يفصحون عن هذه الفكرة وقبد بدت في وجوههم امارات النصر والظفر التي كانت تزداد قوة ووضوحا من دقيقة الى دقيقة • وما لبثت مراعاة اللباقة أن زالت فكأن الجميع أصبحوا يحسون أن من حقهم أن لا يقموا لها وزناً بعد الآن • « كنف أمكن أن يحدث هذا ؟ ، كذلك كان يتساءل بعض الرهبان وهم يصطنعون في أول الأمر همَّة الحزن فكان رهان آخرون يسارعون الى الجواب قائلين : « لقــد كان جسمه تحلا هزيلا معروقا ، كله عظام ، فمن أين يمكن أن تأتى هذه الرائحة ؟ ، _ « معنى ذلك أن الرب قد أراد أن يدل على عـــدم رضاه ، • وكانت آراؤهم هذه تُنقل فوراً بغـــير نقاش ، لأنه اذا كان التفسخ ظاهرة طسمة تحدث دائما بعد وفاة خاطىء فانها لا تحدث في العادة الا بعد أربع وعشرين ساعة على الأقل ، ولا تظهر بمثل هذه السرعة • أما وأن تفسخ الشيخ قد سبق الطبيعة فلا بد أن نرى في ذلك عملاً من أعمال الله واشارة آتية من السماء • ذلك برهان كان يسدو مفحماً • ولقد حاول الراهب الكاهن جوزيف ، أمين مكتبة الدير الذي كان صفى الشيخ وأثيره وكان رجلا دمثًا لطبغا رقبق الحاشبة ، حاول أن يسوق بعض الحجج والأدلة جوابا على تلك الأقوال المسئة • قال فيميا قال : « أن هذه الآراء لا يؤخــــذ بها في كل مكان وأن ما يقال من أن أجساد الصالحين لا تتفسخ ليس من صلب العقيدة الأورثوذكسية وانما هو مجرد ظن ٥ ففي مراكز الاورثوذكسة الصافة النقبة مثل موتت آثوس لا يقام كبير وزن لرائحة الجثة ولا يعد عدم التفسخ علامة نهائية على مجد لقديس وانما يعتمد هنالك على لون العظام بعد أن تثوى الأجساد زمنا طويلا في الارض وبعد أن تكون قد تفسخت في التراب تفسخاً تاماً فاذا صارت العظام بمضى الزمن الى صفرة كصفرة الشمع كان ذلك دليلا قاطعا على أن الرب قد مجد المتوفى أما اذا أصبحت العظام سوداء استُدل من ذلك على أن الرب قد حكم على المتوفى بأنه لا يستحق ذلك الشرف ، ذلكم همم الأساس الذي يُنبى علمه الرأى في مونت آثوس وهو مكان مقدس جدا حافظت فيه الأورثوذكسة في كل الأزمان على صـفائها ونقائها ، • بذلك ختم الأب جـوزيف كلامه ولكن أقوال هذا الراهب المتواضع لم تحدث أي صدى ولم تزد على أن أثارت في أكثر تقدير ملاحظات ساخرة فقال بعض الرهبان : « تلك بدع العلماء لا نريد أن تسمعها ، • وأضاف آخرون : « سوف نـقى أوفاء للتقالم أمناء علمها والبدع كثيرة في زماننا هذه أفضفي لنا أن تقلدها جمعا ، • وقالت طائفة ثالثة في استهزاء : لا يقل ما كان عنديا من قديسين عما كان عند رهان مونت آثوس وقد نسى هؤلاء كل شيء ابان الحكم التركي وفسدت الاورثوذكسية عندهم منذ زمن طويل + يضاف الى ذلك أنهسم

لا يملكون حتى نواقيس » • انصرف الأب جوزيف حزينا • ثم انه لم يمبر عن رأيه بكثير من الجزم والقطع بل عبر عنمه مترددا كأنه ليس مقتنعا به كل الاقتناع هو نفسه • وما كان أشد اضطرابه اذ ثبت له أن ريح عداوة قد هيت على الرهبان وأن روح التمرد على نظام المشايخ قد عاد الى الظهور • وصمئت جميع الأصوات الرزينة المعتدلة شيئا بعد شيء على أثر هزيمة الأب جوزيف حتى لقد حدث أن أولئك الذين كانوا قد أحنوا زوسيما وكانوا قد خضعوا لنظام المشايخ بحماسة شديدة نم ذعروا على حين فجأة وأصبحوا لا يكادون يجرؤون حين يلتقون على أن يتبادلوا نظرة خجلي، أما خصوم هذا النظام الذين يصفونه بأنه بدعة مفسدة فقد شعروا بانتصار وراحوا يختالون تباهيا وها هم يقسمولون فرحين فرحأ خبيثاً : • عند موت الأب فارسونوف لم تلاحك علائم تفسخ بل كانت جنته تنشر رو.ثح عطرة • على أنه لم يستحق نعم الرب بصفته شــيخا وانما استحقها بفضل طهارة حاته لأنه كان رجلا صالحًا ، • وانطلقت الألسن من عقالها فهي لا تتردد الآن عن انتقاد الشبخ المتوفي بل وعن اتهامه فهؤلاء بعض الرهبان الأغبياء يقولون : « كانت تعاليمه خطأ • كان يزعم أن الحياة فرح عظيم لا مصدر حزن وينبوع دموع ، • وهؤلاء رهبان آخرون يقولون بمــزيد من الفساء : « كان رجــلا عصريا • كان لا يؤمن بنار جهنم » وهؤلاء حساد يقولون : « لم يكن يتقيد بالصيام تقيداً شديداً • كان يسمح لنفسه بأكل الحلوي وكان يتناول مع الشاي مربب ومرباً • أيلمق بناسك أن يشرب شاياً ؟ وهؤلاء أسوأ الرهيسان قصداً يقولون حانقين : « كان متكبراً • كان يظن نفسه قديسا • كان الناس يجئون أمامه وكان هو يقبل آيات الاحترام هــــذه ويعدها واجبا له على الآخرين ، • وهؤلاء ألد أعداء نظام المشايخ يضيفون بصوت خافت ولهجة

شرسة: كان يعتهين حرمة سر الاعتراف، ان أكثر هؤلاء الأعداء الألداء النظام المشايخ هم بين الرحيان أكيرهم سناً وأشدهم تقشفاً وأعظمهم تقيداً بكفارات الصيام والصمت ، كانوا أثناء حياة الشيخ قد انهها الى الاذعان والرضوخ ولكنهم يطلقون الآن لأحقادهم أعنتها وذلك ينير القلق كثيراً لأن لأراءهم تأثيرا قوياً في الرهبان الشبان الذين ظلت أفكارهم في هذا المجال رجراجة ، كان راهب أوبدورسك ، الراهب الصسغير الوافد من سان سيلفستر ، يصبخ بسمه الى هذه الأقوال كلها منتها انتباها شديداً متهدا تهدا عبقا ، هازاً رأسه ، قائلا لنفسه : « يبدو أن الأب تيرابونت كان على حق أمس ، ، وهذا هو الأب تيرابونت يظهر هو نفسه على حين فيات كأنما ليكمل اضطراب النفوس وبليلة الأفكار ،

سبق أن قلت انه كان لا يترك الا نادراً حجرته الخنسية الواقعة قرب خلية النحل وانه كان يفيب عن الكنيسة فترات طلسويلة و ولكن الدير كانوا يفضون البصر عن اخلاله هسذا بالنظام ، بحجة أنه اسان ساذج برى والحق أنهم كانوا يعدون أنسهم مضطرين أخلاقيا ان صع التعبير الى غض الطرف عن شذوذ سلوكه فانه ليكاد يبدو غير لائق أن يطالب ناسك كير مثله يلزم نفسه بالصيام والصمت مدداً طويلة ذلك الطول كله ويقضى أياما كاملة وليلى طويلة في المسلاة والنهجد ذلك الطول كله ويقضى أياما كاملة وليلى طويلة في المسلاة والنهجد المعد أن القد كان يتفق له أن ينام على ركبتيه) > أن يطالب بالخضوع للطقوس يزعجه لقال الرهبان : « انه أقدس منا جميعا وهو يفسرض على نفسه كفارات أقوى كثيرا ممسا نلزم به أنفسنا من فرائض فاذا لم يأت الى الكنيسة فلا شك أن هنالك أسباباً تدفعه الى ذلك ان له فرائضه الخاصة التي يوجبها على نفسه الخاصة والتي يفسه الذلك كان يُترك هذا المسترل المعجوز وشأنه تجاشيا لاحتجاجات الرهبان ودمدماتهم وكان معروقا لدى النساس أن الأب

تيرابونت يكره الشيخ زوسيما • ولم تلبث الشائمة التي تقول : • ان حكم الله لا يؤيد حكم البشر دائما وانه قد سبق الطبيعة في تفسخ جثمان الشيخ » ، لم تلبث هذه الشائعة أن وصلت الى حجرته النائية المنعزلة وأغلب الظن أن راهب أوبدورسك الذي زاره البارحة وخرج من عنده مذعورًا كان من أوائل الذين نقلوا اليه النبأ • وقد ذكرت أيضًا أن لأب باثيسي الذي ظل يتابع قراءة الانجيـــل أمام التابوت ثابت َ الجنان بغير اضطراب والذي كان لا يمكن أن يرى وأن يسمع من مكانه هذا ماكان يجرى خارج الفرفة ، قد حزر مع ذلك في قرارة نفسه الشيء الأساسي مما كان يجرى خارج الغرفة لأنه يعرف الروح المسيطرة على بيئته حق معرفتها • لم يدع الأب باليسي لنفسه أن يضطرب وانتظر ما سيحدث دون أن يرتاع متنئًا بمواقب هذه الحركة بما أوتى من بصيرة نافذة وفكر سديد غير أن ضحة خارقة آتية من المر قد شدت انشاهه على حين فجأة ، وهي ضجة لا يخفي في هذه المرة أنها تنافي اللياقة • نفتح الباب على مصراعه وظهر الأب تيرابونت في العتب. • ان عددا كبيرا من الرهبان بينهم بعض العلمانيين كانوا يسيرون وراء الأب تيرابونت ولكنهم آثروا أن يتوقفوا في أسفل درجات المدخل فهم يُسرون من الفرفة • لقد قرروا أن لا يدخلوا الغرفة وفضلوا أن يشهدوا من بعد ما سيقوله الأب تيرابونت وما سيفعله • ذلك أنهم كانوا يتنبأون بأن الأب تيرابونت لم يجيء عبثاً وانهم ليشعرون بشيء من الارتباع رغم جرأتهم وجسارتهم • توقف الأب تيرابونت في العتبة ورفع ذراعيه فرئيت عندئذ العينان الحادثان المستطلعتان عينا راهب أوبدورسك الصغير الذي لم يستطع مقاومة الاغراء وجازف وحده فاجتاز درجات المدخل وراء الاب تيرابونت ليرى ما سيحدث من كثب ولا كذلك الآخرون فقد تراجعوا قليلا وهم يشمرون بخوف مفاجىء حين انفتح الباب مقرقمًا. صرخ الأب تيرابونت بقوة وهورافع ذراءقائلاً :

ـ اخرجوا من هنا يا شياطين •

وأسرع يرسم اشارات الصليب كبيرة "وهو يتجه الى جدران الغرفة الأربعة جداراً بعد جدار و ورسم اشارة الصليب كذلك أمام كل زاوية من زوايا الغرفة وسرعان ما أدرك جميع الذين تيموا الأب تيرابونت دلالة هذه الحركة فلقد كانوا يعرفون أنه يفعل هذا دائماً في أى مكان يذهب اليه ولا يرضى أن يقسول كلمة أو أن يتجلس فى قاعة قسل أن يطرد الشيطان وكان يردد كلما رسم اشارة الصليب :

ـــ ابتمد أيها الشيطان! أخرج من هنا! غوروا أيها الأبالسة لأتنى أطردكم •

هكذا كان يزأر الشيخ تيرابونت ·

وكان يرتدى ثوباً خشناً يزنره حبل وكان صدره الأشيب التسعر يظهر من شق قميصه المصنوع من الحيش أما قدماه فكانتا حاقيين تماماً واذا حرك ذراعيه سُمع صليل السلاسل الحديدية الثقيلة التي كان يحملها على جسمه و توقف الأب باليسى عن القراءة وتقدم نحو الأب تيرابونت عادناً على وضع انتظار وسأله أخيرا وهو يلقى عليه نظرة قاسية :

ماذا جثت تصنع هنا أيها الأب المحترم ؟ لماذا تشوش النظام ؟ فيم
 بث الفوضى فى الرعية المسكينة ؟

صرخ الأب تيرابونت يقول منقلب السحنة :

ــ لماذا جثت ؟ تريد أن تعرف لماذا جثت ؟ فعاذا تظن اذن ؟ لقد جثت لأطرد ضيوفكم ، لأطرد الشياطين النجسة ! أردت أن أرى هل استضفتم شياطين كثيرة فى غيابى • سأطردهم جميعا بالسياط •

أجابه الأب بائسي هادئاً دون انفعال :

تحسب أنك تطرد الشيطان مع أنك ربما كنت تخدمه !من ذا الذي يستطيع أن يقول عن نفسه انه قديس ؟ أثراك أنت أيها الأب المحترم ؟ قال الأب تيرابونت مرعداً :

أنا لست بقديس قط! أنا رجل دنس! ولكننى أنا لا أستريع على مقاعد وثيرة ولا أحاول أن أحمل الناس على عبادتي كاله • ان الناس في أيامنا هذه يستهزئون بالدين المقدس ويجحدونه • ان صاحبكم المتوفى ، هذا القديس (كذلك أضاف يقول ملتفتاً بحو الرهبان المحتشدين عند المدخل مشيراً باصبعه الى تابوت الشيخ) كان لا يؤمن بوجود الشياطين لقد كان يصف لمن مستهم الشياطين أدوية تنظف الأمعاء فهل عجب بعد هذا أن تنكاتر الشياطين عندكم تكاثر العنكبوت في نوايا الجدران ؟ أما قديسك فانه يتضخ . لأن وتلك في نظرنا اشارة من السماء •

والحق أن في حياة الأب زوسيما حادثة من هذا النوع فان راهباً من الرهبان قد رأى الشيطان في منامه عدة مرات ثم أخذت هذه الرؤى تحاصره في اليقظة أيضا ففاتيح الشيخ بذلك فنصحه الشيخ بأن يكثر من الصلاة والصيام • فلما لم تنفعه هذه الوسيلة وصف له دواء و وصحه في الوقت نفسه بأن لا ينقطع عن الاكتار من التعبد • وقد شده من هذا عدد كبر من الرهبان وأخذوا يتحسدون فيه هازين روسهم استياء واستنكاراً • وكان الأب تيرابونت أشدهم ثورة حين أسرع الوشاة يبلغونه بما فعله الشيخ من أمر يعد « خارقا » في حالة من هذا النوع •

قال الشيخ بائيسي بلهجة صارمة :

 كذلك ردد الأب بائيسي ملحاً •

واستأنف الراهب المندفع يقـــول وكأنه فقد كل ســيطرة له على نفسه :

- كان لا يعتقد بفرائض الصيام كما يليق براهب من رتبته • ذلك هو معنى الاشارة السعاوية ، هذا واضح وضوح النهار ومن الانم أن نحاول انكاره • كان يستم بالحلوى التى كانت تمتلىء بها جيوب السيدات اللواتى يزرته • كان يماذ بطنه بالشاى ويحشوه بالعمائده أما روحه فقد كانت تفيض كبرياء وزهوا • ذلك هو السبب فى أن الرب قد أرسل اليه هذا العار •

أجاب الأب بائيسي رافعاً صوته هو أيضا :

_ أقوالك طائشة يا أب ! اننى لأعجب بقسوة صيامك وشدة تقاك ولكنك ترسل الكلام جــزافا بغير روية كشاب علمـــانى يعوذه النضج والتأمل والتدبر •

وختم الأب باثيسي كلامه قائلاً بصوت مجلجل :

ـــ اخرج من هنا •

قال الأب تیرابونت مرتبكاً بعض الارتباك ولكن دون أن يهــــدأ غضمه :

ــ سأمفى ! طيب ٥٠٠ أنتم رجال علماء • أنتم بكبرياء عقلـكم المسعورة ترتفعون فوق بساطتى • لقد جئت الى الديرأمياً • والقليل الذي كنت أعرفه فى الماضى نسيته منذ ذلك الحين • لقد شامت رحمة الرب نفسه أن تصوننى أنا الضميف من دنس عقلكم ٥٠٠

ظل الأب بائسي هادئا ينتظر التنمة بصلابة وثبات •

صمت الأب تيرابوت لحظة ثم اذا بوجهه يظلم على حين فجأة و ذا به يحمل يده اليمنى الى خده ويقول بصوت ضعيف وهو ينظر الى تابوت التسيخ :

ـــ غداً ینشدون له النشــــید العظیم « ربنا هب لنا من لدتك عوناً واحمنا ، أما حین سأفطس أنا فسیكتفون بتلاوة آیات بسیطة قاتلین كانت حاته هادئة وادعة * .

كذلك قال بصوت تخالطه الدموع وتستثير الشفقة • ثم صرخ يقول كمن جن جنونه :

ـ ضيَّعتكم الكبرياء والثقة ! ما هذا المكان الا عدم !

واستدار على عقبيه فجأة وهو يحرك ذراعيه وهرول يهبط درجات السلم الصغير و ظهر التردد على الجمهــور الذي كان ينتظره تحت ثم تبعه بعضهم فورا وتوقف آخرون اذ رأوا أن باب الغرقة قد ظل مفتوحا وأن الأب بائيسي الذي شـــع الأب تيرابونت الى درجات المدخل كان يلاحظهم صامنا ولكن السجوز المنسدفع المتحمس لم يكن قد أفرغ كل ما في جعبته فها هو ذا يتوقف بعد أن سار عشرين خطوة ويلتفت تحو الشمس القاربة رامياً ذراعيه في الهواء ثم يتهاوى على الأرض كأن قوة خفة قد حصدته:

ـ انتصر ربى ! تغلب المسيح عند غياب الشمس •

كذلك زأر يقول بصوت مسعور وهو يعد ذراعيه نحو الكوكب و تم جعل وجهه الى الأرض وأخذ يبكى بكاء طفـــل مهتز الجسم محركاً ذراعيه كأنما ليعانق الأرض و هرع الجميع اليه وسُمع صراخ وسمع بكاء عطف فكأن حمياء قد انتقلت الى الجمهور و وهنفوا يقولون من كل جهة من الجهات بغير تحفظ ولا اعتدال: ـ هذا هو القديس الحق • هذا هو الصالح الحق •

وأضاف آخرون يقولون بنضب شديد :

ــ الله انما يجب أن تسند المشيخة •

فبادرت أصوات أخرى تقول على الفور :

ـــ لن يقبل أن يصبح شيخا ٠٠سيرفض همو نفسه • لن يرضى أن ينضم الى هذه البدعة اللعينة • ما هو بمن سيقلد هذا الجنون •

لا يدري أحد بماذا كان يمكن أن ينتهي هذا كله لو أن الناقوس لم تدوُّ أصمواته في تلك اللحظة منسادية الرهبسان الى القداس • رسم الجميع اشارة الصلب ونهض الأب تيرابونت ورسم اشارة الصليب كبيرة عريضة لنحمي نفسه من الشر الخفي واتبجه نحو غرفته دون أن يلتفت وهو يطلق صرخات مضطربة لا اتساق فيها • تبعته قلة قلبلة من الرهبان ولكن أكثر الرهان تفرقوا مسرعين الى العادة • وعهد الأب باثيسي الى الأن جوزيف باتمام القراءة وابتعد هو أيضاً • ان الصرخات المحمومة التي أطلقها المتعصبون لم تستطع أن تهزه كثيرا ومع ذلك شمحر بحزن خاص يغزو قلبه فجأة فدهش من هذا ووقف يتساءل : « ما مصدر هذا المناه الذي ير هقني ، • فما كان أشد استفرابه حين أدرك فورا أن سب ذلك انما هو حادث يندو فيالظاهر تافهاً لا قيمة له : فين صفوف الجمهور الذي كان يضطرب منذ هنيهة عند مدخل النرفة لاحظ الأب بالسي وجدود ألبوشا الذي كان يبدو مضطربا اضطرابا شديدا منفعلا انفعالا قويا (انه يتذكر هذا الآن) فشمر من ذلك بما يشبه ألماً يطمئ قلمه • تسامل الأب باليسي مدهوشا دهشة قوية : « هل يمكن حقا أن يكون هذا الشاب قد احتل كل هذا المكان في ننسي ؟ » • وقـما هو يتسامل هذا التساؤل مر أَلُوشًا غير بعد عنه • كان يفذ الخطى ولكنه لم يكن متجهاً نحو الكنيسة • التقت نظراتهما فسرعان ما أشاح أليوشا عينيه وخفضهما نحو الأرض وأدرك الراهب المجوز من النظر الى هيئة الفتى وحدها ما كان يجرى فى نفسه من تبدل ه

متف الأب بائسي يسأله :

ـ أثراك تركت لنفسك أن تهتز وتضطرب أنت أيضا؟ ثم أضاف يقول بمرارة :

- أتراك انضمت آلى صف الذين يشكون ؟

توقف أليوشا وألقى على الأب بائيسى ظرة مترددة ثم أشاح عينيه وأطرق الى الأرض من جديد • لقد وقف موارباً ليتحاشى ظرة محدثه وجهاً لوجه • وكان الأب بائيسى يرقبه بانتياه •

قال الأب بائيسي :

- الى أين أنت ذاهب ؟ هذه ساعة القداس •

ولكن أليوشا ظل لا يجيب • وتابع الأب باثيسي أسئلته :

- ألملك تترك الدير ؟ أبدون أن تبتنا ! أبدون أن تتلقى المباركة ؟ فاذا بألوسا يطلق على حين فجأة ضحكة صسمنيرة مصنوعة ، ويشخص بصره الى الراهب الذى كان يسأله ، ان هناك شبئاً غريبا بل غريبا جدا فى النظرة التى ألقاها فى تلك اللحظة على الرجل الذى عهد به اليه أتساء موته مرشد أه الروحى المتوفى ، معلم قلبه وفكره ، شيخه المحبوب ، ها هو ذا يحرك يده فجأة ، دون أن يحيب ، باشارة تتم عن أنه أصبح لا يهمه أن يرعاه أحد ، ثم اتجه تحسو مخرج المنسك بخطى سريعة ،

دمدم الأب بائيسي يقول بصوت خافت وهو يتابعه بنظره مدهوشاً دهشة أليمة :

_ ستعود ه

۲ دقیقهٔ کهذه الدقیقهٔ

فى أن الأب باتيسى لم يعظمىء حين قسدر أن اينه العزيز ، سيعود ؟ حتى لقد فهم فيما يبدو (لا فهماً كاملاً والحق يقال ، لكنه فهم فيه كثير . من نفاذ البصيرة) الحالة النفسية التي كان عليها

ألوشا ، ولكن يعب على أن أعترف مع ذلك بأنني لو أردت أن أشرح عليه وجه الدقة معنى تلك الدقيقة الغريبة المبهمة من الحياة الداخلية التي عاشها بطلي الذي أحبه كثيرا والذي ما يزال في ريعان الشباب ، لكان ذلك عسما على كل الصعوبة ، انني أستطيع طبعا أن أجب عن ذلك السؤال المرير الذي ألقاء عليه الأب بائسي «أتراك أصبحت في صف من يشكون؟» المسطيع أن أجب عن هذا السؤال والقاً : « لا ، انه لم يكن يشك ! » ، أستطيع أن أجب عن هذا تماما : لتن شعر وأكثر من ذلك أن اضطرابه كان يعبر عن نقيض هذا تماما : لتن شعر وأكثر من ذلك لأن ايسانه كان كبيرا ، لقد قلق ألوشا قلقا شديدا ، وبلغ قلقه من الأيلام أنه ظل بعد سنين طويلة يعد أدلك اليوم المشتوم أزخر أيام حياته بالألم والحزن ، ولو سئلت : « هل يمكن حقا أن يشعر بكل ذلك الحزن والقلق لا لشيء الا لأن جثمان شيخه قد فسد قبل الأوان بعد من أرجو القاري، مع ذلك أن لا يتسرع بعيد هو سب حزنه » ، ولكنتي أرجو القارى، مع ذلك أن لا يتسرع

كثيرا فيستهزىء بصفاء قلب بطلى • لست أميل من جهتى الى أن ألتمس نقص دراسته أو قلة ما حصـَّل من تقدم في العلوم في المدرسة ، بل أقف الموقف المضاد يغير تردد فأقول : انني أشمر نحو بساطته باحترام كبير. صحيح أن شبابا غيره ، شسابا أكثر تعقلاً وأشد حسندرا في اندفاعات روحهم ، شبابا يحبون حبا حاراً ولا شك ، غير أنهم يحبون بغير هوى شديد ، شبابا يحسنون التحكم بحركات قلبهم في ذكاء واثق مستقيم لكنه مع ذلك مسرف في التعقل اذا قيس بأعمارهم (وهـــو تبعا لذلك ضئيل القيمة) ، واضح أن شبابا كهؤلاء كان يمكن أن يتقوا الاضطراب الذي وقع فيه بطلى • ولكن لأن ينساق المرء أحيانا مع اندفاع قد يكون طائشًا ولكنه مستلهم من حب كبير ، فذلك في رأيي أُنبِل وأكرم من أن يكون عاجزًا عن الشعور بمثل هذه العواطف • وهذا يصدق خاصة على الشباب ، لأن الشاب الذي يفرط في التروى لا يوحى بثقة عميقة وليس له قيمة كبيرة • ذلك رأيي أنا على الأقل • رب أناس رصنين يعترضون قاتلين : " فالى أين نصير اذا آمن جميع الشباب بمثل هذه الآراء ؟ ليس صاحبك أليوشا بمن تضرب به مثلاً أو تقلمه قلدوة ، • وانبي لأجيب هؤلاء قائلاً : « لقد كان ألبوشا يؤمن بحسرارة وحماسة ، كان يؤمن ايمانا مقدسا لا يتزعزع ، ولكن ليس يخطر ببالي أن ألتمس له بسسب ذلك أعذارا ٥ ٥ ٠

ومع ذلك ٥٠٠ مهما أؤكد (وربما كنت في هذا التأكيد مغرطاً في التسرع) انني لن أحاول أن أسوّ غ سسلوك بطلى أو أن ألتمس له الأعذار ، فانني أداني مفسطرا ، رغم كل شيء ، الى أن أقدم بعض الايضاحات سهلاً لغم قصتى ، الكم ما أريد أن أقوله : ليس غياب المعجزة هو ما أسلم ألوشا للاضطراب ، ان ألوشا لم يتظر ، نافد

الصبر ، ظهور َ ظاهرة فوق الطبيعة ، عن خفة وطيش • انه لم يكن في حاجة الى ذلك لثبوت صدق اعتقاده ثبوتا مظفرا (لا هذا على كل حال)، ولا ليتاح لفكرة قائمة في ذهنه أن تنتصر بمزيد من السهولة على رأى يعارضها • أبدا ! ان ما كان يعنيه في هذا الأمر قبل كل شيء آخر ، بل ودون كل شيء آخر ، انما هو مصير انسان ، مصير هذا الانسان وحده، أعنى شخص الشبخ الذي كان ألوشا يحه ، شخص الرجل العسالع الذي كان أليوشا يعجب به ويبجله • ان ما في قلبه الفتي من قدرة على الحب ، وان ما كان يشعر به نحو « جميع الأشياء وجميع الناس ، من مودة وعاطفة وحنان ، قد تركز في تلك الفترة ، أعنى أثناء تلك السنة ، على انسان واحد هو شيخه الحبيب الذي مات الآن ولكنه كان قد أصبح _ ربما بشيء من الأفراط _ القطب الوحد : لذي يعتذب أعمق عواطفه • صحيح أن هذا الشيخ ظل يجستًد في نظره أرفع مثل أعلى انساني ، خلال مدة بلغت من الطول أن قوى طسعته الشابة وأشسواق نفسه كان لابد أن تتجه الى الشيخ وحده حتى لتنسيه في بعض الأحيان و جميسع الأشياء وجميع الناس ، (سوف يتذكر فيما بعد أنه في ذلك اليوم الحزين قد نسى نسانًا تاما أخاء دمتري الذي كان يرغب أمس في رؤيته ، رغة حارة ڤوية ؟ كما أن القرار الذي اتنخذه أمس والذي يحرص عليه أشد الحرص، ، وهو أن يرد المائتي روبل الى والد ايلــــوشا ، قد غاب عن ذهنه تماما) • ولكنني أعود فأقول مرة أخرى : ليست المعجزات هي ما كان ألوشا في حاجة اله ، وانما كان ألوشا في حاجة الى « عــدالة علما ، ، وهذه العدالة العلما قد أوذيت في نظره ايناء " شديدا • فهسذا لا غيره هو ما كان يؤلم قلب ألبوشا ايلاما قاسياً • لقد كان هــــذا طعنة " موجمة رهبة • ليس بالأمر المهم أن تكون هذه • العدالة ، قد تترجمت في ذهنه ، يتأثير البيئة الطبيعي ، توقعاً لمحـــزة لا بد أن تتحقق قرب ما يأمله جميع الناس في الدير ، وفي طليعتهم أولئك الذين كان أليوشا يعترف بتفوقهم العقلي عليه ، كالأب بائيسي مثلاً ؟ لذلك لم يتردد ألبوشا في أن يعبِّر عن أمله على نحسو ما كانوا يعيرون ، دون أن تشسوشه شكوك أو تأملات • وقد نضج هذا التوقع في نفسه خــــلال سنة كاملة عاشها في الدير حتى أصبحت طسعة كعادة ، ولكن ظمأه كان الى عدالة لا الى معجزات! وهذا هو الانسان الذي كان في عاطفة أليوشا فوق جميع البشر في العالم بأسره يتجلل بالمسار فجأة ويسقط في الخزى بدلاً من أن ينال المجد الذي يستحقه ! لماذا ؟ من هو القاضي الذي اتخذ هذا القرار وأصدر هذا الحكم ؟ من الذي يمكن أن يكون قد اتنخذ هذا القرار حقا ؟ تلكم هي الأسئلة التي داهمت نفسه البريئة التي تعسوزها الخبرة والتجربة وأخذت تسومها سوء العذاب • كان لا يطبق ، دون أن يشمر بالمذلة ودون أن يعصف به الغضب ، أن يرى أصلح الصالحين فريسة استهزاء شرير وتهكم خبيث يصبه عليه جمهور طائش هو دونه كثبرا • كان يمكن أن يقبل أن لا تحدث أية ممجزة وأن لا يقع أى شيء خارق للطبيعة ، تلبية ً لما يتوقعه جميع الناس • ولكن لماذا يعجلنُّل الشيخ بالخزى والعار ، لماذا هذا التفسخ الذي يحدث قبل الأوان ، و « يسمق الطبيعة ، كما كان يقول الرهبان الأشرار ؟ هل كان ضروريا أن تُهما لهؤلاء الأشرار فرصة أن يروا في هذا التفسخ « اشارة » يسارعون الآن الى تأويلها كما يحبون ويشتهون وراء الأب تيرابونت ؟ ومن ذا الذي خوَّلهم الحق في أن يعمدوا الى استدلالات من هذا النوع ؟ أين المناية الالهية في هذا كله وأين يد الله ؟ لماذا امتنع الرب عن التدخل فياللحظة التي كان فيها تدخله ألزم ما يكون وأوجب ما يكون (في رأى أليوشا)

حتى لكأنه استسلم هـــو نفسه أمام قوى الطبيعة المسادية العمياء التى لا ترحم؟

ذلكم ما كان ينزف منه قلب ألبوشا • كان في تلك الساعة ، كما سبق أن قلت ، لا يفكر الا في ذلك الانسان الذي هو أحب انسان الى قلبه في العالم ، وهـــذا الانسان هو من جُلُلُ بالخــزى والعار الآن ، وغُنضَّت قيمته وأُنزل الى الدرك الأسغل • انني أسلم بأن هذا الفتي قد برهن ، حين كان يدمدم هذه الدمدمة ، على أنه طائش العقل مخطىء الرأى ، ولكنني أعود فأقول مرة الله (ولتنهمونه يخفة العقل أيضا اذا شئتم): انني ليسعدني أن أليوشا قد أعوزه القصد والاعتدال في تلك الساعة من حياته ، لأن العقل يستيقظ دائماً في وقت مبكر لدى الانسان الذي لم يُحرم من الذكاء ، فاذا لم يتغلب عليه الحب في مثل هذه اللحظة ني قلب فتي مراهق ، فمتى عساء ينتصر في هــــذا العالم ؟ على أنني لا أستطيع أن أصمت عن عاطفة أخرى غامضة مضطربة قد مست نفس أُلونًا مساً عابرًا في تلك الدقيَّة القلقة الأليمة من حياته • ولعل كلمة « عاطفة » لست هي الكلمة المناسبة • هو « شيء » كان يندبه ، هو شعور شاق مرتبط بذكري الحسديث الذي قام أمس بينه وبين ايفان والذي يعاود فكره في هذه اللحظة الحرجة بالحاح محاصر • لست أعنى قط أن عناصر ايمانه الأساسة ، الفطرية ان صح التمير ، قد أصسابها أي تزعزع ٥٠٠ لا ٥٠٠ انه يحب الهه الآن كما كان يحبه من قبل ، وانه ما يزال يؤمن بالهه وإن كان يدمدم متذمراً في بعض اللحظات • ولكن ذلك الاحساس المقلق السيء الذي شمر به بعد ذلك الحديث رأساً قمد استقظ الآن في نفسه من جديد ، وأخذ يحاول الخسروج الى سلطح شعوره بقوة ما تنفك تتزايد .

هبط الساء أثناء ذلك ، وخيتُم الغلام • وهذا رَاكيتين الذي كان

يجناز غابة الصنوبر ليذهب من الصومعة الى الدير يلمح أليوننا على حين فجأة ، مستلقيا تحت شجرة ، جاعلاً وجهه الى الأرض ، ساكناً لايتحرك فكأنه نائم ، افترب ركيتين منه وناداه :

_ أهذا أنت يا ألكسى ؟ أيمكن حقا أن ٠٠٠

كذلك قال راكبتين مدهوشا ، ولكنه أمسك فجأة عن الكلام قبل أن يتم جملته ه

لم يرفع أليوشا عنيه نحو راكيتين، ولكن راكيتين أدرك من حركة يسيرة تحركها جسم أليوشا ، أن أليوشا قد سمعه ، استأنف راكيتين يقول وقد أخذت الدهشة التي يعبر عنها وجهه تستحيل شيئا فشيئا الى ابتسامة ساخرة :

ــ ماذا بك ؟ ماذ دهاك ؟ اسمع يا أليوشا ! اتنى أبحث عنــك منذ ساعتين في كل مكان • لقد اختفيت من هناك بفتة * • فماذا تصنع هنا ؟ أهى سخافة جديدة ؟ أنظر الى على الأقل •••

رفع أليوشا رأسه ، وجلس مسنداً ظهره الى التسجرة ، لم بكن يبكى ، ولكن الألم كان يُقرأ فى قسمات وجهه ، وكان فى عييه حنق. على أنه لم يكن ينظر الى راكيتين وانما هو يحدثن الى شىء فى جانب. قال راكتين :

مل تعلم أن وجهك قد تغير تعساما ؟ لم يبق فيه أثر من تلك
 الودعة التي كنت توصف بها ؟ أتراك غاضبا من أحد ؟ هل أساء السك
 آحد ؛

قال أليوشا دون أن ينظر اليه أيضا ، قال وهو يحرك يده باشسارة تعبر عن التململ والتبرم :

ـ انمرف !

قال راكيتين :

ـ أوه ! أوه ! أهكذا أصبحنا الآن اذن ؟ نفضب ونصرخ كسائر الناس ! عجيب ! من ذا الذي يمكن أن يصدق صدور هذا عن مثل هذا الملاك ؟ طيب يا أليوشا ٥٠٠ في وسعك أن تعتز بأنك أدهشتني ٥٠٠ أقول لك هـــذ صادقا كل الصدق و لقد أصبحت مناهذ زمن طويل لا أدهش من شيء هنا و على أنني كنت أظنك انسانا متقفا ٥٠٠

أخيرا رفع أليوشا اليه عينيه ، غير أن في هيئته الآن ذهولاً فكأنه لم يفهم جيدا ما قاله صاحبه ، وعاد راكيتين يهتف قائلا وقد استبدت به دهشة شديدة من جديد :

ر أكلُّ هذا لأن صاحبك العجوز قد مات ؟ آكنت تظن حقاً اذن أنه كان سيحقق معجزات ؟

فصرخ أليوشا يقول بصوت حانق :

ــ كنت أظن ، وما زلت أظن ، وأريد أن أظن ، وسأظل أظن ! ••• أيكفيك هذا الآن ؟

ــ ولكننى لا أريد شيئا يا عزيزى ! عجيب ! ان صبياً في الثائسة عشرة من عمره لا يؤمن بهذه الأمور في أيامنا هذه • لك ما تشاء على كل حال ••• هأنت ذا اذن غاضب من الله > ثائر عليسه ثورة معلنة ! كموظف مستام من أنه نُسى عند ترفيع > أو حرم من وسام في احتفال! هذا أنتم ! •••

تفرس ألبوشا فى راكيتين طسويلاً ، وهو منمض عينيمه نصف اغماض ، وومض فى عينيه برق ٥٠٠ غير أن هذا ليس الآن حنقاً وغيظا من راكيتين ، ثم قال وهو يحمل نفسه على الابتسام :

_ لست ثائرا على الهي ، ولكنني • أرفض قبول الخليقة ، • ذلك كل شيء •

فكر راكيتين لحظة في هذا الجواب ثم سأله :

ـ ترفض ؟ ماذ: تعنى ؟ ما هذا الكلام المضحك أيضًا !

لم يحب أليوشا • قال راكيتين :

_ كفانا كلاما فى ترهات • لنفكر فى الأمور الهامة : هــل أكلت بوم ؟

ـ لا أتذكر ••• يبدو أننى أكلت •••

ـ تدل هيئت على أنك في حاجة الى استرداد قواك ٥ ان منظ رك يثير الشفقة عليك ٥ قيل لى انك لم تنم طول الليل ٥ يظهر أنكم قد عقدتم اجتماع كبيرا ٥ ثم حسدت ذلك الهرج كله ، وقامت تلك الاحتمالات والطقوس كلها ٥٠٠ ان في جيبي بعض المقسانق ، حملته احتياطا حين جتن الى هنا ٥ ولكن أغلن أنك لا تأكل المقانق ، أليس كذلك ؟

_ هات المقانق •

_ هيه هيه ٥٠٠ هذا أمر جديد ٥٠٠ هذه ثورة أصولية ، ثورة بمتاريس ! هيم ٥٠٠ ما هذا بقليل أيها الأخ ، هل تعلم ؟ طيب ٥٠٠ تعال معى الى بيتى ٥٠٠ أنا أيضا في حاجة الى قليل من الخمرة ٥٠٠ انت لا تشرب خمرة ، أليس كذلك ؟ المهم الا أن ٥٠

ـ سأشرب خمرة ٠

قال راكيتين وهو ينظر الى صاحبه مدهوشا :

ــــ هه ؟ • • • هذا كثير • • • المقانق سلمنا بها • • • ولكن أخمرة أيضا ؟ هذه أمور عظيمة حقا • يعجب أن لا تفوت الفرصة • هيا بنا !

نهض ألوشا دون أن ينطق بكلمة ، وتبع راكيتين •

قال أليوشا بغير اكتراث :

ـ أعرفه ٠

وانبقت صورة دمترى فجأة فى خياله ، ولكنها لم تلبت فيـ الا لحظة قصيرة ، لقد أحس احساسا غامضا بوجود أمر مستمجل لا يعنمل أى ابطاء ، هو الزام أخلاقى ، هو واجب رهيب يجب أن يقوم به ، ولكن هذه الذكرى لم تُخرجه من خدره ؛ لقد اجتازت فكره دون أن تبلغ قلبه ثم لم تلبث أن بارحته ، ومع ذلك فان هذه الواقعة التفصيلية ستماود ذاكرته كثيرا فيما بعد ،

ــ لقد نستى أخوك المهذب اللطيف ايفان ذات مرة بقوله « تافه لبرالى لا موهبة له ، • أما أنت فقد أســـمتنى فى يوم من الأيام أننى أفتقر الى « الاستقامة ، • طيب ! سنرى قريبا ما قيمة مواهبكم واستقامتكم أتتم (أضاف راكيتين قوله هذا عامسا كأنه يخاطب نفسه) •

ثم أردف يقول بصوت عال ٍ :

ــ لنتحاش المرور بالدير ولنتحه رأسا الى المدينة محتازيين الممسو

الضيق ٥٠٠ هم أ و سأتب لحظة الى منزل السيدة هوخلاكوفا أتناء الطريق و تصور أننى قصصت عليها تفصيلا كل ما جرى هنا ، فاذا هى تعجينى منذ قلبل فى بطاقة كتبت عليها بالقلم الرصاص (همذه السيدة تشنق كتابة البطاقات) : « انها ما كان لها أن تتوقع من عجوز مبج للشيخ زوسيما ٥٠٠ أن يصدر عنه ٥٠٠ منل هذا السلوك ! ٥٠٠ ، هذا ما كتبته بالحرف : « السلوك » ! هى أيضا حاقدة عليه شخصيا بسبب ما وقع ٥ هذا أنتم !

قال راكتين ذلك ثم صاح فجأة يقسمول وقد توقف عن السمع ، وامسك ألبوشا من كثفه ، وحدًى اليه بعينين متفرستين :

_ هل تعلم يا أليوشا ؟

لقد استندت براكيتين في تلك اللحظة فكرة جديدة انتقت في ذهنه ؟ وكان واضحا رغم هيئته الضاحكة أنه ما زال لا يجرؤ أن يعير عنها من فرط ما يصمب عليه أن يصددق ما كان عليه أليوشا من حالة نفسية هي في نظر راكيتين خارقة غير متوقعة ٠

وعزم أمره أخيرا فقال بصوت متردد غير مطمئن :

_ أليوشا ، عزيزى ! هل تعلم أبين يعجب علينا أن تذهب كلانا ولا ؟

ما نذهب الى حيث تشاه م يستوى عندى كل شيء م

فقال راكيتين وهو يرتجف لهفه وخشية :

ـ لنذهب الى جروشنكا ! هل توافق ؟

فأجاب أليوشا هادئًا بغير تردد :

ـ لنذهب الى جروشنكا اذا أردت !

ـ هكذا ؟ عظيم ! ٥٠٠

ولكنه لم يلبت أن ثاب الى نفسيه ، فأمسك أليوشا من ذراعه ، وأسرع يعجره نحو المعر الضيق ، خشية أن يتراجع أليوشا عن قراره. وسارا صامتين ، لأن راكيتين يتحانى الآن أن يفتح فمه مخافة أن يمكّر ما كان عليه أليوشا من حسن الاستعداد والقبول ، غير أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يدمدم بعد لحظة قائلا :

ــ ما أعظم ما ستشعر به جـــروشنكما من سرور برؤيتك ! أوه ! لسوف تكون سعيدة !

ولكنه سرعان ما صمت •

على أن راكيتين لم يحاول أن يجذب أليوشا الى منزل جروشنكا ليسر جروشنكا • ان راكيتين رجل جاد ، فهو لا يحاول أهراً من الأمور دون أن يرى فيه نغماً له • ولقد كان في تلك اللحظة يحفضم لباعثين اتنين • فأما الباعث لأول فهو أنه يحب أن ينتقم : انه يريد أن ينسهد مدنس الرجل الصالح » > انه يريد أن يرى « سقوط » أليوش من « القداسة الى الاتم » > وذلك أمر كان راكيتين يتلذذ به منذ الآن • وأما الباعث الثانى فهو هدف مادى سيحقق له ربحاً كبيراً ، وسناتي على ذكره فيما بعد •

قال راكيتين في سره وهو يشعر بفرح خفي خبيث : ﴿ اذَنَ لَقَــَدُ جاءت دقيقة كهذه الدقيقة في حياته ﴿ ويعجب أنْ لا نفوت هذه الدقيقة ﴾ لأنها تمدنا بمنافع كثيرة وقوائد جمة » ﴿

جروشنكا في قلب المدينة قرب صيدان الكنيسة،
في منزل المرأة موروسوفا ، وهي أرملة تاجسر
له أجرت جروشنكا جناحا مبنيا من خسب في فناه
منزلها ؟ والمنزل من حجر ، وهو واسم له طابق

منزلها ؛ والمنزل من حجر ، وهو واسع له طابق فوق الطابق الأرضى ، لكنه متسخ ليس في مظهره كثير من رواه وصاحبته المحبوز تميش فيه وحيدة مع قريبين لها طاعتين في السن هما أيضا ؛ وهي تملك من النراء ما كان يمكن أن يعفيها من تأجير جناح الفنسة ، والناس في المدينة يعلمون جميعا أنها لم تقبل سكنى جروشنكا في منزلها الشابة ويرعاها ويحميها ، والناس في المدينة يؤكدون أن المحبوز النيور الشابة ويرعاها ويحميها ، والناس في المدينة يؤكدون أن المحبوز النيور أن يحملها تحت اشراف المحبوز اليقظة التي كلفها بأن تراقب سلوكها ، أن يجملها تحت اشراف المحبوز اليقظة التي كلفها بأن تراقب سلوكها ، وقد أصبحت السجوز آخر الأمر لا تهتم بحبروشنكا ، ولا تراها الا نادرا، ولا تزعجها بالسؤال تملو السؤال من باب البحث والتقصى والتنيش ، ولقد انقضت الآن أربع سنين على اليوم الذي جاء فيه التاجر المحبوز الى هذا المنزل بالصبية المخبول التي لا يزيد عمرها على تمائية عشم عاما ، هذا المنزل بالصبية المخبول التي لا يزيد عمرها على تمائية عشمر عاما ، والتي لقيها في مركز الاقليم وكانت عنصدنان تعبيدة الجسم ضعيفة البنية والتي لقيها في مركز الاقليم وكانت عنصدنان تعبيدة الجسم ضعيفة البنية

كثيرة الوجوم حزينة النفس • ان مياهاً كثيرة قد جرت تحت الجسسور منذ ذلك النوم • وكان الناس في مدينتنا لا يعرفون الا أشياء قليلة عن ماضي الفتاة ، وكان ما يرددونه من معلومات عنها تعوزه الدقة ويعمسوزه الوضوح ، ولم تزدد هذه المعلومات بعد ذلك كثيرًا ، حتى في العهد الذي أصبح فيه أمر « الحسناء الراثعة » ، أجرافين ألكسندروفنا ، يهم عـــددآ كبراً من الاشتخاص عندنا • كان 'يقــال ان ضابطا مجهــولاً' قد أغراها وأغواها في السنة السابعة عشرة من عمسىرها ، ثم لم يلبث أن هجــرحا وسافر وتزوج غيرها ، فتُركت الصبية الشقية للمسار والبؤس • وكان يُزعم أيضًا أن جروشنكا ، رغم أن التاجر المجوز يعيلها ، انما تنتمي الى أسرة محترمة من رجال الدين ، وانهـا بنت قسيس كان محــــالاً على الاستنداع ، أو كانت تقال أشباء من هـذا القسل ، المهم ان النبمة الحسَّاسة المذلَّة المسكنة قد استحالت في غضون أربع سمنين الى حسناء روسة بضة الحسم ، زاهمة الألوان ، جمة النشاط ، جريثة جسور ، لا تخلو من وقاحة ، حاذقة في شئون الأعمال ، شرهة الى المال، بخلة حذرة في أن واحد • وكان يقال أيضًا انها استطاعت خلال هذه المدة القصيرة أن تجمع رأس مال صغيرا ، بوسائل ليست شريفة أمينة د: ثما • على أن هناك أمرا يجمع الناس عليه : هو أن جروشنكا امرأة يستحل نبلها ، فما من رجل واحد باستثناء حاصها العجوز ، استطاع أن يتباهى بأنه حظى منها بشيء خلال تلك السنين الأربع • والأمر محقسق لا ريب فيه ، ذلك أن رجالاً كثيرين قد سعوا الى الحظوة بنعمها ، ولا سيما في السنتين الأخميرتين ، فلم يظفر أحد منهم بطائل ، وباحث جميسع محاولاتهم بالاخفاق ، حتى أن بعضهم قد اضمطر الى الانسحاب وهو موضع هزء وتهكم بسبب ما تتصف به السمسيدة من عزيمة صلبة وروح ساخرة • وقد عُرف أيضًا أنها أصبحت تهتم بالأعمال ، ولا سيما منذ

سنة ، وأنها تبذل فيها مقدرات كبيرة وتبرهن فيها على كفاءات عظيمة ، حتى أن كثيرًا من الناس أصبحوا يصفونها بقولهم «يهودية» • ليس مضى بالاشتراك مع فيدور بافلوفتش كارامازوف سندات قديمة بعشر قمتهما ثم تتوصل بعد ذلك الى تحصيل قيمتها كاملة "، أي تتقاضي مبالغ تساوى عشه ة أضعاف ما دفعت • وكان العجوز سامسونوف الذي تورمت ساقاه ويسومهم سوء العذاب ، ولكنه يملك عدة مثات من ألوف الروبلات ؟ ومع ما يتصف به من بخل وقسوة لا ترحم ، فقد وقع تحت تأثير الفتاة التي كان لا يمن علمها في أول الأمر الا بما « يسد الرمق » أو بما يوجبه « الصيام الكبير ، على حد تعبير الساخرين المستهزئين ، الى أن استطاعت جروشنكا أن تتحرر ، ولا سيما بفضـــل ما أوحته اليه من ثقــة عظيمة به فائها له . أن هذا المحوز ، وهو رجل من كار رجال الأعمال (ولقد توفى منذ زمن طويل) كان له طبع خاص أهم ملامحه البخل والقسوة الشديدة • فرغم ما كان لجروشنكا من تأثير كبير عليه ـ حتى أصبح لا يستطيع الاستفناء عنها ــ قانه لم يترك لها مالاً كثيرا ؟ ولو قد هددته أعطاها أثناء حياته مبلغا غير كبير من المال ، فلما علم الناس في المدينة بذلك د مشوا جمعا . قال لها وهو يعطمها المسانة آلاف روبل « أنت امرأة ذكة ، فسوف تعرفين كف تربين هــذا الملغ باستثماره • ولكن اعلمي انني ، عدا ما أنفقه علىك لا عالتك التي سأستمر في تأمينها ، لن أعطيك شيئا أثناء حاتم ، ولن أوسى لك بشيء في وصيتي بعد مماتي ٥٠ وقد تمسك الرجل بقوله : مات تاركا كل ثروته لأبنائه الذين عاملهم أثناء حياته ، هم وزوجاتهم ، معاملة الخدم ، أما جروشنكا فقد أبي حتى

أن يأتي على ذكرها في وصيته • هذه التفاصيل كلها قد عُـرفت فيما بعد. ولكن الرجل قد ساعد جروشنكا في مقابل ذلك بنصائحه في استثمار رأس مالها الشخصي الصنير ، ، ودلُّها مراراً على أعمال رابحة وصفقات نافعة ، فلما تولُّه فدور بافلوفتش بحب جروشنكا التي عرفها بمناسبة صفقة طارئة ، ولما انتهى به الأمر على نحو لم يكن في حسبانه هو نفسه الى الهيام بها هيامًا أفقده كل عقله تقريبًا ، فإن العجوز سامسونوف الذي كان مريضاً جداً وكان يشارف على نهايته ، لم يزد على أن ضحك من ذلك • ان من الأمور البارزة أن جروشنكا كانت صريحة مع العجــوز صراحة نامة طوال مدة العلاقة بينهما ؟ ويبدو أن المجوز كان هو الانسان الوحيد الذي تعامله جروشنكا هذه المعاملة وتصارحه هذه المصارحة • ولكن حين توله دمتري فيدوروفتش آخر الأمر هو أيضاً بجروشنكا ء انقطم حاميها العجوز عن الضحك ؟ بل لقد اعتقد أن من واجبه أن يسه المرأة الشابة ناصحاً محذرا ، فقال لها بلهجة جادة قاسية : « اذا كان عليك أن تختاري بين الاتنين ، الأب وابنه ، فاختاري الأب ، ولـكن على شرط الكابن ، قدعه ، لأنه لا يناسك ، ، ، بهذا خاطب العجوز المحب للذات الحاة صاحبته جروشنكا بسما كان يحس بوشك نهايته ، ولقد مات فعلاً بعد ذلك بخمسة أشهر • ولنذكر عابرين أن أحداً من الناس لم يكن يعرف على وجه الدقة ماذا كان موقف جـــروشنكا من كارامازوف الأب وكارامازوف الابن ، رغم أن أشخاصا كثيرين كانوا في ذلك الوقت على علم بالنافسة الفليمة بين الأب وابنه على الفوز بحظوة المرأة الشابة • أما خادمتا جروشنكا فقد شهدتا في الدعوى (بعد الكارثة التي سنتحدث عنها فما بعد) أن آجرافين ألكسندروفنا لم تكن تستقبل دمترى فيدوروفتش الا خوفًا ، لأنه كان قد « هدُّد بقتلها » • ان لجروشنكا خادمتين : احداهما

طباخة هرمة جدا كانت في الماضي تخدم أسرتها وهي الآن مريضة وتكاد تكون صماء ، والتانية فتاذ لطيفة في العشرين من عمرها كانت بمضابة وصيفة لها ، وهي حفيدة الطباخة العجوز ، وكانت جروشنكا تميش حياة فقيرة في مسكن داخلُه بسيط متواضع جدا ، انها تشغل في الجناح ثلاث غرف أنائها من خشب الأكاجو ، استأجرته جروشنكا من مالكة المنزل أيضاً ، وهو من طراز أثاث عام ١٨٣٠ ،

حين وصل راكتين وألبونا الى مسكن جروشنكا كان الظلام قد خيم ، ولكن الفسرف لم تأسمل فيها الأضواء بعد • كانت جروشنكا مضطجمة في الصالون على أريكة طويلة تقيسلة لها مسند من خسب الأكاجو ، قد غُطيت بجلد صلب ، ونال منها الزمن فاهترأت وتنقبت في عدة مواضع • ان المرأة الشابة مسندة رأسها على وسادتين أخذتهما من سريرها ؟ مستلقية على ظهرها ، ساكنة ، جاعلة فراعيها تحت شعرها، مرتدية ثوبا من حرير أسود - كأنها تتنظر زيارة أحد - ملفمة "مسعرها بقبمة رائمة من تخريم أيضا قد بتبته بدبوس حلية كبيرة من دهب ، واضح أنها كانت تنظر أحداً ، لأن شخيا وضعها كان يدل غلى نفاد الصسبر نفاداً محموها ، وكان وجهها يبدو ضعها كان يدا عناها تسلمان ، وكانت شفتاها تحترقان ، بينما كان طرف قدمها يلم ذراع الأريكة لطماً موقعاً يم عن تعلمل الانتظار ، فما ان سمعاها ، وهما في الممشى ، تنب عن أريكتها وتقف على قدميها وتصسيح دخل ألبونا وراكيتين مسكنها حتى استولى عليها اضطراب شديد ، لقد سمعاها ، وهما في المشى ، تنب عن أريكتها وتقف على قدميها وتصسيح بلهجة فيها ذعر وهلم :

_ من هنا ؟

وها هى ذى الخادمة الشابة التى فتحت لهما الباب تهرع الى سيدتمها على الغور لتقول لها : ــ ليس هو ٠ هما شخصان آخران ٠

دمدم راكتين يقــول وهو يمسك ألوشا من ذراعيه ليقوده الى الصالون :

_ ماذا دهاها ؟

كانت جروشنكا واقفة قرب الأريكة وهي ما تزال مذعورة بعض الشيء • ن ضفيرة كثيفة من شعرها الكستناوى قسيد خرجت من تحت قبتها وتهدلت على كتفها اليمنى ، ولكن جروشنكا لم تنتبه اليها أول الأمر ولم ترفعها الا بعد أن تفرست في القادمين وعرفتهما •

قالت جروشنكا :

ــ هه ! أهذا أنت يا راكيتا ؟ لقد روَّعتنى ! ومن هذا الذي جثتنى به ؟ يا لها من مفاجأة !

كذلك صاحت جروشنكا حين رأت أليوشا •

قال راكبتين وهو يصطنع هيئة منطلقة حرة ، هيئة رجل يشمر أن بينه وبين ربة المنزل من المعرفة الحميمة ما يعجيز له أن يصمسدر الأوامر "نابة" عنها :

ـ هلا أمرت باشعال الشموع •

ـــ طبعاً طبعاً ••• التسموع ••• التسموع! فينيا * ، اثنه بتسمعة!•• لقد أخترت اللحظة المناسبة لتعجيشي به!

كذلك هتفت تقول جروشنكا مرة ً أخرى وهي توميء برأسها الى ألبوشا •

ثم التفتت نحو المسرآة ، فتناولت الغسسفيرة المتهدلة بكلتا يديها ،

وأسرعت تثبتها على رأسها • كان يبدو عليها أنها غير ونضية • قال راكينين مسناءً :

> ــ لعلنى جئت فى غير الأوان المناسب ؟ فقالت جروشنكا وهى تبتسم لأليوشا :

- كلا ٥٠٠ ولكنك رو عتنى يا راكيتا ، هذا كل شيء ٥ لا تخف منى يا عزيزى الطيب أليوننا و لينك تعرف مدى سعادتي برؤيتك ، أنا لتي لم أكن أتوقع معبيلك ، أما أن يا راكيتا فقد روعتنى منذ هنية ، لأننى ظننت أن ميتا هو الذي كان يريد أن يقتحم بابى و لقد خدعته في هذا الساء ، وأجرته على أن يحلف لى بأنه يصدقنى ، بينما كنت أكدب عليه و ذلك أننى زعمت له أننى سأفضى السسموة كلها عنسد عجوزى كوزمتش أساعده في اجراء حساباته الى ساعة متأخرة من الليل و انه يعلم أننى أذهب الى كوزما كوزمتش مرة كل أسبوع لتنظيم دفاتره ، نفلق علينا باب الغرفة ، فيأخذ هو باجراء عمليات الجمع مستمينا بعداد ، وآخذ أنا بتسجيل ما يمليه على من أرقام ، لأننى الانسان الوحيد الذي يوليه نقته ان ميتا يعقد بأننى الأن عند المجوزء على حين أننى مضطجعة هنا في انتظار رسالة و اننى الأصامل لمساذا سمحت لكم فينا بالدخول و فينا! فينيا! أسرعى الى الباب الكبير ، وألقى تظرة على الخارج لتأكدى من أن أن الكابن لا يحوم حول المنزل و جائز أن يكون قد اختباً ليتجسس من أن الكابن لا يحوم حول المنزل و جائز أن يكون قد اختباً ليتجسس على و أننى أخاف منه خوفا قاتلاً!

ـ عل خشب النوافذ مغلق يا فينيا ؟ يجب اسمادال الستائر هكذا

(قالت هذا وأسدلت الستاتر الكتيفة بنفسها الى النصف) حتى لا يلاحظ نوراً فى النسوافذ • اننى خائفة من أخيك خسوفاً رهيباً فى هذا اليوم يا أليوضا •

كانت جروشنكا تتكلم بصوت عال ٍ رغم فلقهــــا وخوفها ، وكان يُلاحظ فيها شيء من حماسة .

سألها راكيتين :

ـــ لماذا تخافين ميتيا كل هذا الخوف في هـــــذا المساء؟ ما عهدتك وجلة ً معه ، فانما أنت تسيّرينه بعما في العادة •

قلت لك اننى أنتظر رسالة ، رسالة ثمينة ، فما ينبغى أن يجبى، مينا الآن ، ثم انه لم يعسب دفنى حين زعمت له اننى ذاهبة الى كوزما كوزمتش ، لقد أحسست بذلك ، لا بد أنه أختباً فى مكان ما وراه حديقة فيدور بافلوفتش ليترصدنى ، هذا أفضل ، فهو فى هذه الحالة لن يعبى، الى هنا ، أما كوزما كوزمتش فقد ذهبت اليه فعلاً ، وقد رافقنى مينيا حتى باب منزله ، وزعمت له أننى سأبقى هناك الى نصف الليل ، ورجوته ملحة أن يجيء ليصحبنى فى المودة الى بيتى ، عند ثد تركنى ، فمكت عند المجوز عشر دقائق ، ثم رجعت الى البيت راكضة ، أوف ! ما أشد ما كنت أخشى أن ألقاه فى الطريق !

... لأى مناسبة تزينت هذه الزينة كلها ! انها لقبمة رائمة هذه القبعة التي أرى •••

ــ غريب أمرك يا راكبتا ! قلت لك اتنى أنتظر رسالة ، فعتى وصلت الرسالة أسرعت أخرج لا يؤخـــرنى أن أتحدث معكم • لقــد تزينت استعدادا للحظة المناسة •

ـُ الى أين تذهبين ؟

ـ تحب أن تعلم ذلك ؟ الاكتار من العلم ضرر يا عزيزي !

ياه ! أنت فرحة جدا ٠ ما رأيتك على هذه الحال في يوم من
 الأيام ٠ لقد تجملت وتزينت كأنها ذاهية الى حفلة رقص !

كذلك قال راكيتين وهو يفحص بنظره جروشنكا •

قالت له :

ــ ماذا تعرف أنت عن حفلات الرقص ؟

ــ وأنت؟ هل تعرفين عنها أكثر مما أعرف؟

.. أنا ؟ شهدت حفلة رقص مرة واحدة في حياتي • حدت ذلك منذ ثلاث سنين ، حين زو ع كوزما كوزمنش ابنه • كنت أشاهد الحفلة من أعلى الشرقة • على أنني لن ألهسو بمناقشتك يا واكبتا بينما عندى ضيف نادر هذه الندرة ، ضيف هدو أمير حقا ! يا ألوشا ، يا ملاكي الصفير ، انني لا أصدق عني أ لكيف أمكن أن يجيء الى بيتى ؟ العق اتنى لم أتوقع ولا كنت أحلم أن أواك في منزلى ! لم أصدتى في يوم من الأيام أن من الممكن أن تجيئنى ، أعترف لك بذلك ! اتك لم تحتر اللحظة الناسبة ، ومع ذلك فأنا سعيدة كل السعادة برؤيتك ! اجلس على هدن الأريكة • و يا عزيزى ، يا شمس مفيئة ! اننى مذهولة • • لا بأس خطر ببالك يا واكبتا أن تجيئنى به أمس ، أو أمس الأول • • • لا بأس على حال حال • • • أتا سعيدة رغم كل شيء ! • • • بل وبما كان مجيئه اليوم ، في مثل هذه اللحظة ، خيراً من المجيء بالأمس • • •

جلست جروشنكا على الأريكة قرب أليوشا بخفة ونشاط وحرارته وأخذت تنظر اليه فى نشوة ووجد • كانت تشمر حقا بسعادة لرؤيته ، ولم تكذب حين أكدت له ذلك • كانت عيناها تسطعان ، وكانت تضحك، ولكن بمرح فيه كثير من اللطف والكياسة • لم يكن أليوشا يتوقع أن يرى في وجهها مثل هذا التمير عن لطيبة • • • انه لم يرها حتى الآن الا نادراً ، وكان رأيها فيهسا رأياً فظيماً • كانت تورتها المتوحشة على كاترين إيفانوفنا بالأمس قد قلبت نفسه رأساً على عقب ، لذلك أدهشسه الأن أشد الدهشة أن يرى فيها انسانا مختلفا كل الاختلاف • انه رغم الحزن الشديد الذي يرهقه لم يستطع أن يمنع نفسه عن التحديق الى المرأة الشابة والتفرس فيها • كانت حركاتها وأدابها قد تغيرت عما كانت على بالأمس وتحسنت تحسنا ملحسوظا : ليس في صوتها الآن تملك النبرات الرخوة التي أصبحت الآن سريعة بسيطة مباشرة واثقة • هي الآن تشع طية وتنطلق على سجيتها طبيعة بلا تممل ، وغم ما يبدو من أنها مضطربة اضطرابا شديدا •

قالت مدمدمة:

رباه! یا لها من مغامرات کثیرة فی یوم واحد! اتنی أتسما لل یا ألیوشا لماذا أنا سعیدة برؤیتك هسفه السعادة كلها ؟ أؤكد لك اتنی أجهل أنا نفسی سبب هذه السعادة ٠

قال راكيتين متدخلاً وهو يبتسم ابتسامة صغيرة :

- أأنت تجهلينه الى هـــنا الحد من الجهل؟ لا شك في أنك لم تلحّى طوال هذه المدة في طلب الاتيان به ، دون باعث يدقعك الى ذلك، لقد نقرت أذني من طول ما سألتني أن آتي به اليك ، فلا بد أن يكون لك في ذلك هدف .

کان لی هدف حقا ، ولکن لم یبق لی هدف الآن ، فات الأوان،
 ماذا أقدم الیکما من طعام أو شراب ؟ لقد أصبحت طبیة یا راکیتا ، هل
 تعلم ذلك ؟ هلاً جلست یا راکیتا ؟ لماذا تنظل واقفا ؟ ها ه، أأثمت جلست

اذن ؟ لا خوف على راكيتا من أن ينسى نفسسه ! ها هو ذا قد اتخذ له مكانا فى قبالتنا يا ألبوشا ، مستاء من أننى لم أدعه الى الجلوس قبل أن أذعوك أنت ، انه سريع التأذى ، هل تعرف هذا ؟ انه رهيب فى سرعة تأذيه ! (هذا ما أضافته ضاحكة) ، لا تزعل يا راكيتا ! أنا السوم طيبة جدا ! ولكن أنت يا صغيرى ألبوشا ، لماذا تبدو حزينا هذا المحزن كله ؟ ألملنى أخفك ؟

قالت له ذلك وتظرت في عينيه وهي تبتسم ابتسامة لاهية • قال راكتين :

ـ هو حزين لأنه أُغفل في الترقيات •

_ أية ترقات ؟

ـ انتشرت من شيخه راثحة تفسخ ٠

ــ انتشرت؟ ما هذه السخافات التي تقولها؟ لا شك أنك تريد أن تفمز وتلمز ٥٠٠ أنا أعرفك! اسكت أيها الأبله ٠

ثم قالت لأليوشا :

ـ هل تسمح لى يا ألبوشا بأن أقعد على ركبتيك ٥٠ هكذا ؟

قالت ذلك ثم قمدت على ركبتيه بوثبة واحدة وهى تضحك وتلامسه ملامسة رقيقة كقطة صغيرة •

ثم أحاطت عنقه بذراعهـا اليمنى فى عطف وحنــان • وأردفت تقول :

سأعرف كيف أدخل البهجة الى قلبك يا فناى الصنير التقى •
 حقاً • • • هل تسمح لى بأن أبقى على ركبتيك ؟ ألا تغضب ؟ اذا ششت مَت ُ •
 قمت ُ •

صمت أليوشا ولم يعجرؤ أن يتحـــرك • لقد سمع قولها : • اذا شئت َ قمت ُ ، ، ولكنه لم يجب وشعر كأنه مشلول . ومع ذلك لم يحس بِما يمكن أن يتخيله رجل مشمل واكيتين الذي كان يتأمله بطرأ • ان الألم العميق الذي يملأ قلبه قد جمَّد أحاسيسه ، ولو كان يستطيع أن يرى ما بنفسه رؤية واضمحة لأدرك أنه كان في تلك اللحظة محصنا تحصينا قويا من جميع الفتن وجميع الاغراءات الممكنة • ومع ذلك ، رغم ذهوله عن حاله ورغم الألم الذي كان يرهقه ، فقد أدهشه شعور جديد غريب نبت في نفسه : وهو أن هذه المرأة ، هذه المرأة والرهبية، لاتخيفه الآن كما كانت تخيفه من قبل ، ولا تبعث في نفسه ذلك الذعر الذي كان يحسه حتى ذلك الحين متى خطرت باله المرأة في المناسبات النادرة التي كان يمكن أن تخطر باله المرأة ! بل ان ما يحدث الآن هو عكس ذلك تماما : ان هذه المرأة الشابة التي كان يعضاها أكثر مما يعضي سائر النساء ، والتي تحيطه بذراعها جالسة على ركبته ، توقظ في نفسي شعورا مختلفا عن ذلك التسممور كل الاختمالاف ، شمورا فريدا غير متوقع ، شعورا هو استطلاع قوى 'يحسن الى حالته الروحية حقاء انه ، خاصةً ، لا يشمر بأي خوف ، لا يشمر بأي أثر من آثار جزعه الماضي، وهذا ما كان يدهشه بالرغم منه •

هتف راكتين يقول :

ـــ كفاك ِ كلاماً في ترهات • خير من هــــــذا أن تسقينا شــــيثا من الشمبانيا • لقدَ وعدتني بذلك ، هل تتذكرين ؟

ــ صحيح • وعدتك بذلك • لقد قطعت له على تفسى عهداً يا أليوشا لأسقينَّه شمبانيا يوم َ يجيشى بك ، هل تفهم ؟ هلموا بنا ، سأشرب أنا نفسى شمبانيا • فينيا ، فينيا ، هاتينا بنلك الزجاجة التى تركهـــا ميتيا ، اسرعى ! سأستيكم شميانيا مهما أكن بعثيلة ! ما هذا من أجلك يا راكيتا ، فما أنت الا خيارة فاسدة ، بل من أجله هو ، من أجل أميرى ! سأشرب ممكما ، رغم أن فكرى في مكان آخر • أويد أن أقصف !

عاد راكيتين يسألها مستطلماً ملحاً ، وهو يبذل جهـــدا كبيرا في سسل أن يظهر بمظهر من لا يلاحظ السخريات التي تصبها عليه :

_ ماذا حدث لك اليوم ؟ ما هذه الرسالة التي تنتظرنيها ؟ هل الأمر ؟

فقالت جروشنكا وقد عاودها قلقها فجأة :

_ ليس الأمر سراً ، ثم انك على علم به •

وأدارت رأسها نحو راكيتين وابتمدت قليلا عن أليوشا مع بقـائها قاعدةً على ركشه محطةً بذراعها عنقه ، وقالت :

ـ سيصل ضابطي يا راكيتين ، ضابطي الجميل !

ـ أعرف أنه سيصل ، ولكنني كنت أظن أنه ما يزال بعيدا .

.. هو الآن فى موكرويه ، وسيمث الى ً من هناك رسسولا ً • ذكر لى ذلك فى رسالة تلقيتها أمس • فأنا أنتظر الآن هذا الرسول •

ـ غريب ! لماذا في موكرويه ؟

_ شرح هذا يطول . يكفيك الآن ما علمت .

_ وذلك الشجاع ميتيا ؟ هل يعلم بالامر ؟

لا يعلمه طبعاً • وهو لا يشتبه في شيء • لو علم لقتلني • ولكنني أصبحت لا أخاف منه • اتني لا أعاً بخدجـــره • اسكت يا راكتاً • لا تحدثنى بعد الآن عن دمترى فيدوروفتش و نفسد أساء الى كنيرا و لا أحب أن أفكر في هذه الأشياء بعد اليوم و أوثر أن أهتم بأليوننا و أنني أنظر اليه و فيبتهج بذلك قلبي و هلا ضحك قليلاً يا ملاكي و كن أكثر فرحاً و شاركتي سعادتي و اهزا بحماقتي و ١٠٠٠ آ ٥٠٠ ها هو ذا يتسم أخير و ١٠٠٠ فقد ابتسم لي إ ما أجعل هذه الوداعة في نظرته و هل يسم با أليوننا ؟ لقد كت أخشى أن تزعل منى بسبب تلك القصة التي حدث في ذلك الوم عند الآسة و لقد تصرف تحوها تصرف وحش خيث ! هذا صحيح و ولكنني مسرورة رغم كل شيء بما حدث و كان خيث استأ من جهة حسناً من جهة ثانية و (أضافت ذلك ضاحكة ثم وجمت على حين فجأة وطاف بابتسامتها شيء من القسوة) و روى لى ميتيا كيف صرخت تقول بعد انصرافي : و هذه البنت تستحق أن تجلد على مرأى من الناس و و لقد أرادت أن تمرفت أن تسيطر على " و كانت نظن أنها ستفريني وستفتنني بفنجان من الشوكولاته و ١٠٠٠ لا و ١٠٠٠ لنت قد زعلت مني و ١٠٠٠

بهذا ختمت كلامها وهي تضحك ضحكة خفيفة .

قال راكيتين مدهوشا دهشة عميقة :

ــ يدو أنها تخشى رأيك حقا يا ألبوشا! انها تخاف منك ، من دجاجة مثلك!

مو فى ظرك دجاجة لأنك ٠٠٠ لا ضمير لك ! هذا كل شى. ٠ أما أنا فأحبه بكل نفسى ، هل فهمت ؟ هل تصدقنى يا أليوشا اذا قلت لك انبى أحبك صادقة مخلصة ؟ _ يا لخالعة العذار ! هذا تصريح بحب ٍ يا أليوشا ، تصريح بحب ٍ لك أنت !

- _ لم لا يكون كذلك ما دمت أحبه ؟
- _ وصاحبك الضابط؟ والرسول الآني من موكرويه؟
 - ــ هذان أمران مختلفان •
 - ــ ذلك ما تقوله النساء دائما في مثل هذه الحالة
 - أجابته جروشنكا بقوة وحرارة :

لا تعنقنى يا راكبا ، هذان أمران مختلفان ، أنا أحب أليوشا ، حباً آخر ، صحيح أننى قند رسست خططاً شريرة بشأنك يا أليوشا ، لأننى منحطة عنيفة قاسبة ، ولكننى كنت في لحظات أخرى أعدك بمنابة ضمير لى ، وكتبرا ما كنت أحدث نفسى قائلة : « لا بد أنه يعتقرنى بسبب سلوكى ، » ، وقد قلت لنفسى هذا الكلام أمس الأول حين رجمت من عند الآسة ، لقد لاحظتك منذ زمن طويل يا أليوشا ، ان مينا يعلم هذا ، لقد ذكرته له ، وهو يفهمنى ، هل تصدق يا أليوشا أنه يتفق لى أحيانا حين أنظر اليك أن أشعر بالخجل قجأة ، بالخجل من نفسى ، • ، كف استطعت أن تدخل الى قلبى على هذا النحو ؟ لقد نفذت الى قلبى ، أما منذ منى ، قلا أدرى فى الواقع ، • ،

دخلت فينها في تلك اللحظة ، ووضعت على الماثدة صينية عليهـا زجاجة شمانها مفتوحة وثلاث كثوس ملأى •

هتف راكتين يقول:

_ وصلت الشمانيا ! أنت مهتاجة كثيرا في هذا الساء يا أجرافين ألكسندروفنا ، حتى أصبحت لا تسيطرين على نفسك ، ومتى أفسرغت هذه الكأس فسوف ترقصين ، ترالالا ! ••• ولكننى ألاحظ أن الشميانيا لم تقدم وفقا للأصول • ان الزجاجة فاترة ، والسدادة منزوعة ، والخادم قد ملأت الكئوس فى المطبخ • لا يأس ••• سنشربها على كل حال •

وافترب راكيتين من المائدة ، فتناول كأساً، وأفرغها في جوفه دفعةً واحدة ثم ملأها من جديد ، وقال وهو يسر على شفتيه بلسانه :

لا يتمتع المرء بالشمبانيا كل يوم • جاء دورك يا أليوشا • ألا فلنر مقدرتك! أى نخب شرب؟ ربما نخب أبواب الجنة ؟ تناولى هذه الكأس يا جروشا واشربي معنا نخب أبواب الجنة!

_ أبواب الجنة ؟ ماذا تسنى ؟

ــ أوثر أن لا أشرب •

فصاح راكتين قائلاً :

_ فماذا كان تباهبك اذن ؟

وقالت جروشنكا :

لن أشرب آنا اذن • ثم اننى ليست بى رغبسة فى الشراب •
 تستطيع أن تفرغ الزجاجة وحدك اذا شئت يا راكيتا • واذا قرر أليوشا
 أن يشرب شربت أنا أيضا •

قال راكبتين ساخرا :

ـــ يا للمواطف الرقيقة ! انها بهذا تجوّ على ركبتيها • ان له مو عدراً على الاقل ، فهو حزين النفس ، أما أنت فأى عذر يمكن أن تنتحلي؟ لقد تمرد هو على الهه وأراد أن يأكل مقانق •

ــ طاقا وقع له ؟

ــ مات شيخه هذه الليلة ٥٠٠ الأب زوسيما ٥٠٠ ذلك القديس ٠

ــ ماذا ؟ الشيخ زوسيما مات ؟ لم أكن أعرف ذلك .

قالت جروشتكا هذا صائحة ، ورسمت على نفســـها اشارة الصليب يتمى وورع • وأردفت تقول منفعة ً على حين فجأة كالمذعورة :

ـ آه ••• يا رب ! وأجلس على ركبتيه في مثل هذا اليوم ؟

ثم أسرعت تنهض ، ومضت تجلس على الأريكة ، حدَّق اليهـــا أليوشا بنظرة طويلة دهشة ، وانبسطت أسارير وجهــــه قليلاً ، وقال يخاطب واكبين بصوت قوى حازم :

- لا يضايقنى بموضوع ثورتى المزعومة على الله يا راكيتين • اننى لا أحب أن أغضب منك ، ومن أجل هذا أرجوك أن تبرهن على نبسل النفس أنت أيضا • لقد فقدت كنزاً لم تملكه أنت في يوم من الايام ، لذلك لن تستطيع أن تفهمنى • خير لك أن تقندى بها : هل رأيت كم دارتنى ورعتنى ؟ لقد جثت الى هنا لأقابل انسانة شريرة ، لألقى روحاً خيئة ، وكنت أتمنى ذلك أنا نفسى ، لأننى كنت في تلك اللحظة جانا شريرا • ثم اذا أنا ألتى أختاً صادقة ، جوهرة ثمينة ، نفساً صافية عجة شريرا • ثم اذا أنا ألتى أختاً صادقة ، جوهرة ثمينة ، نفساً صافية عجة المردوفنا • لقد وهبت لى الجرأة على أن أحيا •

أخذت شفتا ألبوشا تختلج وصمت مختنقا •

قال راكيتين وهو يضحك ساخرا :

ــ لكأنها أنقذتك ! ألا فاعلم اذن أنها كانت تنوى أن تبلمك !

قالت جروشنكا مندفعة :

كفي يا راكيتين • واسكنا كلاكما الآن • لا تقل شيئا يا ألبوشا > لأن أقوالك تشعرني بالخزى والعار • أنا في الحق خيبة لا طبية كما تظن • أما أنت يا راكينا فأريد أن تسكت لأنك تكذب • جائز أنني نويت في السابق تلك النية الجبانة وهي أن أيلمه لقمة وإحدة ، ولكنك مع ذلك تكذب ، لأن هذا قد مضى الآن • • • لا أريد أن أسمع صوتك يا راكيتا !

كانت جروشنكا تتكلم مضطربة اضطرابا شديدا .

قال راكبتين بصوت صافر وهو ينظر اليهما مدهوشا :

ــ لقد فقدا كلاهما العقل • لكأنهما مجنونان ! أترانى وقعت في مستشفى للمجانين ؟ أصـــبحا عاطفيين ، وما هى ،لا لحظــة حتى يطفقا باكيين •

قاطمته جروشنكا تقول :

ــ سوف أبكى ، نعم سوف أبكى • لقد دعانى أخته ، لن أنسى هذا ما حبيت ! اعلم يا راكبًا أننى مهما أكن شريرة ، فقد وهبت بصلة * •

ــ أية يصلة ؟ حقا لقد فقدا البقل .

كان راكتين يستغرب اندفاعاتهما الحماسية ، ويحس بالاهانة ، رغم أنه كان يمكن أن يدرك أن الظروف قد جمعن هـ فين الانسانين على تحو من شأنه أن يث في نفسيهما الاضـــطراب ، ولكن راكيتين ، السريع جدا الى ادراك كل ما يمسه ، يجــد عناء في فهم عـــواطف الآخرين واحساساتهم أولا لأنه قليل الخبرة بحكم شبابه ، وثانيا لأنه على جانب عظيم من الأنائية ،

التفتت جروشنكا تحـــو ألبوشا وهى تضـــحك ضحكة عصــية وقالت له :

ــ ها قد رأيت يا أليوشا أنني تباهيت أمام راكيتا بأنني قدمت بصلة. ولكنني سأتكلم ممك صادقة مخلصة بغير تفاخر • الأمر أمر أسطورة : هي قصة جميلة قصتها على أفي طفولتي ماترين التي تعمل عندي السوم طباخة • اليك القصة : كان هناك في الماضي امرأة عجوز شريرة جداً ؟ فلما ماتت هذه المجوز وكانت لا تملك أية فضلة يمكن أن تشفع لها في يوم الحساب ، فقد أمسكتها الشياطين وألقتها في بحيرة من نار • وعندئذ أخذ حارسها الملاك يفكر • تساءل : « ما الذي يستطع أن أقطه لانقاذها ؟ ألا يمكنني أن أكتشف فضيلة اذكرها عنها للرب ! ، ، فاذا انتزعت من حديقتها بصلة في ذات يوم ووهبتها لشحاذ • ، فقال الرب للملاك الحارس : « خذ هذه النصلة ، ومدَّها الى هذه المرأة في بحيرة النار ، ومرها أن تتشبث بها ، ثم شدها لتخرجها من اللهب • فاذا استطعت أن تخرجها ذهب إلى الحنة ، أما إذا تقطعت الصلة فستنقى المرأة حث هي ۽ • أسرع الملاك الى المرأة ومد البها البصلة وقال لها : • تمسكي بهذه الصلة فأخرجك من النار ، • وأخذ يشد بكل ما أوتى من قوة ، وكاد يخرج المرأة من بحيرة النيران حين لاحظ المذنبون الآخرون أنه كان بسمل انقاذها ، فتمسكوا بها بضة أن يخرجوا من البحيرة معها • ولكن المجوز كانت شريرة جدا ، فركلتهم بقدميها وهي تصرخ : • انما يراد اتقاذي أنا لا انقاذكم أنتم • هذه البصلة بصلتي أنا لا بصلتكم أنتم • • فما ان نطقت المحوز بهذه الكلمات حتى تقطعت البصلة ، فسقطت المرأة العجوز في البحيرة من جديد • وما تزال تحترق في النار حتى الآن • أما الملاك فقد انصرف باكيا • انني أحفظ هذه الاسطورة على ظهر القلب؟ احتفلت بها لأننى شبيهة بتلك المرأة المجوز الشريرة • لقد تباهيت أمامه راكيتا بأننى وهيت بصلة • أما لك أنت فأقول متواضمة اننى ان كنت. قد وهبت بصلة مرة في حياتي فذلك كل ما فعلته ، وليست تتمدى طبيتي. هذه الحدود • فلا تعدحنى اذن يا أليوشا ، ولا تغلن أننى طبية • أنا. شريرة ، شريرة جدا ، واننى لأمنلي، بشمور الحزى والمار حين أسمعك تكيل لى المديع • وهأناذا أعترف لك بكل شيء يا أليوشا : لقد بلفت من فرط الرغبة في أن أواك عندى أننى كنت لا أعدوف ما عماى فاعلة لاحض راكبين على أن يحيشي بك • ووعدته أخيرا بأن أعطيه خمسة وعشرين روبلا إذا هو اصطحبك الى منزلى • لحفلة "يا راكبتا !

أسرعت جروشنكا تقترب من المنضدة ، ففتحت درجاً ، وتساولت محفظة نفودها ، وأخرجت منها ورقة بخسسة وعشرين روبلاً .

هنف راكيتين يقول مرتبكا ارتباكا شديدا :

ـ ما هذا السخف ؟ كان ذلك هزلا لا جدا .

ــ خذ المال يا راكبتا ! أنا مدينة لك به ! لن ترفضه ! لقد ألحاص على ً لأعطيك هذا المبلغ •

ورمت اليه الورقة •

قال داكيتين بصوت أجش وهو يحاول أن يسيطر على اضـــطرابه-وارتباكه وخجله :

 لأكونن حماراً اذا أنا رفضت • انسا وجد الأغيياء في هذا العالم لمصلحة الأذكياء •

قالت جروشنكا :

- والآن أسعد ٌني بسكوتك يا راكيتا • ان ما سأقوله الآن لا يصلح

لأذنيك • اجلس هناك ، في الركن ، ولا تقل بعد هذه اللحظة شميئًا •. أنت لا تحينا فما عليك الا أن تلزم الصمت •

قال راكيتين بلهجة معادية دون أن يحاول اخفاء غضبه :

ــ وفيم أحبكما ؟

ودس الورقة النقدية في جيبه ، ولكنه شعر بحسرج شديد أمام. ألوشا • كان يقدّر أن يتقاضى مكافأته فيما بسسد ، على غير علم من ألوشا ، فاذا بالعار الذي يشعر به الآن يجعله خبيناً شرساً • كان فحد رأى أن من الحدق حتى ذلك الحين أن لا يستغز جروشتكا ، ولكنه. بدأ يغضب الآن • قال :

ــ لا يحب المرء بغير باعث على الحب *r* فما الذي يحملكما تستحقان. حبى ؟

ــ أحبَّ بغير سبب ، مثل أليوشا !

ــ من قال لك ان ألبوشا يحبك ؟ ماذا صنع من أجلك ؟ قليلاً من ِ الفهم على الأقل ! •••

كانت جروشنكا فى وسط الغرفة ، وكانت تتكلم متحمسة " بصوت. تداخله فى بعض اللحظات نبرات هسترية ه

- اسكت يا راكبتا ! انك لا تفهم في هذه الأمور شيئاً • ثم انني. لا أديد بعد الآن أن ترفع الكلفة بني وبينك وأن تخاطبني بصيفة المفرد • اثني أمنك أن تعل هذا في المستقبل • من أجاز لك أن ترفع الكلفة . الى هذه الدرجة ؟ ابق في ركتك واسكت ، لأنني أعدك بمثابة خادم لي • والآن يا أليوشا ، سأقول لك الحقيقة كاملة " ، لتعلم انني انسانة شريرة . سيئة ! لك انما أعترف هذا الاعتراف ، لا لراكبتا ! لقد أردت شياعك.

يا ألبوشاء أقول لك هذا لأنه هو الحقيقة بعينها! ولقد تصدورت لهذا الأمر خطة راسخة ، وكنت أبلغ من شدة الحرص عليه أنني حرضت راكيتا بالمال على أن يجيئني بك • ما هو السبب الذي دفعتي الى أن أريد ضاعك ؟ انك لم تلاحظ شيئا ، ولم يخطر ببالك شيء ، وكنت تشميح بوجهك عنى • كنت اذا لقتني تغض طرفك • أما أنا فقد نظسرت اللك أكثر من مائة مرة ، وسألت جميع أصـــدقائي عنـــك ، انطبعت ملامع وجهك في قلمي • كنت أقول لنفسي : « انه يحتقــرني • انه يأبي حتى أن يرفع عينيه الى " ٠ وشعرت من ذلك بغيظ بلغ من فرط القوة أتنى دُ هُسَتَ أَنَا نَفْسَى • قَلَت : « لماذا الخوف من هذا الصبي الغر ؟ لآكلنه لقمة واحدة ، ولأضحكن بعد ذلك كثيرا • • • ان نوعا من الحنـــق السعور قد اضطرم في نفسي غضا منك وحقدا علك • هل تصـــدق هذا ؟ لا يستطيع أحد أن يأخذ على شئاً في هذه المدينة ، لن يجسرق أحد أن يشتبه فيأجرافين ألكسندروفنا فسيء فيها الظن اذا هي استقلت رجلاً في بينها • ليس في حياتي الا ذلك العجوز الذي ارتبطت به وبعته نفسى • لقد جمع الشيطان بيننا • غير أن ذلك العجوز هو الرجل الوحيد الذي حظى بي • ومع ذلك كنت مستمدة لأن أشذ عن هذه القاعدة من أجلك • كنت أتها لأن أبلمك ، لأستطيع أن أضحك ما شئت أن أضحك بعد ذلك • فانظىم مدى ما أتصف به من خبث وشر أنا التي دعوتني أختك • وهذا صاحبي الذي غشني وأغواني يبلغني أنه قادم ، وأنا أنتظر رسالةً منه • هل تعلم ماذا كان هــــذا الرجل في حباتي ؟ لقــد جاء بي كوزما الى هنا منذ خمس سنين • كنت أعش في أول الأمر هاربة من الناس أخشى أن يراني أحد وأن يسمعني أحد • كنت هـــزيلة الجسم غمة العقل ، وكنت لا أكف عن البكاء في ليل ولا نهار • كنت أبقى مؤرقة مسهَّدة لبالي برمتها أحدث نفسي قائلة : « أين هو في هذه الساعة،

الرجل الذي أغواني ؟ لا شك أنه يضحك على ويسخر مني مع امرأة أخرى • آه ••• ليتني أستطيع أن ألقساه يوما ! ليدفعن عندئذ تمسن ما جنت يداه ! ، • وكنت أبكَّى على وسادتي في الظلمات وأحلم بالثأر والانتقام • كنت أسستُنر ألم عامدة لأملأ نفسي كرها وحقداً • كنت أخرج في اللل قائلة : « لسبوف يرى ! لسبوف يرى ! لندمن ً على ما فعل ! ٥ • ثم أدركت فجأة عجزى • وأصبحت اذا تصورت أنه يسخر منى ويضحك على َّ ء أو اذا تصورت أنه قد نسنى نسانا تاما _ وهــذا أنكى _ أسقط عن سريري على الارض وأظل أتدحرج منتحبة "مرتجفة بكل جسمى حتى مطلع الفجر • فاذا أشرق الصباح نهضت وأنا أشهد ضراوة من كلب ، نهضت وأنا مستعدة لأن أوذى أول انسان يقسع علمه. بصرى • وانقضت السنون ، وأخذت أجمع المال ، وأصبحت بلا رحمة، وسمنت • ماذا تظن ؟ هل تظن أنني غــــدوت بذلك أهدأ بالاً وأكثر تعقلاً ؟ لا ٥٠٠ ما من أحد يرى ما أعاني ، ما من أحد في الكون بأسره يتصور ما أقاسي : ما يزال يحدث لي حتى اليوم ، كما كان يحدث لي منذ خمس سممنين ، حين كنت صمية يافعة ، أن أشد على أسناني في سريري لـلاً ، وأنَّ أستمر في البكاء الى الصباح ، مرددة قولى : «ليدفمنَّ ثمن ما جنت يداه ! ، • هل تسمعني ؟ فاحكم على ً الآن : لقد وصلتني منه منذ شهر رسالة أولى يبلغني فيها أنه ترمل ، وانه يريد أن يراني ، وانه يأمل أن يصل قريبا • صُعقت في الوهلة الأولى وحطمني الانفعال • ثم قلت لنفسى فجأة : « سيعود ، ولن يكون عليه الا أن يصسفر حتى أهرول الله ككلب ، مجلَّلة بالخزى ، مطعونة القلب ، طالبة الصفح والغفران! ، ووتساءلت عندئذ: « أأكون جانة وضمعة الى هذه. الدرجة ؟ أأرضي أن أذل نفسي هـــذا الاذلال ؟ ، • وقد اســـتـد بييــ من النضب على ننسي طوال هذا الشهر ، خنسة أن أسقط في مثل ذلك. الجين ومثل تلك الحطة ، ما جعلني أصبح أخبت نفساً وأميل الى الشر مما كنت كذلك خلال السنوات الخمس الماضيات هل أدركت يا أليوشا مدى ما تتصف به نفسى من سوء وشر وعنف ؟ انني أذكر لك الحقيقة كلها • لقد اتخذت دمترى سلوى لنفسى حتى لا أركض الى لقاء الآخر، اسكت يا راكبتا ! ما أنت من يحكم على ً ! وما أنت من أكلم ! كنت قبل وصولك يا أليوشا راقدة على الأربكة أنها لمواجهة قدرى ، ولن تعرف قل ما كان يمجرى في قلبى • قل للاسة يا أليسوشا أن لا تأخذ على ً الشهد الذي وقع أمس الأول • • • ما من أحد في العالم يستطيع أن يغهم الحالة النفسية التي أعانها منذ شهر ، ما من أحد يستطيع أن يتصور هذه الحالة النفسية • • • ذلك أن من الممكن أن أحمل خنجرى في هذا المساء لأذهب الى الموعد • • • انني لم أعزم أمرى بعد • • •

بعد أن أفضت جروشنكا بهذا الاعتراق الذي د يُرثي له » ، لم "تستطع أن تتسالك نفسها ، فاذا هي تنقطع عن الكلام ، وتغطى وجهها بيديها ، وتتهالك على الأريكة ، وتأخذ تتحب على الوسادة كطفل صفير.

نهض أليوشا واقترب من راكيتين ، وقال له :

ــ لا تزعل يا مشا! لقد أهانتك ولكن ما ينبغى لك أن تفضب منهاه على المرء أن يعامل الطبيعة الانسانية بالتسامع والرحمة ، وأن يشارك الناس عذابهم وآلامهم ٥٠٠

قال أليوشا هذا الكلام باندفاعة من قلبه لا سبيل الى مقاومتها • كان يشمر بحاجته الى اطلاق انصاله حراً لا يعوقه عائق ؟ ولئن خاطب بهذا الكلام راكبتين ، فلقد كان يمكن أن يتحدث وحيدا لو لم يكن راكبتين هناك • ولكن راكبتين ألفى عليه خلرة باردة ساخرة ، فتوقف أليوشا عن الكلام • قال راكبتين وهو يشم ابتسامة كارهة حاقدة : ـــ شيخك هو الذي حشا رأسك بهذء الأفكار ، فتريد أن تقدمهــا. الى ً بدورك الآن يا أليوشا ، يا راهباً صنيراً !

ــ لا تستهزی، يا راكيتين ، دع السخريات ، ولا تقل سوءاً في. الشيخ الراحل ! انه خير من جميع البشر الذين عاشوا على هذه الارض.

كذلك قال أليوشا والدموع في صوته • ثم تابع كلامه يقول :

- لا أقول لك هذا الكلام قاضيا بل متنَّهَا هو شر المتهمين طرأه ما أنا أمام هذه المرأة ؟ لقد جئت الى بيتها عاقداً نيني على الضياع ، قائلاً لنفسي في جين وصفار وحطة « لا ضير ٥٠٠ لا ضير ٥٠٠ ، قادًا هي، هي التي تألمت خلال خمس سنين ، تغفر كل شيء ، وتنسي كل شيء ، وتكي بعد أقل من خمس دقائق ، لا لشيء الا لأن رجلاً مجهولاً قال لها كلمة مودة صادقة ! إن الرجل الذي أساء النها كل تلك الاساءة ، وألحق بها كل ذلك الأذى ، قد عاد وأومأ البها ، فاذا هي تغفر له على الفور نم فرحة " سمدة مستمجلة " لقاءه • أما الخنجر فثق أنها لن تحمله! " لا • • • لا • • • أنا لا أساويها ، أنا لا أعدلها • لا أدرى يا ميشا هل أنت. طب نسل كطبها ونبلها ، أما أنا فلست كذلك بحال من الاحوال . هذا درس تلقنته اليوم ٥٠٠ ان هذه المرأة أعظم منا بالحب ٥٠٠ هل كنت. تعرف ما روته لنا الآن؟ انك لم تكن تعرفه حتماً • والا لأدركت كل شيء منذ زمن طويل ٥٠٠ وتلك الأخرى التي آذتها هي أسس الأول بم يحب علمها أن تغفر لها هي أيضاً ! سوف تغفر لها متى علمت ، وستعلم ٠٠٠ ان هذه النفس لمَّا تستردُّ هـدوءها وطمأننتها بعبــد ، فننفي أن تدارى وأن تراعى ٥٠٠ لمل فيها كنوزاً لا تنخطر ببال ٥٠٠

صمت أليوشا منقطع الأنفاس • وكان راكيتين ينظر اليه مدهوشا

رغم حنقه ه ما كان ليتوقع مثل هذا الكلام الطويل من الراهب المبتدى. البسيط !

قال راكيتين صائحاً وهو يضحك ضحكة وقعة :

ـ يا للمحامى البسارع! أثراك وقعت في حبهسا ؟ يا أجرافين ألكسندروفنا ، ان صاحبنا الصائم قد توله بحبك ، وهام غراما بك ، هنيئاً لك بالنصر!

أنهضت جروشنكا رأسها عن الوسادة ، وألقت على أليوشا نظــرة حنوناً أشرق بها وجهها المحتقن بالدموع على حين فجأة •

ـــ لا تکترث له یا ألیوشا ، یا ملاکی • أنت تری ما هو ، فلا داعی الی مناقشته •

كذلك قالت جروشنكا ، ثم التفتت نحو راكيتين وقالت له :

كنت أنوى يا ميشيل أوسيبوفتش أن أعتذر اليك عن الكلمات
 المجارحة التي قلتها لك ، ولكنني أعدل عن ذلك الآن •

وعادت تخاطب أليوشا فقالت له وفي وجهها فرح :

- أليوشا ، اجلس هنا ، بجانبي ، هكذا ، قريبا مني ، قل لى الوشا (تناولت يده ونظرت في عنيه مبتسمة) ، قل لى : أما زلت أحب الآخر ؟ أقصد الرجل الذي أغواني ٥٠٠ لقد كنت قبل مجيئك ألقى على نفسى هذا السؤال في الفلام ، محاولة آ أن أقسراً . في أعماق قبلي : أمازلت أحبه ؟ أضىء طريقي يا أليوشا ، هذه سياعة الخراد ، انني أكل أمرى اليك ، هل يجب على أن أغفر له ؟

قال ألبوشا مبتسماً :

_ ولكنك غفرت له وانتهى الأمر !

فدمدمت جروشنكا تقول واجمة مفكرة :

ـ صحيح • لقد غفرت له • ما أجين قلبي !

ثم هنفت تقول :

- اتنى أشرب نخب هذا الجبان الكبير ، قلبي !

وتناولت من المائدة كأس شمبانيا ، وأفرغته في جوفها دفعة واحدت ثم ألقته طائراً على الأرض • تحطم الكرستال ، ورنت شظاياه • ومرة ا أخرى ظهر في طرفي فمها ثيء من قسوة • قالت بصوت أجش مثقل. بتهديدات غامضة ، قالت وهي تخفض عنيها كأنها تخاطب نفسها :

لملنى لم أغفر له بعد ، ان قلبى يتهيأ للمفغرة ، وسأحاول أن أفاومه ، آه يا ألبوشا ! ما كان أعظم تلذذى بالدموع التي سكبتها طوال خمس سنين ، ان عذابى هــو ما أحب ، الني أحب ألمى ، ولا أحب. هم !

قال راكيتين منهكماً :

_ لست أتمنى أن أكون اياه !

لى تكون اياه أبداً يا راكيًا ، أبدا ١٠٠٠ اعلم هذا • أنت ستنظف. لى حذاءى • ذلك ما تصلح له أنت فى أكثر تقدير • النساء اللواتى هنًّ من نوعى لم يخلفن لك ، ولا له أيضًا على كل حال •••

_ ولا له أيضا؟ فلمن تزينت اذن ؟

لا تأخذ على تزينى يا راكبتا ! أنت لا تعرفنى ! سأنزع ثوبى
 وزينتى اذا عن ً لى هذا ، سأرمهما فورا ، هل تفهمنى ؟ (كذلك صرخت.
 بصوت حاد) • أنت لا تعرف يا راكبتا الهدف الذى من أجله تزينت •

من يدرى ؟ ربما ذهب الله فقلت له : « انظر ! انظر ماذا أصبحت ! » . لقد تركنى وأنا في السابعة عشرة من عمرى ناحلة " مصدورة" بكانة • سأجلس قربه ، أغريه وأغويه ، وأضرم نار الهوى في قلبه ، أقول له : دهه ! ألست اليوم جميلة ؟ أأت تعجب بي الآن ؟ اكتف اذن بالاعجاب لأن المسافة بعيدة بين الكأس والشفتين ! » • ربعا كان هذا هو السبب في أننى تزينت يا راكبتا (بهذا ختمت جروشنكا كلامها لراكبتين وهي تضحك ضحكة خيية) • أنا عنفة يا ألوشا ، أنا شريرة • سوف أنزع ثم أمغى أنسور نفسى ، وأحرق وجهي وأخدده بطمنات موسى لأدمر جالى فلا أذهب لا الى هذا ولا الى ذلك • واذا شت وددت منذ الغد الى كوزما كوزمتش جميع الهدايا التي أعداها الى " والمال الذي أعطائيه ، ثم أمغى أعلى طوالى حياتي لأجنى رزقى عاملة " بسيطة • هل تظن أنني لا أقعل أعلى أن هذا يا راكبتا ؟ هل تظن أنني لا أجرؤ على ذلك ؟ بل سأفسله ، شأمله ؟ لا تُهجنى والا فعلته فورا ! • • أما الآخر ، فسأطرده ، سأمله اله الساني استهزاه " والأسامه وزيا أصابعه !

قالت هذه الكلمات الأخيرة بصوت القب ، يوشك أن يكون هسترياً، ثم لم تتمالك نفسها فاذا هي تدفن وجهها في يديها من جديد ، وتتهالك على الوسادة ناشجة منتجة ، فنهض راكيتين من مكانه فجأة وقال :

أن أوان الانصراف • لقد تأخرنا ، وسوف تغلق أبواب الدير •
 فاتقضت جروشنكا وصاحت تسأل ألموشا بدهشة ألمة :

ــ أتمضى الآن يا أليوشا ؟ أتسبث بى اذن هــذا العبث ؟ لقــد بشت الاضطراب فى نفسى ، وعريت أعصابى ، ثم تتركنى لأبقى وحيدة ، وحيدة كما كنت من قبل ، فى هذه الظلمات !

قال راكيتين بصوت ساخر :

ـــ لن يقضى الليلة عندك على كل حال ! اللهم الا أن يكون راغبا فى ذلك حريصا عليه ! وفى هذه الحالة سأعرف كيف أعود وحدى •

فصرخت جروشنكا تقول في غضب :

ــ اسكت أنت أيها النفس الخبيثة ! انك لم تعــــرف في يوم من «الأيام كيف تكلمني كما كلمني هو اليوم »

فقال راكبتين يسألها حانقاً :

س قما هي الأشياء الخارقة التي قالها لك؟

- نسبت ، لا أعرف ، لا أتذكر كلماته ، ولكن كلماته مضت الى على رأساً ، وهزت نفسى هزاً قوياً ٥٠٠ لقد أخذته بى شفقة ورحمة ، وكان أول انسان يرثى لحالى ، كان الانسان الوحيد الذى رثى لحالى ! لماذا لم تأت من قبل يا ملاكى ؟ (كذلك سألت أليوشا وهى تجثو على ركبتيها أمامه فيما يشبه الوجد) ، لقد انتظرتك طوال حياتى ، كنت أعلم ، كنت أحص أتنى سألتمى فى يوم من ايام بانسان مثلك يعرف كيف ينفر لى ، كنت واثقة من أن أحدا سيحبنى آخر الامر أنا أيضا ، لفرض آخر غير . عارى ** .

سألها أليوشا وهو يبتسم ابتسامة فيها حنان ورقة ، ويميسل عليها .ويتناول يدها :

` ــ ماذا فعلت حتى أستحق هذا كله ؟ أنا انما قدمت اليك بصلة ، يبصلة حقيرة ، هذا كل شيء ، هذا كل شيء ...

وتوقف أليوشا عن الكلام وطفق يبكى •

وَفَى تَلَكَ اللَّحْظَةُ سُمِّعَتُ ضَعِةً فَى المَّرِ ﴿ الْ أَحْدًا قَدْ دَخُلِ الْيُ

البيت • نهضت جروشنكا مذعورة ذعراً شــــــدداً • وأسرعت فينيا الى الغرفة تهتف فرحة "لاهنة :

- آستی ، عزیزتی ، آستی الطیبة، وصل الرسول ! لقد أ'رسلت من موکرویه عربة تستقلینها ، ومضی الحوذی تیمسوتی یبدل العنیل . هناك رسالة لك یا آستی ، رسالة ، رسالة ... هذه هی !

كانت فيها تمسك الرسالة بيدها وتلوح بها في الهواء وهي تتكلم. انتزعت جروشتكا الرسالة منها وأدنتها من الشممة . هي بطاقة قصيرة جدا لا تضم الا بضمة أسطر قرأتها جروشكا بلمحة عين . ثم صاحت تقول وقد شحب وجهها شحوبا شديدا وتقبض وجهها بابتسامة أليمة :

ـ لقد صفر لى • لقد صفر لى • ازحف أيها الكلب الصغير !

وظلت مترددة خلال هنيهة قصيرة ، ثم ازدحم الدم فى وجنتيهـا؛ فاحمرتا حتى صارتا بلون الأرجوان ، وهنف تقول :

ــ سأذهب! انتهت تلك السنون الخمس من حياتي ، وداعاً وداعاً . وداعاً لك أنت أيضا يا ألبوشا ، لقد تقرر مصيرى ، اذهبوا ، انصرفوا الآن جميعا ، ولتغيبوا عن عيني الى الأبد! ••• ان جروشنكا تبدأ حياة. جديدة ، لا تحمل لى حقداً ، أنت أيضا يا راكينا ، من يدرى ؟ قد أكون. ذاهة الى الموت! آه ••• أحس بأنني سكرى على حين فجأة •••

ثم لم تحفل بهما وركضت الى غرفة نومها •

جمجم راكبتين يقول :

ـــ لقد طردتنا • • فلننصرف • • • ضقت ذرعا بهذا الصراخ تطلقه امرأة هسترية • فلنمض قبل أن يُستأنف الصراخ • • •

انقاد أليوشا انقياداً آلياً • كانت العربة في فناء المنزل • خيـــول.

خُمُحلُ ، وأناس منهمكون على ضـــو، مصباح ، وأمام السِباب أفراسُ جديدة ، وما ان هبط أليوشا وراكيتين درجات المدخـــل حتى فنتحت نافذة غرفة النوم ، فاذا جروشنكا تصبح قائلة بصوت رنان :

- عزیزی ألیوشا ، أبلغ أخاك دمتری تحیتی ، وقل له أن لا یحقد علی هذه الوغدة ، أنا ، كرر علی مسامعه هــــذه الكلمات عن لسانی : « وهبت جروشنكا نفسها لرجل بائس ، لا لك أنت النبیل ، ؛ قل له أیضا اننی أحببته ساعة ، ساعة واحدة ، فلیتذكر تلك الساعة مدی الحیاة ، ان جروشنكا هی التی تأمره بذلك ،

ختمت جروشنكا كلامها شبه َ باكية وأسرعت تغلق النافذة . غمغم واكيتين وهو يضحك ساخراً :

لم يجب أليوشا ، وكان يبدو عليه أنه لم يسمع ، انه يسسير الى جانب رفيقه بعظمى حثيثة ، ولقد كان في الواقع ذاهلاً يمشى كآلة ، تسعر راكيتين بألم شديد كأن أحدا قد غرز اصبعه في جرح له لم يلائم ، ليست هذه هي الخاتمة التي كان يأملها للقاء بين أليوشا وجروشنكا ، لقد جرى كل شيء على غير ما كان يتبا ؟ ولم يتحقق ما تمنى بكثير من الحرارة أن يتحقق ، قال وهو يحاول أن يسيطر على اعتكار مزاجه :

 ما يزال أليوشــا صــامتا • ولم يطق راكيتين صبراً ، فقــال وهو يضحك ضحكا ساخرا خييثا :

_ هيه ! هل هديتها الى الحق ، هذه الخاطئة ؟ هل رددت المرأة الضالة الى سييل الرشاد ؟ هل طردت الشياطين السبعة من روحهـــا بم ه ؟ هذه هى المعجزة التى انتظرها الناس طويلاً منذ هذا الصباح ٠٠٠ لقد تحققت !

قال أليوشا متألمًا :

ـ اسكت يا راكبتين !

ـ أسبب هذه الروبلات الخمسة والعشرين انما تحتقرني الآن ؟ أثراني بعت صديقا ؟ ما أنت بيسوع المسيح فيما أعلم ولا أنا بيهمسوذا الأسخريوطي !

ــ أؤكد لك اننى لم أكن أفكر فى هذا الامر • أنت الذى تذكرنمى. به الآن •

كذلك قال ألبوشا ، فغضب راكيتين فى هذه المرة نحضبا كاملا ، وأعول يقول :

ــ شیطان یأخـــذکم جمیعا ! انی لأنســـادل ما کانت حاجتی الحی الح الارتباط بك ! لا أرید أن أعرفك بعد الآن • امض فی سبیلك وحدك !:

ومال فحاً: فسار في شارع آخر وترك أليوشا وحيدا في الليل ٠ خرج ألوشا من المدينة واتحه الى الدير خلال الحقول ٠ وصل ألوثا الى الصومة كان الوقت متأخرة وسمح له الراهب البواب أن يدخل من مصر خفي ٥ كانت الساعة التاسعة قد دقت ، وكان خفي ٥ كانت الساعة التاسعة قد دقت ، وكان كل شيء يستريح بعد نهار مضطرب ذلك الاضطراب كله ٥ تسللل ألوشا وجلاً إلى الغرقة التي سُجّى فيها تابوت الشيخ ٥ كان الأب يائيسي وحيدا في الغرقة المي يأليسي وحيدا في الفرقة المجاورة على الليلة البارحة وأتعبته المفالات بروفير الذي أتعبه الحديث الطويل في الليلة البارحة وأتعبته المنالات النهار ، ينام في الفرقة المجاورة على الارض نوما عميقا يتيحه له شبابه ولم يلفت الأب بائيسي رأسه وغم أنه سمع دخول أليوشا ٥ اتجه أليوشا الى الركن الذي يقع على يمين الباب ، وجنا على ركبته ، وأخذ يصلى وكانت نفسه طافحة ، غير أن المشاعر المختلفة التي عادما أثناء النهار تختلط الأن في نفسه اختلاطا مبهما دون أن تكون لأحدها غلبة ، وانسسا هي تتماقب ويطرد بعضها بعضا في حركة مطردة هادئة ٥ وشعر ألبوشة بانغال رفيق عذب يعباح نفسه ، قكان الصيب في الامر أنه لم يستغرب بانغال رفيق عذب يعباح نفسه ، قكان الصيب في الامر أنه لم يستغرب

ذلك الانفعـــال • انه يرى أمامه التـــابوت الذي يضم جثمان الراحل

المحبوب ، يراء من جديد ، ولكن الألم الثقيل الذي كان يجثم علىصدر. طوال الصباح قد حلت محله الآن عاطفة هادئة وادعة • انه حين وصل قد ركم أمام التابوت ركوعه أمام هيكل ، غير أن فرحاً عذباً يملأ الآن روحه ويفيض من قليه • كانت احدى نوافذ الغرفة قد تُـركت مفتوحة، فمنها يدخل الى الغرفة هواء طرى منعش ٠ قال ألبوشا يحدث نفســـه : ه لا بد أن الرائحة قد اشتدت ما داموا قد قرروا فتح النافذة • • • غير أن فكرة رائحة التفسخ التي أثارت فينفسه عند الصباح ذلك الاضطراب كله وذلك التمرد كله ، والتي كانت تبدو له رهسة فظيمة مهينة للقدُّر مخلة بالكرامة ، أصبحت الآن لا تزعجه ولا تشمره بشيء من الحرج • أخذ ألوشا يصلي صامنًا • ولكنه لاحظ بعد برهة أنه يصلي صلاة آلـة• ان نتفاً متناثرة من أفكار تلامس ذهنه ملامسة وتومض في خياله كشرارات ثم ما تلت أن تنطفيء لحل محلها غيرها • وقد أخذ في بعض اللحظات يصلي بحرارة وحماسة ،، شاعرا بحاجة قوية عنيفة الى أن يشكر وأن يحب ٠٠٠ ولكن فكره ما يلت أن ينصرف الى شيء آخر ، فاذا هو يغرق في أحلام غامضة منهمة تنسبه الصلاة وتنسبه التأمل الذي قطع الصلاة. أصاخ بسممه في لحظة من اللحظات الى قراءة الأب بائسي ، ثم أدركه التعب ، قاذا هو ينحدر شيئًا فشيئًا الى وسن هادى، رفيق ٠

« وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليسل وكانت أم يسوع هناك ٥٠ » *

د عرس؟ ما العرس؟ وثارت في فكره زويعة من الخواطر • هي أيضًا سعيدة • • • ذهبت الى احتفال • • • لم تحمل الخنجر • • • ما كان ذلك منها الا قولا ً طائسًا ً • • • يجب أن تنفر الأقوال الطائسة ، لأنها تهدى • النفس • • • وبدونها يصبح ألم الانسان أشد من أن يطاق • • •

غاب راكيتين في شارع صغير ٥٠٠ لسوف يغيب في شوارع صغيرة ما ظل.
لا يفكر الا في الاهانات التي تناله هو ٥٠٠ أما الطـــريق فهي عريضة
لاحبة مشرقة مفشيئة ٥٠٠ مستقيمة طاهرة ٥٠٠ نقية نقـــاء البلور ٥٠٠
والشمس هي التي تسطع في نهايتها ٥٠٠ ماذا يقرأ الآن ؟ ٢ ٠

« ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ٠٠٠ »

«ها •• • نهم ، لم أتابع القراءة ، مع أنني كنت لا أحب أنتفوتني هذه الفقرة ، انني أحبها كثيرا : عرس قانا ، المعجزة ، لأولى •• • كانت.
تلك معجزة ، معجزة الهية •• • لم يجي، يسوع للحزن ، بل للفرح •
•• أفرح قلب الناس بتلك المعجزة الاولى •• • الذي يحب البشر ، يحب فرحهم أيضًا • • • • ذلك ما كان يردده الشيخ الراحل بضعيد انقطاع •• • ذلك تعليم من تعاليمه الرئيسية •• • لا يستطيع الانسان. أن يحيا بنير فرح ، كذلك يقول مينا •• • نهم يا مينا •• • كل ما هو عظيم وجميل يشيع منه الففران الشامل •• • انه هو الذي كان يقول هذا أيضا •• • »

« ••• قال يسوع :

- « قال لها يسـوع : مال ولك يا امراة ! لم تأت ســـاعتى بعد -قالت امه للخدام : مهما قال لكم فافعلوه ! »
- « افعلوا ٥٠٠ كان ذلك لفرح أناس فقراء ، فقراء منعورين ، فقراء جدا ، جدا ٥٠٠ لا شك أنهم كانوا في فقر مدقع ما دام الخمسر قد أعوزهم حتى لمسرس ٥٠٠ يؤكد المؤرخسون أن الأهالي الذين كانو1 يعيشون في ذلك العصر على ضفاف بحيرة طبرية وفي المناطق المجاورة

لها كانوا أفقر الناس في هذا العالم ٥٠٠ هسند امرأة عليسا كانت في المرس ، هي أم يسوع، تشعر في قلبها بأنه لم ينزل الى الارض الا لهدف واحد هو أن يقوم بتضحيته الهائلة ، وأن نفسه قادرة على أن تشارك في المنزح البسيط الساذج الذي يحسه هؤلاء الناس المتواضعون المبرأون من المكر ، الذين دعوه بمحبة الى حضور عرسهم الذي لا تألق فيه ، قال لها يسوع وهو يبتسم ابتسامة رقيقة : « لم تأت ساعتي بعد » (لا شسك أنه ابتسم في تلك اللحظة ابتسامة لا نهاية لرقتها وعنوبتها) ٥٠٠ أجاء اذا الى الارض ليزيد الخمر في أعراس الفقراء ؟ ومع ذلك لم يتردد، ولي رجاءها ٥٠٠ »

« قال لهم يسوع الملاوا الإجران ما، ، فهلاوها الى فوق • ثم قال كهم استقوا الآن وقلموا الى رئيس السقاة فقلموا ، فلها ذاق رئيس السقاة الماء المتحول خميرا ولم يكن يعلم من اين هي بينما الختام اللين كانوا قد استقوا الماء علموا ، دعا العريس وقال له : كل انسان يضع الخمير الجيدة آولا فهتي سكروا وضعم الرديثة ، أما أنت فقسعد ابقيت الخمر الجيادة الى الآن * » •

ولكن ما هذا ؟ ما منى هذا ؟ لماذا تتسع الفرقة فعبأة ؟ ••• آ•• حقاً ••• هو الزواج •• هذا عرس ••• طبعا •• هؤلاء هم المدعوون •• وهذان هما العريسان > والجمهور الفرح •• ولكن أين هو اذن ذلك الساقى الحكيم جداً ؟ وهذا > من هذا ؟ من هذا ؟ المسرقة تتسع مزيدا من الاتساع ••• من ذا الذى ينهش على المائدة الكبرى هناك ؟ كيف هو ؟ أيكون هو أيضا هنا ؟••• كتت أحسب أنه في تابوته •• يلى ! انه هو بسنه ••• نهض ••• وآنى ••• ها هو ذا يقبل على وياه ا » •

واقترب فعلاً من أليوشا ، الشيخ الناحل المخدَّد وجهــه بنضون

صنيرة • كان فرحاً ، وكان يضحك ضحكا رقيقا حلواً • لقد اختفى التابوت • والشيخ يرتدى الملابس التي كان يرتديها أمس أتساء ذلك الحديث الاخير مع أصدقائه • ان وجهه يشرق مودة ومحبة ، وان عينه تلتمان • • كيف أمكن أن يكون هنا ، في هذه الحفلة ؟ أدعى اذن الى عرس قانا ؟ ، • كذلك تسامل ألوشا • فسمع صوتا لطيفا يقول له من فوقه ، صوتا ألف ألوشا أن يسممه :

ــ نعم يا بني ، لقد دُعيت أنا أيضا ، دُعيت ونوديت • لماذا تختبي. في ذلك الركن ؟ لا يكاد يراك أحد • تعال ، وكن منا •••

هو صوته ، صوت الشيخ زوسيما ٥٠٠ لا شك أنه النسيخ ، مادام يناديه • ومد ً الشيخ يده الى أليوشا الراكع ، فنهض أليوشا • وتابع الشيخ الهروق كلامه قائلا :

- ألا فلنبتهج ! لنشرب الخدر الجديد ٥٠٠ انه خمر فرح جديد، فرح عظيم جدا ٥٠٠ هل ترى جميع هؤلاء المدعوين ؟ هذا هو الخطيب، وهذه هي الخطية ، وهذا هو الساقي الحكيم جدا ، ينوق الخسسر المدهشة ٥ لماذا تنظر الى مكذا ؟ لقد وجبت بصلة فقبلت في هذه الحفلة، كثيرون هنا هم الذين لم يهوا الا بصلة ، بصلة صغيرة جدا ٥٠٠ كيف الأحوال عندنا ؟ أنت أيضا ، يا بني الطيب الوادع ، لا بد أنك وهبت اليوم بصلة لجائمة مسكية ، ابدأ مهمتك ، واجه عملك ، يا صسفيرى اللطيف ! هل تراه هو ؟ هل ترى يسوع ، شمسنا ؟

دمدم ألبوشا يقول:

ــ أنا خالف ٥٠٠ لا أجرؤ أن أنظر اليه ٠

ــ لا تنخف منه . هو مخيف بعظمته ألتى ترقمه فوقنا ، هو مخيف

بالعلو الذى هبط منه الينا ، ولكن لطفه لا نهاية له ، لقد جعل نهسه شبيهاً بنا ، وارتضى بالمحبة أن يشاركنا فرحتنا ، وأحال الماء خمراً حتى لا تنقطع سعادة الفنيوف ، وهو ينتظر مدعوين آخسرين ، وما ينفك يدعو منهم المزيد الى الأبد ، انظر ، ها هم يجيئون بالخمر الجديد ، ها هم يحملون الأوانى ، ، ، ،

كان قلب أليوشا يحترق احتراقا وقد امتلأ بفرح شديد يصاقب الألم ، وانبجست من عينيه دموع حماسة ٥٠٠ ومد ذراعيه ، وأطلسلق صرخة ، واستيقظ من نومه ٥٠٠

التابوت ما يزال في مكانه ، والسافنة ما تزال مفتوحة ؟ وصوت الأب باليسى ما يزال يُسمع وقورا هادئا وهو يقرأ الانجيل ببطه ، ولكن ألوث باليسى ما يزال يُسمع وقورا هادئا وهو يقرأ الانجيل ببطه ، ولكن على قدميه ، وها هو ذا يتقدم فجأة ، كأن قوة خفية تدفعه دفعاً ، فاذا هو يصبح قرب التابوت بعد ثلاث خطوات سريعة ، حتى لقد لامس كنف الأب باليسى دون أن يلحظ ذلك ، رفع الأب باليسى عينه وألقى على أيونا نظرة قصيرة ، ولكنه سرعان ما استأنف قسراءته ، اذ أدرك أن الغتى كان في حالة غريبة ، وقف أليونا أمام التابوت نصسف دقية : تأمل التابوت ، تأمل المتوفى الساكن الذي غُطى وجهه ببرقع، وو ضعت بين يديه أيقونة ، ولفق رأسه بقيعة يزينها صليب ذو ثمانية أفرع ، لقد سعم أليونا صوته قبل بضم طغلات ، وما يزال هذا الصوت يترجع في الذيه اذ أدره ما أثراه يسمعه من جديد ؟ وفجأة ، استدار أليونا وخرج من الفرقة ،

لم يتوقف عند درجات الباب بل هبطها مسرعا • كانت نفسه التي تطفع حماسة ، في حاجة الى فضاء وحرية • هذه قبة السماء تسلوه ممتدة في جميع الجهات الى غير نهاية ، مزدحمة "بنجوم تسطع أشعها سطوعاً هاداً ه ان المجرة ، التي لا تكاد 'ترى بعد ، تمند من السمت الى الأفق. وان ليلة طرية هادئة صامتة ساجية ، يبدو أنها تلف الأرض بأكملها والأبراج :ليضاء والقبب المذهبة من الكنائس تبرز على قاع لازوردى. وأزهار الخريف الفنية تبدو نائمة في أحواضها التي تحف بالمنزل ، ان سكينة الارض تتحد بسكينة السماء ، وان سر الحياة والنجوم يرفرف على العالم ٥٠٠ تأمل ألوشا هذا المنظر ، فاذا همو يتهالك على الأرض خارت قواه ،

لم يعرف ألبوشا لماذا عانق الارض ، ولماذا شعر بمثل هذه الحاجة للي أن ينمرها بالقبل • كان يقبلها باكياً ، فيرويها بدموعه ، حالفاً بكشير من الحماسة ليحبنُّها على الدوام ، ليحبنها أبد الدهر ••• « اسق الأرض دموع َ الفرح ، وأحبب دموعك ، ، كذلك قال له صوت في أعماق نفسه. لماذا هذه العبرات؟ كان ألبوشا يبكي من الحماسة ، حتى لقد كان يبكي لهذه النجوم التي تنظر اليه من قرارة اللانهاية ، ولم « يكن يشعر بخجل من هذا الوجد الذي ملأ نفسه ، • ان الصلات الخفية التي تشده الى هذه الموالم البعيدة ، كانت تهتز عندئذ في قلبه ، وكان يطير فرحاً من شعوره ينشوء « هذا الاتصال بنه وبين الملأ الأعلى ، في نفسه • كان يشتهي أن يغفر كل شيء لجميع الناس ، وأن يستغفر أيضًا لا لنفسي وحدها بل لجميع الناس ، وعن كل شيء • ومرة أخرى قال صوت في أعماق نفسه : « أن آخرين سيسألون لي اللطف ، • وشمعر في الوقت نفسه باحساس واضع جدا ، احسساس يشبه أن يكون جسميا ، أن تفحة "قوية خالدة كانت تهبط من قبة السماء ، وتجناح كيانه كله شيئًا بعد ، شيء ، كفكرة تبزغ في روحه لتحكمها الى الأبد . كان أليوشا قد سقط على الأرض فتى واهناً ضعيفاً ، ولكنه حين نهض الآن أحس بأنه

مناضل جسور على مدى ما بقى له من أيام في هذه الحياة • واختلط حالة نفسية جعلته لا ينسى ثلك الدقيقة في يوم من الايام • وقد ظل يؤكد بعد ذلك باقتناع عميق « أن أحداً قد زار نفسه في تلك اللحظة، •

وبعد ثلاثة أيام ترك الدير متبعاً وصية الشميخ الراحل الذي

« أرسله الى العالم » •

البابالثامن ميتيا

دمتری فیدوروفتش الذی د أمرت ، جروشنکا ،
وهی تعلیر نحو حیساة جدیدة ، بأن یُمبلّغ
سسلاماً أخیراً ، مع المطالبة بأن یحفظ الی الأبد
ذکری سساعة قصیرة من حب وهبته له ، کان
محله معا کان محدث للمه أة الشابة ، کان محتاذ

ذكرى سياعة قصيرة من حب وهبته له ، كان يبتاز هو أيضا ، رغم جهله بما كان يبتاز هو أيضا ، رغم جهله بما كان يبحدث للمرأة الشابة ، كان يبتاز فترة عصيبة من الاضطراب الشديد والقلق الرهيب ، انه يميش منسنة يومين في حالة نفسية لا سبل الى وصفها ، حتى ليكاد يصاب باحتقان في الدماغ على حد التمير ، لذى استممله هو فيما بعد ، لم يستطع أليوشا أن يهتدى اليه وأن يشر عليه حين بعث عنه في الصباح ؟ ولا هو جاء بعد ذلك بقليل الى الموعد الذى كان قد ضربه لأخيه إيفان في الكاباريه ، وقد صمت أصحاب الدار التى كان يقيم فيها ، نزولاً على ارادته وتنفيذا لأوامره ، وظل هو خلال يومين يضرب في الارض على غير هدى وبغير راحة د مصارعاً قدره ساعيا الى خلاصه ، ، كما صراح بذلك فيما بعد ، حتى لقد غاب عن المدينة بضع ساعات يسبب أمر مستمجل ، رغم أنه كان يرى أن الابتماد في مثل هذه اللحظية وترك جروشيكا بلا رقابة أمر"

رهب • سوف تذكر هذه الظروف المختلفة بتفاصيلها بعد قليل ، وحسبى الآن أن أسرد أهم وقائع هسـذين اليومين الرهبيين ، هسـذين اليومين الأخيرين اللذين سبقا سقوط الكارثة على حياته ذلك السقوط القـاسي المفاجئ. •

صحيح أن جروشنكا قد أحبته خلال ساعة من الزمان حياً صادفاته ولكنها في مقابل ذلك قد عذبته مرارا بقسوة لا رحمة فيها • وأنكى ما في الامر أنه لم يستطع أن يفهم عواطفها الحقيقية فهماً واضحا • ولم يكن له أي أمل في أن يكتشف هذه المواطف لا بالملاطفات ولا بالقوة. ولو قد حاول ذلك لماندته في جميع الاحوال ولتركته غاضية حانقة • كان هو يشمر بذلك شعورا كاملا • وكان يدرك أنها تحتاز هي نفسها في تلك الساعة أزمة عصبية وأنها تتخيط في حيرة شديدة ، فهي توشك أن تعزم أمرها دائما ثم تتردد كلَّ مرة في آخر لحظة ؟ وكان يقدُّر ـ وليس يخلو تقديره هذا من حق ـ أنها كانت في بعض الأحيان تكرهه وتكره غرامه بها • لعله لم يكن مخطئاً في هذا ، ولكن السبب الحقيقي للقلق الذي تعانيه جروشنكا كان يفوته • وكانت المسألة التي تعذبه انما ترتد في الواقع الى هذا الاختيار بين شخصين لا ثالث لهما : • اما هو ميتما مم واما فندور بافلوفتش. ٤ • وهنا يحسن أن نوضح النقطة التفصيلية التالية:. كان متبا مقتنما اقتناعا مطلقا بأن فيدور بافلوفتش مسستعد لأن يتزوج جروشنكا (ولمله عرض عليها ذلك) ، وكان لا يتخبــــل في لحظة من اللحظات أن المجوز الفاسق قد خطر بباله أن يصل الى تحقيق أغراضه دون أن يضحي بشيء الا ثلاثة آلاف روبل • هكذا كان يفكر دمتري على أساس ما يظن أنه يعرفه من طبع جروشتكا • لذلك كان من الممكن أن يقدر أن ما تعانيه المرأة الشابة من قلق وتردد انما يرجع الى أنهسا لا تدرى من تختار منهما ، جاهلة " أيهما أنفع لها وأجدى عليها • أما:

أن يعود في القريب ذلك « الضابط ، ، ذلك الرجل المشؤم الذي احتل هذا المكان كله في حياة جروشنكا والذي كانت جروشنكا تنتظر وصوله بذلك القدر كله من نفاد الصبر وشدة الخوف ، فان دمترى لم يخطس باله هذا الامر مرة واحدة خلال تلك الأيام ، مهما يبد ذلك غريبا • صحح أن جروشنكا أصبحت منذ زمن طويل لا تكلمه في هذا الامرى ولكن دمترى كان يعلم أن صاحب جروشنكا قد كتب اليها ، لأنها أطلعته على الرسالة التي تلقتها منه منذ شهر، وكان يعرف بعض ما تضمنته هذه الرسالة • لقد أطلعته جروشنكا على الرسالة بدافع القسوة ، فعــا كان أشد دهشتها حين رأت أنه لم يول الرسالة أي اهتمام في أول الامر م ولا اكترث لها • انه لمن الصبير أن نشرح السبب الذي جعــــل دمترى لا يحفل بالرسالة ولا يقيم لها وزناً كبيرًا • لعل ذلك يرجع ، ببساطة ، الى أنه قد بلغ من شدة رزوحه تحت وطأة هول تنافسه مع أبيه على هذه المرأة أنه كان يستحيل عليه أن يتخيل مصية أكبر من تلك المصية وشقاء ً أعظم من ذلك الشقاء ، في تلك الفترة على الأقل • أضف الى ذلك أنه كان لا يتصور أن من الممكن أن يعود خطيب معد غياب خمس سنين ، وأنه كان لا يصدق خاصة " أن يعود قريبا . هذا الى أن رسالة ه الضابط ، لم تنضمن اشارة الى مجيئه الا بكلمات غامضة : لقد كانت الرسالة لا تحتوى الا أمورا عامة ومناجبات غائمة وتصريحات عاطفية • يحب أن نذكر أن جروشنكا قد أخفت عنه الأسطر الأخيرة التي يتسع فيها كاتب الرسالة الى عودته القريبة بشيء من الوضوح • وكان دمترى يتذكر عدا هذا أنه لاحظ أن المرأة الشابة ، حين أطلعته على الرسالة ، قد أُظهرت على غير ارادة منها احتقارها للرجل الذي كتب اليها الرسالة من أقاصي سيبريا ، ولم تفض جروشنكا الى دمترى بعد ذلك بأى شيء عن الاتصالات التي تمت بينها وبين ذلك الرجــــل ، الى أن نسى دمترى

وجوده شـــتاً بعد شيء • فكان لا يشغله الا اعتقــاده بان الصراع الحاسم يهنه وبين فيدور بافلوفتش يبدو وشيكاً مهمـا يحــدث من أمر ، فلا بد أن تحل هذه المسألة على أي حال من الأحوال قبل سائر المسائل • وكان ينتظر على أحر من الجِمر قلقاً ، أن تتخذ جروشنكا قرارها من دقيقة الى دَفَقَةَ ، وكان يقدر انها ستتخذ هذا القرار فجـأة بما يشبـبه الوحى أو الالهام ، فتقـــول له ذات يوم : « خذني ، أنا لك الى الأبد ، ، وينتهى كل شيء ، فيقبض عندئذ عليها ، ويمضى بها الى آخر العالم • تعم ••• لـأخذنَّها عندئذ فوراً الى أبعد مكان ممكن ۽ لـأخذنها الى أقصى روسـا ان لم يُأخذها الى أقصى الأرض ؟ وسوف يتزوجان ويستقران مجهولين لا يعرفهما أحد ، ولا يمكن أن يهتم بهما أحد بعد ذلك لا هنا ولا هناك • ولسوف تبدأ عندثذ حباة جديدة ! كدلك كان دمتري لايني يحلم متحمساً بالحاة الجديدة ، الحياة « الفاضلة » (الفاضلة خاصة) • لقد كان في ظمأ شديد الى هذا التجديد ، الى هذا الانبعاث ، لأنه كان يتألم تألمًا قوياً من الحمأة الحقيرة التي تردى اليها وغاص فيها بارادته ؟ وكان ، ككثير من الرجال في مثل هذه الحالة ، يؤمن بالخلاص عن طريق تغير البيئة : فلا يرى هؤلاء الناس ولا يميش في هذا الوسط بعد الآن • كان يتصور أنه متى ترك هذا المحيط تغير كل شيء بين عشية وضحاها ، وبدأت حياة جديدة على أسس جديدة • ذلك كان أمله ، والى هذه الغاية انما كانت تتحه أحلامه نافد الصب

غير أن هذا الحل لا يمكن أن يتحقق الا اذا التخفف جروشمنكا القرار الأولى ، القرار السعيد التي تختاره فيه من دون أبيه • وهناك قرار ان ما يزال من المكن أن تتخذه جروشنكا ، هناك حل آخمر رهيب يمكن أن يتحقق ، هو أن تقول له مثلاً على حين فجأة : « اغرب عنى طلان ، فلقد اتفقت مع فيدور بافلوقش اتفاقا نهائيا وقررت أن أتزوجه،

فلا حاجة بمى اليك بعد اليوم • • • ففى هذه الحالة • • • فى هذه الحالة • • • فل هذه الحالة • • • فلا ميت لا يمرف هو نفسه ما قد يحدث عندئذ ، ولقسد ظل لا يعرف ذلك الى آخر دقيقة • • • علينا أن بذكر هذه الحقيقة تمرئة له • انه لم يقد نهته على شيء ، ولم يفكر في ارتكاب جريمة • كان لا يزيد على أن يراقب ويترصد ويتربص ويتجسس ، ويتعذب بفسير انقطاع ، ولكنه لا يتصور الا الحل الأول ، ولا يتنبأ الا بالخاتمة السيدة، ويطرد من ذهنه كل فكرة أخرى • على أن هناك صموبة أخرى كانت تنبجس عندئذ وتبجله قلقاً مهموما مفموما ؛ ذلك أن عقبة جديدة تقف عثرة في طريقه حتى حين يتحقق الحل الأول السميد ، عقبة خارجية طبها ، ولكنها عقبة رهبية يستحيل تذليلها على كل حال •

هب جروشنكا قالت له : « أنا لك ، خذنى ، ، و فما عساه يفعل من أجل أن يرحل معها ؟ أين يجد المال اللازم للسفر ؟ ان الأموال التي هيأتها له دفعات فيسدور بافلوفتش قد نفدت نفساداً تاما • صحيح أن جروشنكا تملك ملا ، ولكن مينا كان يشمر عند أن على حين فجيأة بكرياء شديدة تستيقظ في نفسه ، كبرياء عنيفة لا تنتني ولا تلين • لقد كان يحرص أشد الحرص على أن يتحمل هو نفقات الرحيل ، وأن يبدأ أن يتحول هو نفقات الرحيل ، وأن يبدأ أن يتصور أن يأخذ من مالها شيئا ، وكان اذا تصور ذلك يلغ من شدة أن يتصور أن يأخذ من مالها شيئا ، وكان اذا تصور ذلك يلغ من شدة الالمنسية ولا أن أحلتها ، وحسبي أن أقرر ان هذه كانت عاطفته ، وان هذا كان شعوره ، جائز جدا ن يكون هذا الموقف قد أملاء علي على المبلغ غير شعور منه ، ما قاساء ضميره من عذاب خفى منذ أن استولى على المبلغ غير شعور منه ، ما قاساء ضميره من عذاب خفى منذ أن استولى على المبلغ الذى الممتد علم كانرين ايفانوفنا • لقد كان دمترى يقسول لنفسه في بعض الأحيان ، كما اعترف بهذا فيما بصحد : « أنا وغد حقير في ظلر بعض الأحيان ، كما اعترف بهذا فيما بصحد : « أنا وغد حقير في ظلر

الأولى ، وسأصبع وغداً حتيرا في ظر الثانية ، اذا علمت جروشنكا بالأمر ، فلن ترخى بندل مثلى ، ، ولكن أبين عساه يجد المسال اللازم والحالة هذه ؟ أبين عساه يجد المال الذى يحتاج اليه هذا الاحتياج الفاجع كله ، والذى بدونه سيتمرض كل شىء للخطر ، وبدونه لن يمكن أن يحقق أى هسدف ؟ « أكل هسذا بسبب مسألة مالية حقيرة ؟ آه . • •

سأستبق الآن القصة فأشير الى أن مترى ربما كان يعلم أين يمكنه أن يجد هذا المبلغ ، وربما كان لا يجهل في أي مكان يوجد هذا المبلع. ولن أدخل الآن في سرد التفاصيل التي ستعرض في حينها • غير أثني سأبين ، على نحو قد لا يكون واضحاً وضوحاً كافيا (ولكن لا ضير !) ، ماذا كانت الصعوبة الكيرى في نظره : لقد كان يرى أن عليه ، حتى يستطيع أن يأخذ المبلغ المخبأ في مكان ما ، حتى يكون « من حقه ، أن يستولى على هذا المبلغ ، كان يرى أن عليه أولا أن يردُّ الثلاثة آلاف دوبل التي يدين بها لكاترين ايفانوفنا • « والا لم أكن الا سارقا صغيرا، الا لصاً حقيراً ، وسيستحيل على عندثذ أن أبدأ حياة جديدة ، • كذلك كان يقول ميتيا لنفسه ، ولهذا قرر أن يقلب العالم رأساً على عقب اذا لزم الأمر ، من أُجِل أن يستطيع ردُّ المبلغ الى كاترين ايفانوفنا • وقد اختمر هذا القرار في نفسه في الأيام الأخيرة ، أثناء الساعات التي أعقبت لقساء أَليونا في الطـــريق ، بعد أن علم من أخيــه بأمر الاهانة التي ألحقتها جروشنكا بكاترين ايفانوفنا ، فهتف يقول : وقل هذا عن لساني لكاترين اليفانوفنا اذا كان ذلك يمكن أن يهدىء روعها ، • ولقد شعر أثناء تلك الليلة ، وهو على ما هو عليه من اضطراب شديد ، د بأنه يحسن صنعاً اذا هو قتل أحداً وسلبه ما معه في سبيلَ أن يرد الى كاتبا مالها ، • قال يَخاطب عندئذ نفسه : ﴿ أَلَّا فَلَأْصِبِعِ قَاتِلا ۗ وَلَصَّا فَي نَظْرِ صَحِيتِي وَفَي

ظر جميع الناس ، ألا فلأ رسك الى سجون الأمنال الشاقة بسيريا ، في سيل أن لا تستطيع كاتيا أن تقول عنى الني لم أخنها فحسب ، واسا سرقتها أيضا وسطوت على مالها لأهرب مع جروشنكا وأبدأ بذلك حية جديدة ، لا أطبق أن تقول عنى كاتيا هـــذا الكلام ! » ، ذلك ما كان يحدث به ميتيا نفسه وهو يكز أسنانه ، وكان من حقه فعلا أن يخشى أن يصاب باحتقان في دماغه ، ولكنه كان ، حتى تلك اللحظة على الأقل، ما يزال يكافع ، ، ،

والأمر الغريب أنه كان من الممكن أن يبدو له أن الهدف الذي يسمى اليه لا يمكن تحققه وانه لم يبق له الا أن يبأس ، فمن أين يمكنه الحصول على مثل هذا المبلغ الكبير من المال بينما هو يتخبط منذ الآن في فقر مدقع وبؤس أسود • ومع ذلك ظل يأمل حتى النهاية ، واثقاً من أنه سعيشر على مبلغ الثلاثة آلاف روبل هذا ، وأن هذا المبلغ سيهبط عليه من السماء عند الحاجة • فكذلك يفكر على وجه العموم أولئك الذين لم يعرفوا في حياتهم الا تبديد ما ورثوا ، مثل دمتري ، والذين يجهلون كل شيء عن طريقة جنى الرزق وتحميل المال • ان مشاريع خيالية عَجْبِيةٌ تَعْلَى وَتَغُورُ فَى ذَهْنَهُ مَنْذُ أَنْ تَرَكُ أَلِوشًا قِبْلَ يُومِينَ ، وقد أختَلطُتُ في عقله أبسط المعاني واضطربت أيسر الأفكار ، فبدأ مساعبه بمشروع هو أسخف ما يمكن أن يتخيله الخيال من مشاريع • ومن الجائز على كل حال أن تكون أشد الأفكار شذوذا وأكثرها آغرابا وأعمقها ايغالاً في عالم الأوهام هي التي تفرض نفسها أكثر من غيرها على أناس من نوعه في ظروف كظروفه ، وتبدو لهم سهلة التحقيق • لقد قرر دمترى أن يذهب الى التاجر سامسونوف ، حامى جروشنكا ، ليمسرض عليه « صفقة ً » ويحصل منه فورا على الثلاثة آلاف روبل سلفة ً على الربح. كان دمترى لا يخامره شك في قيمة مشروعه من الناحيـــــة التجارية ،

وانما كان يتساءل كيف عسى يستقيله العجوز • وكان دمترى يعسرف المجوز وجهاً ، ولكنه لم يكلمه يوما حتى ذلك الحين • وكان مقتنعا منذ زمن طویل ، علی کل حال ، سواء أكان اقتناعه هذا خطأ أم صوابا ، بأن هذا المجوز الفاسق الذي وضع احدى قدميه في القبر منذ الآن ، لن يعارض في أن تبني جروشنكا لنفسها حياة شريفة بتزوج رجل ويستحق الثقة ، • كان يقول لنفسه : « أغلب الظن أن العجوز لن يرى أى ضير في هذا ، بل لعله يتمناه ويساعد في تحقيقه اذا عرضت الفرصة ٠٠٠ وكان يعتقد أيضا ، على أساس شائعات غامضة وعلى أساس أقوال أفلتت من جروشنكا ، أن سامسونوف يؤثره على فيدور بافلوفتش زوجاً للمرأة الشابة في المستقبل • ربعــا كان بعض قـراثي يرون أن حسابا كهذا الحساب من جانب دمتري ، وما عقد عليه النية من استلام خطبيته من يدى حاميها ان صح التعبير ، يدلان على أن دمترى فيدوروفتش يفتقر الى رقة الشعور وأناقة السلوك افتقارا شديدا ، وأنه امرؤ تخلو نفسه من وساوس الضمير خلواً عحماً • ولكنني أجب على هذا بقولي ان ميتيا كان يرى أن ماض حروشنكا قد دُفن إلى الأبد • لقد كان شقاؤه وسيقوطه يوقظان في نفسه شفقة عظمة ورحمة لا حدود لها • لقد دفعته حرارة الهوى الى الاعتقاد بأن جروشنكا ستمث بعثاً جديدا وتصمح امرأة جديدة متى صارحته بحبها وقررت أن تنزوجه ، وأنه سيبُعث هــو نفسه بعثاً جديدا ، فكون في وسعهما كلهما أن يدا حاة مرأة من كل اثم ، حياة كلُّها فضيلة : لسوف يغفر كل منهما لصاحبه أخطاء ، ويعشان حياة جديدة كل الحدة • أما كوزما سامسونوف فكان دمتري يرى أنه قد لعب في حاة جروشنكا ايان صاها دوراً مشئوماً و لاشك ، وأنه لم یحبها علی کل حال ، ولکن دمتری کان بری أیضا أن کوزما _ وهذا هو الأمر الأساسي ... قد « انقضي » هو أيضًا ، قلا يُحسب بعد الآن •

أضف الى ذلك أنه لم يكن يستطيع كبيراً فى اللحظة الراهنة أن يرى فى هذا العجود رجلاً ، فلقد كان معلوما فى المدينة أن كوزما ليس اليوم الا خرقة بالية ، وكان الناس لا يجهلون أنه لم تبق له بجروشــنكا الا علاقات أبوية ان صح التعبير ، وذلك منذ زمن غير قصير ، منذ ما يقرب من عام ، صحيح أن موقف مينا هذا فيه كثير من السناجة ، ولكن مينا كان على جانب عظيم من السناجة حقاً رغم جميع عوبه ، فكذلك كان يظن لبساطته أن المجوز كوزما الذى يشمر بأنه يوشك أن يبارح هذا العالم كان يحص بندامة صادقة على سلوكه مع جروشنكا؛ وأن جروشنك ليس لها فى هذا العالم فى هذه اللحظة صديق أشد اخلاصاً وأكثر تنزها من هذا الصور الذى أصبح الآن لا يُحتى منه أذى ،

ففى غداة الحديث الذى جرى بين مينا وألونا على الطسريق ،
ذهب ميسا الذى لم يغمض له جفن طسوال الليل ، ذهب الى منزل
سامسونوف فى الساعة العاشرة من العساح ، وأعلن عن نفسه ، المنزل
مبنى حزين المظهر ، عظيم الانساع ، له طابق فوق الطابق الأرضى ، وله
ملحقات كثيرة وجناح فى الفناء ، ان الطابق الأرضى يسكنه ابنا التاجر
المتزوجان ، وأخته الطاعنة فى السن ، وابنته التى لم تتزوج ، أما الجناح
الذى فى الفناء فيسكنه اتنان من مستخدميه فى تجارته ، أحدهما ذو
عائلة كبيرة ، ان أولاد سامسونوف وصده ، الذى كان يرفض حتى
بينما الطابق الأعلى وقف على سامسونوف وحده ، الذى كان يرفض حتى
أن تشاركه فيه ابنته ، ومع ذلك كانت ابنته هذه تعتنى به وترعاه ، وكان
عليها ، فى ساعة محددة ، وكلما ناداها ، أن تذهب اليه وأن تصعد السلم
عليها ، فى ساعة محددة ، وكلما ناداها ، أن تذهب اليه وأن تصعد السلم
عليها ، فى ساعة محددة ، وكلما ناداها ، أن تذهب اليه وأن تصعد السلم
مرض الربو الذى تشكو منه منذ زمن طويل ، ان الطابق الأعلى
الذى يسكنه المجوز يتألف من حجرات واسعة متنابعة ، مؤتنة على الطراق
الذى كان يجه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد
الذى كان يحبه التجار فى الماضى ، قد اصطفت على طول جدرانها مقاعد

متشابهة تقييلة من ختب الأكاجو ، وعُلَقت في سقوفها ثريات من الكرستال مجللة بأعلية ، ووضعت في زواياها مرايا قاتمة ، ان هذه الحجرات خالية من السكان الآن ، لأن المعجوز المريض أصبح لاينادر غرفة نومه الصغيرة التي تقع في آخر البيت والتي تخدمه فيها خادم عجوز تقمط رأسها دائماً بمنديل ، و ، صبي ، ينسام على دكة في الدهليز ، وقد أصبحت ساقاه المتورمتان لا تكادان تتيحان له أن يمشى ، فهو يكتفى بأن ينهض عن كرسيه بمساعدة الخادم المعجوز من حين الى حين ليسير بضع خطوات في الغرفة ، وهو قامي الطبع متجهم المزاج لا يتكلم الا قليلاً حتى مع هذه الخادم ،

فلما أُبلغ زيارة « الكابتن » ، رفض أن يستقبله في أول الأمر ؛ ولكن ميتا ألح أن يراه ، فسأل المعجوز الصبي هل يبدو على الزائر أنه سكران أو هل يظهر عليه أنه يسمى الى فضيحة • فقال الغلام :

ـ لا ٥٠٠ ما هو بسكران ، ولكنه لا يريد أن ينصرف .

فرفض المجوز مرة أخرى أن يُفتح بابه • ولكن مينا لم يفقد سيطرته على نفسه ولم يذهب صبره ، لأنه كان قد تنبأ بالأمر ، وتزود سلما بقسلم وورقة • فها هو ذا يكتب على الورقة • أن القفسية قفية مستمجلة تنصل بأجرافين ألكسندروفنا من كتب ، ويرسل الورقة الى التجر المعجوز • فكر ساسونوف بضع لحظات ، ثم أمر العسبى بادخال الزائر الى الصالون ، وأسرع يرسل الخادم المعجوز في الوقت نفسه الى ابنه الأصغر آمراً اياه أن يصعد اليه فورا ، فسرعان ما حضر الابن دون أن ينطق بكلمة • انه رجل طهويل القامة عريض الجسم قسوى قوة هرقلية ، حليق اللحية يرتدى الزى الألماني (أما ساسسونوف نفسه هرقلية ، حليق اللحية يرتدى الزى الألماني (أما ساسسونوف نفسه فكان يرتدى قفطانا وكانت له لحية) • ان جميم أفراد الأسرة يرتمدون

خوفا أمام الأب • ولقد استدعى العجوز ابنه القوى هـــذا لا خوفاً من الكابتن • فانه لا تموزه الشجاعة • ولكن ليكون هنالك شاهد • ذا لزم أن يكون هنالك شاهد • وها هو ذا يتسند على ابنه وعلى الصبى فيظهر أخيرا في عتبة الصالون كتلة "مائجة • وربما كان ينيفي أن تسسطتم بأنه كان يشمر بكتير من الاستطلاع والفضول •

ان الصالون الذي كان ميتيا ينتظر فيه هو غرفة واسمة كالحة ، من شأن مظهرها وحدم أن يقبض الصحدر ويهيء النفس للحزن ، وهي مزدانة بثلاث تريات كيرة مجللة بأغطية ، وسماط من اللوحات تصطف في القسم الأعلى من الجدران المصنوعة من مقلَّد المسرمر • كان مينيا جالساً على كرسي قرب الباب ينتظـــر أن يتقرر مصيره وهــو في حالة عصبة شديدة فلما ظهر العجوز في الباب المقابل له على مسافة عشرين مترا ، نهض فجأة وتقدم نحوه بخطى واسمة حازمة هي خطى جندي • لقد كان حسن الهندام ، يرتدى ردنجوتاً معقود الأزرار ، ويحمل بنديه قمة " مدورة ، ويلس قفازين سوداوين ، تماما كما كان قبل ثلاثة أيام في الدير عنــــد الشمخ أثناء لقائه بفــدور بافلوفتش وأخويه • انتظره المجوز واقفأ ، رصين المظهر وقور الهيئة ، وشعر ميتيا حين اقترب منه أنه كان يتفرس فيه ويفحصه بانشاء • وقد خطف بصره ما كان قد أصاب يـ وجه كوزما كوزمتش من تورم شديد منذ زمن • ان شغة كوفيعا السغلى، وهي شفة سيمكة ، تتدلى الآن تدلياً ، انحنى سامسونوف أمام ضفه صامتًا رصينًا ، وأشار له الى مقعد أمام كنية جلس عليها هو بتهالك بطيء مستندا الى ابنه مطلقا من صدره بعض الأنين • فسرعان ما شعر ميتبا أمام هذه الجهود الألمة التي يـذلها العجوز ، بعذاب الضمير من أنه ، وهو الشاب التافه ، قد أجاز لنفسه أن يزعج شخصية مرموقة كهذه الشخصية الكبيرة .

قال العجوز أخيرا بعد أن استقر على الكنبة :

ـ ماذا ترید یا سیدی ؟

وقد ألقى هذا السؤال بصوت بطىء قاس ، مجزئاً مقاطع كلماته، ولكنه ألقاد بلهجة مؤدبة مهذبة ه

ارتمش مينيا ، وأراد أن ينهض ، ولكنه عاد يعجلس فورا ، وبدأ شروحه متكلما بسرعة كبيرة وعصبية شديدة ، مكترا من الحسسركات والاشارات ، لأنه كان في حالة اهتياج عظيم ، فمن رآء أحس أنه أمام رجل اندفع الى آخر مدى يحاول أن يجد مخرجاً من مأزقه وأنه مستمد لأن يلقى نفسه في الماء اذا أخفق ، ولا شك أن المجوز سامسونوف فد لاحظ ذلك من أول نظرة ، ولكن وجهه ظل باردا هادئا رصينا مفاقا كأنه وجه تمثال ،

لا شلك أن كوزما كوزمتش المحترم جدا قد سمع عن منازعاتى مع أبى فيسدور بافلوفتش كارامازوف الذي سسلبني ميرائي من أمي المرحومة ١٠٠٠ ن المدينة كلها تلفط في هذا الأمر منذ زمن طويل ، لأن الناس هنا قد نمودوا هذه المادة البشعة وهي أن يهتموا بما لا يعنيهم ١٠٠ ولا شك أنك علمت من جروشنكا ــ معذرة ، أردت أن أقول أجرافين ألكسندروفنا التي أحترمها وأبجلها الى غير حد ١٠٠٠

بهذه الكلمات بدأ ميتا حديثه ، ثم لم يلبث أن اضطرب . على أننى لن أنقل هنا أقواله كلمة كلمسة ، وحسبى أن ألخص مضموعها الأساسى ، الكم ما ذكره دمترى : لقد ذكر أنه استشار منذ ثلاثة أشهر محاما من البندر (كان ميتا يتمعد أن يستعمل فى شروحه تمابير والعجة فى البيئة التى يتمى الها سامسونوف) ، قال :

- ذهبت الى بافل بافلوفتش كورنيبلودوف الشميه الذي لعملك

تمرفه يا كوزما كوزمتش ٥٠٠ هو انسان عريض الجبهة ٥٠٠ له ذكاء يشبه أن يكون ذكاء رجل دولة ٥٠٠ انه يعرفك أيضا ٥٠٠ وقد أثنى عليه ثناء عظيما ٥٠٠

هذا اضطرب مينا من جديد وأرتج عليه و ولكنه كان يثوب الى نفسه في كل مرة ، منتقلا الى فكرة جديدة بدون تدرج و عاد يقبول ان كورتيبلودوف هذا ، بعبد أن أصفى الى شروح مينا ، وخطسر في الأوراق التي وضعها بين يديه (لم تكن شروح مينا بعدد هذه الأوراق واضحة ، وانما هو مر على هذا الجزء من حديثه مرورا سريعا ، وأى ، فيما يتعلق بقرية تشرماتنيا ، وهي القرية التي كان يجب أن تثول اليه مع انني لم أستطع أن آخذ من هذا الرجل القاسى الا سبعة عشر ألف على المعجوز النذل ، وأن هذه الدعوى يمكن أن تضع المعجوز في مأزق صعب ٥٠٠ ولأن اجميع الطرق ليست مسدودة ، ولأن القضاء يعرف كيف يعجد الطريق التي تؤدى الى الهدف ، ؟ أى أن من المكن الحصول بهذه الوسيلة من فيدور بافلونتش على مبلغ يصل الى عشرة آلاف روبل من قبيل التعويض ، لأن تشرماتنيا تساوى في الواقع خمسة وعشرين ألف روبل حتماً ه

- ثلاثون ألف روبل ، ثلاثون ألف روبل يا كوزما كوزمتش ، مع اننى لم أستطع أن آخــ نمن هذا الرجل القاسى الا سبعة عشر ألف روبل ، تصور ! ولكننى آثرت أن لا أرفع دعوى، لأننى لا أفهم فى شئون المخاصمات شيئاً ٥٠٠ فلما وصلت للى هــــ نم المدينة رأيتنى ألاحق وأطار د (هنا اضطرب ميتا أيضاً وأسرع يقفز الى موضوع آخر) ٥٠٠ هل تقبل ، فى هنم الشروط ، يا كوزما كوزمتش المحترم ، أن أتنازل لك عن جميع حقوقى عند هذا الشيطان الرجيم ، على أن تدفع لى فى مقابل ذلك ثلاثة آلاف روبل فحسب ؟ ٥٠٠ انك لا تجازف بشي، على

الاطــــلاق ، أؤكد لك ذلك صــــادقاً ، وأحلف لك عليه بشرفي ٠٠٠ بالمكس : لسوف تُسردُ اليك هذه الثلاثة آلاف سنة أو سبعة ٥٠٠ وانما المهم أن تتم هذه الصفقة كلهـا « اليوم » • اننى مســـثمد لأن أوقع عقداً مسجلاً لدى الكاتب بالعدل ، أو شيئًا من هذا القبيل ٥٠٠ أى انني مستمد لكل شيء ٥٠٠ أعطيك الأوراق التي ستحتاج اليها ، وأتنازل لك عن جميع الحقوق التي تريدها ••• نبرم العقبد فوراً ، في هذا الصباح ان أمكن ، اذا كنت تستطيع ذلك ٥٠٠ ثم تعطيني الثلاثة آلاف روبل ٥٠٠ أنت الذي تعد أغني وجـــل في هذه المدينة ٥٠٠ وبذلك تنقذني وتهب لي فرصة تحقيق مشروع سام جداً نبيل جـــداً في الواقع ٥٠٠ فانني أضمر عواظف رقيقة لانسانة تعرفها أنت وتسهر عليها وترعاها رعاية الأب ابنته ؟ وما كان لى أن أجيء اليك لولا علمي بأنك قد أصبحت لها بمثابة الأب يحقًا • واذا شــئنا الدقة في التمبير وجب أن نقول ان رجالاً ثلاثة يتصادمون هنا ، لأن القدر قوة هائلة رهبية يا كوزما كوزمتش . فلنكن واقسين يا كوزما كوزمتش ، لنكن واقسين ! واذ انك أصبحت منذ زمن طويل لا تُحسب في عداد المتصادمين ، فلم يبق هنا لك الا خصمان يتنازعان • اننى أعبر عما بنفسي تعبيراً أخرق ، أنا أعرف ذلك ، ولكنني لست بأديب • المهم أنه لم يبق هنالك الا أنا من جهة ، وذلك الشيطان الرجم من جهة أخرى • فاختر الآن : أتختــــارني أنا أم تختار ذلك الشيطان ؟ كل شيء متسوقف عليك منسنذ الآن • انك تملك في يديك مصائر ثلاثة أشخاص ، وعليك أنت أن ترمى النرد فتفصل في الأمر٠٠ . اعذرني اذا رأيتني أرتبك ولا أحسن التعبير : ولكنك ستفهمني ولا شك. انني أرى من نظرات عينيك المحترمتين أنك ستفهمني ، فان لم تفهمني فلن يبقى لى الا أن ألقى نفسي في الماء ، هذا هو الأمر •••

قطع ميتيا حديثه الفسريب المدهش فجأة بمسد أن نطق بجملته

السخيفة تلك : « هذا هو الأمر » ، ونهض عن مكانه يوتبة واحدة يتنظر الرد على عرضه المضحك • لقد أحس على حين بفتة وهــو يختم تلك الجملة ، أن كل شيء قد ضاع الى غير رجعة ، وأنه قد ارتكب على وجه الخصوص حماقة كبرى • قال يحدث نفسه مفـــطرباً مرتبكاً منحيراً وغريب ! كنت حين وصولى أحس أن الفكرة رائمة ، فاذا هى لا تسفر في النهاية الا عن غباء ، وكان المجوز أثناء تدفق مينا في الكلام ، يحافظ على هدو، وضمه ، ويلاحظ محدثه وقد لاح في عينيه تعبر بارد برودة على هدو، وضمه ، ويلاحظ محدثه وقد لاح في عينيه تعبر بارد برودة اللح و فلما أنهى مينيا كلامه ، جمله المجوز ينتظر الجواب دقيقة ، ثم قال له بلهجة حازمة موشهة :

ــ متأسف يا سيدى ! اتنى لا أتعاطى أعمالا من هذا النوع • أحس ميتيا بساقيه تثنيان ! وتمتم يقول وهو يبتسم ابتسامة يرثى لهما :

۔ آسف ۲۰۰۰

لبث مينا جامداً ساكن النظمسرة ، ولكنه لاحظ عنسدند شيئا من الانفراج في عضلات وجه سامسونوف ، فارتمش وعاوده الأمل فعجأة ، قال المحوز :

قدمدم ميثيا يقول :

 ليس هذا الرجل من هنا ، وليس يقيم لآن في هذه المدينة أيضاه انه فلاح يتعاطى تجارة الخشب ، اسمه لياجافي ، وهو يتناوض منذ سنة مع فيدور بافلوفتش على ثمن الأشجار التي آن قطعها في قريتك تلك نفسها تشرماشنيا ، ولكنهما لم يتفقا على الشن كما لعلك تعلم ذلك ، وقد جاه الى المنطقة من جديد ، وهو يسكن الآن عند القس ايلنسكي في قرية ايلنسكي التي تبعد اتنى عشر فرسخا عن محطة فولوفيا ، وقد كتب الى في موضوع الأشجار هذه مستنصحاً ، وأحسب من جهة أخرى أن فيدور بافلوفتش يعتزم الذهاب اليه ، فاذا أنذرت فيسدور بافلوفتش وعرضت على لباجافي ما عرضته على "الآن ، فمن العبائر أن ، ه.

فقاطعه مشا قائلاً بحماسة :

ــ ولكن هذه فكرة عقرية ! ذلك هو الرجل الذى أنا فى حاجة اليه ؟ هذه الصفقة صفقته ! انه يساوكم على السعر ، ويُعلمب منه مبلغ باهلك تمناً لأشجار يقطمها ، فاذا هو يجد بين يديه أوراقا تجمله مالكاً للمنطقة بأسرها ! هاهاها ! هههه

انفجر مينا يضحك ضحكته الصفيرة الجافة على نحو لم يكن فى حسبان المعجوز ، فلم يملك المجوز الا أن يرتمش قليلا ه

واستأنف مبتيا كلامه قائلا وهو يغلى ويفور أملاً :

ـ كيف أشكر لك جميلك يا كوزما كوزمتش ؟

فقال سامسونوف وهو يحنى رأسه :

ـ لا داعى الى الشكر •

ــ أوه ! انك لا تعلم ٥٠٠ لقد أنقذتنى من اليأس ٥٠٠ قلبى هو الذى هدانى اليك ٥٠٠ والآن ، الى ذلك القس !

_ لا داعي الى الشكر •

ــ اننى ذاهب الى هناك ! سأركض الى هناك ركضاً ! لقد أسرفت فى الاستفادة من لطفك وذوقك وكياستك ، بينما أنت مريض موجع. أوه ! لن أنسى جميلك ما حبيت ، ان روسياً هـــو الذى يعدك بذلك ، رو . • سياً . • •

۔ طیب ہ

أراد ميناً أن يمسك يد العجوز ليصافحها شماكراً معنناً ، ولكنه لاحظ وميضا خبيثا في عيني العجوز في تلك اللحظة ، فأمسك فمورا ، وأرخى يده ، غير أنه سرعان ما لام نفسه على سوء ظنه ، وقال لنفسه : « لا بد أن يكون متبا « • « » ، وهتف يقول بصوت مدو :

ـ هذا من أجلها يا كوزما كوزمتش ، هذا في سبيلها !

ثم حيّا المعجوز بانحناء ، واستدار ، واتجه تحسو الباب بعظى واسعة دون أن يلتفت بعد ذلك ، كان ينبض حماسة ، قال لنفسه ، وظنت أن كل شيء قد ضاع ، ولكن ملاكي المحارس أتقذيي ، فعين يدلني رجل خير من رجال الأعمال على هذا الطريق (ما أنبل نفسه ، وما أعظم مهابته !) ، فعمني ذلك أنني ربحت القضية ، ١٠٠ ما ينبغي أن أضبع دقيقة واحدة ، سأذهب الى مناك حالاً ، ثم أعود قبل المليل ، ١٠٠ نمس قبل المليل ، ١٠٠ أن المعجوز لا يمكن أن يكون قد سخر منى على كل حال ! ، ، بذلك كان مينا يحدث نفسه أو يتجه الى بيته ، ولم يكن يمكنه في الواقع أن يتعسور الا أحد أمرين لا ثالث لهما : قاما أن المسألة مسألة حل مضمون يوسى به رجل أمرين لا ثالث الهما : قاما أن المسألة مسألة حل مضمون يوسى به رجل

له خبرة ساسونوف الذي كان على علم بالموقف وكان عدا ذلك يعرف ليجافى هذا ... يا له من اسم غريب ! ... واما أن العجبوز قد سخر منه وضحك عليه ! والحق أن هذا الافتراض الثانى كان هو الصحيح • لقد ظل العجوز سامسونوف زمناً طويلا بعد وقوع الكارثة يضحك كلما تذكر أنه دبير مكيدة لهذا • الكابتن • • ان سامسونوف انسسان سى • العلوية تسى القلب ساخر النفس ، كثيرا ما يخالط الكره في نفسه مرض • ترى هل فعل ذلك بسبب ما رآه عسد مينا من حماسة شديدة وحميا عظيمة واعتقاد ساذج بأنه ، هو سامسونوف ، يمكن أن تنطلى عليه هذه المروض الخداعة تصدر عن رأس محموم و « سلة متقوبة ، من هذا المروض الخداعة تصدر عن رأس محموم و « سلة متقوبة ، من هذا المروض الخداعة تصدر عن رأس محموم في نفس أنبل مشروع جاهذا « الولد الطائش القاجر ، يسأله المال باسمها من أجل مشروع بخف مضحك ؟ لا أدرى أى الدافيين فعل في نفس الشيخ حين كان مجنف مضحك ؟ لا أدرى أى الدافيين فعل في نفس الشيخ حين كان مبيا يقف أمامه شاعرا بانتاء ساقيه هاتفا في غباء أنه هلك ! المهم أن منسووف انما ألقى عليه في تلك اللحظة نظرات خيشة وقرر أن يضحك عليه ويسخر منه •

وما ان انصرف منيا حتى النفت كوزما كوزمتش الى ابنه ، وقد نحب لونه من شدة الفضب ، فأمره بأن يفعل كل ما يعجب فعله حتى لا يستطبع هذا الشاب الرت أن يظهر في منزله مرة " أخرى في المستقبل وأن لا يُسمح له بدخول الفناء ، والا ٥٠٠

ولم يكمل كوزما كوزمتش تهديده ، ولكن ابنه ارتمد خوفا ، رغم أنه سبق أن رآه غاضبا مرات كثيرة ، وظل السجوز بمسد ذلك ساعة كاملة فريسة حنق شديد يرتمش منه جسمه كله ، حتى اذا جاء المساء أحس ً بألم وومن ، فنادى المرتض الذي يجرعه أدويته ،

۲ لياجــــافي

كذلك كان يردد مينيا على نفسه • ولكنه لم يكن قد بقى مصه مال لاستئجار خيول • ان فى جيبه بضمة قروش ء فذلك كل ما بقى له من سسنى الثراء التى عاشها ! لكنه تذكر أن عنده فى البيت

ساعة تديمة من فضة ، متعطلة منذ زمن طبويل ، فحملها الى تاجسر ساعات يهودى ، له دكان قرب السوق ، فاشتراها منه هذا التاجر بسستة روبلات ، هتف مينا يقول لنفسه متحمسا : دلم أكن آمل أن أحصل على هذا المبلغ كله ! ، (أصبحت حماسة مينا لا تفتر !) ، وعاد الى مسكنه بالمبلغ مسرعا ، وأكمله باقتراض ثلاثة روبلات من أصحاب الدار التي يقبر فيها ، ولقد قبل أصحاب الدار أن يقرضوه راضين مسرورين ، يقبر أنهم كانوا هم أنفسهم في عسر، وذلك لأنهم يجونه كنيرا، وأبلغهم مبنا ، وهو على ما هو عليه من فرح طافع ، أن مصيره سيتقرر ، وشرح مبنا ، وهو على ما مو عليه من فرح طافع ، أنن عصيره سيتقرر ، وشرح والقرار الذي التخذه سامسونوف ، والآمال التي أشرقت في نفسه ، النع وكان هؤلاء الناس الطبيون على علم سابق ببعض أسراره ، وهذا هو السبب في أنهم كانوا يعدوته واحدا منهم ، فهو « سيد » لا يتكبر ولا السبب في أنهم كانوا يعدوته واحدا منهم ، فهو « سيد » لا يتكبر ولا يتمالى ، فلما أن جمع مينا تسمة روبلات على هذا النحو ، أمر بخيول

للسفر الى فولوفيا • ولكن هذا ألَّف واقعة نابتة ّ ستُذكر فيما بعد : • فى عشية الحادثة ، لم يكن ميّيا يملك قرشاً واحداً ، حتى لقد اضطر ، من أجل الحصول على شى• من المال ، أن يبيع ساعته وأن يستدين ثلاثة روبلات من أصحاب الدار ، وذلك كله تشهد به شهود • ، •

انني أذكر هنا هذا الظرف لذي لن تظهر خطورة شأنه الا فيما يعد ه

كان مينا ، أثناء الطلاق الخيسول به الى فولوفيا بسرعة ، مشرق الأمال متهلل النفس ، كان يتنبأ فسرحاً بأن « جميع هسف النشون » سسوًى أخيرا ، ومع ذلك كان يقلق ويرتش خوفا في بعض اللحظات حين يتسامل ما عسى تصير اليه جروشنكا أثناء غيابه ، هبها فررت في ذلك المسساء نفسه أن تذهب الى فيسدور بافلوفتش ؟ انه بسبب هذا الانتراض انما قرر أن لا ينبئها بأمر سفره ، كما أنه أمر أصحاب داره أن لا يكشفوا لأحد عن المكان الذي سافر اليه اذا هم سئلوا عن ذلك ، «يجب أن أعبود قبل هبوط الليسل ، مهما كلف الأمر ، مهما كلف الأمر ، وتهزه هزآ قويا ، وكان يحدث نفسه أثناء تسجله المحموم هذا قائلاً : هأما لباجافي هذا ، فسوف أعود به معى ، لابرام المقد ، ولكن حلمه لن يتحقق على ما رسم له من « خطط ، واأسفاه !

فهو أولاً قد وصل متأخراً ، لأنه سلك ، ابتداء من فولوفيا ، طريقا من الطرق التي تصل بين القسرى الصخيرة ، فلم يقطع التي عشر فرسخاً بل ثمانية عشر ، ثم ان القس ايلنسكي لم يكن في بيته لأنه كان قد ذهب الى ضيعة مجاورة ، فلما عثر عليه ميتيا أخيرا في تلك الضيعة التي تابع طريقه اليها بعنبوله المكدودة المنهوكة ، كان الليل قد أوشسك أن يهبط ، وسرعان ما ذكر له هذا الكاهن ، وهو رجل لطيف خجول

المظهر ، أن لياجافي قد نزل عنده فعلاً في أول الأمر ، ولكنه يقيم الآن في سوخوي بوزيولوك ، وأنه سببيت هذه الليلة في عزبة حارس الحراج لأن له أعمالاً يجب أن ينجزها هناك • فنوسل اليه ميتيا أن يصحبه فورا الى لياجافي وأن « ينقذه ، بذلك ، فتردد القس في أول الأمر ، لكنه وافق أخيرا على أن يرافقه حتى سوخوى بوزيولوك ، وكان واضحا أن الفضول هو الذي دفعه الى هذه الموافقة ، ومن سوء الحظ أنه نصيسح بقطع الطريق سيراً على الأقدام ، لأن المسافة لا تزيد على فرسخ واحد أو و أكثر قليلاً ، • وكان طبيعيا أن يقبل مينيا هذا الاقتراح ، فأخـــٰد يسير بخطى مديدة على عادته في السببير ، فكان الكاهن العاثر الحفظ مضطراً :لي أن يماشيه راكضاً أو شبه راكض • ان هذا الكاهن رجل ما يزال غض الاهاب ، وهو في أحاديثه شديد التروى والتعقل والحذر • وسرعان ما أطلعه ميتيا على مشاريعه ، عرضها له بحرارة وسأله بعض النصائح في أمر للجافي ، بالحاح عصبي ، وظل يتكلم على هذا النحو طول الطريق • فكان القس يصمحني الى كلامه بانتباء ، ولكنه كان خسنيناً « لا أعلم ، مع لأسف • أنتَى لى أن أعلم ! » • ولما حدثه ميتيا عن نزاعه مع أبيه في موضـــوع الميراث ، ذعر القس ، لأنه كان مرتبطاً بفيدور بافلوفتش من بعض النواحي فيما يبدو ؟ ومع ذلك سأل ميتيا عن سبب اطلاقه اسم لياجافي على هذا الفلاح جور سكين ، وذكر له أن هذا الفلاح لا يسميه أحد بهذا الاسم رغم انه اسمه فعلاً ۽ لأنه يستاء استياءً شديداً من مناداته بهذا الاسمام ، وانه لا غنى عن مخاطبته باسم جورسكين « والا فلن تفلح معه في شيء ، بل ولن يسمع لك » · بهذه العبارة ختم القس كلامه ، فدهش ميتيا قليلاً ، وأجاب بأن هذا الاسم هو الاسم الذي ذكره له سامسونوف نفسه. فلما سمع الكاهن ذلك أسرع يغير ّ الحديث.

ولعله كان يحسن صنعاً لو أفصح لمينيا عن الشك الذي راوده والشبهة التي خطرت بباله : لئن أرسله سامسونوف الى هذا الفلاح مطلقاً عليه اسم للجافى ، فمن الحيائز جيدا أن يكون قد فعل ذلك سيخراً به وضحكاً علمه ؟ ولا بد أن يكون في الأمر شيء د يعرج ، على كل حال • ولكن ميتيا لم يكن في وقته متسع للتلبث على « مثل هذه السفاسف » •فهو يخذ^{تم} السير ويمشى بخطى مديدة ، ولم يدرك أن السافة التي قطعها ليست فرسخاً ولا فرسخاً وتصف فرسخ ، بل ثلاثة فراسخ على الأقل ، لم يدرك ذلك الاحين وصل الى سوخوى بوزيولوك • ومع ذلك كبع جماح غضبه وسمسطر على حنقه • ودخل الرجلان العزبة التي كان حارس الحراج ، وهو رجل يعرفه القس ، يشغل نصفها ، بنما كان نصفها الثاني الذي يفضل لأول عناية" وصانة" والذي يفصله عن النصف الأول دهلز ، موضوعاً تحت تصرف جورسكين ؟ ومضى الرجلان الى جورسكين رأساً بعد أن أشملا شمعة " • كانت الغرفة مدفيّاًة " تدفئة شديدة ، وعلى مائدة من خشب السنديان يُرى سماور منطفىء وصسنة وفناجين وزجاجة « روم » فارغة وابريق ما يزال فيه بقايا خمــــر ، وكسرات خز ّ • أما لباجائي فكان مستلقا على دكة ، قد لف سترته واتخذها وسادة ، وكان يشخر شخيراً ثقالاً • نظر الله منا متحيراً ، ثم قال في قلق :

_ يحب ايقاظه طبعا ! ان القضية التي جئت من أجلها ملحة ، وأنا

فى عجلة من أمرى ، لأن على ً أن أرجع فى هذا اليوم نفسه . صمت النس والحارس ولم يقولاً رأيهما · واقترب ميتيا من النائم

وأخذ يحاول ايقاظه ، فكان يهزء هزاً قوياً ، ولكنه لم يظفر بشىء ؟. ولاحظ بعد برهة أن الرجل سكران ، فقال :

ـ هو سكران ، فماذا عساى أصنع ؟ ما عساى أصير ؟ يا رب ! واذ بلغ الذروة من نغاد الصير ، شد الشاخر من ذراعيه ، ثم شده من ساقیه ، ثم انهض رأسه ، ثم أجلسه على الدكة ، فلم يسستطع أن يستطع أن ينتزع منه بعد جهود طويلة الا بضع دمدمات تتخللها شتائم مقذعة رغم اضطرابها .

قال القسى أخيراً:

ــ خير لك أن تنتظر ، فما هو في حالة تمكنه من المناقشة •

وقال الحارس :

_ لقد ظل يشرب طول النهار .

فصاح ميتيا يقول :

_ آه ! يا رب ! لو علمتما مدى حاجتى اليه ، وفي أي ظرف أنا ! ...

قال القس:

ـ لا حيلة في الأمر ، لا بد من الانتظار الى صباح غد .

ـ الى غد ؟ انك لا تفكر في الأمر ! هذا مستحيل !

واشتد به الكرب فأراد أن يهز السكران من جديد ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك ، لأنه أدرك أن جهوده عبث لا فائدة منه ، وقد صمت القس فأصبح لا يقول شيئاً ؟ أما الحارس فكان شديد النماس فسكت كذلك كالع الوجه عابس الهئة ،

قال ميتيا وقد بلغ أوج الحيرة والاضطراب:

الحياة تهيء للانسان في بعض الأحيان مهاذل فاجعة مكية من هذا النوع!

وكانت قطرات من العرق تسيل على جبينه • وانتهز القس لحظة هدنة وهدوء فأوضح كيف أن ايقاظ النائم لن ينفع في شيء ، الأنه لن يكون قادرا على المناقشة وهو فيما هو فيه من سكر شديد • وختم القس كلامه قائلا :

_ وما دام الأمر الذي جئت من أجله هاماً ، فالأفضل أن ترجئه الى الصباح •

فوافق مينيا على هذا الاقتراح وهو يحرك ذراعيه معبراً عن العجز. قال :

ـ طيب يا أبى • سأبقى هنا مع التسمعة أرقب اللحظة المواتية ، فمتى استيقظ كلمته •

وأضاف يقول ملتفتاً نحو الحارس :

_ وسأدفع لك ثمن الشمعة ، وسأدفع لك أيضا أجر قضاء الليلة هنا • سوف تتذكر دمترى كارامازوق •

ثم عاد يخاطب النس فسأله :

ــ ولكن أين تنام أنت يا أبي ؟

فأجابه القس بقوله :

_ الأمر بسيط • أعود الى بيتى •

وأضاف يقول مومثًا الى الحارس :

سيعيرنى فرسه ٥ والآن نهمت مساء ٥ أرجو لك التوفيق كله٥
 وذلك ما كان ٥ عاد القس الى بيته على الفرس ٢ سعيدا بخلاصه
 من متيا ٥ وكان في أثناء الطريق يحرك رأسه قلقاً بعض القلق ٢ متسائلا

ألا يحسن به أن يبلغ فيدور بافلوفتش أمر هذه القضية المجيبة منذ الفدء قائلاً لنفسه : « انه اذا علم بالأمر لسوء الحفك ، فقد يغضب منى فيمنع عنى خيرانه • » • أما الحارس فقد حكّ رأسه وعاد الى غرفته دون أن ينطق بكلمة •

جلس ميتيا على الدكة مترقباً اللحظة المواتية كما قال ، وقد هبط عليه حزن عميق شمله كضباب كتيف • وأراد أن يفكر وهو على ماهو عليه من ارهاق شديد وكرب لا حدود له ، ولكن أفكاره كانت تتهرب•

ان الشمعة تذوب ببط ؟ وهذا جدجد يننى في مكان ما ؟ والهوا، قد أصبح خانقاً في الفرقة المدفأة تدفئة زائدة • وفجأة ترامّت لخيال ميتيا حديقة أبيه ، والممر الذي يقع خلف الحديقة ، وتراءى له باب يُفتح خلسة "في المنزل ، وتراءت له جروشنكا تتسلل من الباب ••• فاذا هو يثب عن الدكة واقفاً! •••

دمدم يقول وهو يصرف بأسنانه :

_ يا للمأساة!

ثم دنا من النائم بخطوات آلية ، وأخذ ينفرس في وجهه ، انه فلاح نحيل ما يزال شابا ، شديد استطالة الوجه ، مضفور الشعر ، لذقنه لحية طويلة رقيقة ، يرتدى قميصا هنديا وصديرة سوداء تندلى من جيبها سلسلة ساعة من فضة ، تأمل ميتيا وجهه ، فشعر بكره شديد لهذا الرجل ، وأحقته ضفائره خاصة ، لا يدرى لمساذا ! وبدا له أنه أمر لا يطاق ، أمر مذل مهين أن يكون عليه ، هو ميتيا الذي جاء لأمر مستمجل هام ضحى في سيله بكل شيء ، أن يكون عليه أن ينتظر هنا ممز قل القلب هما ، بينما هذا الكسلان ، الذي ينوقف عليه مصيرى في هذه الساعة ينط في النوم كأن شتا لم يكن ، وكأنه على كوكب آخر ، ،

صاح مينا يقول فجأة :

ـ آه ٢٠٠٠ أيا لسخرية القدر !

وطائل سُوابة فهجم على الفلاح السكران مرة أخرى يريد أن يوقظه • انه الآن حاقد عليه فها هـــو ذا يهزه بكل ما أوتى من قوة ، وما هو ذا يصدده ، بل ها هو ذا يضربه • ولكن جميع جهوده ذهبت سدى ! فلما رأى بعد خمس دقائق من الجهود الضائمة أنه لا سبيل الى الماظة ، عاد الى مكانه وجلس شاعراً باضطراب عاجز وهو يكرد قوله :

_ يا للسخف! يا للفياء!

ثم اذا هو يضيف الى ذلك فجأة دون أن يعرف لماذا :

ـ يا للذل أيضًا! يا للمار!

وأخذ يتسعر بصداع رهيب في رأسه ، وتساءل لحظة : « أأعدل ؟ أرجع ؟ ، ولكنه أجاب يقسول : « بل سأتظر الى العسباح ، سأبقى خصيصا ؛ خصيصا ! سيستحق الأمر أن أكون قد جثت الى هنا ٥٠٠ ، ما عساى أفعل لأرحل بغير خيل ؟ أوه ! ما أسخف هذا كله ! ٥٠٠ ، وكان صداع رأسه ما ينفك يشتد أثناء ذلك ، وظل ساكناً جامداً دون أن يلاحظ النماس الذي كان يستولى عليه شيئا بعد شيء ، ونام آخر كان يشعر بألم فغليع في الرأس ، ألم لا يطاق ، حتى ليوشك ميتا من كان يشعر بألم فغليع في الرأس ، ألم لا يطاق ، حتى ليوشك ميتا من فرط شدته أن يصرخ ، كان صدغاه يطنان طنينا ، وكان يحس بوجع في القذال ، فلما فتح عنيه لم يستطع أن يسترد حواسه ، واقضت برهة طويلة قبل أن يفهم ما به ، ثم أدرك على حين فعبأة أن الغرفة المسدفة تدفقة زائدة تمتلى ، براقحة قوية هي رائحة فحسم محترق ، وأنه كاد يمورت اختساقا ، وكان السكران ما يزال يفسط في تومه على الدكة ،

وكات السمة التى اتصهرت انصهارا تاما نهم أن تنطفى، • صرخ مينا وأسرع الى غرفة الحارس مترنج الخطى • فسرعان ما استيقظ الحارس، ولكن لم يبد عليه أنه انفعل كثيرا حين علم بما حدث ، وانما مضى يتخذ الاجراءات اللازمة ببرودة وقلة اكتراث ، فدهش مينا من ذلك حتى كاد ينفجر غضبا • وصاح يقول مضطربا اضطرابا شديدا :

_ لقد مات ، مات •••

فتُسح الباب ، وفتحت نافذة ، ودخل الهسواء الى الغرفة ، ونظفت مدخنة المدفأة المسدودة ، ومضى مينيا فجساء بقادوس ماء فأغطس فيه رأسه ، ثم تناول خرقة فبللها بالماء ووضمها على جبين لياجافى ، فكان الحاوس ينظر اليه أثناء ذلك هادئاً هدوءاً يوشك أن يشتمل على احتقار ؟ وقال بلهجة متجهمة بعد أن اكتفى بفتح نافذة :

_ هذا كاف •

ثم رجع الى غرفته ينام ، تاركا لمينيا سراجاً مستملاً ، ظل مينيا يتحرك قرابة نصف ساعة الى جانب السكران الذي يوشك أن يكون مختقاً ، وظل يجد د له الكمادات المبتلة مرة بعد مرة ، وقرر أن يستمر على هذه الحال حتى الصسباح ، ولكنه جلس ليستريح لحظة قصيرة ، فسرعان ما أغمض عنيه ، واضطجع على الدكة دون أن يلاحظ ذلك ، ولم يليث أن نام على القور نوماً شميلاً ،

فلما استقفل كان الوقت ضحى ، لقد دف السماعة التاسمة ، والشمس تسطع من خلال نافذي الغرفة الصغيرين ؟ والفلاح المشغور الشمر قد ارتدى ثمايه كاملة ، وجلس الى المائدة التي كان عليها سماور جديد وابريق خمر جسديد قد أقرغ نصفه منذ الآن (كان الابريق الأول فارغاً ليس فيه قطرة واحدة) ، فنهض مينا بوقية واحدة ، وأدرك

منذ النظرة الأولى أن الفلاح اللمين قد سكر من جديد ، وأن سكره سيكون في هذه المرة عميقا لا برء منه ولا علاج له ، ظل مينيا يحدّق الى الفلاح دقيقة محملق العينين ، أما الفلاح فكان يلاحظ مينيا صامتًا، بشيء من الخبث والمكر ، الى هدو، مهين ، بل والى ثقة مستخفة محتقرة، فما بدا لمتنا ، قال له منيا :

معذرة ٥٠٠ أعتقد ٥٠٠ لا بد أن حارس الحراج قد أخبرك ٥٠٠ أنا الليوتنان دمترى كارامازوف ، ابن المعجوز كارامازوف الذي تغاوضه في أمر ثمن أشجار الغاية ٥٠٠

فأجابه الفلاح يقول بيقين هادىء وثقة كاملة مقطعا كلامه :

ـ أنت تكذب ! هذا غير صحيح !

ـ كيف ؟ أنا أكذب ؟ انك تعرف فيدور بافلوفتش مع ذلك !

فقال الفلاح رخو َ الفم :

ــ أنا أجهل من هو فيدور بافلوفتش !

سد كيف هذا ؟ لقد ساومته على ثمن أشجار الفابة التي ستقطع • هلاً استيقظت أخيراً ؟ هل ثبت الى رشدك ! ان الأب بولس ايلنسسكى هو الذي جاء بى الى هنا • تذكر ••• ولقد كتبت أنت الى سامسونوف، فأرسلنى سامسونوف اللك •

كذلك قال ميتيا لاهثاً مختنقاً • فعاد لباجافي يقول له :

ــ أنت ٥٠٠ تك ٥٠٠ لمس ٥

فأحس ميتيا بقشمريرة باردة في ظهره •

ــ أرجوك ! ليس الأمر مزاحاً • لعلك سكران قليلا • حاول أن تتكلم جاداً ••• افهمني •• أو •• أو •• أصبحت لا أفهم ! _ أنت صبَّاغ ! هذه هي مهنتك !

أخذ الفلاح يلاعب لحيته بوقار ورصانة • ثم قال :

قال ميتيا محتجاً وهو يعقف ذراعيه كمداً ويأساً :

ــ أَوْكَدُ لِكُ أَنْكُ مَخْطَىءً !

عندئذ أغمض الفلاح عينيه نصف اغماض ماكرا ، وهو ما يزال يلاعب لحيته ، ثم قال :

تفهتر مبنيا وقد أغلمت نفسه اظلاماً تسديدا و وعدند برقت في دخمه فكرة مفاجئة ، و كأن أحداً ضربه على جبينه ، ، كما روى همو ذلك فيما بعد و لقد اتضع كل نبى و فكره الآن و « كان ذلك الهاماً مباغناً ، فأدركت كل شيء ، و تسامل مبنيا ، مذهولاً ، كيف أمكن أن يُساق الى يُساق ، كيف أمكن أن يُساق الى وضع سخيف هذا السخف ، وكيف أمكن أن يندفع في مفامرة كهذه المنامرة ، وأن يستمر فيها قرابة أربع وعشرين ساعة ، وأن يستمل نفسه بلياجافي هذا واضعاً على جبينه كمادات مبللة و وه و انه سكران ، سكران ، سكران

سكراً فظيماً ، وسيظل يشرب على هذا النحو أسبوعاً بكامله ٥٠٠ فعلام أتنظر مزيدا من الاتنظار ؟ وماذا اذا كان سامسونوف قد ســـخر منى وضحك على بارسالى الى هنا ؟ وماذا اذا هى ٥٠٠ أثناء هذه المدة ٥٠٠ قد ٥٠ آه ٥٠ يا رب ! ماذا صنعت بنفسى ؟! ٥٠ » ٥

كان الفلاح ينظر البه هادًا ضاحكًا • فلو قد كان متبا في ظرف غير هذا الظرف اذن لانقض على هذا الأبله حانقاً فصرعه ، ولكنــه كان يشعر في تلك اللحظة أنه ضعف كطفل • فها هو ذا يتجه نحو الدكة بخطى بطيئة ، فيرتدى معطفه ، ويخرج من الغرفة دون أن يقول كلمة ، واحدة • ولم يعجد حارس الحراج في الغرفة الأخرى ، فتناول من جمه خمسين كوبكا فوضعها على المتضدة ثمناً للشمعة وأجراً للمبت وتعويضا عن الازعاج • وخرج من العزبة ، فوجد نفسه في قلب الغابة دون أن يكون هناك شيء يمكن أن يستهديه في معـــرفة طريقه ؟ فسار على غير هدى ، لأنه لم يتذكر حتى الجهة التي جاء منها ، فلم يعرف أيتجه يمنة " أم يتجه يسرة حين يخرج من منزل الحارس • انه لم يلاحظ الطريق في الليلة البارحة من شدة تعجله • وهـــو الآن لا يشعر بأية رغبة في الانتقام ، حتى ولا من سامسونوف • انه يسير في ممر النابة الضبق ، خاوى الرأس زائغ النظرة ، كأنه يبحث عن « فكرة ضائعة » ، ولا يهمه أن يعرف الى أين كان ذاهبا! ان في وسع طف صديد أن يقلبه على الأرض في تلك اللحظة بسهولة ، من فرط ما كان يعاني من ارهاق جسمي وننسى مماً • ومع ذلك خرج أخيرا من الغابة ، فوجد نفسه فحأة أمام حقول محصودة عارية تنسط على مدى النصر • قال في نفسه وهو مايزال يسير قدماً دون أن يلوي على شيء : « كأن النَّس والموت قد مرًّا بهذا الكان! . .

وأنقذه فلاحون • ان عربة تنقل تاجراً عجـــوزاً كانت تسير على

طول الطريق الذي يصل بين قرى صغيرة • فلما بلفت المربة سأل حوذيتًها عن الدرب ، فاتفق أن كان الحوذى ذاهبا الى فولوفيا أيضا • وسرعان ما تم الاتفاق بينه وبين الحوذى ، فركب مينيا الى جانب السافر منيا على حين فجأة ، بعد أن أمر بخيل تقله الى المدينة ، أنه يكاد يموت جوعاً ؛ فيبنما كانت المخيل تقرن ، أمر لنفسه بعليق من عجة التهمه التهاما مع قطعة كيرة من الخيز ، نم انقض على سجق وجده جاهزاً ، وشرب ثلاث أقداح صغيرة من الفودكا • حتى اذا استرد بذلك قواه ، شسمر بتحدد شحاعته ، واستعاد صحو ذهنه •

الخيل تجرى ، وميتا يحض الحسودى على مزيد من السرعة ، ويهيء في الوقت نفسه د خطة ، جديدة ، خطة ، و لا تخطيء ، في هذه المرة ، من أجل الحصول على د هذا المبلغ اللمين ، قبل نهاية ذلك اليوم. هغف يقول مشمئزاً اشمئزازاً عميقا : « كيف يمكن أن يهسوى مصير انسان بسبب هذه ، اللات آلاف روبل الحقيرة ؟ • لأجدنتها في هذا اليوم نفسه ! ، • وكان يمكن أن يجعله هذا التصميم سعيدا ، لولا أن التفكير في جروشنكا كان يحاصره • « ما الذي صارت اليه ؟ ماذا حدث لها ؟ هن مذا السؤال يعلمه في كل لحظة كشفرة مسنونة • ووصلت العربة أخبرا ، فأسر ع متنا الى جروشنكا وأساً •

۳ مناجمالذهب

هذه الزيارة انما تحدثت جرونسينكا الى راكبتين مذعورة • كان قد سرَّها ، وهي تنتظر الرسالة التي يعرف القاريء أمرها ، أن ميتبا لم يظهــر منذ يومين ، وكانت تقول لنفسها انه قد لايجي. قبل رحيلها باذن لله • ولكنه ظهــر على حين فجأة • والقارىء يعــرف التتمة، يعرف كنف تعللت له بضرورة ذهابها الى كوزما كوزمتش حالاً، «لاجراء بعض الحسابات» ، وكيف رجته أن يرافقها ، وكيف استقطعته على نفسه وعداً ، حين تركته أمام منزل التاجر العجوز ، بأن يحيء في منتصف الليل لاصطحابها إلى منزلها • وقد سعد منتا بهذه التسوية ، قال لنفسه : « ما دامت ستقضى السهرة عند كوزما كوزمتش ، فلن تذهب الى فيدور بافلوفتش » ، ولم يلبث أن أضاف يحدث نفسه قائلاً : « اللهم الا أن تكون كاذبة • ، ولكنه كان يعتقد بأنها صادقة • انه ينتمي الى تلك الفئسة من الفيورين الذين يتخيلون أفظع الأشياء متى ابتعدوا عن المسرأة المحبوبة ، ويعانون عذاباً رهباً من تصور « خانتها ، لهم أثناء غيابهم • ولكن ميتيا كان متى التقى بعبروشنكا مرة أخرى مضطرباً قلقاً يائسكا معذب النفس من يقينه بأنها خانته ، لا يلبث أن يسترد شجاعته حين يرى وجهها الفــــاحك الرقيق المرح ، فاذا هو يطرد من فكره كل شيء ، ويُشعر بالخجل من غيرته ، ويلوم نفسه على قلة الثقة .

بعد أن قام مينيا بمرافقة جروشنكا الى منزل سامسونوف أسرع يعود الى بيته • ان هناك مسائل كتيرة بقى عليه أن يحلها قبل حلول الفد! وكان يشمر على الأقل بأن حملاً تقيلاً قد انزاح الآن عن صدره، غير أنه لم يلبت أن قال لنفسسه : « ينبغى لى أن أسأل سمردياكوف ، بأقصى سرعة ممكنة ، هل حدث شى فى الليلة البسارحة ، هل ذهبت جروشنكا الى فيدور بافلوفتش أمس ؟ » • هكذا اشتعلت الضيرة فى قلبه الممذب من جديد تمقيل أن يتسم وقته للمودة الى بيته •

النيرة ! • ليس عطيل غيورا ، انه وائق ، ، كذلك قال بوشكين • ان هذه الملاحظة البسيطة تشهد بعمق عقرية شاعرنا القومى • ان ما عاناه عطيل من قلق النفس واضطراب الأفكار ناشى، عن انه • فقد ايمانه بمثله الأعلى ، • ولكن عطيل ما كان له أبداً أن يرخى لنفسه هوان المرابطة في مكان ما من أجل أن يتجسس ويترصد ويترقب : انه أكثر تفة من أن يفعل ذلك • بالمكس : كان لا بد من دقعه ومن تقديم البراهين له ، ومن تحريضه بالأدلة الدامفة لحمله على تصسور الطيانة • ولا كذلك النيور الحق • لا يستطيع المرء أن يتخيل مدى ما يمكن أن يهوى البه مني معذا أن الفسورين أناس يتصفون بحقارة النفس حتما و لا • • وب رجل نبيل القلب تقي الحب مخلص العاطفة ، يرتخى مع ذلك أن يختبى • تحت السرر ، وأن يرشى أناساً قذرين ، وأن يسستخدم أحط أنواع التجسس ! وما كان لعطيل أبداً أن يذعن للخيانة ـ أقول ينعن الملخيانة ولا أقول ينغر حضير ومني ، والا يوميكن أن يغين له لهنياً وقيقة بريئة كنفس طفل صغير • ولا كذلك النيور الحق ! ما من شى والا ويمكن أن يذعن له ينعن له منير • ولا كذلك النيور الحق ! ما من شى والا ويمكن أن يذعن له ينغين له

النيور وما من شيء الا ويمكن أن ينفره عنــــد الحاجة • ان الغيورين أسرع الناس الى الغفران ، والنساء يعرفن هذا ! هم قادرون مثلاً على أن يمسحوا خيانة مشهودة (بعد أن يتوروا تورة عنيفة في البداية طبعاً) ، وقبلات وعناقات رأوها بأعينهم ، شريطة أن يستطيعوا أن يقولوا لأنفسهم ان د هذه آخر مرة ، وان الفريم سيغيب وانه سيرحل الى بلد في آخس العالم ، أو انهم سيمضون هم أنفسهم بحبيبتهم الى منطقة نائية لا يستطيع الخصم الكريه أن يدركها فيها يوما • ثم لا تدوم المصالحة أكثر من ساعة طبعاً ، ذلك أنهم ، ولو اختفى الخصم ، ما يلبشسون أن يكتشــفوا خصما جديدا منذ الغد ، فاذا هم يستأنفون عذاب أنفسهم بسبب هسذه « الخانة ، الجديدة ، رب مسائل يتساءل : ما هي في نظرهم قيمة حب يتتضى هذه الاحتياطات كلهاء ويتطلب هذه المراقبة الدائمة المتصلة، وهل المرأة التي يتصورون خيانتها تستحق منهم هذا الحب كله • ألا ان هذا السؤال بمينه هو مالا يلقيه النمورون الحقيقيون على أنفسهم ، مع أن منهم أناساً لهم تفوس سامة رفعة • وهناك أمر جدير بالملاحظة أيضا : ان ذوى المواطف النبلة من هؤلاء الفورين يستطعون ، وهم مختبثون في ركن من الأركان للتجسس والمباغتة ، يستطيعون أن يفهموا تعاما ، ه لنىل قلوبهم ، ، أنهم يتحدرون الى الخزى والعار ، ولكنهم مع ذلك لا يشمرون بشيء من عذاب الضمير ، ما ظلوا مختبئين في أوكارهم على الأقل •

ما ان رأى مييا صاحبه جروشنكا حتى شعر بغيرته تبدد وتزول، وحتى أصبح واتفا كريما سمحا خلال بضع لحظات ، بل لقد مضى فى هذا الى حد احتقار تفسه بسبب تلك الشكوك الأثيمة التى ساورته وذلك يدل على أن حبه لتلك المرأة كان فيه عنصر أسمى كثيرا مما كان يظن هو نفسه ، وأن الشهوانية والتعلق الجبدى اللذين حدث عنهما أخاه

أليوشا ، ليسا جوهر ذلك الحب • ولكن ما ان غابت جروشنكا عن عينيه حتى عاد يتصور فيها جميع حقارات العنيانة ودناءاتها ، دون أن يشعر أثناء ذلك بأى ندم أو عذابِ ضميم •

استبدت به الفيرة اذن من جديد • وكان عليه أن يستعجل على كل حال • كان عليه قبل كل شيء أن يجد قليلا من المال لسدّ حاجاته المباشرة : ان الروبلات التسعة التي جمعها في الليلة البارحة كانت قــد نفدت في تلك الرحلة ؟ والمرء لا يستطيع أن يفعل شيئًا حين لايكون في جبه قرش واحد كما يعلم ذلك جميع الناس • ولقد فكَّر ميتيا ، أثناء وضعه خطته الجديدة في العربة ، فكتَّر في الوسيلة التي تمكنه من الحصول على بضعة روبلات بلا ابطاء ء انه يملك مسدسين راثمين من المسدسات التي تستعمل في المبارزات ، ولم يكن قد رهنهما حتى الآن ، لأنه يحرص عليهما حرصا شديدا • وكان قد تعرف منذ زمن ، في كاباريه والماصمة الكيرى ، ، بموظف شاب عازب غنى كان فيما يقال يهوى جمع الأسلحة على اختلاف أنواعها هوى شديدا ، فهم يشتري مسدسات وبندقيات وخناجر يعلقها في جدران غرفته ، ويدعو ضوفه الى مشاهدتها والاعجاب بها ، معتزاً بأن يشرح لهم نظام كل مسدس وطريقة حشوه بالرصاص ، وطريقة التصويب به ، الخ • ذهب مينيا الى هـــذا الموظف الشاب دون تفكير كثير ، وعرض عليه أن يستودعه مسدسيه رهناً على قرض قسدره عشرة روبلات ، فسر َّ الموظف سرورا عظيما ، وحاول اقناع ميتيا بأن يبيعه هذين السلاحين ، ولكن ميتيا رفض التخلي عنهما ، فدفع له الموظف عندئذ عشرة روبلات قائلاً انه لن يتقاضى فوائد عن هذا القرض بحمال من الأحوال • وافترق الرجلان صمديقين •. وأسرع ميتيا الى جناحه الذي يقع خلف منزل فيدور بافلوفتش بنية أن يلقى سمردياكوف • وبهذا أثبت مننا واقعة جـــديدة هي أنه « قــــل حدوث الحادث الذي سنتحدث عنه طويلاً فيما بعد ، قبل حدوث ذلك الحادث بثلاث ساعات أو أربع لم يكن في جيبه كوبك واحسد ، فقرر أن يرهن في سبيل الحصول على عشر روبلات مسدسين كان يحرص عليهما أشد الحرص، ثم اذا هو بعد ذلك ببضع ساعات يملك ألوف الروبلات ٥٠٠ ، ولكنني أسبق بهذا تتمة القصة ، فلأعد الى حيث وصلت منها .

علم منا في منزل ماريا كوندراتفنا (جارة فدور بافلوفتس) بنبأ مرض سمردياكوف فاضطرب اضطرابا شديدا وقلق قلقبا عظيما • أصنى الى قصة سقوطه في القبو ، ونوبة الصرع ، ووصول الطبيب ، ومبادرة فيدور بافلوفتش • وأُ بلغ أيضًا نبأ سفر ايفان فيدوروفتش الى موسكو في مطلع الصياح ، فيدا عليه اهتمام شديد بهذه الواقعة التفصيلية. قال يحدث نفسه : « لا بد أن ايفسان فد مرَّ بفولوفيا قبلي » • غمير أن مرض سمردياكوف قد أحدث في نفسه قلقاً كبيرا ومخاوف خطيرة • فأخذ يسائل المرأتين قائلا : « فما العمل الآن ؟ من عساى أكلف بمراقبة المنزل واطلاعي على ما يجري ؟ ألم تلاحظا شبئًا في مســـاء أمس ؟ . • وأدركت المرأتان فوراً ما الذي يحساول أن يعرفه فطمأنتاه ما وسعهما أن تطمئناه • قالتـا له مؤكدتين : « لم يجيء أحــد • وقد أمضي ايفـان فيدوروفتش الليلة كما اعتاد أن يمضيها ، وجرى كل شيء على ما يجب ،. وجم متبا مفكرا • لا بد من حراسة في هذه الليلة أيضًا • الأمر واضح• ولكن أين يرابط ؟ أيرابط هنا في الحسديقة ، أم يرابط أمام منزل سامسونوف ؟ وقرر أخيراً أن يراقب المكانين كلمهما ، وفقاً لما توجيه الظروف، ولكن المهم قبل كل شيء، قبل كل شيء، هو أن ٠٠٠

وقد آن فعلاً أوان تنفيذ « الخطة ، الجديدة ، الجدية في هــــذه المرة ، التي رسمها في العربة ، ان هذا المسروع لا يمكن تأجيله ، فقرر متيا أن يقف على هذا المشروع ساعة من الزم. ^ قال يحدث تفســـه : بعد ساعة واحسدة أكون قمد سو يت كل شيء ، ثم أذهب الى منزل سامسونوف أسأل أما تزال جروشنكا عند ، ثم أعود الى هنا فورا لأبقى حتى الساعة الحادية عشرة ، وبمسد ذلك أذهب الى منزل سامسونوف ثانية لأصحبها الى بيتها ، • على هذا النحو حل ميتيا الصموية •

وأسرع الى بيته فاغتسل ونظف ثيابه بالفرشاة ، وارتدى ملابســه وذهب الى السيدة هوخلاكوفا • فهناك كانت « خطته ، ، وإحزاه ! كان ميتيا قد قرر أن يقترض الثلاثة آلاف روبل من تلك السيدة • حتى لقد راوده على حين فجأة يقين عجيب خارق من أنها لن تمنع عنه هذا المبلغ. رب منسائل يتساءل : اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يخطر بباله أن يتجه فَبِل هَذَا الوَقْتِ الى هَذَهِ المرأةِ التي تنتمي الى بيئته على الأقل ، ولماذا آثر أن يتجه الى سامسونوف الذي يجهل ميتيا طبيعة تفكيره ولا يعرف بأي لغة يخاطبه ! يحسن أن نذكر حنا أن ميتيا كان قد انقطع منذ شهر عن التردد الى منزل هذه السيدة التي كان لا يعرفها كثيرا على كل حال . وكان يعلم عدا ذلك أنها لا تطيقه ، ذلك أنها قد ناصبته العداء منذ البداية في الواقع ، لسبب بسيط هو أنه كان خطيب كاترين ايفانوفنا ، لقسم كانت تتمنى أن تقطع كاترين مسلتها به لتنزوج ايفسان فبدوروفتش «الشاب المثقف ، اللطيف ، المحب ، الذي يملك روح الفروسية ويتمتع بآداب رافية ، ، على حين أن آداب مينيا كريهة مقينة . ثم ان مينيا قد سخر منها مرارا كثيرة وقال عنها « انها كثيرة الحركة والحماسة والكلام بمقدار ما هي قليلة الثقافة ، • ولكن فكرة قد ومضت في ذهنه وميض البرق في الصباح ، فضال لنفسه : « ما دامت تكره أن أتزوج كاترين ايفانوفنــا وما دام هذا الزواج يثير حنقها الى هذا الحد (كان لا يحهل أن استياء السيدة هوخلاكوفا من هذا الزواج يبلغ حد الهستريا) ، فلا يمكن أن ترفض اقراضي هذه الثلاثة آلاف روبل التي ستتبح لي ان أفصم علاقتي بكاتيا ، وأن أرحل من هنا الى الأبد • ، • وكان ميتيا يقول لنفسه أيضًا : « ان نساء المجتمع هاته ، وهن صاحبات نزوات دلَّمُتهن الأقدار ، لا يرفضن بذل جميع التضحيات المالية في ســبيل هوى غريب من أهوائهن العجيبة ! » • ان « الخطة » التي وضعها لاقتراض هــــذا المبلغ من السيدة هوخلاكوفا لا تختلف عن خطة البارحة : سوف يعرض عليها أن يتنازل لها عن حقوقه في قرية تشرماشنيا ، ولكنه لا ينوى في هذه المرة أن يسمط الأمر على أنه صفقة تجارية ، ولا يهدف الى اغراء هذه السيدة ، كما حاول اغراء سامسونوف ، بأنها ستربح ستة آلاف أو سبعة آلاف روبل ؟ و.نما يكون التنازل عن الحقوق ، في هذه الخطـة الجديدة ، بمثابة ضمانة سخية للقرض الذي سيُتفق عليه • وكان كلما ازداد تفكيرا في هذا المشروع ازداد حماسة ً له ، وذلك ما يحدث له دائما حين يتخذ قرارا جديدا • انه يتحمس في البداية لكل مشروع من مشاريعه • ومع ذلك شعر ، وهو يصعد درجات الباب من منزل آل هوخلاكوف ، بقشعريرة في ظهره ، واجتاحت نفسه عندثذ عاطفة قلق رهيب وخوف شديد : لقد أدرك في تلك اللحظة ، بيقين رياضي ، أنه يقامر بآخر ورقة يملكها ، فاذا لم تفلح هذه المحاولة ، فلا أمل بعد ذلك، « اللهم الا أن أذبح أحداً وأسلم ثلاث آلاف روبل ، وبدون ذلك فلا مخرج لي ٠٠٠ ، • كذلك قال ميتيا لنفسه • وكانت الساعة هي السابعة والنصف حين شد الجرس •

بدا كل شيء يجرى على ما يحب ويشتهى في أول الأمر: فما ان أ بلغت السيدة هوخلاكوفا وصوله حتى أمرت بادخاله • فد'هش ميتا من سرعة استقباله ، وقال لنفسه: • لكأنها كانت تنتظرنى ، • وما كاد يدخل الصالون حتى هرعث البه وأعلنت له فجأة أنها كانت تنتظره ••• _ كنت أنتظرك ، كنت أنتظرك ! لا ثن، كان يسمح لى بأن أثناً بزیارتک ، اعتقد انك تقدر ذلك بسهولة • ومع هــــذا كنت أنتظرك • فاعجب بما أملك من صدق غریزة المرأة یا دمتری فیدوروفتش ، لأننی كنت وائقة ، منذ هذا الصباح ، بأنك سنزورنی •

قال ميتيا وهو يجلس بخراقة :

حقاً ان هذا يثير الدهشة ، يثير أكبر الدهشة ٥٠٠ ولكننى جئت من أجل قضــــــة خطيرة ، خطــــيرة خطـــورة رهبية ٥٠٠ بالنسبة الى ٥٠٠ طبعا ٥٠ يا سيدتمى ٥٠٠ بالنسبة الى وحدى ٥٠٠ لذلك أسارع ف ٥٠٠

- أعرف أن السبب الذى دفعك الى المجىء سبب خطير يا دمترى فيدوروفتش • وليست المسألة هنا مسألة تنبؤات أتنسؤها ، لأننى أكره ذلك الايدان الرجمى بما هو فوق الطبيعة (لعلك على علم بمضامرة الشيخ زوسيما) ••• وانما الأمر حساب رياضى : كان لا بد أن تجىء الى حتما بعد كل ما جرى مع كاترين ايفانوفنا ، لم يكن فى وسعك أن لا تجىء • هذه رياضات •••

_ أو فلنقل هذا واقعية يا سيدتمى • لنكن واقعيين ••• اسمحمى لى أن أبسط لك بايحاز •••

_ الواقعيـــة ••• قلتها يا دمترى فيـــدوروفتش ! أنا من أتصار الواقعية بعد اليوم! آه ••• لقد شُـفيت من مرض الايمان بالمعجــزات ، صــدتــى! أنت لا تحجل طبعا أن الشيخ زوسيما قد مات!

قال ميتيا بشيء من الدهشة :

ــ لم أكن أعلم شيئًا عن ذلك •

وطافت بخياله صورة أليوشا • أالت السيدة هوخلاكوفا :

_ مات هذه الليلة ٥٠٠ تصور أن ٥٠٠

قاطمها ميتيا قائلاً :

سيدتى ، أنا لا أعرف الا شيئاً واحدا : هو أننى فى وضع عصيب وأن كل شىء سينهاد اذا أنت لم تساهدينى ، وسأكون أنا أول من ينهاره اغفرى لى خشونة لفتى ، ولكننى فى قلق محموم ؟ ان بى حمى حقا ، وأعرف ذلك ، أعرف ذلك ، أعرف أن بك حمى ، أنا مطلمة على كل شىء ، وما كان يمكن أن تكون حالتك النفسية غير ما هى اليوم، كل ما قد تقوله لى الآن ، أنا أعرفه سلفاً ، اننى أفكر فى مصسيرك منذ زمن طويل يا دمترى فيدوروفتش ، كنت ألاحظ حياتك ، وأدرسها، هه ! أنا طبيبة نفوس ، خيرة " جدا ، ٥٠٠ صدقنى يا دمترى فيدوروفتش! عاد مينيا يقول وهو يبنل جهدا من أجل أن يبدو لطيفا محبيا : سيدتى ، لا شتك عندى فى أنك طبيبة خيرة ، ولكننى أنا أيضا مريض خير ، اننى مقتم اقتناعا قويا بأنك متساعدينى فى اتقاء هالاك كبر ، ما دمت قد قد اهتممت بمصيرى ذلك الاهتمام كله ، فاسمحى لى لهذا أن أبسط لك أخيراً الخطة التى تجرأت أن أجى، لأبسطها لك ، وأن أقول لك بهذه الناسبة نفسها اننى آمل منك ، ٥٠٠ لقد جئت ياسيدتى من أجل أن ، ٥٠٠

ـ لا تشرح ٥٠٠ هذا أمر اانوى ! لن تكون أول شخص أساعده يا دمترى فيدوروفتش ! لا شك أنك سمعت عن ابنة عمى بلمسوفاه كان زوجها الذى تدمرت حالته المالية قد انهار انهيارا على حد التمير الصادق الذى استمعلته أنت منذ هنهة و فنصحتها بتعاطى تربية الخيول، فأصبحت حالتها اليوم مزدهرة ازدهارا عظيما ٥ هل تفهم فى شئون تربية الخيول يا دمترى فيدوروفتشى ؟

صاح ميتيا يقول نافد الصبر ¹⁹ثر الأعصــــاب ، حتى لقــد هم أن ينهض : سلا يا سيدتي ، أيدا ٥٠٠ لا أفهم في هذا المجل نييا ! أتوسل اللك يا سيدتي أن تصغى الى طفلة و دعني أتكلم دقيقتين فحسب ، لأعرض لك مشروعي و ثم ، تن لا أهلك الا وقنا قصسيرا جدا ، أنا مستحبل غاية الاستحبال (كذلك أعول مينا يقول بصوت هستري ، اذ حزر أنها ستقاطعه ، وأمثل أن يستطيع منها من مقاطعته برفع صوته) لقد جث البك لأنني قد بلفت ذروة الكرب والياس ، وأردت أن أرجوك أن تسلفيني ثلاثة آلاف روبل ، ولكن بضمائة قوية وطيعة يا سيدتي ، بشروط موثوقة تماما و وهأنذا أشرح لك الموضوع ٥٠٠

قالت السيدة هوخلاكوفا وهي تحرك ذراعيها كأنما تطرد الشروح التي همَّ بها ميتيا :

ـ تشرح فيما بعد ، فيما بعد ، ٥٠٠ ستقول لى هذا كله فيما بعد ،
ثم اننى أعرف سلفاً كل ما قد تذكر الى ، سبق أن قلت لك هذا ، أنت
فى حاجة الى مال ، أنت تعلب ثلاثة آلاف روبل ، ولكننى سأعطيك أكثر
من ذلك ، أكثر كثيرا ، لأننى أريد أن أنقذك يا دمترى فيدوروفتش ،
ولكننى أطالك في مقابل ذلك بأن تعلمنى ،

وثب ميتيا من مقمده من جديد ، قائلاً بانفعال شديد :

عادت السدة هوخلاكوفا تقول ، وهي تنظر بابتســــامة مشرقة الى وجه ميتيا المتحمس :

_ لأعطنك أكثر كثيرا من ثلاثة آلاف روبل ؟

_ أكثر كثيرا ؟ لست في حاجة الى كل هذا . لس بي حاجة الا

الى هذه الثلاثة آلاف الشقية ! وأريد من جهتى أن أعطيك ضمانة لهـذا القرض ، وأن أعبر لك عن شكر لا حدود له • ان المشروع الذى أحب أن أبسطه لك هو •••

 كفى ! أنا لا أنكت عهدا و لقد وعدتك بأن أنقذك ، وسأفعل و سأخرجك من مأزقك كما أخرجت بلمسوفا و ما رأيك في مناجم الذهب يا دمترى فيدوروفتش ؟

ــ مناجم الذهب يا ســـيدتى ؟ لم أفكر فى هذا الأمر يوماً حتى الآن ٥٠٠

ـ أما أنا فقد فكرت فيـه من أجلك ! لقـد وزنت جميع جوانب المسألة • اننى ألاحظك منذ شهر لهذا الفرض • ظللت أفحصك أكثر من مائة مرة عابراً > فكنت أقول لنفسى فى كل مرة : • هذا رجل نشيط فماً ل يمكن أن ينجع فى مناجم الذهب ، > حتى لقد أنممت النظر فى مشبتك > فاستنجت أنك ستكشف مناجم كيرة •

لم يملك ميتيا الا أن يسأل السيدة هوخلاكوفا مبتسما ":

_ استنتجت ذلك من مشيتي يا سيدتي ؟

فأجابت السيدة هوخلاكوفا :

سنهم ، من مشسيتك أيضا ، هل تسستطيع أن تنكر يا دمترى فيدوروقتش أن في الامكان معرفة طبع الشخص من مشينه ؟ ان الملوم الطبيعية تعلمنا هذا ، آء ٥٠٠ ما أكثر ما أصبحت واقعية الآن ! فمنذ ذلك اليم ، منذ تلك القصة التي حدثت في الدير والتي هزتنا هزاً قوياً ، أصبحت لا أؤمن الا بالواقعية ، بالوا ٥٠ قعية ، وأصبحت أريد أن أفف حياتى على نشاط عملى ٥ لقد شفيت من الفيهية الى الأبد ٥ « كفى ! » ، كما قال تورجنيف * ٠

... ولكن ماذا عن تلك الثلاثة آلاف روبل التى تفضلت فوعدتنى بها كريمة سخة !

قالت السيدة خلاكوفا بقوة وحرارة :

- ستحصل عليها ، تستطيع أن تعدها في جيبك منذ الآن و لا ثلاثة الآف ، بل ثلاثة ملايين ، وخلال فترة وجيزة يا دمترى فيدوروفتش ! الله الشروع الذى أقرحه عليك : تكتشف مناجم ذهب فتترى تراه عظيماً وتصبح من أصحاب الملايين ؟ ثم تعود الينا رجلا كبيراً من رجال المعل والفعل ، تصبح رجلاً محركاً لنيرك من الناس ، تتقذنا من خدرنا لهؤلاه اليهود ؟ ستنى عمارات ، وستخلق صناعات ، وستساعد الفقراء ، لهؤلاه اليهود ؟ ستنى عمارات ، وستخلق صناعات ، وستساعد الفقراء ، وسينمرك هؤلاه الفقراء بالدعوات والبركات ٥٠٠ اننا نعيش في عصر السكك الحديدية يا دعترى فيدوروفتش ، وستعلم وزارة الخزانة ، التي تتخبط في مصاعب ضخمة ، ستعلم بوجودك فتناديك وتصدد عليك ، ان سقوط عملتنا الورقية قد حرمني من النوم ! ذلك جانب من طبيعتي

قاطمها مبتيا قائلاً وهو يوجس قلقاً شديداً :

سيدتى ! سيدتى ! من المكن جداً أن أتبع نصيحتك ، وهى نصيحة حتما فيما نصيحة سديدة جدا فى الواقع ٥٠٠ سأتبع هـند التصسيحة حتما فيما بعد ٥٠٠ سأذهب الى مناجم الذهب هـند ٥٠٠ وسأعود مرة أخرى لتتحدث فى أمرها ٥٠٠ أما الآن ٥٠٠ فلنتكلم فى تلك الثلاثة آلاف روبل التى تكرمت أحمد اله الآن من جميع المساعب !

ليتنى أستطيع الحصول عليه في هذا اليوم ٥٠٠ ذلك أننى ، كما ترين ، لا أملك وقدًا أُفسِيِّه ٥٠٠ لا يوما ، ولا ساعة ٥٠٠

قاطعته السدة هوخلاكوفا تأمره بلهجة قاطعة :

_ كفى ، كفى ! أجنى : أتذهب الى مناجم الذهب أم لا ؟ هــل عزمت أمرك ؟ أريد جوابا واضحا دقيقا !

ــ سأذهب يا سيدتمى فيما بعد • سأذهب الى حيث تريدين ياسيدتمى ! أما الآن •••

صاحت السيدة هوخلاكوفا تقول :

ـ اتتقار ا

وهرعت نحو مكتبها الأنيق ذى الأدراج الكثيرة ، فأخذت تفتحها درجاً درجاً بسرعة ، باحثة فيها عن شيء ما ٠

قال ميتيا محدثا نفسه وقد كاد ينشق قلبه : « ائتلائة آلاف ! وبدون ضمانة ، بدون رهن ، بدون وصل ، ما أنبلها امرأة ! ولكن ليتها كانت أقل ترثرة . • • • • •

وهتفت السيدة هوخلاكوفا تقول عائدة اليه :

_ هاك ٥٥٠ هاك ما كنت أبحث عنه ٠

وشرحت السيدة هوخلاكوفا قائلة برصانة :

ــ هذه الأيقونة من كييف • لقد لمست هذه الصورة رفات القديسة بارب ، الشهيدة المظيمة • فاسمح لى أن أعلقها لك بنفسى ، لتباركك في حياتك الجديدة ، ومشاريك المقبلة • قالت له ذلك ، ووضعت الأيقونة حول عنقه ، وجهدت أن تعدلها أحنى مبنيا رأسه متحيراً ، وأخذ يساعدها ، وأفلح أخيرا في أن يدس الصورة تحت الياقة ورباط العنق وأن يضعها على صدره •

عندئذ قالت السيدة هوخلاكوفا بلهجة فيها أبهة :

_ والآن هلم ً الى مناجم الذهب -

وعادت تجلس ٠

قال ميا :

سيدتى ! أنا متأتر جدا ٥٠٠ لا أدرى كيف أشكر لك هسده المواطف الكريمة وهذه المشاعر النيلة ٥٠٠ ولكن ليتك تعلمين مدى استحجلى ! ٥٠٠ ان ذلك البسطغ الذى اتنظره من كرمك وأنا معتل، القلب بالأمل يا سيدتى ٥٠٠ آه ٥٠٠ ما أطبيك ، ما أعظم عطفك على ! بأمر تعرفينه منذ زمن طويل على كل حال ٥٠٠ اننى أحب امرأة في هذه المدينة ٥٠٠ لقد خنت كاتيا ٥٠ أقصد كاترين ايفانوفنا . وا أسفاه ! كان سلوكى معها خالياً من الخلق والشرف ٥٠٠ تولهت هنا بامرأة أخرى مده امرأة لملك تحتقرينها > فأنت على علم بالأمر > أعرف ذلك ٥٠٠ ولكن يستحيل على أن أتركها > يستحيل ! لذلك كانت هسذه الثلاثة

قاطمته السدة هوخلاكوفا قائلة بلهجة قاطعة :

دعك من هذا ، دع النسساء خاصة "! مناجم لذهب ، ذلك هو هدفك بعد اليوم ، ولا نسسأن للنساء هناك ! فيما بعد ، حين ترجع غنياً مجللا "بالمجد ، تختار حليلة" من بنسات أرقى مجتمع : فناة عصرية ، مثقفة ، متحررة من الآراء الشــــائمة • وفى ذلك الحين ستكون مشكلة المرأة ، هذه المشكلة التى يتحدث النـــاس عنها كثيراً فى هذه الأيام ، ستكون قد حُـلَّت ، وستظهر فى روسيا امرأة جديدة •••

قال ميتيا وهو يضم يديه احداهما الى الأخرى فى هيئة المتوسل : _ ولكن ليس هذا ، ليس هذا ما •••

_ بل هو هذا ، هو هذا يا دمترى فيدوروفتس ! هو هذا ولا ني مواه ! هنالك السعادة التى تنشدها دون أن تعرف أنت نفسك ذلك و اننى مطلعة اطلاعاً واسماً على مشكلة المرأة وان تحرر المرأة ، وحتى وصولها الى الحياة السياسية ، هو مثلى الأعلى و ان لى ابنة يا دمترى في هذا الى شتيدرين* و انناس لا يعرفوننى كثيراً في هسندا المجال و لقد كتبت جداً ، أموراً لا تخطر على البال ، عن رسالة المرأة ، فوجهت اله في الما الماضى كتاباً لم أذكر فيه السمى ، كتاباً من سطرين : و أقبلك بحرارة ، يا عزيزى المفكر الكبر ، باسم المرأة المصرية و استمر ! » بحرارة ، يا عزيزى المفكر الكبر ، باسم المرأة المصرية ، استمر ! » بحرارة ، يا عزيزى المفكر الكبر ، باسم المرأة المصرية ، استمر ! » يدوروفتش ؛ هذا عدا أن كلمة « عصرية ، كان يمكن أن ولكنى اكتب بمحبلة « الماصر » ، وأن توقط في نفسه ذكريات ألمة بسبب الرقابة التي تسود الآن و و و كان ماذا بك ؟ ماذا جرى لك ؟

كان ميتيا قد وثب عن مقعده • وها هو ذا يضم يديه احداهما الى الأخرى أمامها صائحاً بشراعة طائشة :

ــ سيدتى ! لسوف تبكينى اذا تأخرت مزيداً من التأخر عن تنفيذ ما تكرمت فوعدتنى به •••

أعول ميتيا في هذه المرة يقول :

ــ اسمحى لى أخيراً أن أقـــول كلمة • أرجــوك مرة أخيرة أن تجيبنى : هل يمكننى أن أتلقى هذا المبلغ منك اليوم ؟ والا ففى أى يوم تأمرين أن أجىء لأخذه ؟

ـ عن أى مبلغ تتكلم يا دمترى فيدوروفتش ؟

_ ماذا ؟ تلائة آلاف روبل ؟ آه ••• لا ••• أنا لا أملك هـذا المبلغ •

كذلك قالت السيدة هوخلاكوفا بدهشة هادئة •

صمق ميتيا • وقال :

ــ كيف هذا ؟ لقد وعدتنى منذ برهة ٥٠٠ منذ هيهة فصيرة ٥٠٠ حتى لقد قلت اتنى أستطيع أن أعد هذا المبلغ موجودا في جيبي ٠

- آه • • لا • • • لا شك أنك أسأت فهمى يا دمترى فيدوروفتش • لا ، لا ، انك لم تفهمنى • لقد قلت ذلك الكلام بصدد مناجم الذهب • صحيح أننى وعدتك بأكثر كثيراً من ثلاثة آلاف روبل ، تذكرت هـذا الآن ، ولكننى كنت لا أفكر عندئذ الا في مناجم الذهب •

صاح ميتيا يقول بغياء :

_ والمبلغ ؟ والثلاثة آلاف روبل [؟]

ان كنت قد جثت من أجل اقراض مال ، فيجب أن أذكر لك ان لا أملك مالا "انني الآن الآن خالية الوفاض تماما يا دمتري فيدوروفش، حتى انني في شجار مع وكيل ، وقد اضطررت أن أقترض خمسمائة روبل من ميوسوف منذ بضمة أيام ، لا ، لا ، لا أستطيع أن أسلفك شيئاً ، واعلم عدا ذلك يا دمتري فيدوروفش أنني لو كنت أملك مالا لما أسلفتك أيضا ، أولا لأنني لا أقرض أحداً قط ، فالدين خصام دائماً ؟ واذا أقرضت غيرك ، فلا أقرضك أنت ، لأنني أريد لك الخير ، وأريد أن أنتذك ، وما أنت في حاجة الا الى شيء واحد : المناجم ، المناجم ،

زأر مبتيا يقول :

ـ شيطان يأخذ المناجم!

وهوى بقبضة يدء على النضدة يضربها بكل ما أوتمي من قوة •

_ آی ۰۰۰ آی ۰۰۰

كذلك أنَّت السيدة هوخــــلاكوفا مرتاعة وهي تهرب الى آخــر الصالون •

بعق مينيا من فسط حنقه ٥ وبخطى سريعة ، اجناز الفرفة ، وخرج من المنزل ، وأوغل في الشارع المظلم ٥ انه يسير الآن كمجنون، ويلطم صدده بقبضة يده ، على ذلك الموضع نفسه الذي لطمه منذ يومين بحضور أليوشا حين لقبه في الشارع ساعة النسق ٥ الذا يلطم صدده هذا اللطم ، وعلى هذا الموضع نفسه » ، وماذا كان معنى هذه المحركة ؟

ذلك أمر لم يفصح عنه لأحد ، حتى ولا لأليونا ، همذا سره في تلك الساعة ، ولكنه كان يعلم أنه ، لأسباب يكتمها ، انما يسسع الى هاوية المار ، الى انهيار حياته ، الى الانتحار ، ذلك ما سيحدث حتماً اذا همو لم يحصل على هذه الثلاثة آلاف روبل ليرد الى كاترين إيفانوفنا مالها ، وليزع عن صدره ، « عن هذا الموضع بعينه من صدره ، » الخزى الذى يختقه ، الحمل الذى يهظه ، والذى يرهق ضعيره أشد الارهاق ، ان هذا كله سيتضح مزيدا من الاتضاح فيما بعد ، والآن وقد انهار آخر أمل من آمال هذا الرجل القوى الجسم ، فانه ما ان ابتعد بضع خطوات عن منزل السيدة هوخلاكوفا ، حتى انفجر يكى على حين فجأة ناشجاً كطفل صغير ، وها هو ذا يمسح دموعه بقبضتى يديه وهو فيما هو فيه من اضطراب ، وعلى هذه الحال انما وصل الى الميدان ، حيث أحس بنته أنه قد صدم شيئاً ما ، وسرعان ما سمع أنات شاكية صادرة عن عجوز كاد يقلها ،

ــ يا رب ! كاد بقتلني ! هلا ً نظرت أين تسير أيها الوغد !

صاح مينيا يقول وهو يتفرس وجه المرأة المعجوز في الظلام ؟ ــ كف ؟ أهذا أنت ؟

لقد عرف ميتيا في هذه المرأة السجوز ، خادمة كوزما كوزمتش الطاعنة في السن التي لاحظها في منزله الليلة البارحة .

سألته المجوز بصوت أصبح لطيفا على حين فجأة :

_ ومن أنت يا بني ؟

ـ أنت في خدمة كوزما كوزمتش ، أليس كذلك ؟

 قال ميثيا وهو يرتجف قلقاً وخوفاً :

ــ قولى لى يا أماه : هل أجرافين الكسندروفنا عندكم الآن • لقد أوصلتها الى منزلكم منذ قليل •

ـ لقد جاءت يا بني فمكنت لحظة ثم انصرفت •

فصرخ ميتيا :

- انصرفت ؟ كيف هذا ؟ الى أين ذهبت ؟

ـــ لم تمكث عندنا الا دقيقة ، قصَّت خلالها على كوزما كوزمتش قصة مضحكة ثم لم تلبث أن انصرفت ٠

زأر ميتيا يقول :

ـ أنت تكذبين أيتها العجوز اللعينة •

فصاتت المرأة تقول مذعورة :

ـ آی ۰۰۰ آی ۰۰۰

ولكن ميتيا كان قد غاب •

أسرع ميتيا يركض بخطى كبيرة نحو منزل آل موروسوف كانت جروشنكا قد سافرت منذ ربع سساعة الى موكرويه ، وكانت فينيا فى المطبغ مع جدتها ماترين الطباخة ، حين ظهر « الكابتن ، فجأة فى المنزل، فلما رأته أطلقت صرخات ارتياع وجزع .

أعول منا يسألها:

ـ ها ٥٠٠ تصرخين؟ أين هي؟

ولكن قبل أن يتسع وقت فينيا ، التى شحب لونها شحوبا شديدا من الذعر ، لأن تنطق بكلمة واحدة ، ارتمى مينيا على قدميها قائلاً لها : ــ فينيا ، قولى لى ، أناشدك يسوع السبح ، الى أين ذهبت ؟

 لا أدرى يا سيدى ، لست على علم بشىء أيهسا العزيز دمترى فيدوروفتش ، ولو قتلتنى لما استطمت أن أقول لك أكثر من هذا ، ثم انك قد خرجت معها منذ قليل .

كذلك أكدت فينيا متدفقة في كلامها •

قال ميتيا:

_ ولكنها عادت •

ـــ لا ، لا ، يا عزيزى دمتري، فيدوروفتش ، لم تعد ، أحلف لك باقة انها لم تعد !

صرخ ميتيا يقول :

- تكذبين ! وانى لأحزر من ذهرك وحده الى أن ذهبت ؟ وأسرع بركض فى الشارع من جديد • فما كان أسعد فينيا بأنها تخلصت منه بعثل هذه السمهولة ! فلقد أدركت حق الادراك أنه كان سسومها سو العذاب خلال ربع سماعة ، لولا استمجاله التسديد • على أنه قد فاجاً فينا وماترين المحوز ، حين انصرافه ، بحسركة لم تكن فى الحسبان : كان هناك على المائدة هاون ومدق من تحاس ، ولكن المدق ليس كبرا • فينما كان مينا يضع يده على فيضة الباب ر؛ كضا ليخرج ، مد يده الأخرى فتناول المدق اختطافا ودسته فى جيب سترته •

هتفت فينيا تقول وهي تضم يديها احداهما الى لأخرى :

ـ رباه ! سقتل أحدا .

ع في الظيلام

اين كان يركض ؟ ذلك سؤال 'يحزر جوابه: « أين عسساها تكون ان لم تكن عنــد فيــدور بافلوفش ؟ لا شك أنها ذهبت اليه رأساً بعد أن غادرت منزل سيسونوف • الحيلة واشـــحة ،

والكذب مفضوح! ، • كانت هذه الأفكار تغلى في رأس ميتيا •

تعاشى مينا أن يمر بحديقة ماريا كوندراتيفنا ، قال لنفسه : « يجب أن لا ترانى ماريا بحال من الأحوال ! • • • يجب أن لا أنبهها • • والا وشت بى فورا ، وأبلغت أننى هنا • • • لسوف تخوننى حتما • لا ثنك فى أنها متواطئة معهم • وكذلك سمر دياكوف • لقد اشتروا جميماً ! ، • لذلك سلك طريقاً آخر : دار دورة طويلة ، فمر الاشارع الصحيع الذى يقع خلف منزل فيدور بافلوفتش ، واجتاز شدارع دمتريفسكا ، وعبر الجسر الضيق الصغير ، فوصل بذلك الى مكان خال غير مأهول يقع وراء الفناء • ان هذا الكان يحده سياج بستان مجاور من جهة ، ويحده من الجهة الأخرى السور العالى الذى يحيط بمنزل فيدور بافلوفتش • واختار مينا لتخطى ذلك السور الموضم الذى يتروى أن اليزابت سمر دياشتايا قد تخطت السور منه فى الماضى قال مينا لنفسه: « لذا استطاعت تلك أن تتخطاه _ لا يدرى الا الله لماذا _ فكف لا أفلح أما في تخطيه ؟ » و واستطاع فعلاً من أول وثبة ، أن يتشبت بدروة السور بيده ، وأن يرتفع بعد ذلك باندفاعة قوية ، فاذا هو يصسبح في أعلى السور ، فحركب عليه ركوبه على حصان ، ان حمامات المنزل قريبة جدا السور ، فحركب عليه وصبه ترى نوافذ الدار المفساء ، قال مينا يحد دن نفسه : « طبعا ! ٥٠٥ ان في غرفة نوم العجوز نوراً ، معنى هذا أنها عنده ! » ، ووثب بعد ذلك الى الحديقة ، ورغم علمه بأن جريجورى عده ! ، ه ووثب بعد ذلك الى الحديقة ، ورغم علمه بأن جريجورى المنزل لا يمكن اذن أن يسمعه في هذه اللحظة ، فقد لطا متجمعا على نفسه بدافع الغريزة ، وجمد لا يتحرك ، وأصاخ بسمعه ، ان صمتا كصمت الموت يعذم على المكان وما حوله ، لا نأمة ، ولا نسمة ، ٥٠٠ هدو، مطلق، كأنها عن قسد وعهد ٥٠٠

وقال يحدث نفسه : • آمل أن لا أكون قد سُمعت ُ طُفلة و قلبت من الشعر ببال ميتا وقال يحدث نفسه : • آمل أن لا أكون قد سُمعت ُ طُفلة و قفرت ! ولكن يظهر أنني لم أسمع ، • وبعد أن لبت على هذه الحال دقيقة لا يتحرك ، يسلل بعظمي وثيدة خلال الحديقة ، سائرا على العشب حتى يحتى كن ضجة • كان يتحانى الأشجار والأدغال ، ويتقدم بطبئا ، ولا يضع قدمه الا محاذراً ، ويصبخ بسمعه الى أيسر صسوت • قلم يصل الى النافذة المناءة الا بعد خمس دقائق • وتذكر أن تحت النوافذ أشجار بيلسان ورباط كنيفة تمتد أغصانها الى علو كاف و وكان الباب الذي يفضى من الحديقة الى داخل المنزل على الجهة البسرى من الواجهة مفلقاً ، فانتبه مبتا الى ذلك اتباها خاصاً وسجله فى ذمنه عند مروره • ووصل أخيرا الى الشجرات فاختبأ وراءها حاساً أنفاسه • قال لنفسه : • يجب أن أثبك هنا بضع طغلات ، فلعلهم قد سمعوا صون وقع خطواتى ، فأخذوا

يصيخون بأسماعهم للتأكد ٥٠٠ أرجو أن لا أسعل أو أعطس ٥٠٠ . وانتظر دقيقتين ، خافق القلب خفقانا شــديدا ، حتى لتكاد تنقطع من ذلك أنفاسه • ثم قال لنفسه : « لا ••• لا أستطيع ان أبقي هنا • ان دقات قلبي لن تهدأ ، فلا يمكنني أن أنتظر مزيدا من الانتظار ، • كان ميتب مختبئاً في ظل مجمسوعة الأشجار التي ينير الغسوء لأتي من النافذة جانبها الحلفي • ورأى نفســه يدمدم قائلاً دون أن يعرف لماذا : « ما أشد الاحمرار في أثمار أشجار الرباط هذه ! » • ثم أخذ يدنو من النــافذة بخطى كخطى الذئب ، حتى اذا بلغها انتصب واقفاً على رءوس الأصابع • بدت له غرفة نوم فيدور بافلوفتش كلها • انها غرفة صغيرة ، تنقسم قسمين بحاجزين أحمرين ءكان فدور بافلوفتش يسمهما « الصينين ، • قال ميتيا لنفسه : « الحاجزان الصينيان • • لا شك أن جروشنكا تختبىء وراءهما ، • وأخذ ميتيا ينمم النظر في أبيه • كان الأب يلبس ثوباً جديداً للمنزل من حرير مخطط ما رآه عليه ميتيا من قبل ، ويشد على خصره حزاماً من حرير أيضاً ينتهى بعقد ؟ وتحت ياقة الثوب أيرى قميص أنيق نظيف جداً مصنوع من نسيج رقيق ناعم وله أزرار من ذهب؟ وكان فيدور بافلوفتش يضع على رأسه الضماد المصنوع من قماش أحمر الذي سبق أن رآء ألبوشا • قال منها لنفسه : « لقد تحمل وتزين ء • وكان أبوء واقفاً قرب النافذة واجماً شارد اللب • وها هو ذا يرفع رأسه على حين فجأة مصيخاً بسمعه كأنما لينصت ؟ فلما لم يسمع شيئاً اقترب من المائدة فصبَّ تصف قدح من الكونياك وأفرغه في جوفه ، ثم تنفس تنفساً عميقاً ملء رئتيه • وفكَّر بضع لحظات ، ثم اتجه نحو المرآة بخطى ذاهلة ، فأزاح بيده اليمني المنديل الذي يخفي جبيسه ، وأخسد ينعم النظر في النبدبات والبقع الزرق التي لم تختف بعبد • قال ميتب لنفسه : ﴿ أَعْلَىٰ الظِّنْ أَنَّهُ وحَسَّدُ لَسِ عَنَّهُ أَحَّدُ ﴾ ﴿ وَفَي تَلَكُ اللَّحْظَّةُ ابتمد فيدور بافلوفتش عن المرآة ، والتفت فجأة نحسو النافذة ، وأخذ ينظر الى الخسارج ، فما كان من ميتبا الا أن ارتمى فى الظـــلام بوثبة واحدة ،

وقال مينيا لنفسه : « من الجمائز أيضاً أن تكون محتبشة وراء الحاجزين بموربما كانت نائمة « » • قما ان تراءى له هسدا الافتراض حتى شعر بطعنة تنفذ فى قلبه « وابتعد فيدور بافلوفتش عن النافذة ، « لا شك انه يترقبها هى اذ ينظر من النافذة الى الخمارج • فليست اذن عنده ! والا فما له وللظلمات يمعن النظر فيها متفرساً مستطلماً ! واضع أن نفاد الصبر يحرقه حرقاً » • وعاد مينيا يقترب » وأخذ يرصد أباه • كان المجوز قد جلس الى المائدة » وكان واضحاً عليه أنه خائب الرجاء بائس النفس • ووضع كوعيه أخيراً على المائدة » وأسند خده الى راحة يده المهنى • فكان مينيا يفحصه بنوع من النهم !

وقال بصوت خافت جداً : • وحيد ! انه وحيد ! فلو كانت معه ، لكان وجهه وجها آخر ، • ومن عجائب قلب الاسسان ما نسعر به مينا حينداك : لقد أحس قبات حين أدرك أن جروننكا ليسست هناك ، نوع من خيبة الأمل عجيب لا يفهم ! فقال يشرح لفسه : • لا ••• ن ما أحسه من اهتاج لا يرجع الى اننى لا أراها ، وانما يرجع الى أننى لا أملك أية وسيلة لمناكد على وجه القين من أنها مع المجوز أو أنها ليست معه ، • وقد تذكر مينا فيما بعد أن فكره فى تملك اللحظة كان على جاب عظيم من الصحو والعسفاء ، فلا تفوته نساردة ولا واردة ، حتى ليدرك أدق تفاصيل الموقف ، ولكن القلق كان يجناح نفسه بمزيد من القوة شيئاً بعد شى ، الأنه ليس من أمره على يقين ، حتى أصبع لا يعلميق هذا الوضع ،

سامل: «أهى هنا أم لا؟» • وانستمل حقه • وها هو ذا يعزم أمره على حين فجأة ، فيمد ذراعه ، وينقر على الزجاج نقرات الانسارة المنفق عليها مع سحردياكوف وهى : نقسرتان متباعدتان ، فتلاث نقرات متقاربة ، دلالة على أن « جروشنكا قد وصلت » • فانتفض السجوز ، ورفع رأسه ، ووثب من مكانه ، واندفع نحو النافذة • فارتمى ميتا في الظلام •

دمدم فيدور باقلوفتش يسأل بصوت مرتجف :

۔ أهذا أنت يا جروشـنكا ؟ أنت ؟ أين أنت يا ملاكمي ؟ أين أنت يا حبي ؟ أين أنت ؟

وكان يختنق من فرط الانفعال •

قال ميتـا لنفسه : « انه وحيد » •

واستأنف العجوز يسأل :

_ أين أنت اذن ؟

وكان الأب وهو يرسل هذا السؤال يميل برأسه من النافذة حتى الكنفين ناظراً الى جميع الجهات ٥ وها هو ذا يضيف قوله :

- تعالى ! لقد أعددت لك مفاجأة حلوة • تعالى فأريك المفاجأة •

قال ميتيا في سره : « هي الظرف الذي يضم الثلاثة آلاف روبل ، •

ـ ولكن أين أنت اذن ؟ لعلك قرب الباب ؟ سأفتح لك الباب •

وكاد يسقط من النافذة من شدة ميله عليها ليرى المرأة الشابة فى الظلام من جهة الباب الذى يفضى الى الحديقة على اليمين • ولو قد اتسم الوقت لحظة أخسرى اذن الأسرع الى البساب حتماً دون أن ينتظر جواب جروشنكا . كان مينا يرقيه من قرارة مغيثه بغير حركة . كان يراه من جاب . فكان وجهه الكريه المقيت ، وكانت جوزة عقه ، وكان أنهه الأفنى ، وكانت شفتاء اللتان تبتسمان بانتظار شبق ، كان ذلك كله يبرز في ضوء ساطيم يسقط عليه موارباً من المصباح الموجود في الجهة اليسرى من الغرفة ، فاذا بكره عنيف فظيع ينهى في قلب مينا فجأة ، فيقول في نفسه : « هذا هو عدو حاتي ! » ، انها سورة الحنق المباعث المسمور الحاقد الظامى هذا هو عدو حاتي ! » ، انها سورة الحنق المباعث المسمور الحاقد الظامى الم الانتقام ، الذي تحدث عنه الى أليوشا بما يشبه التنبؤ أتناه حديثهما في الحنار ببالك أن تقتسل أباك ؟ » و لقد أجابه يومثذ قائلا : « كيف يمكن أن يضحت لا أدرى ، قد لا أقتل ، ولكن من الممكن أن أقتل ، أخشى أن أصبحت لا أدرى ، قد لا أقتل ، ولكن من الممكن أن أقتل ، أخشى أن يصبح في نظرى كريها على حين فجأة بوجهه القيت في تلك اللحظة ، يصبح في نظرى كريها على حين فجأة بوجهه القيت في تلك اللحظة ، انتي أكره جوزة عنقه ، وأنفه ، وعينه ، وضحكته الصغيرة المستهترة ، انه يثير في تقزراً جسمياً ، ذلك هو ما أخشاه خاصة ، قد لا أستطيع أن أكبر جماح نفسى » ،

وكان التقزز الجسمى الذى يحس به ميّيا لا حدود له • فاذا هو ، دون أن يدرك ماذا يفعل ، يخرج من جيسه ميدق الهساون على حين فعجّة •••

موق يقول فيما بعد ان الله كان ساهراً عليه في تلك الدقيقة . ففي تلك اللحظة نفسها استيقظ جريجورى فاسلفتش في سريره الذي كان قد اضطحع عليه مريضاً ، كان جريجورى قد لجاً في المساء الى استعمال الدواء الذي ذكره سمردياكوف في حديثه مع ايفان فيدوروفش، أي دلك جسمه بمعاونة امرأته بخلط من الخمر ومغلي أعشاب فوى

ثم شرب ما تبقى من هذا الخليط ، بينما كانت مارفا اجناتيفنا تقرأ عليــه دَعَاءٌ سرياً بصوت خافت • ثم رقد وذاقت مارفا اجناتيفنا الدواء أيضًا ، ولكنها لم تلبث أن نامت الى جانب زوجها نوماً عميقاً على لفور ، لأنها لم تألف شرب الكحول ، ولم تتعوده ، أما جريجوري فقد استيقظ من نومه في وسط الليل على غير توقع ، وفكَّر لحظة ، ثم اذا هو يجلس علىسرير. رغم أنه أحس بألم شديد في المنطقة الحقوية • فلما فكر من جديد ، نهض وأسرع يرتدي ثيابه • من الجائز أن يكون قد شعر بعذاب الضمير لأنه نام بينما بقى البيت بغير حارس يحرســه « في فترة خطرة الى هــذا الحد ، • وكان سمردياكوف الذي صرعته النوبة ، راقداً بلا حراك في الفرقة الصغيرة المجاورة • ولم تتحرك مارفا اجناتيفنا ، فقال جريجورى لنفسمه وهو يلقى نظرة عليها : « انها لم تتحمل الدواء ، ثم خسرجُ الى درجات الىات وهو يشنء كان لايستهدف الا أن يلقى نظرة على الخارج، لأنه كان لا يحس أنه قادر على المشى ، بسبب الألم الشديد الذي كان يشمر به في الكلمتين والساق اليمني • ولكنه تذكر في تلك اللحظة نفسها أنه لم يقفل باب الحديقة الحديدي في المساء • ان جريجوري رجل دقيق المواعيد منظم السلموك ، لا ينحرف أبداً عن القسواعد التي فرضها على نفسه الى الأبد ولا عن العادات التي أخذ نفسهبها خلال سنين • وها هو ذا يهبط درجات الباب عارجاً متلوياً من الألم ، ويتجه الى الحديقة. وكان باب الحديقة الحديدي مفتوحاً حقاً • أثراء لاحظ شيئا يثير الانتباء أو سمع صوتاً لا 'يتوقع ؟ فلما لفت رأسه فجأة نحو البسار ، رأى النافذة في غرفة نوم مولاه مفتوحة ، ولم يو أحداً علمها ؟ فتساءل : • كيف تكون النافذة مفتوحة ولسنا في فصل الصيف؟ » ، ولمع في تلك اللحظة نفسها ظلاً يتحرك في الحديقة على مسافة أربعين خطوةً منه • كان هنــاك رجـــل يهرب في الظلام • صاح جريجوري يقول : « رباه ! ، ، ثم نسي فحَّأة

أله ، واندفع يركض ليقطع على الهارب طريق الغراد ، فسلك أقسر طريق ، لأنه يعرف الحديقة أكثر معا يعرفها الرجل الذي يعاده ، لقد اتجه الهارب نحو الحمامات ، فدار حولها ، ثم اندفع صوب الحائط ، وكان جريجوري يركض بأقصى سرعة دون أن يغيب الرجل عن بصره، فوصل الى السور في اللحظة التي كان فيها الرجل المجهول يتسلق السور ؟ وها هو ذا يطلق صرخة قوية وقد خرج عن طوره كويمسك احدى ساقى الرجل بكلتا يديه ،

لم يخطئه حدمه ؟ عرف الرجل : انه ذلك الشـــيطان الرجيم « قاتل أبيه » •

زأر المجوز يقول :

ــ يا قاتل أبيه! •

ولكنه لم يستطع أن يقول أكثر من ذلك : فها هو ذا يهوى على الأرض مجدلاً *

قفز مبنيا الى الحديمة من جديد ومال على الخادم الذي جند له • وكان مبنيا يمسك المدق النحاسي بيده > فرماه على العشب ذاهلاً • سقط المدق على مسافة خطوتين من جريجورى > لا بين الحشائش > بل في المعر> أي في أبرز موضع يرى • ولبت مبنيا بفسيح لحظات يتأمل جسم الحخادم المعجوز الدامي رأسسه > ومد يد يجس الرأس • لقسد تذكر مينا فيما بعد > تذكراً واضحاً > أنه شسعر في تلك اللحظة بحاجة قوية أم أن الأمر لا يعدو أن يكون قد أغمي عليه بسبب الضربة التي أصابت صدغه • ولكن الدم الحار الدي أخرج من جيه منديلاً خطباً المرتجغة • ولكن الدم الحار كان يتدفق فيض أسسابع مينيا المرتجغة • وتذكر مبنيا فيما بعد أنه أخرج من جيه منديلاً خطباً كان قد تزود به

حين ذهب الى السيدة هوخلاكوفا ، فوضعه على وجه جريبجورى ، محاولا ، بنباء أن يقطع سيلان الدم على جينه وخديه ، فسرعان ما ابتل المنديل بالدم خلال بضع نوان ، فأسرع ميتيا يتساءل فجأة وقد ناب الى رشده : دما بقائي هنا ؟ ، ثم أضاف يقول يائساً : « وكيف يمكنني أن أعرف الآن ما كسرت الجمعجمة أم لا ؟ وما جدوى هذا على كل حال ؟ ما وقع فقد وقع ٥٠٥ ولقد كان المعجوز متهوراً فنال ما يستحق ! ، ، بهذا ختم ميتا كلامه بصوت عالى ، ثم اندفع نحو السور ، فسلقه ، وقفز الى ميتا كلامه بصوت عالى ، ثم اندفع نحو السور ، فسلقه ، وقفز الى منديله المبلل بالدم ، فدست في جيب سترته دون أن يهسدى ، سرعة منديله المبلل بالدم ، فدست في جيب سترته دون أن يهسدى ، سرعة ركضه ، كان يعدو عدوا شديداً يوشك أن يقطع أنفاسه ؟ ولسوف يتذكر عدة مارة صادفوه في الشوارع أنهم رأوا في تلك الليلة رجلا بهرب في الظلام طائش المقل ،

اتجه مييا من جديد الى منزل آل موروسسوف • كانت فينا قد أسرعت ، بعد انصرافه ، الى بيت البواب ازير ايفانوفتش فنوسلت اله دباسم يسوع المسيح أن لايدع وللكابتن، أن يدخل المنزل مرة أخرى ، لا في هذا المساء ولا في الفد ، ، فوعدها ازير ايفسسانوفتش بأن يلمي رجاءها ، ولكنه اذ اضطر أن يذهب الى مالكة المنزل في الطابق الأعلى ، عهد بمراقبة المناء الى ابن أخيه ، وهو فتى في المشرين من عمره كان قد وصل من الريف مؤخراً ، وسى أن يوصيه بما كان يجب أن يوصيه به بشأن الكابتن ، فلما وصل دمترى طرق الباب ، ففتح له الشاب الفلاح فمرفه ، لأن مينا كان قد أعطاه « بقائيش ، كبرة مرات كبرة ، وتركه يدخل ، حتى لقد أسرع يبلغه ، وهو يتسم ابتسامة تودد ، أن « أجرافين الكسندووفنا ليست في بينها ، • فسأله مينا بحرارة :

_ فاین هی یا بروخور ۲

فقال له الشاب :

ــ سافرت الى موكرويه منذ أكثر من سناعتين ، وتولى تيمسوتي. قيادة :لخپل ه

صاح ميتيا يسأله :

ـ ماذا ذهبت تصنع هناك ؟

ـ لا أدرى يا سيدى ! ضابط استدعاها وأرسل اليها عربة تقلها •

كان مِتيا قد انقطع عن الاصنفاء النه • فلقد أسرع يدخل البيت كالمجنون ناحثاً عن فينيا •

0 فىئىرارمفساجئ

فينيا في المطبخ مع جدتها ، وكانت المرأتان تستمدان للنوم ، وقد اعتمدتا على يقظمة نازير ايفانوفتش ، فأهملتا مرة أخسرى اقفال الباب بالمنتاح ، اقتحم مينا الغرفة ، وارتدى على فينيا،

فقبض على عنقها ، وزأر يسألها خارجاً عن طوره :

_ قولی لی حالاً ، مع من هی فی موکرویه الآن ؟

فأطلقت المرأتان صرخة حادة • وجمجمت فينيا تقول بسرعة وقد استحوذ عليها هلم رهيب :

م سأقول كل شىء يا دمترى فيدوروفتش العزيز ، سأتكلم ، لن أخفى شيئًا ، لقد ذهبت جروشنكا الى لقاء ضابطها في موكرويه ،

صرخ ميتيا يسألها :

_ أي ضابط ؟

فأسرعت تجيبه :

ــ الضابط الذي عرقته في الماضي ، منذ خمس سنين ••• الضابط الذي تركها وسافر • أعتق مينا عنق فينا و ولبت أمامها لحظة لا ينطق بكلمة ، وقد اصطبغ وجهه بسفرة كصفرة الموت، وعبرت نظرته عن أنه أدرك الحقيقة الآن على حين فجأة ، وأنه فهم كل شيء وحزر كلشيء دفعة واحدة. ولكن فينا المسكية لم يخطر ببالها في تلك اللحظة أن تلاحظه لتملم هل أدرك الحقيقة فعلا أم هو لم يدركها و لقد ظلت جالسة على صندوق كما مادة و دروسول مينا ، ولبت ترتمش جامدة على ذلك الوضع نفسه مادة و دراعيا كأنما لتحمى نفسها و وكنت عناها اللتان اتسمت حدقاهما من الجزع تحدقان الى مينا الذي كانت يداه حمراوين من الدم ، وكان منيا أنساء الطريق قد اضطر أن يمسح بديه المسرق الذي كان يتصبب من وجهه ، فكانت بقع الدم تركى كذلك على جينه وعلى خده اليمنى وشعرت فينا أنها توشك أن تصبب بنوبة عصيبية و وكانت المجوز وشعرت فينا أنها توشك أن تصب بنوبة عصيبية و وكانت المجوز مجونة من شدة الهلم و وبعد دقيقة من صمت تهالك مينا على كرسي قرب فينا و

وهاهوذا ميتيا يخاطب فينيا على حين فجأة برقة ولطف وكياسة ،

كطفل طب خبول ، دون أن يتذكر كيف داهمها وقسا عليها منذ لطفات • أخذ يلقى عليها أسئلة واضحة دقيقة يُستغرب صدورها عن رجل في مثل حالته فكانت فينا تجيبه عن كل سؤال بلطف عظيم وبشاشة كبيرة ، رغم أنها لم تستطع أن تحول بصرها المذعور عن يديه الداميتين حتى لقد بدا عليها أنها تحرص على أن لا تكتمه شيئاً وأن لا تخفى عنه شيئاً • ولاح شيئاً فشيئاً أنها لم تعد مسرة في أن تكشف له عن جميع النفاصيل ، لا بقصد ايلامه ، بل عن رغبة صادقة منها في أن تكون نافعة له • قصت عليه أحداث النهار تفصيلاً ، وذكرت له زيارة راكيتين وأليوشا ، وحكت له كيف أنها كُلقت بالترقب والترصد ، وروت له سفر جروشنكا ، ورد دت على مسامعه التحيات التي حرصت المرأة الشابة على أن تكلف أليوشا من النافقة بأن ينقلها اليه ، بفية • أن يتبذكر على مدى حياته الساعة التي أحبته فيها ، • فلما وصلت فينيا الى هذه النقطة من حديثها ابتسم دمترى ، واحمر خداه الشاحيان بضع ثوان • وتجرأت فنيا عندثنة فسأته دون خوف في هذه المرة :

ـ لماذا أرى يديك ملوتتين بالدم يا دمترى فيدوروفتش ؟

فأجابها ميتيا ذاهلاً :

... آ ۱۰۰ تم ۵۰۰ صحیح ۰

وألقى على يديه نظرة ذاهلة •

ولكنه سرعان ما نسى السؤال الذى أُلقى عليسه ، وغرق فى الصمت ، لقد انقضى نصف سساعة على وجوده هنا ، ان الرعب الذى اجتاحه قبل بضع لحظات قد تبدد الآن ، وبدا على ميتيا أن قراراً حازماً لا رجمة عنه قد استولى عليه وحل محل ذلك الرعب ، وها هوذا ينهض فحاة ويتسم حالم النظرة ذاهل اللب شارد الفكر ،

سألته فينيا وهي تشير الى يديه :

ـ ماذا وقع لك يا سيدى ؟

وكانت فينا تتكلم بلهجة فيها عطف وشفقة ، كأن ميتيسا ليس له أحد أقرب منها اليه في لحظة الشقاء هذه التي يعر بها ه

ظر ميتيا مرة أخسرى الى يديه • ثم أجابها وهو ينظر اليها نظرة غريبة :

حوده " يا فينيا ٥٠٠ دم انسساني ٥٠٠ الله وحده يصرف لاذا سفح هذا الدم ٥٠٠ ولكن اعلمي يا فينا أنه يوجد هنالك سور عال (وكان مينيا ينظر اليها في تلك اللحظة نظرة من يلقى عليها «فزورة»)» سور رهيب ٥٠٠ وغدا ، عند الفجر ، حين تبدأ الشمس مسيرتها ، سيقفز مينا ذلك السور ٥٠٠ انك لا تفهين يا مينا أي سور أعنى ٥٠٠ لا ضير ٥٠٠ ستمرفين ذلك غدا ، وسستفهيين عندنذ كل شيء ٥٠٠ أما الآن ، فوداعاً ! لن أكون عقبة " في طريق سعادتها ، سأعرف كف أمعى ٥٠٠ عيشي واسعدي يا فرحتي ، يا ضسيائي ٥٠٠ لقد أحبتني ساعة ، ولسوف تنذكرين مينكا كارامازوف طوال حياتك ٥٠٠ تعلمين أنها كانت تناديني ميتنكا !

قال ميّيا هذه الكلمان وخرج من المطبخ فظهر على فينيا أن انصرافه هذا قد أرعبها أكثر مما أرعبها وصوله حين اقتحم الفرقة وهجم عليها •

وبعد عشر دقائق تماماً كان دمترى فيدوروفتش يمثل أمام بطرس ايلتش برخوتين ، الموظف الشاب الذى استودعه المسدسين رهناً . كانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف ، وكان بطرس ايلتش قد احتسى الشاى ، وارتدى ردنجوته لمعضى يلمب الملساردو قلملاً في كاباريه العاصمة الكبرى ، • • • • وصل اليه ميتيا فى اللحظة التى كان يهم فيها
 أن يخرج • فما ان رأى الشاب يديه الداميتين حتى صرخ مدهوشاً •
 ــ ماذا وقع لك ؟

۔ لا شیء ! جئت أرد اللك مالك واسترد السدسين ، لقد قدمت لى خدمة كبيرة أنا مستمجل جداً يا بطرس ايلتش ، فلا تضيمن الوقت،

كانت دهشة بطرس ايلتش ما تنفك تزداد : ذلك أنه رأى في يدى ميتيا كانت دهشة بطرس ايلتش ما تنفك تزداد : ذلك أنه رأى في يدى ميتيا كانت يسسلت كدسة الأوراق النقدية كما لا يمسكها أحد : كان قابضاً عليها بيسده اليمنى التي يقدمها الى أمام كأنما ليعرضها و وقد صرَّح الخادم الشاب الذي يعمل في منزل الموظف ، صرَّح فيما بعد أن دمترى فيدوروفتش قد دخل المنزل وهو على هذه الحال ، وأن أغلب الغلن اذن أنه كان في الشارع أيضاً يحمل حزمة الأوراق النقدية (وهي أوراق من فئة المائة روبل) بيده على هذه الصورة بحيث يراها الناس بسهولة ه

كان مييا يشد على الأوراق النقدية بأسبابه المدماة ، وقد ذكر بطرس ايلتش للأشخاص الذين سألوه فيما بعد عن المبلغ هل هو ضخم، ذكر أن من السعب تقديره بالنظر وحده ، وأن من الجائز أن يبلغ ألفى روبل وربما ثلاثة آلاف روبل ، غير أن الكدسة كانت كبيرة على كل حال ، كانت سميكة جداً ، أما دمترى فيدوروفتش فلقد كان ، كما ورد في الشهادة التي أدلى بها هذا الموظف الشاب فيما بعد ، « في حالة غير طبيعة ، ولكنه لم يكن ثملاً ، وانما كان شديد الاندفاع ، عميق الذهول، رغم أن منظره يشمع في الوقت نفسه بأنه كان يركز ذهنه على فكرة تشمله ، فهو ببدو مفكراً باحثاً عن حل لا يفلح في الوصول اليه ، وكان تعجب بأجوبة ماغتة ، وجمل قصيرة ، عد غرية ، وكان يمكن أن يكلن في بعض اللحظات أنه فرح لا حزين ، ، غرية ، وكان أمدية ، وربة كان يركز وربة ، فرية ، وربة كان يمكن أن يكلن في بعض اللحظات أنه فرح لا حزين ، ،

صاح بطوس ایلتش یســــأل من جدید وهو یتفوس فی زائره مذهولاً :

ـــ ولكن ماذا بك؟ ماذا فعلت حتى تلطخت بالدم هذا التلطخ كله؟ أتراك سقطت على الأرض؟ أنظر الى نفسك فى المرآة •

قال له ذلك وأمسكه من كوعه ودفعه نحو مرآة مفلما رأى ميثيا وجهه داميًا ارتمش وقطب حاجيه ه ودمدم يقول حانقاً :

ـ هه ! لم يكن ينقص الا هذا ٠٠٠

وأسرع ينقل الأوراق المالية من يدها اليمنى الى يده اليسرى ، وأخرج منديله من جيبه بحسركة متشنجة • كان هذا المنديل (الذي استممله مينيا في مسح وجه جريجورى) ملطحةً بالدم ، وكانت طياته قد التصقت بعضها بعض التصافى قوياً فلم يفلح مينيا في فضها ، فرمى المنديل على الأرض غاضباً وهو يسأل بطوس المتش قائلاً :

ــ أليس عندك خرقة ٥٠٠ أمسع بها ؟

- تمسح ؟ أأن تلوث بالدم تلوثاً فحسب ؟ ألست جريحاً اذن ؟ اذا كان الأمر كذلك فتعال اغتسل • سأعطيك طشت ماء •

ـ شكراً •• ولكن أين أضع هذا ؟

ــ ضع المال في جيك ٥٠٠ أو ضـــمه على المائدة هنا ٥٠٠ فلن يأخذه أحد ه

- في جيبي ؟ طبعا في جيبي ٥٠٠ عظيم ٥٠٠

ثم صاح يقول فجأة كأنه يخرج من ذهوله :

ــ هذا كله سخيف ! ••• لا ••• يجب أن نسوتَى تلك المسألة أولاً ••• هات المسدسين ••• اليك المال ••• اننى فى حاجة ماسة الى المسدسين ••• وأنا مستمجل جداً ••• ليس هناك لحظة أسستطيع أن أضيعها •

قال ذلك ومدَّ الى الموظف ورقة ً بمائة روبل كانت أولى أوراق الحزمة • فقال له بطرس ايلتش :

لا أستطيع أن أبداتها لك ٥٠٠ أليس معك تقود صفيرة ؟
 فأجابه متما :

· · · ¥ _

ولكنه جس ورفتين أخريين أو ثلاث ورفات أخرى كأنه غير متأكد من صحة جوابه ، ثهر أضاف :

ـ لا ••• ليس عندى أوراق صغيرة ••• هى جميماً واحدة • قال ذلك ونظر الى بطرس ايلتش مرتبكاً • مأله الموظف الشاك :

ــ من أين جانتك هذه الثروة كلها ؟

ثم أضاف يقول : _ انتظر ! سأرسل العسى الى مخزن آل بلوتنكوف • انهم يخلقون

متجرهم في ساعة متأخرة ، وسيبدلون لنا هذه الورقة • هيه ! ميشا !

كذلك نادى الصبيُّ وهو يفتح الباب •

هتف ميتيا يقول فيما يشبه الألهام المباغت :

_ مخزن آل بلوتنيكوف ؟ فكرة رائعة ٠٠٠

ثم قال يخاطب الصبي الذي دخل الغرفة في تلك اللحظة :

_ ميشا ؟ أركض الى متجر آل بلوتنيكوف * ، وقل لهم ان دمترى فيدوروفتش يبلغكم تحياته ، وانه سيجي: اليكم بنفسه بعبد قليل ٠٠٠ وقل لهم أيضًا هذا : أن يحضروا شمبانيا بانتظار وصولى اليهم • نعم ••• ثلاث دستات شميانيا ٥٠٠ وليحزموها كما فعلوا في المرة الأخيرة حين أضاف يقول فجأة وهو يلتفت الى بطرس ايلتش) • وهم يعلمون على كل حال ، يا ميشا ٥٠٠ لا تهتم بشيء (هكذا استأنف كلامه مخاطب الصبي) • • • ها نهم ! قل لهم أيضاً أن يضميفوا جبناً ، وفطائر من ستراسبورج ، وأسماكاً مدخنة ، وشرائح من فحذ الخنزير ، وكافياراً ، أَى شَيْئًا مَنَ كُلُ مَا عَنْدُهُم فَي مَخْزَنَهُم ، بَحِيث يَكُونَ ثَمْنَ المَجْمُوعُ مَاثَةً أُو مائة وعشرين روبلاً كما في المرة السسابقة ••• وقل لهم كذلك أن لا ينسوا الملس والسكاكر الذوابة والكمثرى ، وبطيختين أو ثلاثًا ••• لا بل تكفى بطيخة واحدة ٥٠٠ ولكن لا بد في مقابل ذلك من شوكولاتة وسكر شمير ، وفاكهة مرببة وكارامل لين ، تماماً كالمرة الماضية ؟ فيكون الثمن مع الشميانيا حوالي ثلاثمائة روبل ••• تماماً كالمرة السابقة ••• هل ستتذكر يامشا ؟ ألس اسمه ميشا ؟ (وجَّه هذا السؤال الى بطرس ايلتش) **•**

قال بطرس ايلتش الذي كان يصنى اليه ويلاحظه قلقاً :

_ لحظة ! ••• أليس الأفضل أن تأمرهم أنت باعداد الأشـــياء ؟ لا شك أن العبي سيخطىء •

الآن شكراً لك ٥٠٠ اسمع : اذا لم تخطئ في تنفيذ المهمة ، فلك منى عشر روبلات • هيا أسرع ٥٠٠ لا تنس الشمبانيا خاصـــة ، يجب أن يحضروا كثيراً من التســمبانيا ٥٠٠ وكذلك من الكونيــاك ٥٠٠ أبيض وأحمر ٥٠٠ تماماً كالمرة الســــابقة • هم يعرفون ما طلبته في المرة السابقة •

قاطعه بطرس ايلتش قائلاً وقد نفد صبر. :

- هلاً تركتني أتكلم آخر الأمر ؟ أعود فأقول لك : حسب الصبى أن يجيئنا بالنقود ، وأن يوصيهم بأن لا يغلقوا متجرهم قبل وصولك . وستذهب اليهم فورآ ، فعمل ما يجب بنفسك ، اعطني هذه الورقة ... والآن هيئا يا ميشا ، وأسرع ... فهمت ؟

يبدو أن الموظف كان حريصاً على أن يسرع في صوف ميشا الذي كان ينظر محملق العينين الى الزائر الذي تلطخت يداء وتلطخ وجهسه بالدم وحملت أصابعه المرتشمة حزمة من الأوراق المالية • كان الفلام واقفاً أمام مينياً فاغر الفم ، ولهاه لم يفهم شيئاً مما كان يقال له •

فلما انصرف الغلام قال بطرس ايلتش بلهجة جافة :

_ والآن تعال اغتسل • ضع المال على المائدة أو ضعه فى جبيك ••• هكذا ••• اقترب ••• اخلع عنك هذا الردنجوت !

وسماعده في خلع الردنجوت ، فاذا هو يصبح فجمأة من جديد اله :

ـ أنظر ٥٠٠ الردنجوت أيضاً ملوث بالدم ٠

_ ليس هو ••• ليس هو الردنجوت ••• الكم وحده التسيخ قليلاً في هذا الموضم ••• وهنا أيضاً ••• ذلك لأنني هنا انما دسست المنديل ، فنضح الدم ••• ولا بد أتنى قعدت عليه عند فينيا ، فرشح الدم من الجيب •

كذلك راح ميتيا يشرح الأمر فى سورة من ثقة عجيبة • فقطب بطرس ايلتش حاجبيه • وقال متذمراً :

_ هأنت ذا دبرت أمرك ! أثراك اقتلت مع أحد ؟

وابتدأ انتنظیف و تناول بطرس ایلتش جرة وأخذ یسک الماه فكان میتیسا من فرط تسجله لا یحسن و تصبین ، یدیه (كانت یداه ترتشان ؟ تذكر بطرس ایلتش ذلك فیما بمد) ، فأمره الموظف الشاب بأن یمید الكرة فیمبتن یدیه من جدید و كان الموظف فی تملك اللمحظف یسیطر علی میتیا ، وكان سلطانه علیه یقوی شیئا بعد شیء و یحسن أن شیر هنا الی أن هذا الشاب لم یكن خجول العلیم و

_ أنظر: لقد نسيت أن تنظف ما تحت الأظافر ، وادلك وجهك الآن ، أكثر من هذا! هنا على الصدغين ، وقرب الأذن أيضاً ••• هل تنوى أن تنصرف لابساً هذا القميص ؟ والى اين تريد أن تذهب ؟ ألا ترى أن الكم المنى ملأى بالدم ؟

فقال ميتيا وهو يفحص ألكم :

_ حقا! انها ملطخة .

_ بِدل اذن ملاسك الداخلة •

_ لا ينسع وقتى • ســــأدبر هذا الأمر : أثنى طرف الكم تحو الداخل ، فلا يُسرى الدم ••• هكذا •••

كذلك أجاب ميتيا بتلك الثقة نفســها ، وهو ينجفف وجهــه ويديه ويرتدى ودنجوته ه _ قل لى الآن ما وقع لك؟ هل اقتلت مع أحد؟ مع من اقتلت؟ أفي الكاباريه ، كما حدث هذا من قبل؟ أثراك اقتلت مرة أخرى مع ذلك الكابتن نفسه الذي جررته الى الشارع وأخذت تضربه ضرباً مبرحاً؟ (ذكر بطرس ايلتش ذلك المشهد بلهجة لائمة) • من ذا ضربت اليوم • • • أم تراك قتلت أحداً ؟

- _ سخافات !
- _ سخافات ؟ ماذا تعنى ؟
 - قال ميتيا:
- ـ دعك من هذا الأمر •
- ثم استدرك يقول متسماً وقد ثاب الى تفسه :
 - _ دست امرأة عجوزاً في المدان
 - ــ دست امرأة عجوزاً
 - ـ بل رجلاً عجوزاً •

كذلك صحَّح مِينا أجابته ضــــاحكا ً، وصارخاً كأنه يكلم وجلاً أطرش • وكان يسدد نظراته الى عينى بطرس ايلتش •

رجل عجوز • • • امرأة عجوز ! • • • أصبحت لا أفهم ! • • • أثراك قتلت أحداً ؟

ــ لا بل تصالحنا • تضاربنا في أول الأمر تم تصالحنا بعد ذلك •
حدث ذلك هناك • وافترقنا صديقين • ثم انه غيى أبله ••• أوه ! لقد
غفر لى وعفا عنى ••• لابد أن يكون قد صفح عنى في هذه الساعة •••
ولو قد نهض ، لما أمكن أن يففر لى ••• هه ••• فليذهب الأبله الى

الشيطان ! هل تسمعنى يا بطرس ايلتشن ؟ فليذهب الى الشيطان ! لا أويد أن أهتم به بمد الآن ، لا أريد أن يخطر ببالى فى هذه اللحظة !

كذلك صاح ميتيا يقول بلهجة قاطعة • قال بطرس ايلتش :

ـ لا أحب أن أكون كير الفضول ٥٠٠ ولكن أية لذة تجد في التشاجر مع أول قادم ؟ ٥٠٠ وفي سبيل ترهات وسفاسف ، كما حدث مع ذلك الكابتن ؟ تقتل ثم تمضى تلهو وتقسف ، ذلك طبعك حقاً ! ثلاث دستات شعبانيا ! أين تقدر أن تشرب هذا كله ؟

ـ أعطنى المسدسين بسرعة • أنا مستحجل جداً ، أحلف لك ! كنت أود لو أثرثر معك يا عزيزى ، ولكن ليس فى وقتى متسع • ثم فيم النرثرة ؟ لقد فات أوان الكلام الآن • آه !••• ولكن ! أموالى ، أين . أين وضعتها ؟

كذلك هتف يقول وهو يفتش جيوبه واحداً بعد آخر .

أجاب متبا ضاحكاً :

ثلاثة آلاف •

ودس الحزمة في جيب سرواله •

ـ سوف تضيعها هكذا ؟ أتراك اكتشفتُ منجم ذهب؟

صسماح میتیسا یقول بصوت قوی وهو ینفجر بضحک صاخب محلحل:

ـ مناجم ، مناجم دهب ! هل تهمك المنساجم يا عزيزى الشهم برخوتين ؟ اننى أعرف هنا سيدة تعطيك ثلاثة آلاف روبل على الفور اذا أنت مضيب باحثاً عن المناجم ، لقد أعطتنى أنا ثلاثة آلاف روبل ، فالى هذا المدى يذهب جنونها بالمناجم ! هل تعرف السيدة هوخلاكوفا ؟

ـــ أعرفها بالنظر ، وبالسمعة أيضاً • أهى التى أعطتك الثلاثة آلاف روبل ؟ أعطتكها هكذا ؟

كذلك سأله بطرس ايلتش وقد بدا في وجهه أنه لم يصدق زعم صاحبه •

اذا كنت لا تصدق ما أقول فاذهب اليها غداً منذ الفجر ، ساعة رسمة ويتقى فيبوس قبة السماء مسبحاً بحمد الرب ممجداً عظمته بشمسابه المخالد ، اذهب اليها فاسألها ألم تعطنى اللائة آلاف روبل ، وسمسوف تعلم ،

- ـ الى موكرويه ٠
- ــ الى موكرويه ؟ ليلاً ؟ قال مشا فحأة :
- قال ميثيا فجأة :
- ـ كان العالم ملك يميني ، فأصبحت لا أملك الآن شيئًا !

_ لا تملك شيئًا ؟ وهذه الثلاثة آلاف روبل ؟

ــ لا قيمة لها عندى ! ألا فليذهب المــال الى الشيطان ••• وانما أنا أتكلم عن طبع النساء •••

> فكر النساء سريع التصديق * وقلبهن كثير التقلب فاسد

ان أوليس هو الذي قال هذا ، وأنا أوافقه في الرأى كل الموافقة.

- _ لا أفهمك •
- _ أظن أنك تحسبني ثملاً ؟
- ــ لا ثملاً ، ولكن ربما أسوأ من ذلك .
- ــ أنا تمل بالمعنى المجـــازى يا بطوس ايلتش ، لأن روحي هي السكرى ولكن كفي هذا الآن •••
 - _ ماذا تفعل ؟ أتحشو مسدسك ؟
 - ــ نعم أحشوه ه

كان مِنيا قسد فتح علبة المسدسين فعلاً ، فبعسد أن سكب باروداً في خرطوشة ، دس الخرطوشة في المسدس ؟ وقبل أن يضع الرصاصة في السبطانة ، أمسكها بين اصبعين وأخذ ينعم النظسر اليها في ضوء الشمعة •

- سأله بطرس ايلتش الذي كان يراقبه يفضول قلق:
 - ـ لماذا تنظر الى الرصاصة ؟
- هى نزوة لا أكثر ٥٠٠ لو كنت تنوى أن تُسكن هذه الرصاصة فى دماغك ، أفما كنت تنظر اليها حين تعشو المسدس ؟

ــ أنظر اليها ؟ لماذا ؟

ما دامت ستنفذ في جمجمتي أنا ، فانه ليممني أن أرى هيتمها للله و الله الله على كل حال ، لا أدرى ماذا أصابني. و الله على كل حال ، لا أدرى ماذا أصابني.

ثم أضماف يقول بحرارة وهو يدخل الرصماصة ويرسخمًا بالمشاقة :

ـــ انتهى ! ما هذا كله الا ســـــخافات يا عزيزى بطرس ايلتش ، سخافات لا أكثر ٥٠٠ ليتك تعلم مدى ما في هذا كله من غباء • أعطني ورقة بسرعة !

ــ هذه ورقة ٠

ـ بل أريد ورقاً نظيفاً أكتب عليه • هذا يصلح على كل حال •

وتناول ميتيا ريشة من على المنصدة ، فكتب على الورقة سطرين بسرعة ، وطوى الورقة أربعة أرباع ، ودسها فى أحد جيوب صديرته . وبعد ذلك أعاد المسدسين الى العلمة ، وأقفلها بالمفتاح واحتفظ بهسا فى يده ، ثم راح ينظر الى بطرس ايلتش ملياً ، وهو يشسم ابتسامة حالة . وقال :

_ والآن أمضي ؟

_ الى أين ؟ قف ! ألعلك تفكر فعلاً فى ارسال هذه الرصاصة الى ` رأسك ؟

كذلك سأله بطرس ايلتش متدخلاً ، وقد اشتد قلقه ه

ــ هذه الرصاصة ؟ يا للغباء ! ألا فاعلم أننى أريد أن أحيا ، لأننى أحب الحياة ! اننى أعظم حبًا لفيبوس وضفائره الذهبية وحرارته من أن یخطر بالی الانتحار ۵۰۰ قل لی یا عزیزی بطرس ایلتش : هل تستطیع أنت أن تمتَّحی ؟

ـ أن أمحى ؟ ماذا تعنى ؟

- مم أن تمتَّحى ، أن تزول من الدرب ، أن تخلى الســـاحة للانسان الذى تحبه والانسان الذى تكرهه ؛ وأن تحب حتى ذلك الذى كان عليك أن تكرهه ٠٠٠ أن تبتعد عن طريقهما قائلاً : « هيًا اسعدا ، وليحرسكما لله ، أما أنا فسوف ٠٠٠

_ سوف ٥٠ ماذا ؟

ــ لا شيء ! فلأمض ٥٠٠

_ أحسب أننى سأبلغ أقرباك ليمنعوك من السفر • ماذا عسماك فاعلاً في موكرويه ؟

كذلك قال بطرس ايلتش وهو يتفرس في ميتيا • فأجابه ميتيا :

ــ فى موكرويه امرأة ٥٠٠ امرأة ٥٠٠ هأنت ذا عرفت الآن مافيه الكفاية يا بطرس ايلتش ! حسبك هذا !

ــــ اسمع لى : أنت انسان متوحش ، ولكنك كنت دائماً محبياً الى قلبى • فأنا الآن شديد القلق عليك •••

_ شـكراً يا أخى ! أتقــول اننى متوحش ؟ هذا صحيح ! ذلك ما كنت أدعيه دائماً : متوحشون ، متوحشون ٥٠٠ آ ٥٠٠ هذا ميشا قد عاد • كنت قد نسبته •

وصل مشا لاهناً يحمل النقود • فذكر أن آل بلوتنكوف قد دهبوا يتحركون ويعملون ، ، فهـــم يحملون الزجاجات ريهيئون الســـمك ويجلبون الشاى ، وأن كل شىء سيكون قد تم اعداده بعد بضع دقائق • تناول ميتيا ورقة مالية بعشرة روبلات ، فمدَّها الى بطرس ايلتش ، ورمى للصبى ورقة أخرى بتلك القيمة نفسها •

مستحيل! لا أسمح لت بأن تعطيه « بقائيش ، في دارى • فان ذلك سيفسده • أعد هذا الله الى جبيك ولا تبدده • قد تحتاج اليه في القريب • انني لأتنبأ بأن تعود الى منذ الفد لتستدين عشرة روبلات • • • ولكن لا • • • لا تدس جميع هـ نه الأوراق في جب السروال ، والاضاعات منك!

- ــ هيه يا صديقى ! ليتنا نذهب الى موكرويه مماً ما رأيك ؟ ــ ما ذهابى أنا الى هناك ؟
- اسمع! سنفتح احدى الزجاجات لنشرب تمجيداً للحياة •
 اننى فى حاجة الى شرب شىء من الشمبانيا فلنشرب مماً! أغلن أثنا لم
 نشرب مماً فى يوم من الأيام! وأنا أحرص على هذا وأصر عليه!
- لك ما تشاء! فلنذهب اذن الى الكاباريه لقد كنت أنوى أن أذهب الى هناك •

ــ لا الى الكاباريه ! ليس فى وقتى متســــــع • سننمرب عند آل بلوتنيكوف ، فى الحجرة التى وراء الدكان • سألقى عليك « فزورة » » هل توافة, ؟

ــ أثقها ه

أخرج ميتيا من جيب صديرته الورقة الني كان قد طواها ووضعها فيها ، ففض الورقة وأطلع عليها الموظف الشاب ، فقرأ هذا الجملة التالية الني كتبها عليها ميتيا بأحرف كبيرة : « انني أعاقب نفسي مكفتراً عن حياتي كلها ، وأقبل هذا المقاب » ، قال بطرس ايلتش بعد أن قرأ الجملة :

_ أحسب حقاً أن على ً أن أبلغ أقاربك ! سأقوم بهذا !

ــ لن يتسع وقتك يا عزيزى ! هلم تشرب ! ذلك أفضل !

يقع متجر آل بلوتيكوف في ناصبة الشارع قريباً جداً من دار بطرس ايلتش و انه أكبر و بقالية ، في المدينة ، وهو مشروع تعجداري مزدهر ناجع بعدس أصحابه ادارته ؟ وفي هذا المتجر يباع كل شيء ، كما في المخازن الكبرى بالماصمة : خمور من و أقيبة الأخوة السبيف ، ، فاكبة ، سيجر ، شاى ، سكر ، بن ، النج و وفيه يعمل ثلاثة مستخدمون مقيمون ، وغلامان متحولان يحملان السلع الى منازل الزبائن و لقد أصيب اقليمنا بفقر شديد ، وغادره أثرياء المالكين ، وبارت التجارة فيه ، ولكن مخازن البقسانة ظلت مزدهرة ، حتى ليمكن القول انها تزداد ازدهاراً سسنة " بعد سسنة : من السلع التي من هذا النوع لا تعدم من يشتريها في كل زمان و

كان آل بلوتنيكوف ينتفرون وصول متيسا الى مخزتهم نافدى الصبر ، لأنهم يتذكرون ما اشتراه منذ بضعة أسابع من سلع كنيرة ، اذ ابناع ، دفعة واحدة ، من الخمور والبضائع ما بلغت قيمته بضع مئات من الروبلات عدا و وتقداً (وما كان لهم بطبيعة الحال أن بيبعوه شيئاً بالدين)؛ وهم لم ينسوا أيضاً أنه كان يعمل بيده ، كما في هذه المرة ، حزمة أوراق مالية ضخمة ، وأنه كان يرميها لهم دون أن يساوم ودون أن يفكر في فائدة تلك السلم الكثيرة التي اشتراها ، وقد روى بعد ذلك في المدينة كلها أنه ، حين ذهب الى موكرويه بصحة جروشنكا ، قد أنفسق في ليلة واحدة وفي النهار الذي أعقب تلك الميلة مبلغ الثلاثة آلاف روبل كله ، ما در من ذلك القصف بغير قرش واحد في جيبه ، كما ولدته أمه

تماماً ، • ذلك أنه قد استأجر فرقة من الفجر (كانوا يمسكرون أيامئذ على مقربة من بلدتنا) ، فرتب هؤلاء أمرهم بحيث يسلبونه مسان ومثات من الروبلات ، ومن أجل أن يفتحسوا أعداداً كبيرة من الزجاجات ، مستغلين سكره ، وقد روى الناس أيضاً ، في معرض السخر من مينا ، أنه قدم شسمانيا لفسلاحي موكرويه ، وأنه أشسبع بنات الحي قطائر ستراسبورجية وأنواعاً من الحاوي ، وكان النساس يتندرون أيضاً ، ولا سيما في الكاباريه (ولكن لا يحضور مينا ، والا تعرضوا للمخاطر) ، كانوا يتندرون بتلك الواقعة التي ذكرها هو نفسه على رموس الأشهاد ، وهي أنه لم يحظ من جروشنكا ، من قبيل المكافأة له على تلك الرحلة ، الا بقيلة من قدمها ، ولا شيء غير ذلك » ،

حين اقترب ميتيا وبطرس ايلتش من البقالية وجدا على بابها مركبة ترويكا مجهزة تمساماً ، من يَسْنة المدة بأجراس ومفسادش ، وعربة مزودَّدة بنطاء مربح ، وكان الحوذي آندره ينتظر ميتيا متربماً على مقعده وكان في الدكان منذ ذلك الحين صندوق خشبي كبير قد ملىء تقريبا بالسلع التي أمر بها ميتيا ، وكان أصحاب المتجر لا ينتظرون الا وصسول منا لتسمير الصندوق ووضعه في العربة ،

دهش يطرس ايلتش ، فسأل ميتيا :

من أين جاءت مركبة الترويكا هذه ؟

فأجابه ميتيا :

ــ لقد النقيت بآندره حين كنت آتياً اليك ، فأمرته بأن ينتظرنى مع الخيول أمام البقالية ، فلقد كان على آن لأأضيَّم وقتاً ، ان تيمودى هو الذى قادنى فى المرة السابقة ، ولكنه سافر فى هذا المساء مع ســـاحرة ، دون أن يحفل بى ٠٠٠ ترالالا ٠٠٠ هل ستأخر كثيراً يا آندره ؟

أسرع آندره يجيب :

ـ لن يسبقونا الا ساعة واحدة فى أكثر تقدير • بل أقل من ذلك! • • • ب بل أقل من ذلك! • • • • با أقل قد ذلك! • • • • با أقل أعرف سرعتها • لأقودتنك بسرعة غير تلك السرعة يا دمترى فيدوروفتش! حل تظن أنهم يمكن أن يقاسوا بنا؟ لن يصلوا قبلنا بساعة كاملة •

كذلك قال آندره مؤكداً بحرارة ، وهو وجل ما يزال شاباً ، أحمو الشمر ، جاف الجلد ، يرتدى قميصاً ويحمل قفطانه على ذراعه •

_ لك منى خمســـون روبلاً « بقشيشاً » اذا لم تتأخر أكثر من اعة !

اعتمد علی یا دمتری فیدوروفتش ساعة ؟ سیکون من حقهم أن
 یمتزوا ویفتخروا اذا هم سیقونا بنصف ساعة ؟

أخذ مينيا يتحرك فى المتجر فى فوضى مضطربة ، متنقلاً من طلب الى طلب آخر قبل انهساء الطلب الأول ، فرأى بطرس ايلتش أن من واجبه أن يتدخل محاولاً تخفيف اندفاعه والحد ً من جنوته ،

قال مشا آمراً :

ــ أريد أن يكون الثمن اربعمــائة روبل على الأقل ، تماماً كالمرة السابقة • أربع دستات شمبانيا ، هل تسمعون ؟ لا أريد أن تنقص زجاجة واحدة !

_ صرخ بطرس ایلتش :

ـ قف ! ما عساك صانعاً يكل هذا المدد من زجاجات الشميانيـا ؟ ماذا يحتوى هذا الصندوق الخشبى ؟ لا يمكن أن يكون فيه ما يساوى ثمنه اربعمائة روبل • أسرع المستخدمون يشرحون له ، بلهجة متلطفة ، أن هذا الصندوق الأول لا يحتوى الا ست زجاجات من الشمانيا ، وانه يحتوى كذلك د الأشياء الضرورية جداً ، كالمقبلات ، والملبس ، والحلوى ، النع ٠٠٠ أما ، الفلات ، الأساسية فستحزم على حدة ، ثم ترسل كالمرة السابقة على ترويكا أخرى تصل بعد ، دمترى فيدوروفتش بأقل من ساعة ، ٠

قال ميتيا ملحاً :

ــ بعد ساعة واحدة ، لا أكثر من ذلك • وستضعون فيها أكبر قدر ممكن من الجاتو والكارامل • ان البنات هناك يتشقن الجاتو والكارامل •

كذلك أضاف يقول بحرارة :

قاطعه بطرس ايلتش يقول شبه غاضب :

وأخذ بطرس ایلتش یساوم ، وطلب أن یری الفتورة ، وتحرك كثيرًا ، ثم لم یستعلم آخر الأمر أن ینقذ الا مائة روبل ، فتقرر أن لایزید ثمن البضائع المشتراة على ثلاثمائة روبل •

ثم صاح بطرس ايلتش يقول وقد نفد صيره وضاق ذرعاً :

ــ شيطان يأخذكم ! ما أغبانى اذ أتدخل فى هذه الأمور ، وأقحم نفسى فيها ! بدّ د مالك كما تشاء ، وارمه من النافذة اذا حلا لك ذلك ، ما دمت قد كسبته بغير جهد !

فقال له ميتيا وهو يعجره الى الفرقة التي تقع خلف الدكان :

_ هدىء روعك يا معلمي ! سيأتوننا الآن بزجاجة ترطب حلقينا !

قل لى يا بطرس ايلتش : لمــاذا لا تسافر معى ؟ أنت شاب شهم ، واننى لأحب أمثالك من الرجال •

جلس مينا على مقعد أمام مائدة منطاة بمفرش غير نطيف • وجلس بطرس ايلتش قبالته ، وجيئا بالشمبانيا • واقترحت عليهما محارات « من نوع فاخر وصلت مؤخراً » ، فقال بطرس ايلتش رافضاً الاقتراح في غضه :

ـ دعوني من محاراتكم ، فانني لا أحب المحار •

وقال ميتيا :

لا يتسع وقتنـــا لأكل المحار ، ثم اننى لا أشتهى أن آكل الأن محارًا •

ثم النفت يقول لبطرس ايلتش وقد تحمس على حين فجأة :

ــ اسمع يا صديقي ، اتني اكره كل هذه الفوضي .

ــ ومن ذا الذي لا يشمئز منهـــا ؟ ثلاث دســــتات من زجاجات الشمبانيا ٥٠٠ ولمن ؟ لفلاحين ؟ ألا ان هذا ليثير التقزر ويبعث الغثيان !

_ ليس هذا ما أعنيه • فائما أنا أقصد الفوضى التى تشوش النظام الأعلى ، نظام النفس ، نظام الروح! لقد أعوزنى دائما ذلك النظام ••• ليس فى نفسى انسجام ••• ولكن انتهى الآن كل شى• ، فعلام النسدم والأسف؟ فات الأوان! لا بأس! ••• لم تكن حيساتى كلها الا فوضى طويلة ، وقد آن لى أن أدخل عليها شيئًا من النظام • اتنى أسستعمل استعارات وكنايات رديثة ، هه ؟

_ بل قل انك تخرف ! ••• قال مشا :

الجد للخالق في الخلق الجد للخالق في نفسي *

لقد نظمت هذا البيت من الشمر في الماضى ، انبجس منى في ذات يوم انبجاس دممة ٥٠٠ أوه ! لم يكن هو اليوم الذي جررت فيه الكابتن من لجنة !

ـ لماذا تتكلم عن ذلك الكابتن ؟ انه ! ٠٠٠

ــــ لماذا ؟ لماذا ؟ آه ••• ما كل شيء الا دخان ! كل شيء يتبدد ! كل شيء يزول آخر الأمر !

_ اسمع ! ان مسدسیك یقلقانی ۰۰۰

ما السدسات الا دخان ! اشرب ، وكفّ عن قول هذه السخافات! انتي أحب الحياة ، ١٠٠ انتي أسرف في حب الحياة ، حتى لأخجل من ذلك! كفي ! فلنشرب يا عزيزى ، فلنشرب تخب الحية ، تعجب الحياة ! لماذا أنا معجب بنفسى ! انتي شرير ، ولكنتي راض عن نفسى ! ومع ذلك يعذيني أن أحب نفسى هذا الحجب رغم صفارى ودنه منى ! انتي أبارك الخليقة ، وانني مستمد لأن أسبح بحمد الخالق ، وأن أتفنى بعظمته ، ولكن ١٠٠٠ يبجب أولا سحق حشرة خبيثة حتى لا تسمم حياة الآخرين ١٠٠٠ هيه يا أخى ! فلنشرب تخب الحياة ! أي شء أفضل من الحياة ؟ لا شيء أفضل من الحياة ؟ لا شيء أفضل من الحياة ، للكتات !

ــ لك ما تشاء ! فلنشرب تخب الحياة ، ولنشرب نخب ملكة قلبك.

وأفرغ كل من الرجلين كأساً • كان سيّيا ، الحذر المهذار في آن واحد ، يبدو حزيناً ، كأن هماً تقيلاً يعجم على صدره وليس يستطع طرده • ـ ها ••• هاهوذا ميشا ، ها هوذا غلامك ميشا قد دخل ! تمال الى هنا أيها الصبى الطيب ! اشرب كأساً معنا ، تمجيداً لفيبوس وضـــفائره الشمراء ، تمجيداً للشمس التي ستطلع غداً •••

قال بطرس ايلتش محتجاً حانقاً :

ـ أأنت مجنون ؟ أتسقيه هو شميانيا ؟

فقال ميتيا:

ـــ اسمح له بأن يشرب مرةً واحدة ! لسوف يسرني هذا •

ــ ولكن ٠٠٠ الخلاصة ٥٠٠ ما دمت تصر ! ٠٠٠

أفرغ ميشا قدحاً ، وسلَّم ثم انصرف •

ال ميتيا:

- هكذا سيتذكرتي مدة أطول على الأقل ١٠٠ اتني أحب المرأة ، أحب المرأة ! ما المرأة ؟ هي ملكة الأرض ١٠٠ أوه ! اتني أحس بحزن يا بطرس ايلتش ، أحس بحزن رهيب ، هل تتسذكر ذلك المقطع من مسرحية هملت : « أشعر بحزن يا هوراسيو ، أشعر بحزن شديد ١٠٠٠ وا أسمنه ! مسكين يوريك ذلك الذي أنا يوريك ! اتني في هذه اللحظة بعنها يوريك ، وبعد ذلك سأكون الجمجمة ،

كان بطرس ايلتش يصغى اليه صامتًا • وصمت ميتبا أيضًا •

ثم اتجه بالكلام فجأة الى المستخدم يسأله شارد اللب وقد رأى فى الركن كلبًا صغيرًا طويل الشعر متدلى الأذبين أسود العينين :

_ لمن هذا الكلب؟

أجاب المستخدم :

هو لفارفارا ألكسييفا ، صاحبة المتجر ، نسيته هنا منذ قليل .
 سيكون علينا أن نذهب به اليها .

قال ميتيا حالماً :

رأيت في الماضى كلباً يشبهه كل الشبه ٥٠٠ كان ذلك في الكتيبة ٥٠٠ ولكن ذلك الكلب كان مكسـور انسـاق ٥٠٠ بالمناسبة يا بطرس ايلتش ، كنت أريد أن أطرح عليك سؤالاً : هل اتفق لك أن سرقت في حاتك ؟

_ يالها من فكرة !

- افهمنى ! أقصد السرقة الحقيقية ••• أن تأخذ مالاً من جيب شخص آخر ، لا من الدولة ، فجميع الناس يسرقون الدولة ••• هذا شيء معروف ، وأنت أيضاً تسرق الدولة ، لائنك عندى في ذلك •••

_ سحقاً لك ٠٠٠

ــ هل سرقت مع ذلك ؟ من جيب ، أو من محفظة ؟ •••

 سرقت فى طفولتى قطعة تقدية بعشرين كوبكاً من أمى • كان عمرى تسع سنين • أخذت القطعة المقدية من على المائدة ، دون أن يرانى أحد ، وأخفتها فى قطة يدى •

_ وبعد ذلك ؟

لا شىء • احتفظت بها ثلاثة أيام ، ثم شعرت بالخجل والعار ،
 فرددتها معترفاً بالسرقة •

۔ ثم ؟

_ جُلْدت كما أستحق • ولكن لماذا هذه الأسئلة ؟ أتراك سرقت ؟

قال ميتيا وهو يغمز غمزة ماكرة :

_ سرقت !

فسأله بطرس ايلتش قلقاً :

ــ ماذا سرقت ؟

_ سرقت عشرین کوبکاً من أبی • کان عمری تسع سنین • ثم رددتها •

قال ميتيا ذلك ثم نهض فجأة ٠

صرخ الحوذى آندره يقول من باب المتجر :

ـ آن أوان السفر يا دمتري فيدوروفتش •

_ هل کل شیء جاهز ؟ هيًّا بنا !

قال ميتيا ذلك ، وأخذ يتحرك هنا وهناك • وأضاف يقول :

_ بضمة أسطر أخرى وأتم القصيدة ! كأساً من الخمر لأندره ! بسرعة ! واعطوه أيضاً كأس كونياك ! ••• أما العلبة (علبة المسدسات) ، فضعوها تحت المخدات • استودعك الله يا بطرس ايلتش ، ما ينبغي لك أن تؤاخذني •

ــ ولكنك ستعود غدآ ؟

ـ تمم تمم ، سأعود •

قال مستخدم وهو يهرع الى ميتيا :

_ اسمح لى أن أقدم اليك الحساب .

ـ آ ٥٠٠ نعم ٥٠٠ الحساب ٥٠٠ طبعاً !

أخرج مينا من جيبه حزمة الأوراق المالة ، فسل منها ثلاث ورقات من فقة الماتة روبل ، ورماها على البسطة باهمال ، ثم اتجه مسرعاً نحو اللب ، فرافقه جميع مستخدمي المتجر ، وشيعوه متمنين له رحلة معيدة وهم ينحنون لها انحناء كبراً ، وكان آندره قد أفرغ كأساً من الكونياك، فهاهوذا يسمل لينظف حلقه ، ثم يصعد الى مكانه من العربة ، ولكن بينما كان مينا يهم أن يسستقر في العربة ، انبجست فينيا راكضة الاهنة ، فضست يديها احداهما الى الأخرى ، وجئت على ركبتها أمامه ، وهنف تتوسل اله قائلة :

سيدى العزيز دمترى فيدوروفتش ، ملاكى ، لا تصب الآسة بسوء ، لا تناها بأذى ! ألا ما كان أغاني حين قصصت عليك كل شيء ! ولا تسيء اليه هو أيضاً ، القديم ١٠٠٠ لأنه عرفها قبلك ، وهو ينوى أن يتزوج أجرافين ألكسندروفنا ، لقد جاء من سسبريا لهذا الغرض ١٠٠٠ سيدى العزيز دمترى فيدوروفتش ، لا تحطم حياتهما ، لا تسخع دم أخك الانسان !

قال بطرس ایلتش یخاطب نفسه : « آ ۵۰۰ هذا بت القصید فی الحکایة کلها ۵۰۰ ستحدث مشساجرة هناك ، استان الآن كل شی، ه أصبح كل شی، واضحاً ، » ، ثم هنف يقول بصوت عالم :

فأجابه ميتيا :

ـــ المسدسين ؟ لحظة يا عزيزى ••• سأرميهما أتنساء الطريق فى غدير • وانهضى أنت يا فينيا • لا تركمى أملمى • ان مينيا لن يقتل ، ان مينيا ، هذا الصبى الغبى ، لن يحطم حياة أحد بعد الآن • ثم أردف يقول بعد أن استقر في الموكية :

رفع آندره سوطه ، فجلجلت الأجراس •

ــ استودعك اقة يا بطرس ايلتش ، لك منى آخر دمعة ! •••

قال بطرس ایلتش یخاطب نفسه وهو یتابع بنظره مرکبة الترویکا التی أخدت تبتعد : « لیس بسکران » ولکن ما أشسعد الاضطراب فی أقواله » « وقد أراد بطرس ایلتش أن یبتی فی المتجر لیراقب شسحین الخمور والثونات علی عربة أخری » لأنه کان یحس أنهم سیفشسسون مینا » ولکنه شعر بحنق علی نفسه فجأة " > لاهتمامه بهذه التفساصیل » وبصق من شدة غضبه » واتجه نحو الکاباریه لیلمب البلیاردو قلیلا " کما کان ینوی ذلك »

وقال فى نفسه أتناء الطريق : « انه رجل أبله ، ولكنه طيب ، • أما صاحب جروشنكا « القديم » ذاك ، فقد صبق أن سمت عنه ، هل عاد اذن ؟ • • • ولكن ما القول فى المسدسين ، المسدسين ، المسدسين ، المسدسين الرجلان نزاعهما • • ولن يحدث نى، على كل حال سيمرخان كثيراً ، وسيسكران ، وسيقتتلان ، ثم يتصالحان ، ليسسوا جادين ، لا هؤلا ولا أوائك • • كلمان جوفاه ! « سوف أتنحى عن طريقهما • • • • • اتنى أعاقب نفسى • • • • • دعنا من هذا ! لن يفعل من ذلك شيئاً ، لقد ردد أقوالاً من هذا النوع ماثة مرة فى الكاباريه حين كان ثملاً ، وهو فى هذه المرة لم يشرب « نفسى سكرى • • • » ؟

ان جميع أمثاله من انقاصفين يحبون السارات الرئانة الطنانة ، أأنا مربيه أخيراً ؟ لقد تشاجر على عادته ، فدمى وجهه ، ولكن من ذا الذي تشاجر ممه ؟ سأعرف هذا في الكاباريه حتماً ، وذلك المنديل المدمنى ؟ ••• لقد تركه في غرفتى ••• ولكن لا قيمة لهذا كله على كل حال ! ما لى ولهذا كله ! » •

وصل بطرس ایلتش الی الکاباریه متکر المزاج جدا ، وأخذ یلمب البلیاردو فورا ، وأشرق مزاجه أثناء اللمب شیئاً بعد شیء ، وشرع فی اللمب مرة أخسری ، وأخذ يقص على أحد ملاعيسه أن دمتری کارامازوف أصبح بملك مبلغاً كبيراً من المال مرة أخرى ، وأنه رأى فی يديه بأم عينه ثلاثة آلاف روبل ، وأضاف أن ميتيا قد سافو فی هذه المرة أيضاً الى موكرويه ليقصف فيها مع جروشتكا ، أصفى السامعون الى هذه الأثباء بفضول شديد ، وسرعان ما أخذوا يتناقشون بحرارة ، دون مزاح، ويتكلمون بلهيجة فيها جد عجيب ، حتى لقد انقطع لمب البلياردو ،

ــ ثلاثة آلاف روبل ؟ من أين جاء بها ؟

أخذ الحضور يمطرون بطرس ايلتش بوايل من الأســــــُلة • ولم يصدقوا حكاية مناجم الذهب التي اقترحتها السيدة هوخلاكوفا •

- _ أليس من المكن أن يكون قد سرق أباء العجوز ؟
 - _ تلائة آلاف روبل! هذا أمر يتبر الاشتباه!
- ــ لقد تباهى فى هذا المكان نفسه بأنه سيقتل العجوز ، وسمعه جميع الناس ، حتى لقد تحدث فى تلك المناسبة نفسها عن ثلاثة آلاف روبل ••

كان بطرس ايلتش يصنى ، وأصبحت أجوبته موجزة مقتضبة على حين فجأة ، حتى لكأنه يتهرب من الكلام ، ولم ينطق بكلمة واحدة عن الدم الذى رآه على وجه ميّيا ويديه ، رغم أنه كان ينوى أن يتحدث عن ذلك حين ذهب الى الكاباريه • وبدى• لسب البلياردو مرة ثالثة ، وانصرف الحديث عن ميتيا •

حتى اذا انتهت المعبة الثالثة ، أعلن بطرس ايلتش أنه لا يعجب أن يلمب مزيداً من اللمب • ثم وضع عصا البلياددو ، وخرج حتى دون أن يتشى ، خلافاً لما كان ينتويه • فلما وصل الى المسمدان توقف لحفلة ، وتسامل مدهوشاً منزعجاً كيف أمكن أن يخطر باله أن يذهب الى دار فيدور بافلوفتش ليمرف هل وقع له شى • • « يا للحماقة ! سأوقفل جميع الناس ، وأحدث فضيحة ، مع أن هذا كله ليس الا تخيلاً ! وما شأمى أنا ؟ أأنا خادمهم ؟ » •

وعاد الى منزله حانقاً مزيداً من الحنق ، وفجأة خطرت بباله فيناه قال نفسه في حسرة : دما أغاني ! ان فينا هي الشخص الذي كان يجب أن أسأله ، ولو فعلت اتقات لى كل شيء ! ، وشعر عند لله برغبة قوية في أن يكلمها ، وبلفت هذه الرغبة من القوة انه انسطف فنجأة ، وهو في منتصف الطريق الى داره ، فاتجه نحو منزل آل موروسوف الذي تقيم فيه جروشنكا ، فلما وصل الى الباب طرقه ، فاذا بالطرقات التي ترجعت في صمت الليل ترده فجأة الى الواقع ، واذا بحثه يشتد لأنه يقوم بحسى غير لائق ، قال في نفسه وهو يشعر بحرج يوشك أن يكون ألياً ، هموف أحدث فضيحة ، و ولكنه لم ينصرف ، بل استأخف طرق الباب ، بكل ما أوتي من قوة في هذه المرة ، دو ت طرقات الب في الشارع كله ، فرد يقول : « لا ضير ! لسوف أظل أطرق الباب في الشارع كله ، فرد يقول : « لا ضير ! لسوف أظل أطرق الباب الى أن يفتحوا ! » ، بناما كان سخطه على نفسه يزداد لدى كل طرقة جديدة ، لكنه كان يستأف الطرق بمزيد من القوة ،

7 مائنانا

دىترى فيسدورونتش يتجسه نحمو موكرويه بسرعة عظيمة • ان السسافة تزيد قليها على عشرين فرسخاً • ومن المكن ، بفضل سرعة عدو خيول آندره ، قطم هذه السسسافة بساعة

وربع ساعة • وأنعشت سرعة الجرى فكر مينا • كان الهواء قويا ، وكانت
تجوم كبيرة تتلألأ في سماء بلا سحب • في تلك الليلة ، وربعا في تلك
الساعة ، انما تهالك اليوشا على الأرض ، « حالفاً بحسرارة ليحسبه الى
الآبد » • كان مينا يشعر بفسيق شديد ، ولكن نفسه ، دغم تقل الهموم
ملكته التي يتمجل لقامعا ليتاملها مرة أخيرة • حسبي أن أقرر ما يلى
كان لا يخطر بال مينا أن يناشل للاحتفاظ بهذه المرأة ، وسواء أصدقتم
كان لا يخطر بال مينا أن يناشل للاحتفاظ بهذه المرأة ، وسواء أصدقتم
كلامي أم كذبتموه ، فإن الحقيقة تجبرني أن أقول إن هذا النيور لم يكن
يشعر بأية عاطفة من عواطف المداوة تحو القادم الجسديد ، تحو ذلك
الخصم الذي لم يكن في حسسبانه ، تحو هذا « الفسابط » الذي داهم
ساته بهذه القسوة التسديدة • لو حاول أي انسان آخسر أن يحل
محل سينا لدى جروشنكا ، لأسرع مينا يرد بحنق غيسسور مسمور ،
ولتلطفت يداه بالدم من جديد • أما تجاه هذا الانسان الذي هو « أول

رجل ، في حياة جروشنكا فان سبيا كان لا يشعر بأية غيرة ، ولا بأية عداوة ، أثناء ما كانت مركبة النرويكا تقله الى موكرويه ، ولم يكن قد رأى ذلك الرجل بعد ، « الأبر واضع ، انها على حق ، هو أول حب في حياتها ، هو الرجل الذي لم تستطع أن تسماه يوماً خلال خمس سبين ، معنى هذا أنها لم تنقطع عن حبه طوال تلك المدة ، أما أنا ، فماذا جمت أعمل في حياتها ؟ ما أنا عندها ؟ ابتعد يا مينيا ! تنع عن طريقها ! ثم ما قيمة هذا كله اليسموه ، ما دام مصيرى قد تقرر ، ما دام كل شيء سينهي بالنسبة الى ، حتى ولو يكن هو هناك ، حتى ولو لم يجي، ذلك الضابط ؟ ، ه ، ه ،

بهذه العبارات تقريباً انما كان يمكن أن يعبّر مينيا عن المشاعر النبي كانت تعبيش في نفسه ، لو كان قادراً على التفكير في تلك الأونة ولكن مينيا لم يكن يفكر ، ان القسرار الذي اتخذه انما وافاه على حين فعبأة ، دون أي تفكير ، فاذا هو يقبله دفعة واحدة مع جميع النسائج التي تترتب عليه ، أثناء انفاله ذاك الذي أيقظه في نفسه ما كشفت له عنه فينا من أمور ، ومع ذلك ما يزال مينيا يشعر بضيق واختناق ، وما يزال يشعر باضطراب أليم : ان قراره لم يرد السكينة والطمأنينة والسلام الى نفسه ، ان أشاء كثيرة تربطه بذلك الماضي ،

كان يقول لنفسه في بعض اللحظات : « ما أغرب هذا ! »

كان ميتيا قد نطق بحكم نهائى على مصيره ، كان قد كتب على ورقة وقوله : « اننى أعاقب نفسى ، وأنا أقبل هـذا البقاب ، ، وان هـذه الورقة موجودة الآن في جيه ، معدّة لأن تستممل ؟ وان سدسه محشو، وهو يعلم حق العلم ما الذى سيفعله في صباح الفد ، حين يطلع «فيبوس ذو الشفائر الذهبية ، فيدفي، الأرض من جديد بأولى أشعته ، ومع ذلك مده م يكن سينا يستطيع أن ينفصل عن ذكرياته التي تلازمه وتحاصره

وتعذبه • فكان يقول متألماً : لا سبيل الى النسيان ؟ وكان الشمعور بهذه الاستحالة يملؤه كمداً ويأساً • ولقد أوشك في لحظة من اللحظات ، أثناه هذه الرحلة ، أن يأمر آندره بالتوقف ، وأن يفرغ من الأمر كله ؟ يخرج من المربة ، ويطلق على نفسه رصاصة دون أن ينتظر الفد • ولكن هذه النية لم تلبث أن تبددت ، كما تتطفى، شرارة طائرة • وكانت مركبة الترويكا « تنهب به الأرض نهياً » ، فكلما اقربت به من غايته ، كانت صورة تلك المرأة تنفذ فيه مزيداً من النفاذ بقوة طاغية مستبدة مستأثرة ، أخيرة ، ولو من بعيد ، عابرة فيه من النفاذ بقوة طاغية معه ، وسأراهما أخيرة ، ولو من بعيد ، عابرة و • • • انها في هذه الساعة معه ، وسأراهما لميسمر بحو هذه المرأة في يوم من الأيام بمسل الحب الذي يشعر به لأن ، من عاطفة الم يشعر به الآن ، عاطفة منون لا حدود لها ، من عاطفة الخضوع والمذلة التي تدفعه الى أن يرد نسيان ذاته ، والتضحية بنفسه في سبيلها •

هتف يقول فجأة وقد استبدت به حماسة تشبه أن تكون هذياناً : ــ سأتنحى من طريقهما ه

المربة تعدو مند قرابة ساعة • مييا صامت • وآندره ، وهو فلاح مهذار في العادة ، لا يتكلم أيضاً ، كأنه يخاف خوفاً غامضاً من أن يقطع الصمت • فهو لا يزيد على أن يحرِّ من بصوته أحصنته الكمت التحاف على عصبية • وفجأة حتف مييا يقول بقلق شديد :

ــ آندره ! ماذا لو وجدناهم نائمين ؟

 ــ جائز جداً أن يكونوا فى هذه الســـــــاعة راقدين يا دمترى فيدوروفتش •

قطب مينيا حاجبيه مفتاظاً حانقاً، هاذا ؟ أينجى، حاملاً هذه العواطف ••• ثم يكونون نائمين نوماً هادئاً ••• هي أيضاً ••• ربما الى جانيه ! وغلى الغضب في قلب مينيا ه

صرخ يقول خارجاً عن طوره :

ــ اجلد يا آندره ! مزيداً من الاسراع ، مزيداً من الاسراع أيضاً. قال آندره بعد صعت :

ــ ما أحسب أنهم ناموا • لقد أسرً لى تيموتى أن جمعاً غفيراً قد اجتمع هذا المساء في موكرويه ؟

_ في محطة العربات؟

ــ بل في نزلِ آل بلاستونوف ، وهو محطة عربات أيضاً •

_ أعرف ٥ أتقول انهم جمع غفير ؟ كيف هذا ؟ من أين جاموا ؟

كذلك هتف ميتيا يسأل الحوذى وقد شدهه هذا النبأ الذى لم يكن يتوقعه ٠

بیدو أنهم جمیماً أناس محترمون على ما قال تیموتی: اتنان منهم جاما من المدینسسة ولا أدری من هما ، قان تیموتی لم یذکر لی ذلك ؟ واتنان من هنا ، ثم اثنان آخران هما مسلفران عابران فیما یظهر ، ثم شخص آخر أیضاً اذا صبح فهمی ، وهم یلسبون بالورق ، علی ما یدعی تیموتی ،

_ بالورق ؟

ــ تمم • وما داموا قد أخذوا يلمبون بالورق ، فلا يعقل أن يكونوا قد ناموا • ان الساعة لم تتجاوز الحادية عشيرة الآن •

صرخ ميتيا يقول من جديد بعصبية :

ــ اسرع ، أسرع مزيداً من الأسراع •

واستأنف آندره كلامه بعد صمت فقال :

ـــ قل لى يا سيدى • هناك أمر أحب أن أسألك عنه ، ولكنى أخشى أن أغضيك •

ــ ما هو هذا الأمر ؟

_ ان فیدوسیا مارکوفنا قد ارتمت علی قدمیك منذ قلیل متوسسلة اللّک أن لا تلحق أذی بمولاتها ویشخص آخر ۵۰۰ فیاسیدی ، ما دمت أنا أقودك الى هناك ، فان ضمیری ۵۰۰ لا تؤاخذتمی یا سیدی ۵۰۰ اذا كنت غیباً قبل آقول ۵۰۰

فأسكه ميتيا من كتفيه فجأة ، وسأله وهو فريسة اضطراب نفسى شديد :

ـ أنت حوذي ، أليس كذلك ؟ أنت حوذي .

ــ نعم ، حوذی ***

. فأنت تعلم اذن ما مني التنحى عن الطريق ، واخسلائه ، هل يستطيع حودى أن يمضى الى أمام ، وافغسساً أن يمر الأخرون ؟ هل يستطيع أن يقول لفيره : لسوف أدوسك ولا أتخلى لك عن الطريق ؟ انه لا يستطيع ذلك ، أليس هذا صحيحاً ؟ ليس لحودى أن يدوس الملائد ... وه ٧ يجوز للمرء أن يدوس أحداً ، لا يحقى لأحد أن يحطم حياة غيره، ومن يدمّر حياة شخص آخر ، فانه لا يقى عليه الا أن يعاقب تحسسه

ينفسه بعد ذلك ٥٠٠ اذا هو دمر حيسماة أحد ، فليمض ٥٠٠ فلينل المقال !

تكلم ميتيا جيَّاش النفس ، شديد .لاندفاع ، ورغم أن آندره د'هش من أقواله ، فانه لم يقطع الحديث قال :

- صحیح جداً ما تقوله یا سیدی دمتری فیدوروفتشی ۰ أنت علی حق ، ما ینینی لأحد أن یدوس الپشر ، ولا أن یعذبهم ؟ وما ینینی له أن یدوس الحیوانات أیضاً ولا أن یعذبها ، فالحیوانات مخلوفات كسائر مخلوفات الله التى انتخس ! أنظر الی الحیول مثلاً : ان من الناس من یضربونها بنیر طائل ، ویستحثونها أکثر مما یجب ، ان یعضی الحوذیین فی بلادنا لا یعرفون القصد والاعتدال ، وهم بذلك یسیرون كالمسعورین لا أدری الی أین وكیف ؟

قاطعه مينيا قائلاً وهو يضحك ضحكته الصغيرة الجافة :

لله لملهم يغطون هذا ليصل الله جهنم يسرعة أكبر ، قل لى الدره : انك انسان طيب القلب يسيط النفس (وأمسكه من كتفيه مرة أخرى) هل تمتقد أن دمترى فيدوروفش كارامانوف سلسينهب الى جهنم ؟

- لا أدرى يا سيدى الطيب ، ذلك متوقف عليك أن • • • اسمم يا سيدى : حين مات ابن الله على الصليب ، نزل رأساً الى جهنم فخلَص جميع الخاطئين الذين كانوا يقاسون فيها عذاب السعير • وقد تشكى الجسيم عنداند ، مخافة أن لا يستقبل خاطئين بعد ذلك • قضال الرب للجحيم : • اطمئتى يا جهنم ، فانك ستستقبلين بعد الآن شخصيات كبيرة: ستشبلين أمرا • وقضاة عظاماً وأغنيا ، • وستستثلين من جديد كما كنت ممتلة في الماضى ، الى اليوم الذي أرجع فيه الى هذا العالم ، • ان هذا الكلام هو الحقيقة ، لأن الرب قاله • • •

هذه اسطورة شعية جميلة • أجلد الحصان الأيسر يا آندره !
 استأنف آندره كلامه وهو يصفق يسوطه فوق الحسان الأيسر ؟
 قال :

_ أوائك هم الناس الذين أعدت لهم جهنم • أما أنت يا سيدى فنحن نمدك طفلاً ••• ذلك هو رأينا نحن ••• مهما تكن عنيفاً غضوه ••• وانك لعنيف غضوب ما في ذلك ريب ••• فان الرب سيغفر لك لأنك انسان بسط •

- _ وأنت يا آندره ، هل تنفر لي ؟
- _ ليس هناك ما أغفره لك يا سيدى ، فاتك لم تسيء الى ً •

ـــ اننى أسألك هل تستطيع أن تنفر لى نيابة ً عن الجميع ، أن تنفر لى أنت ، فى هذه اللحظة ، على هذا الطريق ؟ هل تنفر لى باسم الجميع ؟ أجبنى يا ابن الشعب !

... سيدى ! لقد بدأت أخاف ٥٠٠ انك تتكلم كلاماً غريباً جداً ٥٠٠ كان متنا قد أصبح لا يصفى اليه ، فهو الآن يصلى صلاة حادة ،

مدمدماً بنوع من حماسة عنيفة وحشية :

_ يارب ! اقبلني رغم حطتي ، ولكن لا تحكم على ما اللهم اسمع لى أن أجيء البك دون أن أمثل أمام محكمتك ٥٠٠٠ لا تحكم على ما مادمت قد حكمت على نفسي بنفسي ٥٠٠٠ لا تحكم على الأنبي أحبك يا رب ! اللهم انني خيت دني ، ولسكني أحبك وحتى في الجعيم ، اذا أنت أرسلتني الى الجعيم ، سأظل أحبك ، وسأظل أهنف لك بحبي الى الأبدء ولكن دع لى أن أحب حبى الأرضى حتى النهاية ٥٠٠٠ اسمع لى أن أظل أحب ، في هذه الحياة الدنيا ، خمس سساعات أخرى ، الى أن تطلع

شمسك الدافئة ٥٠٠ اتنى أحب ملكة قلبي ، ولا أملك أن امتنع عن حبها اللهم انك ترانى كلى فى هذه اللحظة ٥ سوف أهرع اليها ، فأرتمى عند قدميها ، وأقول لها : لقد كنت على حق حين نبذتنى ، وداعاً ٥٠٠ اسى ضحيتك ، ولا تدعى لذكراى أن تعذبك يوماً ! » ٥

صاح آندره يقول وهو يوميء الى القرية بسوطه الممدود في آخر ذراعه :

_ هذه موكرويه !

فمن خلال ليل شاحب ، كانت تُمرى رؤية صميفة ، كنلة مظلمة، هى كنلة منازل القرية الميشرة على رقمة واسعة ، ان سكان قرية موكرويه يبلغ عددهم ألفى نسمة ، ولكن كل شيء كان غارقاً في النوم ، وليس يرى الناظر الا بضمة أنوار تخترق الظلام هنا وهناك ،

صرخ ميتيا يقول محموماً :

_ أسرع ، أسرع مزيداً من الاسراع .

فقال آندر، وهو يشير بسوطه الى نزل آل بلاستونوف ، الذى يقع عند مدخل القرية ، والذى كانت نوافذه الست المطلة على الشارع مضادة اضادة قوية :

ـ لم يناموا بعد ه

فكرر ميتيا كلام الحوذى فرحاً:

لم يناموا بعد ! اجر بالعربة جرياً سريعاً يا آندره ، حتى ترن جلاجلها فيكون لدخولى ضحة وجلبة ، ألا فليعلم الجميع من الواصل ! هو أنا ٥٠٠ هأناذا وصلت !

كذلك صرخ ميتيا وقد بلغ ذروة الاهتياج •

استجت آندره حصانیه الکدودین ، فوصلت العربة الی باب الزل مقرصة قرقمة قویة ، وهنالك استوقف الحسودی الحصانین الهزیلین وقد أوشكا أن یموتا تمبآ و وثب میتا من العربة فی اللحظة التی كان فیها صاحب النزل یهم أن یرقد فی فواشه فلما سمع قرقمة العربة ظهر علی عتبة الباب یرید أن یری من عسی یصل فی مثل هذه الساعة بمثل هذه الساعة ممثل میتا یسأله :

_ أهذا أنت يا تريفون بوريستش ؟

مال صاحب النزل الى أمام ليستطيع أن يميز فى الظلام ملامع وجه القادم ، ثم نزل درجات المدخل راكضاً ، وهرع الى الزائر بحماســــة مجاملة ، وهو يقول :

_ ماذا ؟ أهذا أنت يا عزيزى دمترى فيدوروفتش ؟ ما أعظم فرحى برؤيتك من جديد !

ان تريفون بوريستش هذا فلاح قوى البنية مربوع الجسم متوسط طول القامة ضخم الوجه ، تعبر قسماته في المسسادة عن قسوة وغيط ، ولا سيما حين يكلم فلاحي موكرويه ، ولكنه يملك قدرة فذة على تغيير سحنته فوراً ، وعلى اصطناع هيئة المجاملة الشديدة والملاطفة المغرطة متى آس منفعة وربحاً ، انه يرتدى ثباباً على الزي الروسى ، فقميصه مقلوب الماقة ، وصديرته مطرزة ، ووغم أنه قد جمع كثيراً من المال ، فلقد كان لا يحيا الا لجمع المزيد من المرافعات مان أكثر من نصف فلاحي موكرويه مدينون له ، واقعون في شباكه ، خاضمون من نصف فلاحي موكرويه مدينون له ، واقعون في شباكه ، خاضمون لد الملكة ، وكان يستأجر الأراضي من ملاكي المنطقة ، وكان يشتري بعض من ديون لا يصلون الى التخلص منها أبداً ، وهو أرمل له أدبع بشات من ديون لا يصلون الى التخلص منها أبداً ، وهو أرمل له أدبع بشات

كبيرات ، احداهن مات عنها زوجها فهى تعيش عنه أبيها مع طفلين
صغيرين ، ويعاملها أبوها معاملة خادمة ؟ والتسانية زوجة موظف من
الموظفين ، فالداخل الى المنزل يستطيع أن يرى على جدار احدى غرفه
صورة فوتوغرافية صغيرة لهذا العخادم من خدم الدولة بلياسه الرسمى
الذى يزدان كنفاء بشارات القصب * • أما البنتان الأخريان ، فهما فى أيام
أعياد المنطقة أو أثناء الزيارات تحتالان بأتواب زرقاء أو خضراء ذات أذيال
طويلة على آخر « موضة » ، ولكنهما تنهضان فى الغداة منذ الفجر كسائر
الأيام ، لتكنسا الغرف وتصبا الماء أو تنظفا الغرف بعد رحيل النزلاء الذين
شفلوها • وكان تريفون بوريستش ، رغم المال المجأ الكثير الذي جمه ،
ينهج كثيراً لكل فرصة تمكنه من استلاب أموال مبدر من المبدرين
وهو يتذكر انه سلب دمترى فيدوروفتش ، منذ أقل من شسهر ، مائتى
روبل ان لم يكن ثلاثمائة روبل ، فى يوم واحد ، حين تلبت هذا فى نزله
ليقصف ويتلف ماله مع جروشنكا • لذلك استسقيله هذه المرة بغرح
لقصف ويتلف ماله مع جروشنكا • لذلك استسقيله هذه المرة بغرح
الصاخب ، أن الغريسة ستكون سهلة •

- عزیزی دمتری فیدوروفتش ، هأنت ذا عندنا من جدید ! فقاطمه متنا بسأله :
- ــ لحظة يا تريفون بوريستش ٠ قل لى الأمر الأساسي أولاً : أهي منا ؟

فسأله صاحب المنزل الذي فهم ما يعنيه ميتيا حق الفهم وكان يحدن اليه بنظرة نافذة :

- ــ أجرافين الكسندروفنا ؟ هي هنا ٥٠٠ أيضاً !
 - _ مع من يا مع من يا

مع نزلاء عابرین ۵۰۰ موظف لا شك أنه من أصل بولندی ۵۰۰ یظهر هذا من لهیچته ۵۰۰ انه هو الذی أرسل خیلا ً لتجی، بها الی هنا ۵۰۰ وشخص آخر هو صاحب البولنسدی ، أو رفیق رحلته فحسب ، لا أدری ۵۰۰ وهما كلاهما يرتديان ملابس مدنية ۵۰۰

_ عل يقصفون ؟ عل يملكون مالا" ؟

ـ يقصفون ؟ دعك من هذا الكلام! هم أناس عاديون •••

ـ عاديون ؟ والآخرون ؟

- هناك سيدان من المدينة ٥٠٠ كانا عائدين من تشرنايا ، فتلبنا هنا لقضاء الليل ، أحدهما شاب هو قريب ميوسوف فيما يبدو ، ولكننى نسيت اسمه ٥٠٠ أما التانى فأحسب أنك تعرفه أيضساً : انه الملاك ماكسيموف الذي ذهب يحج الى دير كنيستكم فيما يدعى ، وهو الأن يرافق ذلك الفتى قريب السيد ميؤسوف في الطريق ٥٠٠

_ أهذا كل شيء ؟

_ نمم ، ليس هناك أحد عدا هؤلاء .

ــــ اسكت يا تريفـــون بوريستش • شىء واحــــد يهمنى : ماذا تفعل هى الآن ؟

ــ وصلت منذ وقت غير طويل ، وهي الآن معهم ٠

ِ ــــ أهي مرحة ؟ أهي تضحك ؟

ـــ لا ••• انها لا تضحك كثيراً فيما لاحظت • حتى لقد بدا لى أنها حزينة • وكانت تلاعب شعر الشاب •

ــ شعر الضابط ، ذلك البولندى ؟

ــ دعك من هذا الكلام! ليس البولندى شاباً ولا هو ضابط • أنا لم أقصد البولندى ، بل الشاب ••• قريب ميوسوف ؟ مالى نسيت اسمه ؟

- ـ لعل اسمه كالجانوف ؟ .
 - _ تماماً ، كالجانوف •
- ـ طيب ، سوف أرى قلت أنهم يلعبون بالورق ، أليس كذلك ؟
 - ـ كغوا عن اللعب لقد تناولوا الشاى ، وأمر الضابط بخمور •
- لحظة يا تريفون بوريستش ! هذه كلها أمور ثانوية ، وسأحكم على الموقف بنفسى • أجنبى الآن عن الشيء الأساسى : هل في القرية غجر ؟
- لم يبق غجر يا دمترى فيدوروفتش! لقد طردتهم السلطات •
 غير أن عندنا في مقابل ذلك يهمسودا يعزفون على الرباب والكمان هم
 الآن في رودجستفسكا ، ولكن يمكن استدعاؤهم فيجيئون حتماً •
- ــ استدعهم حالاً ويعجب كذلك ايقاظ البنسات ، كما في المرة السابقة ، ولا سيما ماريا تلك ، ثم سنيانيد وايرين • سأدفع للجوقة ماثتي روبل •
- بهذا المبلغ أوقط لك أهل القرية بكاملها ، ولو كانوا نائمين كالأموات ، ولكن هل يستحق هؤلاء الفلاحون وهاته البنات أن يُدفع لهم مبسلغ ضخم كهذا المبسلغ ؟ هؤلاء رعاع لا يستحقون هسذه الملاطفات! لم يخلق فلاحونا لتدخين السيجار وقد قلمت لهم سيجاراً، هؤلاء أناس نتون ، أما النساء فهن جميماً قدرات وسخات ، انى لأوثر أن أرسل اليك بناتى ، ولو بالمجان ، على أن أدعك تبشر هذا المال كلمان بناتى نائل ، ولكنى سأوقطهن ، سأوقطهن ركلاً بقدمى اذا اقتضى

الأمر ، وسأجرهن على أن يغنين لك • لا أستطيع أن أتصور كيف قدمت شميانيا لأولئك الفلاحين! ذلك أمر يبعث عنى الشفقة!

_ تريفون بوريستش ! ألا تتذكر أننى انفقت هنا أكثر من ألف روبل في المرة الماضية ؟

ِ _ كيف لا أتذكر ؟ يل لقد أنفقت هنا ثلاثة آلاف ووبل.يا ضيفى العزيز •

_ اذن فاعلم أننى أملك الآن مثل ذلك المبلغ نفسه • أنظر !

قال ميتيا ذلك وأخرج حزمة الأوراق المالية وأدناها من أنف صاحب المنزل • ثم أضاف قوله :

- اسمع الآن وحاول أن تفهم : بعد ساعة سيصل خمر ومقبلات وفطائر وسكاكر • فاحمل هذا كله فوراً الى فوق • أما ذلك الصندوق الخشبى الموجود تحت مقعد آندره فيجب أن تنقله الى هناك أيضاً > فنفتحه وتقدم الشمبانيا حالاً • ولكن لا تنس أن الأمر الأسساسي هو النات ؛ النات ! وأريد حتماً أن تجيء ماري تلك ! •••

واتجه ميتيا الى العربة فأخرج من تحت المخدات علبة المسدسين •

_ سأدفع لك دينك على ً يا آندره • المليك خمسة عشر روبلاً ، أجر َ العربة ، واليك خمسين أخرى • بقشيشساً ، ••• مكافأة لك على اخلاصك ، وتقديراً لصداقتك ••• تذكر البارين كارامازوف !

قال آندره بلهجة مترددة :

لا أجرؤ يا بارين * ٥٠٠ اننى أقبل خمسة روبلات مكافأة ،
 لا أكثر من ذلك ، مستحيل ٥٠٠ هذا تريفون بوريستش شاهد على ٥٠٠ اغفر لى حماقتى ٥٠٠

سأله ميتيا وهو يشقله بنظره :

... مم ً تخاف !

ثم صرخ يقول متذمراً وهو يلقى اليه خمسة روبلات :

ــ أنت وشأنك ! اذهب الى الشيطان ! والآن يا تريغون بوريستش خذنى برفق وهدوء الى موضع أستطيع منه أولاً أن أتفحصهم جميعاً على مهل دون أن يرونى • أين هم الآن؟ أظن أنهم فى الغرفة الزرقاء ، أليس كذلك؟

ألقى تريفون بوريستش على ميتا نظرة فلقة ، ولكنه أطاعه صاغراً فقاده فى حذر خلال دهليز ، ودخل غرفة كبيرة تتاخم الفرقة التي كان فها النزلاء ، فأبعد الشمعة التي كانت تضيء تلك الفرفة ؟ ثم أدخل ميتا الى الفرفة المظلمة بغير ضبجة ، وأجلسه فى ركن معتم جداً يسهل عليه منه أن يتفحص المتحادثين دون أن يُرى ، غير أن ميتا لم يمكث مدة طويلة ليتأملهم : فما ان رآها حتى أخذ قلبه يحفق خفقاناً شديداً يكاد ينفجر منه صدره ، وحتى اضطرب بصره فلا يكاد يرى ، كانت جالسة ينفجر منه صدره ، وحتى اضطرب بصره فلا يكاد يرى ، كانت جالسة الكنبة ، وهو فتى حسن الهيئة وسيم الطلمة ، كانت جروشنكا مصمكة يده وكأنها تضحك ، بينما كان هو ينانش ماكسيموف ممتمض الوجه ، وكان ماكسيموف ممتمض الوجه ، وأن ماكسيموف ممتمض الوجه ، وأن ماكسيموف ممتمض الوجه ، أما « هو ، فقد كان جالساً على السكنبة نصف مضطجع ، وكان يدخان غليوناً ، وفي جانب ، على كرسى مستند الى الجدار ، لاحظ مينيا رجلاً ، في در ان الشخص المسترخى على الكنبة بيدو رجلاً بدين

الجسم عريض الوجه ، قصير القامة في أغلب الظن ، أما الناني فهو طويل جداً ، على أن ميتيا لم يتسع وقته لأن يرى أكثر من ذلك ، لقد انقطمت أنفاسه ، ولم يستطع أن يمكن زمناً أطول ، فوضع العلبة على المنضدة ، ودخل الغرقة الزرقاء التي كان يعجلس فيها المتحادثون وهو يشعر ببرودة في ظهره ، رأته جروشنكا أول من رآه ، فصاحت تقول :

۔۔ آی ***

۷ الصديقالقديم الذي لا يكن ححسوده

مينيا من المائدة بعضلي كبيرة سريعة لا يلوى على شيء • وبدأ كلامه يقول بصـــوت قوى جداً ، بصوت كلد يكون صراخاً ، ولكنه يتلعثم عند

کل کلمة:

أنا ٥٠٠ لا ٥٠٠ لا شيء ٥٠٠ لا تتخافوا ، لن أفسل شيئاً ٥٠٠ (ثم قال ملتفتاً تحسو جروشسنكا التي مالت على كالجانوف مذعورة وتشبثت بذراعه) ٥٠٠ لا شيء ٥٠٠ أنا ٥٠٠ أنا هنا عابر كذلك ٥٠٠ سأمكث حتى الصباح فقط ٥٠٠ يا سادتي ، هل تأذنون لمسافر ضل طريقه في هذا المكان ٥٠٠ ان يجالسكم ، حتى الصباح فحسب ، ولآخر مرة ٥٠٠ في هذه الفرقة تفسها ٥٠٠

وجَّه مِتِها هذا السؤال الى الرجل القصير السمين الذي كان يدخَّن على الكنه • فما كان من هذا الا أن أقسى الفليون عن شــــفتيه بوقار ، وأجاب بصوت قاس :

د يا سيد ، ، هذا اجتماع خاص ، وفي النزل حجرات أخرى.
 فندخل كالجانوف فجأة يقول :

ــ أهذا أنت يا دمترى فيدورفتش ؟ فلماذا هذه الكلفة كلها ••• اجلس ••• أهلاً بك !

فأجابه ميتيا مسرعاً فرحاً :

ــ يومك سعيد أيها الصديق العزيز ، أيها الصديق الذي لا نظير له • لقد شعرت تحوك دائمًا يكثير من الاحترام •

ومدًّ اليه يده من فوق المائدة •

قال كالجانوف ضاحكاً :

أوه ! يالها من قبضة قوية ! لقد أوشك أن يحطم أصابعي •
 فقالت جروشنكا مرحة وهي تبتسم خجل :

ــ هذه طريقته في المصافحة دائماً ٠٠٠

لقد أدركت جروشنكا من النظر في هيئته أنه لن يعمد الى نبىء من العنف • وكانت تنفحصه باستطلاع قوى تداخله بقية من قلق • ان شيئا ما في تعبير وجه منيا قد خطف بصرها وأسر انتباهها ، لا سيما وأن دخوله على هذا النحو قد بدا لها غربياً جداً •

وانبرى الملاك ماكسيموف بدوره ، فقال بصوته المتعاذب :

ـ يومك سميد يا دمترى فيدوروفتش !

وبدا على ميتيا أنه سعيد بمصافحته أيضاً • قال له متدفقاً في كلامه:

ــ أهذا أنت ؟ ما أسمدنى برؤيتك ! أيها السادة ! أيها السسادة ! أثا ٥٠٠ (وقد توجه بكلامه من جديد الى السيد الذى يدخن الغلبون ، وكان واضحاً أنه يعده أهم شخص فى هذا الجمع) ٥٠٠ أنا قد أسرعت الى هنا ، لأفضى لبلتى الأخيرة ، لأقضى ساعاتى الأخيرة فى هذه الحجرة،

في هذه الغرفة نفسها ٥٠٠ التي أتح لى فيها ء أنا أيضاً ء أن أعيد ملكنى!

(ثم هنف يقول يحماسة) اغفر لى يا سيدى و لقد البت حين جئت الى هنا ٥٠٠ أوه! لا تختس شيئاً > لأن هذه الليلة هي ليلتي الأخيرة! فلنشرب أيها السيد > فلنشرب تخب صداقتنا! سوف يجيئوننا ببخم و ولقد حملت معي هذا (قال ذلك وهو يخرج من جيه كدسة الأوراق المالية > لا يدرى أحد لماذا!) ٥٠٠ اسمح لى أيها السيد ٥٠٠ انني أريد موسيقي > أريد صخباً > أريد حركة > تماماً كالمرة الماضية • أن دودة الأرض > ان دودة الأرض > ان دودة الأرض > ان دودة الأرض > ان دودة الأرض - من النوف تختفي و تزول ٥٠٠ أريد أن استحضر في ليلتي الأخيرة هذه ذكرى أجمل يوم من أيام حياتي! •••

كان مينيا يختنق اختنافا • أراد أن يقول أشياء أخرى كثيرة ، ولكنه لم يستطع أن يفصح عن ذات نفسه الا بصيحات غريبة عصية • لبث البولندى جامداً لا يتحرك ، منقلًا بصره بين مينيسا وكدسة الأوراق وجروشنكا ، وقد ظهرت عليه حيرة شديدة وبلبلة كبيرة • قال :

ــ اذا وافقت ملكتي ٠٠٠

قالت جروشنكا مقاطعة :

ما أسخفكما كليكما بهذه الطريقة في الكلام! أ أنا ملكة ؟ انكما تضحكاني! اجلس هنا يا ميتيا ٥ ماذا كنت تعنى حين قلت ان هذه الليلة هي آخر لياليك ؟ لا ترو عنى ٢ أليس كذلك ؟ المختلف عن تخويفي فسوف أكون سميدة بمجيئك ٥٠٠

هتف ميتيا يقول راضاً ذراعيه في الهواء :

ـــ أنا؟ أنا أروّ عَك؟ أوه • • • اعبرى • • • اعبرى • • • لن أكون عقه " في طريقك • • • وما ان قال ذلك حتى ارتمى فجــأة على كرسى وأجهش يبــكى ، محوّلاً رأسه ، شاداً بيديه ظهر الكرسى كأنه يعانقه ، ذلك ما قعله ميتيا على نحو لم يكن يتوقعه أحد ، ولا كان يتوقعه هو نفسه ،

سألته جروشنكا بلهجة العتب :

 ما هذا ؟ ما هذا؟ ماذا تفعل ؟ ذلك هو سلوكه حين يأتمى الى " •
 يأخذ يقول أشياء لاتنفهم على حين فجأة ، حتى لقد انفجر ناشجاً منتحياً فى ذات مرة ٥٠٠ وها هو ذا يعيد الآن الكرة • ألا تستحى ؟ لماذا البكاء؟

ثم أضافت تقول بلهجة ملغزة ، وهى تشـــدد كلماتها بشىء من الحنق :

_ لو كان هنالك ما يدعوك الى البكاء على الأقل ٠٠٠

قال مشا:

_ أنا ٠٠٠ أنا لا أبكى ٥٠٠ هيه ! يومكم سعيد جميعاً !

واستدار فحاً: على كرسيه وانفجر ضاحكًا • ليست ضحكته الآن تلك الضحكة الجافة المهودة فيه ، ولكنها ضحكة تشبه أن تكون صامتة، ضحكة عصيبة ، ممتدة ، مشدودة ، متوترة ، كانت تهز جسمه كله •

قالت جروشنكا ملحة :

_ أيضاً ؟ هلاً كنت أكثر مرحاً ، أكثر مرحاً ! اننى سسعيدة جداً بمجيئك يا ميتيا ، سعيدة جداً جداً ، هل تسمعنى ؟

ثم قالت بلهجة آمرة وهى تنجه بكلامها الى جميع الحضور فى ظاهر الأمر ، وان كان كلامها منصرفاً الى الشخص المضطجع على الكنبة فى الواقع : _ أريد أن يبقى ممنا ! أريد ذلك ، أريد ذلك ! فاذا كان عليه أن ينصرف ، انصرف أنا أيضاً ه

أضافت جروشنكا هذه العارة الأخيرة وقدحت عيناها شرراً •

قال « السيد » وهو يلثم يد جروشنكا بلطف ورقة :

ــ رغبات ملكتي هي عندي قوانين ٠

ثم التفت الى ميثيا متحبياً متودداً وقال :

_ تفضل فاجلس معنا يا سيدى !

وهم مَّ مِنْيَا أَن يُب عن مكانه ليلقى خطاباً جديداً كما ظهر ذلك فى هيئته ، ولكنه لم يلبث أن عدل عن هذا ، واكتفى بأن قال :

_ لتشرب أيها السيد !

وأخذ الجميع يضحكون •

هنفت جروشنكا تقول بعصبية :

ــ يارب السماء ! ما كان أضلنى حين تصورت أنه سيلقى علينـــا خطاباً آخر ***

ثم أضافت تخاطب ميتيا بلهجة الاستبداد:

- اسمع يا مينا ، كف عن الونوب عن كرسيك ، والزم مكانك هدناً و أما الشمبانيا فقد أحسنت اذ جثت بها • سسيحلو لى أن أشرب شمبانيا ، لأننى أكره الخمور الأخرى • واننى ليمنى خاصة آنك قد خطر بالك أن تأتى ، فققد كنا هنا فى ضجر رهب خانق • • • أرى أنك تنوى أن تقصف وأن تبدد • • • خبى ، أوراقك المالية هذه فى جبيك • من أين جثت بكل هذا المال ؟

وها هو ذا مينا الذي كان لا يزال يشد بين أصابعه الأوراق المالية التي تجعدت والتي كان حجمها الكبير قد خطف أبصار الحضور ولا سيما د السيدين ، البولنديين ، ها هو ذا مينا يسرع فيدس الكدسة في جيبه وقد اضطرب واحمر وجهه ، وظهر عندئذ صاحب النزل حاملاً على صينية زجاجة تميانيا مفتوحة وأقداحاً ، فأسلت مينا الزجاجة ، ولكنه من فرط ارتباكه كان يبدو أنه أصبح لا يعرف ماذا يصنع بها ، فهباً كالجانوف الى نجدته ، فتناول الزجاجة بيديه وملاً الأقداح ،

قال مينيا يأمر صاحب النزل :

ـ هات زجاجة ً أخرى ، هات زجاجة ً أخرى !

ونسى أن يقرع كأسب بكأس « السيد ، بعد أن دعاء لى شرب الكأس نخب الصداقة ، فها هو ذا يفرغ كأسه فى جوفه دون أن ينتظر أن يرفع الآخرون كثوسهم •

وسرعان ما تغير تعير وجهه ، ان الهيئة التراجيدية الفخمة التي كانت له عند دخوله قد استحالت الآن ابتسامة "شبه أن تكون ابتسامة طفل ، فهو ينظر الى الحضور بغرح خجول تتخلله في كل لحظة شحكات صغيرة عصبية تذكر بالكلب الصغير المذنب الذي يحس بسعادة وامتنان حين يرى أصحابه قد غفروا له وأخفوا يلاعبونه من جديد ، لكأنه نسى كل شي، عن الماضى ، فهو يتفحص المتحادثين واحداً بعد واحد ، بنوع من الحماسة ، ويتسم ابتساماً بريئاً ساذجاً ، أما جروشنكا فكان يتفرس فيها بغير انقطاع ضاحكاً ، حتى لقد قرَّب كرسيَّه من مقعدها ، وشيئاً فشيئاً أخذ يلاحظ الرجلين البولنديين أيضاً ، فأما « السيد ، الأول فقد أدهشه بمغيره الرزين الرصين ، ولهجته البولندية ، وغلونه خاصة ، قال مبتاً لنسه : « هل من ضير في أن يدخن ؟ ان من حقه تماماً أن يحب مبتاً لنفسه : « هل من ضير في أن يدخن ؟ ان من حقه تماماً أن يحب

الغليون ! » • ولم يصدمه في أول الامر ما لاحطه في وجه هذا : لسيد: الذي يقارب عمره الاربعين ، من غضون واخاديد ، ولا ضـــاينه انفه الصغير الذي يمتد تحته شباربان رقشان تحللان مشبئمان يضفان على وجهه لا أدرى أي نوع من الاســـتخفاف والوقاحة ؛ لا ولا أزعجته الباروكة البشعة المصنوعة في سيبريا والمشوطة مشطاً غياً من خلف الى أمام على الصدغين • قال ميتيا لنفسه وهو فيما هو فيه من غيطة وهساءة : « باروكة ؟ لـم َ لا ؟ » • وأما البولندي الآخر الذي يجلس قرب الجدار ويبدو أصغر سناً من « السيد » ذي الفليون ، فقد كان ينظر الي الجُمع واحتقار • أنَّ الشيء الوحيد الذي خطف بصر َ ميَّـا فيه انما هو فرط طوله الذي يؤلف مع قصر رفيقه ابن وطنه تناقضاً واضبحاً وتضاداً بارزاً قال منتا لنفسه : « لو نهض لكان طوله قرياً من مترين ! ٥ • وقد اعتقد ميتها أيضاً أن « السند » الطويل لابد أن يكون مرتبطاً بصاحب الفليون ارتباط حارس بسنده ، فالقصير هو الذي يأمر العملاق في أغلب الظن. وبدا ذلك كله لمتنا طبيعياً سعيداً كل السعادة • لم يبق في قلبه الصلخير أثر من خصومة أو تنسافس • ولم يكن قد أ: ﴿ لَا يَعَدُ الْمُنِّي الْحَقَّقِيُّ ا لموقف جروشنكا ، وللهجة الملفزة الني كانت طول بها بعض عاراتها • فكل ما عرفه متأثرًا في قرارة قلمه أشد التأثر ، هو أنها لطبقة معه وأنها معفت، عنه وأنها أذنت له أن يجلس الى جانبها • وقد أصبح لا يملك نفسه عجاباً بها وهي تحسو بضع جرعات من الشمانيا • ولكن الصمت الذي كان يخسِّم على النزلاء لم يلمث أن لفت انتباعه فحأة ، فأجال على الحضور نظرة سائلة ، فكأن عشه تقولان : « ما بالنا لا نفعل شيئًا ؟ ما الذي يمنعنا من أن نلهو وتنسل ؟ » قال كالجانوف في تلك اللحظة ، وكأنه قد حزر ما جال في خاطره، قال مشيراً الى ماكسيموف :

_ انظروا الى هذا! انه لا يني يكذب، وقد أضحكنا كثيرًا •

فحدن ميّيا الى الرجلين واحداً بعد آخر · وســأل وهو يضحك ضحكه الصفيرة ، كأن ذلك قد أبهجه كثيراً :

_ يكنب ؟ مأ مأ ٠٠٠.

ـ نم • تصور أنه يدعى أن جميع ضباطناً فى سلاح الفرسان قد تزوجوا نساءً بولنديات بين عامى ١٨٢٠ و ١٨٣٠ ؟ هذا سخف ، أليس كذلك ؟

قال ميتيا بالغاً أوج السرور :

ـ بولنديات ؟

كان كالجانوف يدرك حق الادراك نوع الملاقات القائمة بين ميتيا وجروشنكا ، وكان يحزر أيضاً دور « السيد » البولندى » ولكن لم يكن يدو عليه أنه مهتم بذلك كيراً » لاستغرافه في جداله مع ماكسيموف خاصة » أو قل لانشسخاله بهذا الجدال وحده دون ما عداه » لقد قادته المصادفة الى صحبة ماكسيموف في هذا النزل الذي التتي فيه بالرجلين البدين اللذين لا يعرفهما حتى الآن • أما جروشنكا فقد سبق أن رآها بل لقد ذهب الى بيتها في ذات يوم مع أحد أصدقائه » ولم تسجيم حينذاك؟ بل لقد ذهب الى بيتها في ذات يوم مع أحد أصدقائه » ولم تسجيم حينذاك؟ فلكنها تنظر اليه هنا بعينين تفيضان رقة وحناناً » وقد ظل لا يبالى بها في ظاهر الأمر رغم أنها قد أخذت تلاطفه وتلاسمه قبل وصول ميتيا » انه فني في المشرين من عمره على أكر تقدير » شسديد الأناقة » جميسل في الحبه » شعر أشقر واثم » وعينان زرقاوان أخاذتان

تعبران عن ذكاء ، وتعبران في بعض اللحظات عن عمق ، فلا يتفق ذلك مع سنه الغضة ، لا سيما وأن مظهره وحركاته وحتى أقواله تأسمر في كثير من الأحيان بأنه طفل ، على أن هذا لم يكن يضايقه قط ، رغم شعوره القوى به ، كان يدو على وجه العموم انساناً متفرداً ، وربما بدا في بعض الأحوال صاحب نزوات وبدوات ، ولكن ذلك لا يعزجه أبداً عن لطفه وعذوبته ، وكان تعبير وجهه يتجمد في بعض الأحيان فيكسى عن لطفه وعذوبته ، وكان تعبير وجهه يتجمد في بعض الأحيان فيكسى شيئا يشبه المناد : فهو عندئذ ينظر الى محدثه ويصنى اليه ، ولكنه يكون غارقاً في أفكاره هو ، يتابعها في اصرار لا يحيد عنه ، وهو تارة رخو متوان ، وهو تارة أخرى حاد مندفع الى أقصى الحدود ، يضطرب لأيسر الأمور ويهتاج لأنفه الأسباب ،

تابع كالجانوف كلامه فائلاً وهو ينجر كلماته جراً كسولاً يظل طبيعياً لا اختيال فيه ولا غطرسة :

- تصور أننى أطوق هذا الرجل معى منذ أربعة أيام ، منذ اللحظة التي دفعه فيها أخوك الى خارج العربة فسقط ، كما تتذكر ذلك حتماً • لقد اهتممت بأمره عندئذ ، وأخذته معى الى الريف ، ولكنه لا ينقطع عن الكنب ، انه يكذب بلا توقف ، حتى أخذ كذبه يضايقني ويزعجني، واتى أنوى أن أعيده الى داوه ٠٠٠

قال البولندى ذو الغليون مخاطبًا ماكسيموف باللغة البولندية :

ــ ان هذا الرجل لم يعرف في حياته نساءً بولنديات ، وهو يروى أشياء كاذية •

كان البولندى ذو الغليون يحيد اللغة الروسية اجادة تامة ، وكان على كل حال يحيدها أكثر مما يترامى لمن يسمعه • ولكنه يصر⁶ على أن ينطق بها نطقاً رديثاً ، فهو يشوَّ، الألفاظ ، ويدس في جمله كلمات بولندية •

> أجاب ماكسيموف يقول بلهجة ساخرة : ـــ ولكننى تزوجت أنا نفسى امرأة بولندية • فسرعان ما تدخل كالجانوف قائلاً :

ليست هذه هي المسألة ، هل خدمت في سلاح الفرسان ؟ ذلك أنك عن سلاح الفرسان انما تتكلم ! هسل له هيئة ضابط من سلاح الفرسان ؟

هتف ميتيا يقول مرحاً ، وكان يصغى الى الحديث بنهم وشراهة :

ـــــ هذا هو الأمر ! هذا هو الأمر ! يا للفارس الجميل الذي كان يمكن أن يْسرى في سلاح الفرسان ! •••

وكانت عينا ميتيا السائلتان تتنقلان بين المتحادثين واحداً بعد آخر ، كأنه ينتظر منهم أن يكشفوا عن حقائق مدهشة لا يدرى الا الله ما هي ! قال ماكسيموف وهو يلتفت الى متنا :

- لا ••• لقد أسأت فهمى • فانما أنا أقسسه أولئك الفتيات البولنديات ••• وهن قتانات فى الواقع ••• ولكنهن يفقدن صسوابهن مى رقصن رقسة بازوركا مع أحد فرسانها الرسّاحين ••• يكفى أن ترقص احداهن مع انفارس رقسة مازوركا ، حتى تتب بعد ذلك فوراً على ركبيه ، كعطة صغيرة بيضاء ••• ويكون السيد أبوها والسيدة أمهها حضرين ، فلا يعجدان فى ذلك بأساً ولا يعتمجان ••• بل هما يأذنان ويستحسنان ويشجعان ••• وفى لفد يمغى الفارس يطلب يد الفتاة ••• هل فهمتم ؟ يمضى يخطب الحسناء ••• ألسى هذا صحيحاً ؟ ها ها مهوري المهدان فهمتم ؟ يمضى يخطب الحسناء ••• ألسى هذا صحيحاً ؟ ها ها •••

كذلك ختم ماكسيموف كلامه ضاحكاً •

_ سيد مسكين ا

هكذا جمعهم يقول البسولندى الطويل ، الجالس على كرسى قرب الحائط ، وأنزل احدى سساقيه المتصالبين عن الأخرى ، ليصالبهما في الاتجاه الماكس من جديد .

لاحظ ميتيا عندئذ جزمته الضخمة المشمعة التي كان تعلمها السميك وسخاً جداً • يعجب أن نذكر على كل حال أن الرجلين البولنديين كان مظهرهما مهملاً ، ولم تكن ثبابهما نظيفة نظافة لا مأخذ عليها •

تدخلت جروشنكا تقول بلهجة حانقة :

_ لماذا يكون مسكيناً ؟ أنا لا أحب الاهانات ا

فقال البولندى ذو الغليون وهو يلتفت نحو جروشنكا :

ــ سيدتى أجريينا ! لابد أن هذا السيد قد عاشر فى بولنده بنات وضيعات لا سيدات من الطبقة النبيلة !

فأسَّن الرجل السملاق على كلامها صاحبه قائلاً :

ـ تستطيمين أن تكوني من ذلك على يقين •

قالت جروشنكا متجهمة الأساريو :

ــ كفى ! دعوه يتكلم ! بماذا أساء اليكم ؟ ان المرء ليتسلى مع أمثاله على الأقل !

فأجاب « السيد » البولندى ذو الباروكة ، أجاب يقول بوقار :

ـ لست أمنعه من الكلام يا سيدتمي ه

وألفى نظرة طويلة على جروشنكا ، ثم صمت ، ونشق نفسساً من غليونه برصانة ورزانة •

قال كالجانوف متحمساً وكأن الأمر أمر مناقشة هامة جداً :

ــ معذرة ! أحسب أن « السيد » على حق • مادام ماكسيموف لم يعش في بولنده فبأى حق يقول هذا الكلام عن تلك البــــــــلاد ؟ اتك لم تتزوج في بولنده مع ذلك ، هه ؟

قال ماكسيموف شارحاً :

- لا ٥٠٠ وانما تزوجت في اقليم سمولنسك و ان أحد انفرسان هو الذي جاء الى ذلك الاقليم بزوجتي ٥٠٠ أعنى بمن أصبحت زوجتي فيما بمد ٥٠٠ جاء بها الى ذلك الاقليم تصحبها السيدة أمها ، وخالة من خلاتها ، وقريبة أخرى لها ابن كبير و لقد جامت هذه السيدات من بولنده ، فهن " بولنديات حقاً ٥٠٠ وقد تنازل لى الفارس عنها ٥ كان هذا الفارس فتي أخاذاً ٥٠٠ كان في نيته أن يتزوجها هو نفسه في أول الأمها كانت عرجاء ،

متف كالجانوف يسأله :

ــ كيف ؟ تزوجت عرجاء ؟

ــ نىم ، كانت ثىرج • وقد تأمرا كلاهما على خداعى • كنت أنا أظن أنها تنوائب توائباً جميلاً ، وكنت أعزو ذلك الى فرحتها •••

ـ الى فرحتها بتزوجك ؟

كذلك سأله كالجاتوف بصوت رنان طغولي .

ـ نمم ، الى فرحتها بتزوجى • ولكن اتضع لى أن الأمر لم يكن

كذلك البتة • فيعد زواجنا ، بل فى مسساء الحفلة نفسه ، اعترفت لى بالحقيقة ، واعتذرت اعتذاراً مؤثراً : يظهر أنها قد أرادت أثناء طغولتها أن تقفز فوق غدير ، فانكسرت عندئذ ساقها ! هأ هأ !

انطلق كالجانوف عندئذ في ضحك كضحك الأطفال تماماً ، وكاد ينقلب على الكتبة ، وضحكت جروشنكا أيضاً ، أما ميثيا فقد شمر أنه في ذروة الفيطة والهناء والسعادة ،

صَاح كالجانوف يقول مخاطبًا ميتيا :

قال ميتيا مندهشاً وهو يلتفت بقوة الى ماكسيموف :

ــ غير معقول !

فقال ماكسيموف مؤكداً بتواضع :

به لقد هربت فعلاً ٥ تهم ٥٠٥ حدث لى هذا المكروه ! سافرت مع رجل فريسى ٥ وأسوأ ما فى الأمر أنها كانت قد سجلت على اسمه قريتنا والأراضى التى تتبعها ٥ قالت لى : « أنت رجل مثقف ٢ وسسوف تستطيع تدبير أمرك وحدك ٢٠ على هذا النحو انما تركتنى ٥ وقد نبهنى أسقف محترم جداً فى ذات يوم الى أن احدى زوجتى كانت سافها عرجاء ٢ وأن الثانية كانت سافها غيفة ٥٠٠ هأ ها ! ٠٠٠

صاح كالجانوف يقول في حماسة :

_ هل تسمعون ؟ هل تسمعون ؟ اذا كذب _ وهذا ما يحدث له

أحياناً كثيرة _ فهو لا يكذب الالسلنا وليس في هذ بي و من حطية يه ليس فيه من من حطة ! انه يسجيني أحياناً على تعلمون ؟ هو دني و جداً ولكن دناة له طبيعية و أليس كذلك ؟ ما رأيكم ؟ غيره ينحطون طمعاً في منفعة و أو سمياً الى ربع و أما هو فيفعل ذلك مجاناً ويفعل ذلك مدفوعاً الله بطبيعته المنزهة عن الغرض و تصوروا مثلاً أنه يدعي أن جوجول انما وصفه هو في كتابه و النفوس المينة و * القد تشاجرنا أمس حول هذا الموضوع طوال الطريق و انكم تذكرون أن كتاب جوجول هذا يحدثنا الرجل و بتهمة توجيه اساءة شخصية بالسياط و في حالة سسكر و الله المربط و بتهمة توجيه اساءة شخصية بالسياط و في حالة سسكر و الم الملاك ماكسيموف و و و ان صاحبنا ماكسيموف لا يتورع أن يؤكد الآن الجلد الذي يحدثنا عنه كتاب جوجول و فهل هذا ممكن ؟ فكروا قليلاً ! ان تشتشيكوف قد سافر سنة و ١٨٧٠ و فالتاريخ اذن غير مطابق أبداً و انه ليستحيل اسستحالة مادية أن يكون المسيموفينا نحن قد جلد منذ زمن بعيد كل ذلك البعد و يسستحيل و السي كذلك ؟

لقد تحسس كالجانوف تحساً صادقاً ، رغم أن من الصعب على المره أن يفهم لماذا يولى هذه المسألة كل هذا الاهتمام ، ولماذا يقيم لها كل هذا الوزن ! وتحيز له ميتيا باقتاع تام ، ثم صاح يقول وهو يضحك ضحكاً ضحكاً .

ــ ولكن ما دام يعترف بأنه جُلْله •••

فقاطعه ماكسيموف مصححاً :

ـــ الحق أن ما وقع لى لم يكن هو الجلد تماماً ، بل كان شيئاً من هذا القبيل + كيف هذا ؟ شئء من هذا القبيل ؟ اما أنك جُلدت واما أنك نه تُجد ، ولا وسط بين الأمرين !

سأل « السيد » اليولندى ذو الغليون ، ســـــأل صاحبه البولندى الطويل. ، متململاً متذمراً :

_ كم الساعة الآن ؟

تدخلت جروشنكا تقول بلهجة هجوسة :

 حل أضــــجركم هذا الحديث ؟ دعوا الآخرين يتكلمون! لماذا تمنعونهم من أن يتسلوا ويسروا عن أنفسهم؟

كان يبدو على جروشنكا أن مزاجها متأهب للمشاجرة ، فد مش ميتيا من هذا لأول مرة • أجاب • السيد ، البولندى بشىء من العصبية ، أجاب يقول باللغة البولندية :

_ سيدتي ! أنا لم أقل شيئًا ، ولا أنوى أن أزعج أحدًا •

فهتفت جروشنكا متجهة بالكلام الى ماكسيموف:

ــ طيب • اقصص الآن • مالى أراكم تسكتون جميعــــاً على حين فجأة !

استأنف ماكسيموف كلامه يقول وقد سرَّه الاهتمـــام به ، وأخذ يصطنع اللطف :

ليس هناك ما أقصه ! ما هذا كله الا هراء ! ثم ان جوجول قد موَّ مأكثر الأسماء في هذه القصة ، وأبدلها بتسميات رمزية • من ذلك أن نوزدريوف قد كان اسمه الحقيقي توسوف أنه كما ان كوفشينيكوف كان اسمه الحقيقي شكفورنيف ، والاسمان معتبلفان كل الاختسلاف ، أما فيناردي فكان اسمه فعلاً فيناردي ، ولكنه كان روسياً لا إيطالياً : فيناردي بتروف ، وكانت الآسة فيناردي فئاة أخاذة فنانة ، • • ليتكم رأيتموها ! ليتكم رأيتم ساقيها المفعدين في سروالها الفسيق تحت تنورتها القصيمة ذات الأسلاك المشدودة ! • • • وما كان أزوع دورانها ! • • • ولكنها لم تدر الا خلال أربع دقائق ، لا خلال أربع ساعات ، لقد فتنت ألبانسا جمعاً يومنة • • • •

زأر كالجانوف يسأله :

ــ ولكن لماذا جلدوك ؟ هلا ً قلت لنا لماذا جلدوك ؟ ذلك هو الأمر الذي يعننا !

أجاب ماكسيموف :

ـ جلدوني بسبب بېرون .

فسأله ميتيا :

ـ ای بیرون ؟

- الكاتب الغرنسي الشمهير بيرون • كا جماعة كبيرة في كاباريه وكنا قد شربنا قدراً لا بأس به من الخمر • حدث ذلك في أتساء تلك السوق نفسها • دعو ني ء فما لبثت أن كلت لهم أبياناً شعرية لاذعة • قالوا لى : • أهذا أنت • • • الشاعر بوالو ؟ يا للزى الغريب المضحك! ء * فأجابهم بوالو بأنه ذاهب الى حفلة تنكرية ، وكان بوالو يقصسد بذلك الحمامات • • • هأ هأ ! • • • وكنهم عدوا هذا تعريضاً بهم • وعدائد

أسرعت أكيل لهم أبياتاً جديدة معروفة فى الأوساط المثقفة ، وكانت فى الحق كاوية :

> انت سافو وانا فاوون ــ ذلك امر مر ولكن اكبر مصائبي الك تجهلن طريق اليحر * .

فازداد اسستياؤهم وأخذوا يهينونني اهانات ليست لاتفة • فاردت عندند ، لسوء حظى ، أن أصلح ما بدر منى من خراقة ؟ ومن أجل أن أسوّى الأمر قسست عليهم حكاية عن الشاعر بيرون التي لا يعرفها الا المتفون جدا • فذكرت لهم كيف أن هذا الشاعر ، حين لم ينتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية ، أراد أن ينتقم لنفسه ، فنظم بيتين لشاهدة قبره ، فقال :

منا يرقد بيون ، اللي لم يكن شيئا ذا بال حتى ولا عضوا في الاكاديمية

فما كان منهم الا أن هجموا على فجلدوني ه

ـ عجيب ا لماذا ؟ لأى صبب ؟

ــ ليعاقبونى على سعة اطلاعى •

وأضاف ماكسيموف يختم كلامه ، مصطنعاً هيئة التعلق والحكمة، قائلاً :

ما أكثر الأسباب التي يُعجلد من أجلها انسان !
 فاطمته جروشتكا قاتلة :

_ كفى ! لقد ضقت ذرعاً بهذه الحكايات المفسيجرة ! لا أريد أن أسمعها بعد الآن • لقد توقعت شيئاً أدعى الى البهجة وأبعث على الضحك!

فسرعان ما وجم مينيا وكفَّ عن الضحك ، ونهض « السسيد » البولندى الطويل ، وأخذ يذرع النرقة جيئة وذهاباً واضماً يديه وراه ظهره ، وقد بدا عليه الكبر والتمالى ، كرجل أوقمت المقادير في صحبة أناس يزدريهم فهو يشعر بملل وسلم ،

قالت جروشنكا وهي تنظر اليه باحتقار :

_ ما أبلد مشيته هذه !

فازداد انفعال ميتيا ، لا سيما وأن « السيد ، الجالس على الكنية كان ينفرس فيه بغير لطف أو وداعة فيما خيل اليه • فصاح ميتيب

فانشرب أيها السيد • (ثم التفت الى البسولندى الآخر وتابع
 كلامه) • وأنت أيضاً ••• فلنشرب ، فلنشرب أيها السادة !

وتناول ثلاث كئوس وملأها شببانيا • وهتف يقول :

- فلنشرب تخب بولنده ! فلنشرب تخب بلادكم بولنده ! فلنشرب تخب الأرض البولندية !

فأجابه « الســـــــد » ذو الفليون قائلاً بوقار متلطف وهو يرقع كأسه :

بكل سرور يا سيدى ! فلتشرب !
 فقال مشا ميتما :

قال السيد ذو الغليون :

ـ اسمه السيد فروبلفسكي .

وافترب السيد فروبلفسكى من المائدة متمايلاً ، وتناول كأسساً ، ولكنه ظل واقفاً ه

هتف ميتيا وهو يرفع كأسه :

ــ فلنشرب تخب بولنده يا سادتي !

وقرع الثلاثة كتوسهم بعضها ببعض • ولم يلبث ميتيسا أن تناول الزخاجة فملأ الكثوس الثلاث من جديد • وقال :

ــ والآن فلنشرُب تخب روسيا أيها السادة ! علينا أن تتآخى ! قالت جروشنكا :

1 : 1 : 1 : 1 : 1

ـــ املاً لى أنا أيضاً كأساً • أريد أن أشرب كأس روسيا • وقال كالحاوف :

_ وأنا كذلك !

_ وانا كذلك !

وزاد ماكسيموف فقال :

_ وأنا أيضاً ! اننى احرص على أن أشرب تخب جدتنــــا العجوز روسيا • هيء هيء ! •••

هتف ميتيا يقول :

 جى، بالزجاجات الثلاث الباقية • ومالاً ميتيا الكئوس • وصاح يقول من جديد :

_ نخب روسیا !

فشرب الجميع الا البولنديين • أفسىرغت جروشنكا كأسمسها دفعةً واحدة • أما البولنديان فلم يمسنًا كأسيمها •

قال ميتيا في دهشة :

_ ماذا ؟ أحكذا أتتم ؟

فتناول « السيد ، فروبلفسكي كأسه ، ورفعه ، وقال بعســـوت أخف :

ــ اننى اشرب تخب روسيا بحدودها السابقة على سنة ١٧٧٢ ! *

فهتف « السيد » الآخر قائلاً باللغة البولندية :

_ عظیم!

وأفرغ الاثنان كأسيهما • فلم يملك ميتيا الا أن يقول :

_ ما أغاكما!

فانتصب • السيدان ، أمام ميتيا كديكين ، وقالا له بلهجة التهديد :

ـ أيها ٥٠٠ السيد!

وكان يبدو على فروبلفسكى أنه خارج عن طوره؟ وها هو ذا يصرخ قائلاً فى استياء (باللغة البولندية) :

_ هل محظور على المرء أن يحب بلاده ؟

وهنا انفجرت جروشنكا تقول بصوت صارم وهي تقرع الأرض بقدمها : _ سكوت ! كفاكم شجاراً ! لا أريد هذه المناقشات !

قالت جروشنكا ذلك وقد النهب وجههـا وسطمت عينــــاها • كانت الشمبانيا قد فعلت فعلها • خاف ميتيا • وأسرع يقول :

_ معذرة أيها السيدان! أنا المذنب • لن أكرر • يا فروبلفسكى ء يا سيد فروبلفسكى ، سأجلس ساكناً هادئاً بعد الآن •

فقاطعته جروشنكا قائلة بانزعاج :

ـ ليتك تسكت أنت على الأقل ؟ أبله !

جلس جميع الحضور ، وخيم الصمت ، وأخذوا ينظرون بعضهم الى بعض في حرج •

لم يدرك ميتيا شيئًا عن اندفاع جروشنكا ، فاستأنف يقول :

 أنا سبب هذا كله أيها السادة! يتجب أن لا نبقى عاطلين هكذا ٥٠٠ ألا نستطيم أن تتخيل شيئًا ٥٠٠ فنسترد مرحنا والطلاقا ؟ ٥٠٠

قال كالجانوف باهمال ودون اكترات :

ـ حقاً ان المرء ليضجر هنا ضجراً رهيباً ٠

فقال ماكسيموف مقترحاً :

ــ ما رأيكم فى لعبة بالورق كما فعلنا منذ قليل ؟ هيء هيء !

فقال ميتيا مؤيداً مستحسناً :

ـــ لعبة بالورق ؟ فكرة عظيمة ! هذا اذا وافق هذان السيدان •••

فقال السيد ذو الفليون بلهجة تنم عن اعتكار المزاج ، قال باللفسة البولندية :

ـ بوزنو (الوقت متأخر) •

فقال فروبلنسكى مؤمنا :

ــ هو على حق ٠

فسألت جروشنكا :

_ يوزنو ؟ ما ممنى هذه الكلمة ؟

فأجابها السيد الجالس على الكنبة :

ــ معناها : 'لوقت متأخر ه

فقالت جروشنكا بصوت حاد وقد نقد صبرها :

ــ الوقت دائماً متأخر فى نظر هذين السيدين ، وكل ئى، مستحيل فى نظر هذين السيدين ، انهما لا يجيدان الا الضجر والسأم ، ويريدان أن يحرما الآخرين من البهجة والمسرة ، انهما ، لى أن جشت يا ميتيا ، لم يفعلا طوال الوقت شيئاً غير الصمت ، متخذين هيئة التمالى تعجاهى ،

فهتف « السيد ، الجالسُ على الكنبة يقول باللغة البولندية :

ـــ الهتى ! ما قلته صحيح تماماً • لقد أصبحت حزيناً مند لاحظت أنك مستادة غير راضية •

وأضاف يقول لبتيا بغير تسهل :

۔ أيا مستعد ہ

فأجابه ميتيا :

ـ افتح اللعب يا سيدى .

قال ميتيا ذلك وأخرج حزمة الأوراق المالية من جبيه فسل منها ورقين بماتني روبل ووضعهما على المائدة • وقال :

_ أريد يا سيدى أن أخسر مالاً كثيراً ممك • خذ الورق ، وكن أنت الخازن •

قال « السيد ، القصير بلهجة جادة مشدداً كلماته :

ـ يجِب أن نلمب بورق صاحب النزل ه

فقال السيد فروبلفسكى مؤيداً :

_ ذلك أفضل حقاً!

قال منا وقد أدرك ريتهما:

_ تفضلون ورق صاحب النزل؟ طيب أيها السادة! سنأخذ ورق صاحب النزل • أنتم على حق •

وقال يأمر صاحب النزل :

_ هات ورقاً •

فجاء صاحب النزل برزمة ورق مختومة ، وأعلن لميتا أن البنات قد تتجمعًن ، وأن اليهود الذين يعزفون على الرباب والكمان سيمسلون بعد هنهة ، ولكن العربة التي تحمل المؤن قد تأخرت ، فنهض ميتيا فيجأة ، وأسرع الى الفرقة المجاورة ليتخذ الإجراءات اللازمة ، لم يكن في المفرقة الا تلات ، ولم تكن ماريا قد ظهرت بعد ، وكان ميتيا لا يعرف في الواقع ما هي الاجراءات التي كان عليه أن يتخذها ، حتى لقد تسامل ماذا جاء يعمل في هسند الفرقة ، ومن أجل أن يخرج من ارتباكه أمر بأن يؤتي بالصندوق الذي يحتوى السنكاكر ، وأن يوزع

على البنات كارامل • وأضاف يقول متصجلاً : • وقد ُموا فودكا لآندره لأننى جرحت شعوره منذ قليل » •وشعر مينيا في تلك المعطقة بأن أحداً يضمح يده على كنفه ، فالنفت فرأى ماكسيموف الذي كان قد تبعه الى الغرفة •

همس الملاك يقول له :

مل تستطيع أن تسلفنى خمسة روبلات ؟ اننى أحب أن ألمب
 أيضاً ! هيء هيء ٥٠٠٠

_ عظيم ! عظيم ! خذ هذه الروبلات المشرة ! اليك عشرة روبلات !

وأخرج ميتيا حزمة الأوراق المالية من جيبه مرة أخرى ، فتساول منها ورقة بشترة روبلات ، وقال له :

ــ وما عليك اذا خسرتها الا أن تعلب المزيد • ســـأعطيك غيرها أيضاً •••

همس ماكسيموف يقول فرحاً كل الفرح:

_ هذا يدبر أمرى!

وأسرع يعود الى القاعة الأخرى •

ولم يتأخر مينا عن اللحاق به ، واعتذر للجمع عن تغييه ، وكان البولنديان ، الجالسان الآن الى المائدة ، قد فضا الورق قبل وصوله ، وقد أصبح وجهاهما أقل جهامة وأكثر بشباشة حتى ليمكن أن يوصفا باللطف والدمائة ، وها هوذا ، السيد ، القصير ، الذي أشمل غليوناً جديداً ، يستمد لخلط الورق بوقار ، هتف فروبلفسكي يقول :

_ مكانكم يا سادتي !

فقال كالحانوف :

أنا لن ألمب ، فقد سبق أن حسرت معهما خمسين روبلا .
 فقال السند ذو الغلبون :

سأل مشا متحمساً:

_ كم الخزنة ؟

_ يمكن أن تكون مائة روبل ، ويمكن أن تكون مائتين ، فذلك متوقف على المبلغ الذي تحطه ه

فقال ميتيا وهو ينفجر ضاحكاً :

_ مليون !

لا ئنك أن الكابتن يعرف قصة السيد بودفيزوكى * ؟
 بأى بودفنزوكى ؟

· @ >>_-y, & -

حدث فى ذات مسساه فى فارصوفيا أن تكدست جميع الأموال المحطوطة عند العنازن و فأقبل بودفيزوكى ، فرأى ألوف القطع الذهبية، فحط مبلغاً و سأله العنازن عندئذ أهو يريد أن يلعب بدهب أم هو يريد أن يلعب اعتماداً على عهد الشرف ، فقال بودفيزوكى : « بل اعتماداً على عهد الشرف ، ، فقال الحازز ، حساً ، ، وقطحه ، فلم "بودفيزوكى القطع الذهبية و فاذا بالدخزن يقول له : « لحفلة أيها السيد ، ، وقتح الدرج وناول بودفيزوكى مثروداً " ، هذا ما ربحته فقد كانت الحزية مليوناً وقال بودفيزوكى متردداً " ، كنت أجهل هذا مه نقال له الحزازن : « يا سيد بودفيزوكى ، أت لعبت بالاعتماد على عهد فقال له الخازن : « يا سيد بودفيزوكى ، أت لعبت بالاعتماد على عهد

الشرف ٠٠٠ وأنا كذلك • فأخذ بَودفيزوكي المليون ودسَّه في جيبه •

متف كالجانوف يقول :

_ هذا غير صحيح !

فقال السيد ذو الفليون ، يخاطبه باللغة البولندية :

ـ يا سيد كالجانوف ، ما هكذا يتكلم المرء في صـــــحبة أناس محترمين !

فصاح ميتيا قائلاً :

ــ لا تحاول أن تقنمنا بأن بولندياً قد أعطى مليوناً على هذا النحو 1

ولكن ميتيا لم يلبث أن ثاب الى نفسه فاستدرك يقول :

معذرة يا سيدى ! ها أنا ذا أخطى ، من جديد ! ان البسولنديين يمكن أن يعطوا مليوناً بسهولة ، تنفذاً لمهد الشرف ، صسوناً للشرف البولندى ٥٠٠ أنا أسلم بهذا ! ٥٠٠ أرى أننى سأتكلم أنا أيضاً باللغة البسسولندية آخر الأمر ! هأ هأ هأ ! أحط عشرة روبلات على الأعرج (الفاليه) ٥٠

فقال ماكسيموف وهو يقدم ورقة البنت (الدام) :

ـــ وأنا أقامر بروبل صـــغير على البنت ، البنت الجميــــلة ، البنت البستونية ، على « الست ، ، هي، هي، • • • •

قال ماكنسموف ذلك واقترب من المائدة اقتراباً شديداً ، كأنه يريد أن يخفى ما سفعله ، ورسم تحت المائدة اشارة الصليب •

ربح ميتيا ، وربح الروبل الصغير أيضاً .

قال ميثيا : -

_ أضاعف •

وتمتم ماكسيموف يقول بسعادة كبيرة وقد طار لبه فرحاً بربحه الروبل:

_ وأنا ألمب مرة أخرى بروبل ، روبل فقط ، روبل طيب ، روبل شهم صغير !

صرخ میتیا :

ـ خسرت ! أضاعف حطتى على السبعة •

وخسرت السبعة أيضاً •

قال كالجانوف فعبأة :

ــ كفوا عن اللعب •

فعاد مبتيا يقول دون أن يضطرب :

_ أضاعف •

وظل ميتيا يضاعف ، وظل يخسر فى كل مرة ، ولكن الروبلات الصغيرة التى كان يحطها ماكسيموف ظلت تربح •

صرخ ميتيا حاتقاً :

_ أضاعف أيضاً •

ــ فقال له « السد » ذو الفلمون :

ے خسرت ختی الآن مائتی روبل • فہل ٹرید آن تقسیامر بمائٹی روبل دفعة اواحدۃ ؟ ــ كيف؟ خسرت ماتنى روبل؟ لا بأس! أضاعف مع ذلك! ألمب بماتنى روبل دفعة" واحدة!

قال مينيا ذلك وأخرج من جيبه ورقين بمائتي روبل ، وهم أن يلقيهما على البنت (الدام) ، فاذا بكالجانوف يضع يدء عليهـا فيفطيها . قال كالجانوف صائحاً بصوت ران :

_ یکفی مذا!

فسأله ميتيا وهو ينظر اليه مندهشاً :

_ ماذ: بك ؟

ـ يكفى هذا • لن أدعك تستمر •

_ لماذا ؟

_ هكذا ! دعهما وامض • هذا أفضل • صدقنى • سوف أمنهك من منابعة هذا اللعب •

كان ميتيا يتفرس فيه دون أن يفهم •

وتدخلت جروشنكا قائلة بنبرة غريبة في صوتها :

ــ دع اللعب يا ميتيا • ربمــــا كان على حق • ثم انك قد خسرت ما فمه الكفاية •

قلق ، السيد ، القصير فقال يخاطب كالجانوف بالبولندية وهو يحدق الـه تحديقاً قاساً :

ــ أتراك تمزح ؟

وصرخ ء السيد ، الطويل يقول لكالجانوف بصوت راعد !

_ كيف تجرؤ أن ٠٠٠

فنضبت جروشنكا وقالت :

ــ لا أسمع بالصراخ هنا • لكأنكم ديكة حاتقة !

كان ميتا ينقل بصره عليهم واحداً بعد واحد • وفجأة لفت انتباهه في هيئة جروشنكا تعبير غريب • وفي تلك اللحظة نفسها ومضت في ذهنه فكرة عجيبة •

بدأ ، السد ، القصير يتكلم فقال وقد احسر وجهه غضياً :

_ سیدتی أجربینا ۰۰۰

ولكن ميتيا لم يدعه يكمل كلامه • فقد اقترب منه ، ووضع يده على كنه وقال له :

_ كلمتين أيها السيد النبيل!

فسأله هذا بالبولندية :

_ ماذا ترید ؟

فأجابه ميتيا :

ــ تعال معى الى الغرفة المجـــاورة • أريد أن أكلمك على انفراد، وما سأقوله لك سيسرك كيرآ • سترى أن ما سأقوله لك يرضيك •

بدت الدهشة على « السيد » القصير » وظر الى منيا في خسية • ومع ذلك رضى أن يتبعه » ولسكنه اشترط أن يصسحبه « السسيد » فروبلفسكى •

هتف مبتيا قائلاً :

_ حارسك ؟ فليأت هو أيضاً ••• ثم ان حضوره ضرورى • هيــا بنا أيها السيدان !

سألته جروشنكا قلقة :

_ الی أین تذهبون ؟ نأیا دارد!

فأجابها ميتيا :

_ سنعود بعد لحظة .

من رأى ميتيا فى تلك اللحظة أحس ً أن فيه عزماً وتصميماً وجرأة، وأحس ً أنه واثق من نفسه ثقة ً لا تُنتظر منه • ان تمبير وجهــــه الآن يختلف كل الاختلاف عن تمبير وجهه ساعة وصوله •

قاد ميتيا الرجلين البولنديين الى غرفة تقع على اليمين ، ليست هى المنزفة التي كانت تنجم فيها جوقة البنات وشهيئاً فيها المائدة للقاصفين ، ولكنها غرفة نوم ملأى بالحقائب والصناديق ، وفيها سريران كبيران على كل منهما جبل من وسائد ، وكان في الغرفة شمعة مشتعلة فوق منفدة، جلس ، السيد ، ذو الغليون وميتيا متقابلين ، ووقف « السيد ، المصلاق فربلفسكي في جانب ، واضعاً يديه وراء ظهره ، ان الرجلين البولنديين برقان ميتيا عابسين ، ولكن كان واضحاً أنهما يشمران برغبة قوية في معرفة ما يريد أن يقوله ،

تمتم ، السيد ، ذو الغليون يقول بالبولندية :

_ ما الخدمة التي يمكنني أن أقدمها لك؟

ـــــ اسمع أيها السيد • لن أراوغ وأجاتل • خــــــ المسال (قال ميتيا ذلك وأخرج من جبيه حزمة الأوراق المالية) ، خذ المال ••• هل تريد تلاتة آلاف روبل ؟ خذها وانصرف !

حدق « السيد » الى ميتيا بنظرة فاحصة بم مشرقا عينيه في عينيه • وسأله بالنولندية : ــ ثلاثة آلاف روبل أيها السيد ؟ وتبادل وصاحبه فروبلفسكى نظرة خاطفة •

قال له ميتيا :

- سم ، ثلاثة آلاف ! اسسع أيها السيد : اتنى ألاحظ أنك رجل عاقل ، خذ هذه الثلاثة آلاف روبل واذهب من هنا ، ولكن لا تنس أن تصطحب صاحبك فروبلفسكى ، هل فهمت ؟ على أننى اشترط أن تذهب فوراً ، في هذه الدقيقة نفسها ، والى الأبد ، الى الأبد ، فهمت ؟ تخرج من هذا الباب ، هل ترى ؟ ماذا تركت في الغرفة الأخرى ؟ معطفاً ؟ فراء ؟ سأجيثك به ، وسآمر باعداد عربة ترويكا لك فوراً ، ٥٠٠ وأتمنى لك سفراً سعداً أيها السيد ، هيه ، ما رأيك ؟

كان مينيا ينتظر الجواب وهو معتلى، ثقة • كان لا يراوده شك في أن الرجل سيقبل هذا العرض • واتخذ وجه ، السييد ، ذى الغليون هيئة تنم عن غاية العزم والتصميم • وقال يسأل مينيا :

ــ أين المال يا سيدى ؟

ـ اليك تفصيل الأمر فيما يتعلق بالمال : أدفع لك الآن خمسمائة روبل سلفة ونفقات سفر • أما لباقى ، وهو ألفان وخمسمائة ، قسأدفعه لك غداً فى المدينة ، أحلف لك بشرفى • سأجيئك بهذا البلغ من تحت الأدض اذا لزم ذلك ! (هكذا صاح ميتيا) •

تبادل البولنديان خلرة • وأصبح وجه • السيد ، ذى الغليون أقل تشجيعاً مما كان منذ قليل • قال ميتيا :

بل أعطيك سبعمائة سبعمائة روبل ، لاخسمائة، كدفعة أولى. • أعطيكها حالاً ، في هذه اللحظة نفسها (كذلك أسرع يقول ميتا الذي

لاحظ أن الأمور أخذت تجرى مجرى لا يبعث على الامل) • ما بك أيها السيد ؟ ألا تصدقنى ؟ لست أستطيع أن أخدك ثلاثة آلاف دفعة واحدة على كل حال • ذلك أنك قد تأخذ المبلغ الآن ثم تبود اليها غدا • • • • م اننى لا أحمل الآن هذا المبلغ ، وانما هو منجأ في مسكنى بالمدينة ، (كذلك تمتم يقول أليوشا الذي كانت شجاعته تهبط عند كل كلمة جديدة ، والذي أصبع يرتش منذ ذلك الحين خوفاً من الاخفاق) أحلف لك أن هذا المال في بتى ، مخياً • • • •

وفى مدى لحظة قسيرة ، اجتاح وجه َ « السيد ، ذى الفليون تمييرُ عن أنفة خارقة وشمم هاثل ، فسأل ميتيا فى سخرية (باللغة البولندية) :

_ أهذا كل ما تريده ؟

ثم بصق للتعبير عن اشمئزازه بمزيد من القوة . وبصق فروبلفسكي أيضاً .

قال ميتيا وقد شعر باليأس يغزوه ، وأدرك أن كل شيء قد ضاع ، . قال :

- أنت تبصق أيها السيد لأنك تأمل أن تسلب جروشنكا مبلغاً أكبر! ألا انكما كليكما لمضحكان !

فقال « السيد ، ذو الغليون ، وقد احمر احمراراً شــــديداً (فال باللغة البولندية أيضاً) :

سانك تهينني الى أقسى حدود الاهانة .

ثم أسرع يتجه نحو الباب ، فى هيئة رجل مسناه لا يريد أن يسمع المزيد من الكلام ، وسار فروبلفسكى وراء متمايلاً ، وتبمهما ميتيسا مضطرباً حائراً وقد أسقط فى يده ، كان يخشى غضب جروشنكا ، لأنه أوجس أن البولندى سنفسح الأمر • وذلك ما حدث فعلاً • فقد دخل • السيد » ذو الفليون القاعة ، فوقف أمام جروشنكا وقفة مسرحيسة ، وهنف يقول لها باللغة البولندية :

_ لقد أأهنت الى أقسى حدود الاهانة •

فاذا بجروشنكا تصبح في وجهه حانقة مسعورة :

 باللغة الروسية ، تكلم باللغة الروسية ! لا أريد بعد الآن أن أسمع كلمة بولندية واحدة ! لقد كنت تعرف الروسية في الماضى ،
 ولا يمكن أن تكون قد نسيتها في خمس سنين !

وكانت جروشنكا محمرً الوجه غضبًا •

ـ سيدتني أجريبينا •••

_ اسمى أجرافين ٥٠٠ أنا جروشنكا ٥٠٠ تكلم بالروسية اذا كنت تريد أن أسمع لك !

جُرحت كبرياء «السيد» ، فاحمر وجهه ، وأسرع يقول في تنفخ وفخفخة ، متمدأ تشويه الكلمات :

أيها السيدة أجرافين! لقد جئت وأنا أنوى أن أنسى الماضى وأن أغفر ، جئت وأنا أنوى مسع ما حدث حتى هذا اليوم •••

فقاطعته جروشنكا قاتلة وهي تثب من مكانها :

_ جئت لماذا ؟ لتنفر ؟ أتريد أن تنفر لي أنا ؟

_ مم يا سيدتى ، كنت أريد أن أغفر لك ، ان لى نفساً رحبة وقلباً
سمحاً ، ولكن سلوك خلائك قد أدهشنى ، فمنذ هنيهة ، فى الفسرفة
المجاورة ، أراد ، السيد ، مينا أن يعطينى ثلاثة آلاف روبل لأسافر ،
فصفت فى وجهه ،

صرخت جزوشنكا تسأله بصوت حاد :

قال مبتيا في أنين :

ـــ أيها السيد ، أيها السيد ، انها طاهرة كملاك ، ولم أكن خليلها فى يوم من الأيام • لقد كذبتَ فى هذا الأمر •••

زأرت جروشنكا تقول :

کیف تجرؤ أن تدافع عنی أمامه ؟ لئن حافظت علی طهارتی ، فاننی لم أفعل ذلك تمسكاً بالفضیلة ، بل لیكون من حتی أن أصرخ فی وجه هذا الرجل حین ألقاه : أنت شقی تمس ! هل یمكن حقاً أن یكون قد رفض المال الذی عرضته علیه ؟

فصاح مِنا يقول :

ــ رفض ؟ انه لم يرفض ٥٠٠ لقد رضى ٥٠٠ ولكنه أراد أن أنقدم الثلاثة آلاف روبل دفعة " واحدة ، أما أنا فقد عرضت عليه قسطاً أول هو سيمائة روبل ٠

قالت جروشنكا :

_ اتضح الآن كل شىء : لقـــد علم اننى أملك مالاً ، فأراد أن يتزوجني !

صرخ د السيد ، يقول :

یا سیدهٔ أجریبینا ، أنا فارس ، أنا بولندی نیل ، لا شقی تعیس • لقد کنت أرید أن أتخذك حلیلة لی ، ولسکننی أری الآن أهامی امرأة ختلف كل الاختلاف عن المرأة التي عرفتهـــا ، أرى أمامي الآن امرأة راكبة " رأسها خالعة" عذارها •••

صرخت جروشنكا تقول وقد خرجت عن طورها :

الباب! ألا ما كان أسسد بلاهتى حين عنبت نفسى خلال هذه السنين الباب! ألا ما كان أسسد بلاهتى حين عنبت نفسى خلال هذه السنين الخمس بسببه! • • • • لا • • • النبى لم اعنب نفسى هذا التعذيب بسببه ، وانما عنبت نفسى غضباً وحنقاً! ليس هذا هو الرجل الذي أحببته! أوه! انه لم يكن هكذا! ليس هذا الرجل هو من أحببت! أغلب الظن أنه أبوه! أين صنعت لنفسك هذه الباروكة المفسحكة؟ لقد كان ذاك صقراً ، أما هذا فدجاجة مبتلة! كان ذاك يضحكنى وينشدنى الأغانى • • الا ما كان أغبانى اذ لبت أبكى طوال خمس سنين ، وما كان أحطنى ، وما كان أجبننى!

قالت جروشنكا ذلك وتهالكت على مقعدها من جديد ، وفطت وجهها يديها • وفى تلك اللحظة ، ترجعت فى الغرفة التى تقع على الشمال أصوات جوقة بنات موكرويه اللواتى اجتمع شملهن أخيراً • لقد أخذن يغنين رقصة شيطانة •

فصاح فروبلفسكى على حين فجأة يقول :

ـ هذا محل دعارة ! يا ريِّس ، اطرد جانه النساء الخليمات !

كان صاحب النزل يلقى على القاعة نظـرات استطلاع من حين الى حين ، فلما سمع الصراخ فأدرك أن نزلامه قد أخذوا يتشاجرون أسرع اليهم • وقال يسأل فروبلفسكى بلهجة فظة :

ـ هيه ! أنت ! مالك تصبح هذا الصياح بحلقك العريض كله ؟

فزأر « السيد ، فروبلفسكي يقول له :

ـ وغد!

- وغد ؟ أنا وغد ؟ هلا قلت لى بأى ورق لعبت منذ قليل ؟ لقد جثتك بحزمة مختومة ، فأخفيتها ، ولعبت بورق منشوش ! هل تعلم أننى أستطيع أن أرسلك الى سيريا بسبب هذا الغش ؟ ان اللعب بورق مزيف يشبه صنع تقود مزيفة •••

واقترب صماحب النزل من الكنبة ، فأغطس يده بين الوسمادة والظهر ، فسحب حزمة الورق المختومة ، وقال :

ـ هذا ورقى ، لم يمس ا

ورفع حزمة الورق بين أصابعه يُنْلهر عليها جميع الحضور ، وهو يقول :

لقد رأيته من ركنى لحظة دس عده الحزمة في الشق ، وأحل
 محلها ورقاً من عنده ! أنت وبش لا « سند » ٥٠٠

وقال عندثذ كالجانوف :

ـ وأنا فاجأت « السيد ، يغش مرتين .

صاحت جروشنكا تقول وهي تضم يديها احداهما الى الأخرى :

ــ يا للعار ! آه ••• يا للعار ! ••• رياه ! كيف أمكن أن يتغير هذا الرجل الى هذا الحد ؟•••

قال ميتا :

_ لقد أشتبهت في أنهما يخشان !

فما ان نطق ميتيا بهذه الكلمات حتى التفت « السيد » فروبلفسكى الى جروشنكا منتاظاً مضطرباً ، وصرخ يقول لها وهو يمد قبضة ذراعه نحوها :

_ مومس !

ولكن مينا انقض عليه في تلك اللحظة نفسها ، فأسسك بجسمه كله ، ورفعه ، ونقله بلمحة طرف الى الفرقة التي تقع على اليمين ، الفرقة التي قادهما اليها منذ لحظات ، وسرعان ما عاد الى القاعة لاهناً من الجهد والانفسال ، فقال للقوم :

ــ رميته على الأرض ! المسكين يتخبط ، ولــكنه لن يســــادع الى الرجوع ٠

وأغلق ميتيا أحد مصراعي .لباب ، وترك المصراع الثاني مفتوحاً ، واتجه الى « السيد ، ذي الفلمون يسأله :

_ هل تتنازل ، أيها السيد النبيل ، فتلحق بصاحبك ؟ برزبوالزنام ! (ممذرة !) •

فهتف تريفون بوريستش يقول :

_ ولكن يا دمترى فيدوروفتش ، استردَّ منه المال الذي خسرته في اللعب ، على الأقل ٥٠٠ لقد سرقاك !

قال كالحانوف :

ـ أنا أترك لهما روبلاتي الخسين !

فصاح ميتيا:

وأنا أتنازل عن روبلاتي المائتين! لن استردها بحال من الأحوال فلمحتفظ بها عزاءً لهما!

_ مرحى مشا ه

كذلك صاحت تقول جروشنكا بصوت فيه شيء من الشر •

فاتجه « السيد » ذو الفليون نحو الباب ، وقد اصطبغ وجهه بعمرة شديدة من فرط الحنق ، ولكنه لم يفقد شيئاً من رصانته ، ومع ذلك فانه قبل أن يخرج من القاعة ، النفت نحو جروشنكا وقال لها (بالبولندية) :

ــ سیدتی ، اذا کنت تریدین أن تنبعینی ، فتمـــــالی ! والا ••• فوداعاً •••

ثم اجتاز لباب عابس الوجه مختنق الصدر نخضباً وخزياً •

ذلك انسان لا يهزه شى، • فانه بعد كل ما حدث ظل يأمل أن تتبعه « السيدة » ، لأنه يقدر نفسه قدراً عظيماً •

أغلقت جروشنكا الباب عليهما ه

وقال لها كالحانوف ناصحاً :

.. أففلي الناب علمهما بالمفتاح •

ولكن القفل صرَّ من داخل الفرفة • لقد سارعا هما الى اقفال الباب بالمفتاح •

هتفت جروشنكا تقول بلهجة حاقدة :

_ عظيم ! ذلك كل ما كانا يستحقانه !

۸ هــــذــــان

ان مغى البولنديان حتى شمل القاعة مرح عام، وحتى بدأ احتفال يشبه أن يكون مجوناً وكانت جروشكا أول المطالبين بخمر ، قالت : أما أن أن أن من أما أن أن حدادًا

الله السابقة ، هل تذكر يامينيا ، يوم ُ تعاوفنا ؟ كالمرة السابقة ، هل تذكر يامينيا ، يوم ُ تعاوفنا ؟

وكانت حالة ميتيا النفسية أشبه بهذبان ، لأنه كان يتنيأ « بسعادته ، • وكانت جروشنكا ، مع ذلك ، ما تنفك تصرفه فمي كل لحظة ، فاثلة له ؛

 اذهب اليهم ، سرَّ عن نفسك ، مرهم بأن يرقصوا ، حتى يكون هنالك انطلاق ومرح ، أريد قصفاً عنيفاً حاراً ، كالمرة السابقة ، كالمرة السابقة تماماً .

كانت جروشنكا مهتاجة جائشة النفس و وكان مينا يتحرك هنسا وهناك ليطيعها وينفذ أوامرها و تجمع أفراد الجوقة في الفرقة المجاورة، ان هذه الفاعة التي تجمعوا فيها صغيرة مسرفة في الصغر ، تقسسمها الى قسمين ستارة من نسيج هندى تخفي وراءها سريراً ضخماً منطى بلحاف كبر فوقه كدسة من وسائد و وان في سيسائر الفرق الأربع الأخرى و النظيفة ، سرراً على كل حال ، استقرت جروشنكا أمام الباب ، حيث

أناها مينا بمقمد تجلس عليه • ذلك هو المكان الذي تستفاتة و في ذلك اليوم • أثناء احتفالها الأول في الليل • تتأمل منه الرقصات وتسمع الفناه ان البنات اللواتي اشتركن في ذلك الاحتفال قد جئن اليوم هن أنفسهن ولم يلبت اليهود أن وصلوا مع آلات الرباب والكمان • وأعلن أخيراً أن عربة الترويكا التي طال انتظارها قد وصلت هي أيضاً تحمل المؤن •

شُخل ميتيا كثيراً ، وراح يتحرك هنا وهناك • كان أناس من أهل القرية يقفون أمام الصَّه من حين الى حين ليلقوا نظرة على الفرفة • لقد أوقظ الفلاحون والفلاحات في وسط الليل ، وأسرعوا يرتدون ثيابهم ، متوقعين وليمة عجيبة كوليمة الشهر الماضي • ان ميتيا يحيي الوافدين الجدد ، ويعانق الأصحاب القــدامي ، ويثير ذكريات ســــابقة ، ويفتح الزجاجات ، ويقدم الشراب لكل قادم • والبنان وحدمن يقدرن الشمانيا ، أما الفلاحون فيؤثرون خمر الروم والكونباك ، ويفضـــــلون « النش » خاصة ، أصدر ميتيا أوامره باعداد شوكولاتة للبنات ، وبأن تغلل ثلاثة سماورات يغلى ماؤها بدون انقطاع لتحضير الشاي والينش • يجب أن يكون هنالك شراب للجميع • يجب أن يستطيع كل قادم أن يسكر ما شاء له هواه أن يسكر • الخلاصة : قامت الدنيــــا وقعدت ، وأخذ الناس يشربون فوضى لا يلجمهم شيء • ولكن ميثيا كان يحس في هذا السديم المضطرب بارتياح ، ويزداد انتماشاً ونشـــاطاً على قدر ازدياد الفوضى والسخف في هذه السهرة • فلو خطــــر ببال أول فلاح واصل أن يسأله مالاً في تلك اللحظة ، اذن لأخرج الحزمة من جبيه ووزَّع الأوراق المالية على حلقة الراقصين دون عد • ولمــــل هذا هو السبُّ الذي جعـل صاحب النزل لا يكف عن الحـوم حوله لحمايته في أُغلب الفلن • وقد عزم تريفون بوريستش على أن لا ينام في هذه اللملة، لذلك لم يشرب هو نفسه الا قلملا جداً (اكتفى بكأس بنش واحد) ،

ولكنه كان يسهر على مصالح مبتيا بمزيد من الانتباء ، ولو على طريقته الخاصية ؟ فهو يتدخل متى وجب أن يتدخل ، بلهجة متعاذبة لنة ، ليوقف ميتيا عند حدود لا يتعداها ، محاولاً أن يحول بينه وبين أن يقدم للفلاحين الجفاة سيجاراً وملبساً «كما فعل في المرة الماضية» ، أو أن يوزع عليهم شيئًا من المال خاصة علا سمح الله ! كان يسوء أن يرى البنات تشرب خموراً وتقضم ملبساً ، فيقول : « وسخات ! وسخات ! لأطردهن ركلاً بالقدمين ، ولأحملهن على أن يشكرن لى هـــذا الشرف ، ذلك ما هن به جديرات ! » • وتذكر منها الحوذي آندره من جديد عفارسل البه شيئًا من البنش • وكان يردد قائلاً بصوت ضعيف دامع : « لقــــد أسأت النه منسذ قلبل ، • ورفض كالجانوف في أول الأمر أن يشرب ، ولم ترضه جوقة البنات وولكن مرحه اشتد اشتداداً جنوناً بعد أن شرب الكأس الثانية من الشمياتيا ، فكان يسمير في خلال الفرقة ضاحكاً مطرياً كل شيء ، الأغاني والموسيقي + وكان ماكسيموف الذي بلغ أوج السكر والنبطة منذ ذلك الحين ، لا يتركه لحظة واحدة • وكانت جروشنكا ، التي ثملت قليلاً هي أيضاً ، ما تنفك تقول لمينيا وهي توميء الى كالجانوف ه ما ألطفه فتى ! ما أحلاه وما أعذبه ! » ، فكان مينيسا يسرع عندئذ الى كالحانوف فعانقه ويقبله بحماسة ؟ وكان يقبِّل ماكسيموف في هذه المناسبة. آه ٥٠ ماكان أعظم السعادة التي يوجس متنا أنه سنالها! صحيح أن جروشنكا لم تكن قد وعدته بشيء بعد ، وأنها كانت تبدو راغيـــة في تجنب أي شرح الآن ، ولكنها كانت تنظر اليه خلسة " من حين الى حين وقد فاضت عيناها رقة وحناناً • وها هي ذي تمسك يده على حين فجأة ، فتجذبه البها بقوة ، وتقول له وهي جالسة على مقمد أمام الباب كما كانت في أول الاحتفال :

ـ ما كان أغرب هيئتك حين دخلت علينا منذ قليل ! أوه ! لقد خفت

عندئذ خوفاً شديداً • كيف خطر ببالك أن تتازل عنى لذلك الرجل ؟ هل يمكن أن يكون ذلك قد خطر ببالك حقاً ؟

دمدم ميتيا يقول وقد طاش عقله من فرط السعادة.:

_ لم أشأ أن أفسد سعادتك •

ولكن جروشنكا لم تصغ الى جوابه • وصرفته عنهـــــا مِن جديد. قائلة له :

ــ اذهب ، اذهب ، سرًّ عن نفسك لاهيـــاً معهم ، وليس لك أن تتشكى ، فسأناديك بعد قليل ،

انصرف مينا ، واستأنف جروشنكا تأمل الرقصات والاصسفاء الى الأغنيات ، فلما انقضى على ذلك ربع ساعة أومأن له فهرع اليها ، قالت :

_ اجلس بجانبي الآن ، واقصص على َ كيف علمت أمس نني هناه من أول من قال لك ذلك ؟

أخذ مييا يقص عليها بحرارة ، ولكن بفوضى ، فليس فى سرده تسلسل كثير ، والشى، الغريب أنه كان فى بعض الأحيسان يتوقف عن الكلام ويقطب حاجبيه ، قالت له جروشنكا :

_ ما بك ؟

فأجابها :

ـــ لا شىء ••• لقد تركت فى المدينة مريضاً • أرجو أن يشغى••• انى لأهب من عمرى عشرة أعوام فى سبيل أن يشغى !

لا تفكر بعد الآن في ذلك المريض ، قل لى : هل صحيح أنك
 كنت تريد أن تنتحر في غد أيها الأحمق ؟ لاذا ؟

ثم دمدمت تقول له بلغة منتفخة قليلاً :

ـ أحب أمالك ، المجانين قليلا و أأنت مستعد اذن لأن تجازف بكل شيء في سبيلي ؟ أكان في نيت اذن أن تتحر من أجلي غداً يا عزيزى الطلب الأبله ؟ ألا فاعلم اذن أن من الأفضل لك أن تتنظر ٥٠٠ قد أقول لك في الند كلمة صغيرة ٥٠٠ لا اليوم ٥٠٠ بل غداً ! آ ٥٠٠ لا شك أنك تؤثر أن أقولها لك اليوم ؟ لا ٥٠٠ لا أريد أن أقولها اليوم ٥٠٠ اذهب ، اذهب الأن ، سل نفسك !

ولكنها نادته في لحظة من اللحظات مندهشة قلقة ، وسألته :

ــ مالى أراك حزيناً هذا الحزن كله ؟ اننى ألاحظ أنك مهموم • وسداًدن اليه نظرة نافذة ، وأردفت تقول :

_ نم ، ألاحظ ذلك واضحاً ، مهما تضحك وتمزح مع الفلاحين، فاننى أدرك أن هناك شيئاً يعذبك ، كن فرحاً ! أريد ذلك ! أنا فرحة ، فعلمك أن تفرح أنت أيضاً ٥٠٠ تصور أننى أحب أحداً هنا ٥٠٠ أوه ! انظر اليه ! لقد غفا فتاى الصغير ٥٠٠ انه نمل ، عزيزى !

كانت تمنى كالجانوف و لقد غفا كالجانوف بضع لحظات على الكنة بتأثير الكحول و على أن الخمر وحدها ما كانت لتكفى أن تفرقه فى النوم، وانما الحقيقة أنه شعر فعجأة بعنون ثقيل فى وسط هذا الاحتضال ، دون سبب معين واضع ، وذلك ما عبر عنه بقدله انه وضجر » و وكانت أغانى النات قد أصبحت تتير فيه الاشمئز از ، لأنها كانت تزداد فسسقا ودعارة بنائير الخمر شيئاً بعد شى ، وكذلك كان شأن الرقصات : لقد خطر بال بنين من البات أن تشكرا د يُسِن ، وأخذت ستيانيد ، وهى المرأة قوية الجسم خلية البل ، و تعرضهما ، وفى يدها هراوة ، قائلة فى صراخ : ـ بمنف يا مارى ، والا هويت عليك بالهراوة!

وأخذ الدبان يتدحرجان أخيراً على أرض الفرفة تدحرجاً خالياً من الحشمة كل الخلوحقاً ، فكان جمهـــور الفلاحين والفلاحات الذي يشاهد المنظر ينفجر ضحكه المجلجل!

قالت جروشنكا بلهجة الحكمة وهثة الفبطة :

حدوهم يلهون على ما يشاء لهم هواهم ، ذلك من حقهم مرة .
 ان هذه الفرصة لا تعرض لهم كثيراً ، فلينتهزوها !

وكان كالجانوف ينظر الى المشهد شاعراً بأنه اتسخ ؟ وابتعد وهو يقول :

ــ ما أكثر الابتذال في هذا الفرح الشميي ! أهكذا يتسلون اذن هم الذين يعيشون في قلب الطبيمة ؟

وكانت قد آذته أغنية « جديدة » ايذاء خاصاً » هي أغنية تتردد فيها لازمة تُستَّل بايماء وتتُرقَص على ايقاع جرى، ؟ وهي تروى قصة بادين (سد) مسافر يسمى قلوب النات »

> سال البارين البنات : * اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

ولكن البنات رأين أنه لن يكون زوجاً صالحاً •

سيفربني البادين ولن أحبه

واتفق ان مر" عندئذ نحجرى :

سال الفجرى البنات : أتعبيننى ؟ أتعبيننى ؟

ولكنه لم يعجب البنات أكثر من البادين :

سیکون الفجری آمیا ولن تکون هله هی السعادة

ومرَّ رجال آخرون کثیرون ، حتی لقد مرَّ جندی :

سال الجندى البنات : اتعبينني ؟ اتعبينني ؟

ولكن البنات نبذنه باحتفار :

سيحمل الجندي الكيس أما أنا فسوف •••

وكان البيت النانى بذيئاً بذاءة صريحة ، وكانت البنات تغنيه دون أن تحمر خجلاً ، فتتير فى الجمهور حماسة عظيمة • وتقسدم أخسيراً تاجر :

> سال التاجر البنات : اتحبينني ؟ اتحبينني ؟

> > فأحبته البنات ، لأن :

التاجر سیجنی ٹروۃ کبیرۃ ویجملنی امیرۃ ۰۰۰

نفذ صبر كالجانوف فصاح يقول بصوت عالم ٍ:

مند أغنية حديثة جداً • تُرى من مؤلفها ؟ ليس ينقصها في الواقع الا متمهدو سكك حديدية ويهود • فلو وجدوا لأحرزوا النصر !

كان كالجانوف كمن أُ هين تقريباً ، وقال فجأة انه ضجر ، واضطجع على الكتبة فسرعان ما غفا ، وهذا وجهه الجميل ، الشاحب شحوباً خفيفاً، ينزلق على الوسادة قليلاً ، قالت جروشنكا وهي تجذب ميتيا اليها :

ـــ أنظر ما ألطفه! كنت منذ قليل أسلتّى نفسى بملاعبة شعره • ان شعره غزير كنيف ، وهو أشبه بخيوط الحرير نمومة " • • •

ومالت جروشنكا على كالجانوف في حنان ، وقبلت جبينه • فغتح كالجانوف عينيه فجأة ، ونظر اليها ، ثم نهض نصف نهوض ، وسألها وقد بدا عليه انشغال المال :

ـ أين ذهب ماكسيموف ؟

فقالت جروشنكا ضاحكة :

ـــ انظروا عمن يسأل • ماكسيموف هو الذي يعوزه ! هلا ً بقيت ممى بضع لحظات ! يا ميتيا ، ابحث له عن ماكسيموف وجثه به •

كان ماكسيموف قد أصبح لا يترك البنات ، ولا يتعد عنهن من حين الى الله يتحد عنهن من حين الى حين الا ليصب قدحاً من الخمر ، وقد شرب أيضماً فنجماً عنها مناهو كولاتة ، وثلو أن خداه ، واصطبغ أنفه بحمرة قانية ، بينما عيساه المخضلتان الرطبتان تنظران حوله في عاطفة وحنان ، وسرعان ما هرع ماكسيموف يعلن أنه سيرقص رقصة «صائعة القباقيب» على « لحن موسيقى معروف » ، وقال شارحاً :

_ لقد علموني في طفولتي هذه الرقصات الراقية الرفيعة •

فهتف كالجانوف يقول ، مبعداً الفرصة التي عرضتها له جروشــنكا وهي أن ينفرد بها :

ــ سأمغى أنا أيضًا • اننى أريد أن اراه عن كتب حتمًا • وتبعوا ماكسيموف • وعرض ماكسيموف رفعته ، فلم تثر حماسة

أحد الا ميتيا • هى رقصة قوامها قفز.ت وتلوّ يات ، ورفع السيقان الى فوق وجعل النعال عالية " فى الهواء ، فكان ماكسيموف يقرع نعله بيده فى كل مرة •

مطاً كالجانوف شفتيه استياءً ، ولكن ميتيــا وثب لى عنق الراقص قائلاً له :

ــ شكراً لك ياصاحبى الطيب الشهم • يعضَّل الى أنك تعت • أأنت تنظر الى الســــــكاكر ؟ أثريد واحدة ؟ أم لعلك تحب أن تدخى سيجاراً ؟

- _ بل سبجارة ٠
- _ ألا تريد أن تشرب شيئاً ؟
- _ شربت خموراً أليس عندكم سكاكر بالشوكولاتة ؟
- _ ما أكثر ما عندنا منها على المائدة اختر ما يحلو لك يا حمامتي !
- ـــ لا هذه ، أريدها سكاكر بالونيلة ••• أريد ســـكاكر الشيوخ العجائز تلك ! هيء هيء ! •••
 - ... ليس عندنا منها يا أخى !
 - ومال المجوز القصير فجأة على أذن ميتيا فسأله موشوشاً :
- .. قل لى : أما من سبيل ٥٠٠ أليس هناك وسيلة ٥٠٠ أنظر الى هذه البنية ، الى مارى اللطيفة هذه ، هى، هى، ، كم أود لو أتعرف عليها ٠٠ اذا كنت ترى ، بما لك من شهامة وأربحية ، أن الأمر ممكن ٥٠٠
 - ـ أوه! أوه! أرجو أن تكون هازلاً لا جاداً!
 - ــ لا أريد بها شرآ

كذلك دمدم يقول ماكسيموف مفحَماً • فقال له ميتيا : إ

ــ طيب ••• طيب ••• هنا يا أخى غنـــاه ورقس ، ولـكن ذلك هو كل شىء • على كل حال ••• اذا كنت تحريص هذا الحرص كله••• عجيب ! عليك قبل كل شىء أن تأكل وتشرب وتمرح • ألعلك في حاجة الى مال ؟

أجابه ماكسيموف مبتسماً :

ـ ربما احتاج الى شىء من المال ، فيما بعد ،

ـ طيب ٠٠٠

كان رأس مييا الاراً مشتملة ، خرج الى الدهليز وصعد الى الرواق الذي يعتد على جزء من المبنى من جهة الفناء ، أحسن اليه الهواء الطرى، توقف فى ركن مظلم ، وإذ أحس أنه وحيد ، أخذ يفكر ، فعسا هى الا يضع لحظات ، حتى وضع رأسه بين يديه فعجأة ، ان خواطره المتفرفة المبنع المسلسسانه الغامضة المبهمة ، قد اتحديت الآن وترتبت المنبعثرة ، وان احساسسسانه الغامضة المبهمة ، قد اتحديت الآن وترتبت أريد أن أطلق رصاصة فى رأسى ، فلماذا لا أقعل ذلك حالا ؟ أمضى فأجىء بسسدسى وأنهى الأمر فى هذا المكان نفسه ، فى هذا الركن المظلم كانت عربة الترويكا تقله الى موكرويه ، كان قد خلف وراءه عاراً هو عار السرقة وسفك الدم ٥٠٠ ولكن ما كان أسهل اتخاذ القرار الوحيد على الممكن حيذاك ! لقد كان اتخاذ هذا القرار اسهل منه الآن ، أسسهل الممكن حيذاك ! لقد كان اتخاذ هذا القرار اسهل منه الآن ، أسسهل كيراً ! كل شىء كان يدو عندتذ ضائماً : كان قد فقد تلك المرأة ، قد كيراً ! كل شىء كان يدو عندتذ ضائماً : كان قد فقد تلك المرأة ، قد منه هيناً يسيراً ، لقد خضع لذلك المحكم خضوعه لقدر لا واداً له ،

لقضاء أعلى لا اعتراض عليه • ماكان حاجته الى البقاء حياً بعد أن وقع ما وقم ؟ لم يكن قد بقى شيء يشده الى هذا العالم ويربطه به • أما الآنّ فقد اختلفت الحال • ان احدى حلقات القدر ، ان أحد أشباح الخوف ، حمد تبدد الآن دخاناً !ان صديقها القديم الذي لا يمكن جحوده أو التنكر له ، قد اختفى دون أن يخلف أثراً ! ان ذلك انشبح المرعب قد استحال ظلاً تافهاً مضحكاً • لقد أخرج من النرفة كطفل ، وأقفل عليه البــاب بالمفتاح! انها تشمر بالعار من هذا الرجل؟ وقد استطاع ميتيا أن يقرأ في عنيها من ذا تحب في الواقع • الآن انما يمكن أن تكون الحياة جميلة ، جميلة جداً ••• ولكن الحياة مستحيلة بعد أن وقع ما وقع ، مستحيلة ! يا لها من لمنة ! • اللهم ردُّ الحياة الى ذلك الذي صرعتُه قرب السور ! اللهم اجعل الكارثة تمر قربي دون أن تمسني ! اللهم انك قد صنعت معجزات لأناس غيرى كانوا مذنيين مثلي ، فهب لي من لدنك معجزة من تلك المعجزات! ••• ولـكن ماذا اذا كان العجـــوز لم يمت! لأمحون ً عنبدائد عار الائم الآخسر ، فأرد المسال السروق ، أُعده الى صاحبه ، ولو اضطررت أنَّ أمضى باحثًا عن المال تبحت الأرض ٥٠٠ لن يبقى عندئذ أثر من آثار ذلك العار ٥٠٠ الا في قرارة قلبي حيث سيميش الى الأبد ٠ لا ، لا ، هذا مستحيل ، هذه أحلام جبان ، أحلام لا سيل الى تحقيقها . يا للمذاب! ه ٠

ومع ذلك ساوره شماع من أمل بعد هذه الأفكار ، شعاع ضعف في ظلام الليل • انتزع نفسه من تأمله القاتم ، وأسرع ينزل الى غرف الطابق الأرضى ، اسرع اليها من جديد ، الى تلك التى تحكم قلبه الى الأبد • تسامل : • ألا تساوى ساعة واحدة من حبها ، ألا تساوى دقيقة واحدة من حبها عاداً ، • استولت واحدة من حبها حياة "بأكملها ، ولو كان ثمنها عذاباً وعاراً • ، استولت هذه الفكرة على متيا ، وطردت من نفسه سائر الهموم والمشاغل • قال

يحدث نفسه : «أراها ، أراها أيضاً ، أسممها ، أنقطع عن التفكير في أي شى. ، أسى كل ماعداها ، ولو ليلة " واحدة ، دقيقة واحدة ! ، • وفيما كان ينزل من الشرفة لمح تريفون بورستش عند مدخل الدهليز • كان تريفون بوريستش حزين الهيئة منزعجاً ، وبدا ليتيا أنه كان يبحث عنه.

ــ أتبحث عنى أنا يا تريفون بوريستش ؟

فأسرع صاحب النزل يجيبه :

ـــ لا ••• لا أنت ••• ثم علام أبحث عنك ؟ ولــــكن ••• أين كنت ؟

، - مالی أراك مظلم الوجه ؟ أتراك غاضـــــباً ؟ اصبر علینا قلیلاً ، وسندعك تنام هادی. البال • كم الساعة ﴿لأن ؟

ــ هي الثالثة أو تزيد .

۔ ستصرف ہ

ــلا ، لا ••• في وسمكم أن تبقوا ما شئتم أن تبقوا •••

تسامل مينا وهو يسرع الى الناعة التى كانت ترقص فيها البنات :

« ما ذا حدث له ؟ » • ولكن جروشنكا لم تكن هنساك • لا ولا كانت في الغرفة الزرقاء • وكان كالجانوف ينام على الكنبة نوماً هادئاً • ألقى مينا عندئذ نظرة خلف الستائر ، فاذا هو يجدها هناك • كانت جالسة في ركن ، على صسندوق ، مسندة وأسها ويديها الى حافة السرير ، تبكى بكاء مرا ، محاولة أن تخنق نشسسجها ، جاهدة أن لا ينفجر اتحابها وأن لا تلفت الانتباء اليها • لحت مينا ، فأومات اليه أن يقترب ، وأسكن يده ، فضغطتها بدها ضغطاً قوياً • وقالت هامسة :

ـ أوه ! ميتيا ، ميتيا ، لقد أحبيت هذا الرجل مع ذلك ! أحبيتــه كتسيراً خلال هسذه السنين الخمس! ترى أأحيثُ أم كنت أحب حقدى ؟ لا بل أحسه هو! أوه! تمم ، هو ، هو! أكذب اذا زعمت اتنى ما أحبيت الاحقدى ! أواه يا ميتيا ! لم يكن عمرى حينذاك الا سبعة عشر عاما ، وكان يُنظهر لي كثيرا من اللطف والأنس والوداعة ، وكان يغني لى أغنات ٥٠٠ أم تراه لم يظهر لى فتاناً الى ذلك الحد الا لأنني كنت غمة ، لا لأنني كنت طفلة غرة ؟ ٥٠٠ أما اليوم ٥٠٠ رباه! انه لس هو ، انه ليس ذلك الرجل نفسه! لقد تغير وجهه أيضًا ، فهـــو لا يشسهه النة • أنكرته حين رأيته أول وهلة • لقد كنت أتسامل طوال الطريق ، وأنا آتية الى هنا مع تموتى : « كيف أتصرف حين ألقاء ؟ ماذا أقول له ؟ كف ينظر كل منا إلى الآخر ؟ ٠٠٠ ، و وانهارت نفسي ٠٠٠ لقد صب على رأسي سطلاً من قاذورات • تكلم كما يتكلم معلم مدرسة • اتخذ أوضاع التعالم ، واصطنع هيئة لوفار ، فأرتج على وخرست ! لم يتح لى أن أقول كلمة واحسدة • حسبت في البداية أن وجبود ذلك النولندي الطويل يحرجه • كنت جالسة هناك ، أمامه ، أتساط لمساذا أصحت على حين فجأة لا أجد كلمة أقولها له • ان زوجته ، ان تلك المرأة الأخرى هي التي أثرت فه تأثيراً سبئًا ••• تلك المرأة التي من أجلها تركني ثم تزوجها بعد ذلك ٥٠٠ لقد بدلته تبديلاً كاملاً ٥٠٠ يا للعار يا ميتيا ! انهي لأشعر الآن بالعار من حب انهي كلها ! لُعنت تلك السنون الخمس ، الى الأبد .

وتدفقت دموعها من جديد ، ولكنها لم تترك يد ميتيا ، بل ضفطتها في يدها مزيدا من الضفط .

ميتيا ، حمامتي ، لا تذهب ، انتظر لحظة (ثم دمدمت تقول وهي ترفع اليه بصرها) سأقول لك كلمة صغيرة ، اسمع ، قل لى أنت : من هو الرجل الذي أحبه ؟ أتنى أحب رجلاً هنا • قمن هو ذلك الرجل ؟ قل لي هذا أنت !

وأضامت ابتسسامة ۚ فى وجهها المحتقن من الدموع ، والتمعت عيناها فى الظلام • وتابعت تقول :

منذ فليل دخل صقر ، فتوقف قلبي عن الخفقسان • وقال لى ألمي : « أينها النبية ، هذا هو ، هذا هو الرجل الذي تحين ! ، القسد دخلت أنت فاتضح لى كل شيء على حين فيجأة • تساءلت : « ولكن مم هو خائف ؟ » • ذلك أنك كنت خائفا ، وقد بلفت من الخوف آنك لم تستطع حتى أن تتكلم • قلت في سرى : « ليس خائفاً منهم مع ذلك » • أت لا يمكن أن ترتجف أمام شخص آخسر ، انني أعرف ذلك حق المرفة • وقلت لنفسى عندئذ : « انه خائف منى ، منى أنا وحدى » ؛ اذ لا شك أن فينيا قد روت لك _ أيس كذلك أيها الأحمق ؟ _ كيف أنني هنت أقول لأليوشا ، من النافذة ، انني قد أحبيت ميتكا مدة ساعة، أنني أن أصدق أنني أستطع أن أحر ! أوه ! مينيا ، مينيا ، كيف أمكنى أن أصدق أنني أستطع أن أحب رجلاً آخر ! أوه ! مينيا ، مينا ، كيف أمكنى أن أصدق أنني أستطع أن أحب رجلاً آخسر بعدك ؟ ما كان أعبنى ! اغفر في يا مينيا ؟ هل ستغفر في ؟ هل تحبنى ؟

نهضت جرونتكا بهمة وقوة ، ووضت يديها على كتفيه ، أصبح ميّيا أخرس من فرط السعادة ، فكان لا يزيد على أن ينظر الى عينيها ، ووجهها ، وابتسامتها ••• ثم عانقها فجأة وغمرها بانقيلات ،

ـ هل ستففر لى أننى عذبتك ؟ لقد عذبتكم جميعا ، من فسرط غضبي وحسرتى ! وبدافع الشر وحده جعلت العجوز مجنونا بحيي٠٠٠ هل تتذكر كيف حطمت فى بيتى قدحاً ، فى ذات يوم ، بعد أن شربت؟ لقد تعلمت أنا هذه .لحركة ، فحطمت اليوم قدحاً وأنا أشرب « نخب

قالت له ذلك ودفعته عنها فبجأة • وأردفت تقول :

۔ اذہب یا میتیا ، ســائــرب الآن خـــــــرا ، أرید أن أســــکر ، وسارقسی بعد ذلك ، أرید هذا ، أرید هذا !

وتخلصت من عنساقه وغابت وراء الستائر • تبعيسا مينا • كان كالسكران • « ما قيمة ما سيحدث فيما بعد ، ما قيمة ما سيحدث فيما بعد؟ لدقيقة كهذه الدقيقة خير من الكون كله ، • بهذا حدَّث مينا نفسه • شربت جروشتكا كأساً أخرى من الشمبانا سرعان ما صعدت الى رأسها جلست على المقعد ، في مكانها السابق ، وهي تبتسم ابتسامة غيطة وهنانة وسعادة • احمرَّت خداها ، احترقت شفتاها ، اضطرب نظرها • وفي عنيها الساطعين ، كان يُقسراً نداء محموم جامع • كالجانوف نفسه اضطرب من ذلك ، كأن شيئاً قد لسم قلبه ، فاقترب منها • سألته :

ــ أنا ؟ أنا سكران بنير شراب • سكران بك ••• ولكننى أريد أن أسكر بالخمر أيضا • وأفرغ مييا في جوفه كأسا آخر ، فاذا بهذه الكأس الأخيرة تفجّر السكر فيه دفعة واحدة ، على حين أن الكتوس السابقة لم تحدث أثراً وه من غريب ! أخذ كل شيء يدور في رأسه منذ تلك اللحظة ، فكأنه في حالة هذيان ه انه الآن يمشى ، ويضحك ، ويكلم كل من يلقاه، خارجاً عن طوره ، وفي بعض اللحظات كانت تستيقظ في قلبه عاطفة عارة ثابتة « تحرقه حرقاً كجمرة » كما قال فيما بعد ، وكان يقترب من جروشنكا ، ويجلس لى جانبها ، وينظر اليها ، ويسمع لكلامها ، ه من المروشنكا فقد أصبحت تتدفق في هذرها تدفقاً رهياً ؛ وهي تنادى أما جروشنكا فقد أصبحت تتدفق في هذرها تدفقاً رهياً ؛ وهي تنادى أخذت تقبلها أو رسمت عليها اشارة الصلب ، حتى اذا دنت البنت منهسا أخذت تقبلها أو رسمت عليها اشارة الصلب ، حتى اذا دنت البنت منهسا باكية ، وكان يفرحها ويضحكها « المحوز الصفير ، خاصسة" (هكذا كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، كانت تسمى ماكسيموف) ، انه يهرع اليها في كل لحظة ليقبل يدها ، وانهي به الأمر الى أن أخذ يرقص من جديد على لحن قديم دندنه بصوته، وقد رقص بحماسة خاصة على اللازمة التي كانت تتكرد :

اختزير الصغير ، كريو - كريو المجل الصغير ، مو - مو البطة الصغيرة ، قوا - قوا الأوزة الصغيرة ، جا - جا والدجاجة الصغيرة تركن في الغرفة منادية صغارها : تيوريو - ريو - ريو

قالت جروشنكا :

ــ هلاًّ أعطيته شيئًا يا ميتيا ! اهد البه هدية • انه فقير •أوه ! رباه! ـ

يا لهؤلاء الأشقياء جميعاً ، يالهؤلاء المذلِّين جميعاً ! ٥٠٠ هل تعلم يا ميتيا؟ أريد أن أدخل الدير! بلي! بلي! سأدخل الدير ذات يوم • لقد كلمني الوم ألوشا بطريقة لن أنساها ما حبت ، لن أنساها ماحبت ، أما الآن فلنمرح! النوم سرور وغداً دير! أود أن أقوم بأعمال جنونية! ولسوف يغفر لى الرب ، أي ضبر في أن نتسل أيها الناس الطبون ؟ لو كنت أنا الله ، اذن لغفرت لجميع الناس ، ولقلت لهم : « يا أعزائي الخاطئين ، قد عفوت عنكم منذ النوم ٠ ٠ ٠ ولسوف أمضي أطلب الففران من الحميم قائلة لهم : « أيها الناس الطسون ، غفروا لامرأة مسكنة حمقاء غسة ! ٠٠ ذلك ما سأقوله لهم • أنا وحش مفترس نعم • ولكنني أريد أن أصلتي • لقد وهنت بصلة أنا أيضاً • انني ، أنا الشقة ، أريد أن أصلَّي ! دعهم يرقصون يا متيا ، لا تعكر سعادتهم! جميع الناس طبيون ، جميعهم بغير استثناء ! آه ! ما أحلى أن يحيا المرء في هذا العالم ! نحن شريرون ، ولكن الحاة جملة جداً ٥٠٠ فينا الخير والشر ، الخير والشر في آن واحد٠٠٠ قولوا لى أنتم جمعاً ! يحب أن أسألكم هذا السؤال ! اقتربوا وقولوا لى : لماذا أناطسة الى هذه الدرجة ؟ انني طسة فعلاً ، فقولوا لي ، اشرحوا لي : لماذا أنا طبية إلى هذم الدرجة ؟

بهذا الكلام كانت تدمدم جروشنكا ، مغرقة فى الهــذر المضطرب مزيداً من الاغراق شيئا بعد شىء ، الى أن أعلنت أخيراً أنهــــا تريد أن ترقص هى نفسها ، ونهضت عن كرسيها مترتحة .

سه ميتيا ، امنعنى من أن أشرب أكثر مما شربت ، اذا طلبت خمراً فلا تعطنى ! يحمل الكحول الى النفس السكينة والهدوء ، ان كل شيء يدور الآن أمامى ، النرفة والمدفأة ! أريد أن أرقص ، م فلينظر الى المجمع ، وليمجوا برقسى ، . .

كان هذا من جروشنكا عزماً أكيداً وقـــراراً حاسماً • أخــرجت

منديلاً أبيض من نسيج ناعم رقيق ، وأمسكته من أحد أطرافه بيسدها الهمني لتلوّح به أثناء الرقص ، تحرك مينا هنا وهناك ، صمت البنات، وتهان لأن يصدحن بلحن يرافق الرقص جوقة واحدة عند أول اشارة، وحين علم ماكسيموف بأنَّ جروشسنكا سترقس ، راح يطلق صرخات متنابعة من فرط حماسته ، وأخذ يتواثب أمامها ، وطفق يدندن :

ساقاها دقیقتان وورکاها مدوران وتکن ذیلها کالیوق

أبعدته جروشنكا عنها بحركة من منديلها ، قائلة :

ــ شت ! لماذا لا يحيثون يا ميتيا ؟ فليهرعوا جميعاً •• لرؤيتى ••• ونادهما هما أيضاً ، ناد المحبوسين ••• لحساذا حسنهما ؟ قل لهما اننى أريد أن أرقس • فليجيئا هما أيضاً ، ليعجبا لى !

اتجه مينيا نحو الباب المقفل بالمفتاح ، مترنح الخطى من السكر ، وأخذ يقرع الباب بقيضة يده ليلفت انتياه البولنديين .

ـ هيه ! أتتما ٥٠٠ اخرجا ٥٠٠ انها سترقس وهي تناديكما ٠

فصاح أحد « السيدين » البولنديين يجيبه بالبولندية :

لا جداك (شقى)!

فأجابه ميتيا :

_ وما أنت الا د لا جداك ، حقير صغير ••• ذلك أنت !

قال كالجانوف وقد ثمل هو أيضاً ، قال بلهجة تتكلف الوقار :

ــ هلا كفنتم عن اهانة بولندة ؟

ــ اسكت ايها الفتى الصغير ! اتنى اذ وصفته بأنه شقى ، لم أهن

بولندة كلها . ليس مختال "تافه كل ولندة . صمتاً أيها الطفل اللطيف، لسوف أعطيك ملبسة .

قالت جروشتكا مدهوشة وهي تنقدم الى أمام لترقص :

_ يا للأشرار ! أليس فيهم شيء من انسسانية ؟ لماذا يرفضون أن يتصالحوا ؟

غنت الجوقة لحناً شعبياً • رفعت جروشنكا رأسها ، وفتحت شفتها، وابتسمت ، ولوَّحت بمنديلها ، ثم توقفت فجأة وهي تتمايل تعايلاً قوياً في وسط الفرفة ، وتشعر بارتباك شديد • وأنَّت تقول بصسوت أليم :

_ أحس بوهن • معذرة • اننى ضعيفة جداً ••• لا أستطيع ••• أوه ••• هي نحلطتي •

وحيَّت العبوقة ، ثم حيَّت جميع العضور وهى تلتفت الى جهات الغرفة الأربع جهة بعد جهة ، وتردد قولها :

_ لا تؤاخذوني ٠٠٠ لا تؤاخذوني !

قالت بعض الأصوات في الجمهور:

ــ أسرفت فى الشراب ، السيدة الشابة ! •• هى سكرى ، السيدة اللطيفة •••

وقال ماكسيموف يشرح للبنات ضاحكاً :

_ السدة تملة قلارً •

و دمدمت جروشنكا تقول بصوت منطفىء :

ــ ميتيا ٥٠٠ خذني من هنا ٥٠٠ انقلني من هنا ٠

فهرع مينا اليها ، فتاولها بنراعيه ، وأسرع يركض بحمله الثمين الى ما وراء الستائر ، قال كالجانوف لنفسه : « في هذه المرة ، آن أوان الانصراف ، ، وغادر الغرفة الزرقاء مغلقاً الياب وراء ، وتتابع الاحتفال بصخب ما ينفك يشتد ، وضع مينا صاحبته جروشنكا على السرير ، وقبلتّها قبلة محمومة على الفم ، دمدمت تقول بصوت ضارع :

ــ لا تلمسنى ، لا تلمسنى ، أنا لست لك بمـــد ٥٠٠ قلت اننى سأكون لك ، ولكن لا تلمسنى ٥٠٠ ارحمنى ، اشفق على ٥٠٠ لا تفعل شيئا الآن ، بينما هم لا يزالون هنا ، ما ينبغى هذا ٥٠٠ انه هناك ، على بعد خطوتين ٥٠٠ أوه ! هذا فظيع هنا ٠٠

قال ميتيا متعشراً في كلامه :

ــ اننى أطيمك ٥٠٠ لم يخطر ببالى هذا ٥٠٠ أنا أمامك فى نشوة ووجد • نم ، هذا فظيم هنا • يا للمكان الموبوء !

ودون أن يدع عناقها ، تهالك على قدميه ، قرب السرير •

قالت جروشنكا بصوت رخو :

اً اواتقة بك • أعرف أنك متوحش ، ولكن نفسك نبيلة • يعجب أن يجرى كل شيء بشرف بعد الآن ••• أريد أن يكون كل شيء طاهرًا أن يجرى كل شيء بشرف بعد الآن ••• أريد أن يكون كل شيء طاهرين ••• وأن نكون شرفاء أيضاً ••• لا بهائم ، بل بشراً طبيين انقياء طاهرين ••• خذنى الى مكان بعيد ، بعيد جداً عن هنا ، هل تسمع ؟ لا آويد بعد الآن أسافر الى مكان بعيد ••• بعيد جداً •

قال ميتيا مؤيداً وهو يشدها الى قلمه :

س نعم ، سنسافر *** سآخذك *** سأطير بك ! *** اثنى مستعد

لأن أهب حياتي كلها في سبيل سنة واحدة من سعادة ، شريطة أن أعلم ماذا جرى لذلك الدم •••

سألته جروشنكا مندهشة :

_ .أى دم ؟

فأجابها ميتيا وهو يصرف بأسنانه :

ـــ لا شيء ٥٠٠ انك تريدين يا جروشنكا أن نكون شرقاء ، ولكننى أنا لص • لقد سرقت مال كاتنكا ! ٥٠٠ يا للمار ! ٥٠٠ يا للمار !

_ كاتنكا ؟ الآسة ؟ لا ٥٠٠ لم تسرق شيئاً ! رداً اليها مالها وخذ مالى أنا ٥٠٠ ما بك ؟ ان كل ما أملكه أنا هو الأن لك و ما حاجتنا الى المسال ؟ سيوف بهده على كل حل في القصف واللهو و ان أمسالنا لا يحسنون الاحتفاظ بالمال و انني لأوثر أن تحرت الأرض معاً وأريد أنا أعمل في الأرض بهاتين الهدين اللتين تراهما و ان من واجبسا أن نسل عمل تسمع ؟ أليوشا هو الذي شرح لى ذلك و ان أكون خليلتك بل حليلتك ، زوجتك الوفية ، عبدتك لمخلصة ٥٠٠ سأتمب وأجهد في بل حليلتك ، زوجتك الوفية ، عبدتك لمخلصة ٥٠٠ سأتمب وأجهد في سيلك ٥٠٠ سوف تذهب الى الآنسة ، فنتحنى لها بتحية عظيمة حتى سيلك ٥٠٠ سوف تذهب الى الآنسة ، فنتحنى لها بتحية عظيمة حتى تغفي الله و ان عليسك أن تحبيا ، ٥٠٠ لا أريد أن تحبها هي ! ٥٠٠ انتي أمنتك من أن تحبها ٥٠٠ والا فلأختقتها ٥٠٠ لأفقان عينها بابرة طويلة ٥٠٠

_ أنت من أحب ، أنت وحدك ، وسأظل أُحبك من آخر سيبزيا • * _ لماذا تتكلم عن سيبريا ؟ لا بأس ! سنسافر الى سيبريا اذا كنت ترغب في ذلك ••• إن في وسعنا أن نعمل هناك كما في أي مكان آخر ••• ان في تلك البلاد تلجأ كثيراً ••• وأنا أعشسق النلج ، وأعشق الزلاجات التي تنزلق عليه سريعة مجلجلة أجراسُها • هل تسمع ؟ لكأن جرساً يرن في مكان ما • من أين يأتي رئين هذا المجرس ••• لا شك أنهم مسافرون قد وصلوا الى النزل ••• اتقطع الصوت الآن •

وأغمضت جروشنكا عينها ، متمبة الى أقسى حدود النمب ، وغفت بضع لحظات ، كن جرس قد رنَّ فعلاً في بعيد ثم صحت ، مال مينيا برأسه على صدر جروشنكا ، لم يكن قد انتبه الى صوت الجرس والى انقطاع رينه فجأة ؛ لا ولا لاحظ أن الأغاني قد توقفت وأن السحف الذي كان يسيطر على النزل حتى ذلك الحين قد حلَّ محله فجأة صحت كصمت الموت ، وفتحت جروشنكا عينها بعد دقيقة ، قالت :

ماذا يجرى ؟ أأنا نمت ؟ نهم ٥٠٠ ذلك الجرس ٥٠٠ لقد نمت وحلمت بأننى محمولة على زلاجة فوق التلج ٥٠٠ كان الجرس يرن ، وكنت أنا نائمة ٥ كنت راكبة عربة ترويكا ، مع رجل عزيز في قلبى ، مك أنت وكنا ذاهين الى مكان بعيد ، بعيد جدا ٥٠٠ وكنت أقبلك ، وأشد جسمى الى جسمك ، لأننى كنت أحس ببرد فيما يبدو ٥٠٠ وكان التلج يسطع ٥٠٠ ما كان أعجبه من احسساس ! التلج الباهر ، وضياء القمر ٥٠٠ لكأن ذلك لم يكن على الأرض ٥٠٠ واستيقظت ، قاذا أنا أرك يا حيبيى ، قريباً منى ٥٠٠ ما أحلى هذا ! ٥٠٠

ردًّد ميتيا كلامها قائلاً وهو يلثم توبها ، وعنقها :

ـ نعم ، قريباً منك كل القرب •

وأحس فجأة باحسساس غريب : خيّل اليه أنها تنظر الى أمام ، ولكن عنيها بدلاً من أن تستريحا على وجهه ، تتطلعان الى ما وراه رأسه، فى جمود عجيب • عبر َّت قسمات جروشنكا عن الدهشة أولا ً ، ثم عن الخوف •

و دمدمت تقول:

ــ ميتيا ! من ذا يرقبنا من وراء الستائر ؟

التفت ميتيا فاذا هو يلمح شخصاً يبدو أنه يرصدهما مبعداً الستاثر ؟ حتى لقد أحسَّ أن هناك عدة أشخاص يقفون هناك • فنهض من مكانه بسرعة وقوة ، واتجه نحو ذلك الشخص الفضولي • فاذا هو يسمع صوتاً يقول :

ـ هل تنفضل فتجيء الى هنا يا سيد .

كان المنادى المجهول يتكلم بصوت مخفوض ولكنه جازم قاطع .

خرج ميتا من وراء السياتر ، فاذا هو يتجعد في مكانه ، كانت القاعة ملأى بالناس ، ولكن هؤلاء الناس ليسوا أولئك الذين كانوا يلهون ويقصفون منذ قليل ، لقد احتل الغرقة أشخاص جدد ، شعر ميتا برعدة تسرى في ظهره كله ، ان ميتا يسرف هؤلاء الأشخاص جميعاً ، وها هو ذا يتمرفهم الآن دفعة واحدة ، ان الرجل المعجوز السمين الطويل الذي يرتدى معطفاً ويضع على رأسه قبعة ذات ترس وشسارات ، هو رئيس الشرطة ميشيل ماكارونتش ، وهذا الشياب الذي يوحى مظهره بأنه مصدور والذي يتأتى في ملسه تأتماً عظيماً ويلتم حذاؤه دائماً اسا هو وكيل النيابة ، « انه يملك ساعة من ذهب قيمتها أربعائة روبل ، لقد أرابها في ذات يوم لأعجب بها ، م أما ذلك الشاب الأخر القصير القامة أرابها عي عينيه ظارتين ، ه أما ذلك الشاب الأخر القصير القامة الذي يضع على عينيه ظارتين ، ه فلم يتذكر مينا اسمه ، ولكنه يعرفه أيضاً وقد سبق أن رآء : انه قاضي التحقيق الذي تخرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآء : انه قاضي التحقيق الذي تحرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآء : انه قاضي التحقيق الذي تحرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآء : انه قاضي التحقيق الذي تحرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن رآء : انه قاضي التحقيق الذي تحرج من « مدرسة أيضاً وقد سبق أن منذ مدة غير طويلة ، وهذا مواقلة الشرطة موريس ماكريفتش

الذي يعرفه ميتيا منذ زمن بعيد ٥ ولكن ماذا جاء يفعل هنا هؤلاء الرجال الآخرون الذين يحملون على صسدورهم صفائع معدنية * ؟ وهسذان الفلاحان ؟ ٥٠ وبعد هؤلاء جميعاً ، لمح ميتيا ، عند فوجة باب المدخل ، كالجانوف وتريقون بوريستش ٥٠٠

قال ميتيا:

ـ ماذا أيها السادة ؟ ماذا جرى ؟

ولكنه لم يلبث أن هتف يقول فجأة بملء صوته ، كأنماتدفعه الى ذلك قوة سيل الى مقاومتها :

_ ق ٠٠٠همت!

تقدم الشاب ذو النظارتين من ميتيا وقال له بصوت وقور وبشىء من السرعة :

كنا نريد ٠٠٠ الخلاصــة ٥٠٠ أرجــــوك أن تجلس هنا ، على الكنبة ٠٠٠ ان علينا أن تلقى عليك بعض الأسئلة ٠

قال ميتيا خارجاً عن طوره :

ــ العجوز • • • والدم المسفوح • • • أ • • • همت !

وكأنما انهــارت قواه على حين فجــأة ، فتهــالك على كرسي كان هناك •

فاذا برئيس الشرطة المجوز يزأر فجأة وهو يقترب من ميتيا :

ـــ آ ••• فهمت ؟ فهمت ؟ يا قاتل أبيه ! أيها الشيطان ! ان دم أبيك يتهمك !

كان رئيس الشرطة أحمر الوجه من شدة النضب ، وكان جسمه كله برتجف ه

فصاح الشاب القصير القامة:

_ ولكن هذا طيش يا ميشيل ماكاروفتش • ينجب أن أكون أنا أول المتكلمين ••• ما كنت أتوقع منك سلوكاً كهذا السلوك •

فاستأنف رئيس الشرطة كلامه قائلاً :

ــ هذا هذيان ٥٠٠ هذا مشهد هذيان ٥ اظروا اليه ٥٠٠ تضرج بدم أبيه ثم هو يقضى السهرة لاهياً عابثاً ماجناً في صحبة بنت من بنـــات الهوى ٥٠٠ هذا هذيان ٥ هذا هذيان ٥٠٠

أسرع وكيل النيابة يهمس في أذن رجل الشرطة السجوز قائلا :

ــ أرجوك وألح فى الرجاء أن تسيطر على انفعالاتك يا عسزيزى ميشيل ماكاروفتش ، والا :ضطررت أن أتخذ اجراءات من أجل أن ٠٠

ولكن قاضى التحقيق الصغير لم يدع له أن يتم جملته ، فها هو ذا يتجه الى ميتيا ، ويعلن له بوقار ، وبصوت عال صارم :

ــ أيها السيد الملازم المتقاعد كارامازوف ، ان من واجبى أن أبلغك أنمك منهم بمقتل أبيك فيدور بافلوفتش كارامازوف ، الذى قُتل فى هذه اللمة ٠٠٠

وأضاف قاضى التحقيق بضع كلمات أيضاء واستأنف وكيل النيابة كلامه بمد ذلك ، فيما ترادى لميتيا ، ٥٠٠ ذلك أن مينيا ، رغم أنه قد جهد أن يصنى ، أصبح لا يفهم شــيئا ، وانما هو يتفرس وجوههم مجنسون المينين ٥٠٠٠

البابالنا*سع* التحقيقالتميىك

البدايات الموفقة للوظف برخوتين

بطرس ایلتش برخسوتین الذی ترکنساه بطرق طسرقات ما تنفك تزداد وتقسوی ، علی الباب السمیك من منزل آل موروسسوف ، قد توصل طبعا الی أن یحملهم علی أن یفتحوا له ، وحین

سمت فينا هذا الصخب أمام باب الدخول ، وكانت لما تفق بعد من الذعر الذي أصابها قبل ساعتين ، ولا عزمت أمرها على أن تنام ، من شهه الحلى أصابها ، حين سمعت فينا ههذا الصخب استبد بها هلع قاتل مرة أخرى : ذلك أنها ظنت أن دمترى فيدوروفش قد عاد (رغم أنها وأته يسافر على عربة ترويكا) ، لقد قالت فينا لنفسها : « أى انسان غير يمكن أن يطرق الباب بمثل هذا لعنف ؟ ، ، وهرعت الى البواب الذي أيقظته الضجة وهم أن يقتح الباب ، فتوسلت اليه أن لا يسمع لأحمد بالدخول ، ومع ذلك مأل البواب الطارق عن اسمه من خلال الباب، فلما عرف صفته ، وعرف أنه يريد أن يكلم فيدوسيا ماركوفنا في أمر هام جدا ، قرر أن يفتح له ،

مضى بطرس ايلتش رأساً الى المطبخ ليرى فينيا التى أصرَّت ، من ياب الحفاظ على الشكل ، أن يحضر البواب المقابلة ، أخذ الموظف يلقى الأسئلة على المرأة ، فسرعان ما وقع على أمر أساسى : هو أن دمترى فيدوروفتش حين مغى يسمى الى جروشنكا قد أخذ مدق ً الهاون ، وأنه رجع بعد ذلك دامى البدين ولم يكن المدق معه •

_ كان الدم يسيل ويتساقط قطرات كبيرة على الأرض •

كذلك هتفت تقول فينا التى اخترع خيالها المضطرب هذا الوصف التفصيلي الرهيب اختراعا على غير شمور منها • وكان بطرس ايلتش قد رأى الدم في يدى مينا بنفسه على كل حال ، وان لم يكن يسيل ، وقد ساعده على غسل يديه • ولم يكن يهم له بطرس ايلتش أن يتساط على كل حال : أجف الدم بسرعة أم لا ، وإنما كان يهمه أن يعرف : ماذا فعل دمترى فيدوروفتش بمدق الهاون هذا ، والى عند من ذهب ؟ حسل يمكن أن يستند من ذلك على وجه اليقين أنه ذهب الى منزل أيه، وعلى أي شء يستند هذا الاستدلال ؟ لذلك أنح بطرس ايلتش على هسند أن شيء بساحاً خاصاً ؟ ثم انتهى الى الاقتناع التام ، رغم أن فينا لم تقدم يكون قد ذهب الا الى منزل أبه وأن «شيئاً ما » لا بد أن يكون قد حدث عائك حتماً •

أضافت فينيا تقول متأثرة أشد التأثر :

حين رجع ، قصصت عليه كل شيء ، ثم سألته بعد ذلك الذا أرى يديه دامتين ، فأجب بأن هذا دم انساني ، وبأنه قد قتل انسانا منذ برهة اعترف لى بذلك في هذا المكان نفسه ، في هذا المطبخ ، ثم ولئي هارباً كمجنون ، وأخذت أفكر بعد انصرافه : ه الى أين يركض هذا الركض؟ لا شك أنه ينوى أن يسافر الى موكرويه ليقتسل مولاني ، ، فاندفت ألاحقه ، لأنوسل اليه أن لا يسى، الى الأسة المسكنة ؟ وكنت آمل أن أجده في مسكنه ، ولكنني لمحته أمام متجر آل بلوتيكوف وهو يهم أن يسافر ، وكانت يداه عندان نظيانتين (نقد لاحظت فينيا هذ الأمر التفصيلي وحفظته) •

وقد أكدت جدة فينيا السجوز أقوال حفيدتها على نحو ما استطاعت أن تفعل • وبعد أن ألقى بطرس ايلتش بضمة أسئلة أخرى خرج من المنزل وهو أشد اضطرابا وقلقا معاكان عند وصوله اليه •

ربِما بدا أن أبسط شيء الآن هو أن يذهب بطرس ايلتش الى منزل فيدور بافلوفتش مستطلعا هل حدث له شيء ، وأن لا يبلغ رئس الشرطة الا سد ذلك ، مستنداً ،لي معلومات ثابتة ، وهـــذا ما خطر بال بطرس ايلتش في أول الأمر فعلاً • ولكن اللبل حالك الظلام ، وأبواب منزل كارامازوف لا بد أن تكون سمكة ، فسيكون عليه اذن أن يطرق من جديد ، وأن يحدث ضحة وصحناً ، وهو لا يعرف فدور بافلوفش الا قلـلا جدا • فما عسى يحدث اذا قيل له ، بعد أن يفتح لِه الباب ، ان شيئًا لم يقع ؟ ان فيدور بافلوفتش الساخر لن يفوته أن يروى للمدينة كلهما في الفد ، من باب التندر ، أن الموظف برخوتين ، الذي ليس بينه وبيئه صلة ولا معرفة ، قد اقتحم منزله عند منتصف الليل ليسأله هل قتله أحد. ليكونن ً هذا فضيحة ! وبطرس ايلتش لا يرهب شيئًا في هذا العالم كما يرهب الفضيحة ! غــــير أن العاطفة التي كانت تدفعه الى العمل والحركة قد بلغت من القسوة أنه بعبد أن قرع الأرض بقسمه غاضبا وشسم نفسه ، أسرع يتخذ قراراً جبديدا : هو أن يذهب لا الى دار فيبدور بافلوفتش بل الى السبيدة هوخلاكوفا ٠ سيوف يسألها هل صحيح أنها أعطت دمترى فيدوروفتش ثلاثة آلاف روبل منذ بضع ساعات ، فاذا أجابته بالنفي دهب الى رئيس الشرطة لا يلوى على شيء ولا يمر بمنزل فدور بافلوفتش ؟ والا أرجأ مساعيه الى الغد ورجع الى بيته • وأضبح أن بطرس ايلتش حين يذهب في الساعة الحادية عشرة من الليل إلى

سيدة من سيدات المجتمع لا يعرفها ، وقد يجملها على النهسوض من سريرها ليلقى عليها سؤالا قد يبدو في مثل هذه الظروف سخيفا مضحكا انما يتعرض لاحداث فضيحة أكبر من فضيحة ذهابه الى فيدور بافلوفش، غير أن تناقضات من هذا النوع قد يرتكها ، في ظروف كهذا الظرف ، أشخاص هم أكثر الناس برودة نفس وروية تفكير ، فما بالك وقد فقد بطرس ايلتش في تلك اللحظة كل برودته وكل رويته ! لسوف يظلل يتذكر طوال حاته كيف أن قلقاً لا سبل الى التغلب عليه قد اجتاح نفسه أن يتحرك ويتدخل ، على غير ارادة منه تقريا ، والحق أنه قد اسستاه أن يتحرك ويتدخل ، على غير ارادة منه تقريا ، والحق أنه قد اسستاه وغضب أثناء الطريق ، وقرع نفسه على أنه سيزعج هذه السيدة ، ولكنه حلف ، ليسيرن الى آخر الشوط ، مهما كلف الأمر ، ، وردد ذلك عشر مرات وهو يصرف بأسنانه ، وقد برء بيمينه ، فمضى الى آخر الشوط

كانت الساعة هى الحسادية عشرة تماما حين دخــل منزل السيدة هوخلاكوفا • لقد فُتــع له الباب بغير مشقة ، ولكن البواب لم يستطع أن يقول له على وجه اليقين أرقدت السيدة أم لا ، واكنفى بأن ذكر له أنها تنام عادة فى مثل هذه الساعة • وأضاف يقول له :

اصعد الى فوق ، وأعلن عن نفسك ، فاذا شاءت استقبلتك ، فكل
 شىء رهن بارادتها ،

صمد بطرس ايلتش الى الطابق الأول • وهنـــالك أخــنت تنعقد الأمور • رفض الخادم أن يبــلغ السيدة هوخــــلاكوفا وصوله ، ونادى الخادمة • فرجاها بطرس ايلتش ، بأدب ولكن بالحاح ، أن تبلغ السيدة هوخلاكوفا أن الموظف برخوتين يريد أن يكلمها حالاً ، وأنه ما كان له

أن يزعجُها لولا أن الأمر الذي يريد أن يكلمها فيه هو على جانب عظيم من الخطورة حقاً !

انقل اليها هذه الكلمات نقلاً دقيقا!

بذلك أوصى برخوتين الخادمة حين مضت تبلغ مولاتها •

انتظر بطرس ايلتش في الدهليز • وكانت السيدة هوخلاكوفا في غرفة نومها ، ولكنها لم تكن قد نامت بعد . لقد هز أنها زيارة مينيا ، وهي تتنبأ بأنها لن تنجو في هذه الليلة من الصداع الشــديد الذي يلم بها عادة في أعقاب انفعالات من هــــذا النوع • فلما سمعت ما قالتــه لها خادمتها الزائر الذي يَجيِّ في غير أوان الزيارة ، أمرت خادمتها بذلك رغم أن مجرء « الموظف برخوتين » اليها في مثل هذه الساعة ، على غير توقع ، قد أثار فيها فضولاً قوياً • ولكن بطرس ايلتش عَنَدَ في هذه المرة عناد ينل • فلما علم أن السيدة هوخلاكوفا ترفض استقباله ، طفق يلح من جديد الحاحاً شديدا على أن تنقل الخادمة الى مولاتها أقواله حرفاً حرفاً : وهي أنه جاء « لأمر يبلغ من خطورة الشأن أن السيدة قد تندم اذا هي لم تستقبله • ، • وقد رُوى فيما بصــد أنه أحسَّ في تلك الدقيقة أنه ه يسقط في هاوية » • تفرست فيه الخادمة مندهشة ، وأسرعت تقسوم بالواجب الذي عهد اليها أن تقسوم به ٠ ذ هلت السيدة هوخسلاكوفا ، وقكرت بضع لحظات ، وسألت عن مظهر الزائر ، فقيل لها انه « حسن الهندام ، شاب ، مهذب جدا ، • يحب أن نذكر هنا عابرين أن بطرس ايلتش فتى جميل جدا ، وانه كان شاعراً بذلك ، عندئذ قررت السيدة هوخلاكوفا أن تسمع له • واذ كانت بثوب المنزل والخفين ، فقســـد ألقت على كنفها شالاً أسود • وأأدخل الموظف الى الصالون ، حيث استُقبل

دمترى فيدوروفتش قبل بضع ساعات • تقدمت ربة المنزل نحو الزائر بوجه متجهم مستجوب ، وسألته دون أن تدعوه الى الجلوس :

_ ماذا تريد منى أيها السيد؟

فبدأ برخوتين كلامه قائلاً :

ولكن ما ان نطق بهسندا الاسم حتى ارتسم على وجه السسيدة هوخلاكوفا حنق شديد ، فهمت أن تصرخ ، ولكنها أمسكت ، وقاطمت محدثها قائلة له بلهجة عنيفة هائجة :

- الى متى الى متى أظل أعداً بسبب هذا الاسان الفظيع ؟ كيف تجرأت أيها السيد ، كيف سمحت لنفسك أن تزعج سيدة لا تعرفها ، أن تجيء تضايقها في منزلها ، في مثل هذه الساعة ١٠٠٠ متحدثا اليها عن شخص أراد منذ ثلات ساعات ، في هذا الصالون نفسه ، في هذا المكان نفسه ، أن يقتلها ١٠٠٠ وقرع الأرض بقدمه ، ثم خرج بطريقة ما كان لأحد أن يسمح لنفسه بمثلها في منزل محترم ! اعلم أيها السيد أننى سأسكوك الى رؤسائك ١٠٠٠ أننى لن أسكت لك عن هذه الوقاحة ١٠٠٠ وأرجوك أن تخرج من مسكنى فورا ١٠٠ أنا أم ١٠٠ وأنا ١٠٠ أنا ١٠٠٠

_ أراد أن يقتلك ؟ أأراد أن يقتلك أنت أيضا ؟

_ هل قتل اذن أحداً ؟

كذلك سألت الســـدة هوخلاكوفا بحرارة • فأجابهـــا برخوتين بصلابة :

۔ اذا وافقت علی أن تسمعی لی ، ولو نصف دقیقة ، یا ســیدتی ،

شرحت لك كل شيء في بضسع كلمات و في هـ فا اليوم ، في الساعة الخاسة بعد ظهر هذا اليوم ، جاء الى السيد كارامازوف ورجايي رجاء الصديق أن أقرضه عشر روبلات و وأنا أعلم علم اليقين أنه كان في تلك الملحظة خالي الوفاض ؟ وفي هذا اليوم نفسه ، في الساعة التاسعة ، رجع الى مسكاً بديه حزمة من أوراق مالية تقــدر بألفي روبل أو بثلاثة الآف روبل و وكانت يداء ووجهه ملطخة بالدماء ، وكان يتصرف تصرف مجنون و فلما سألته من أين أتى بهذا المال كله ، أجابني اجابة واضحة دقية بأنه قد استلمه منك قبل لحظات ، وبأنك قد أعطيته ثلاثة آلاف روبل من أجل أن يسافر باحثاً عن مناجم الذهب فيما زعم ٥٠٠

ظهرت على وجه السيدة هوخلاكوفا علائم انفعال شديد عنيف أليم • وصاحت تقول وهي تضم يديها احداهما الى الأخرى :

ــ يا رب السماء ! نقد قتل أياه السجوز ٥٠٠ أنا لم أعطه مالاً قط ، لم أعطه مالاً قط ٥٠٠ آه ٥٠٠ أركض ، اركض بسرعة ، لا تقل كلمة واحدة أخرى ، لا تضيع الوقت ! انقذ أياه ، أسرع الى نجدته ، أنقذه !

ــ اغفرى لى الحاحى يا سيدتى • أنت تؤكدين أنك لم تعطيه مالاً ، فهل ذكرياتك و.ضحة في هذه النقطة ؟

ــ لم أعطه شيئاً ، لم أعطه كوبكا واحدا ، رفضت أن أقرضه ، لأنه لم يقدر نواياى حق قدرها ، واتصرف كمجنون مسمور قارعاً الأرض لم يقدر نواياى حق قدرها ، واتصرف كمجنون مسمور قارعاً الأرض للمحتماء منه ، • ، وانى لأسر اليك أيضا ، لأنى قررت أن لا أكتمك شيئاً بعد الآن ، أنه قد بعق على م على مناه المحتمد مناه أرجح وك ، واجمع على مناه أن المحتمد ، واجبك أن تنقذ المحجوز المسكين من ميتة فطيف ،

_ ولكن ما دام قد قتله وانتهى الأمر •••

_ آ ... نیم ... رباه ! هذا صحیح ... نسیت ... فماذا نفعل الآن ؟ هل فی ذهنك فكرة عبا ينجب أن نفعله ؟

ومع ذلك أجلست بطرس المتش وجلست أمامه • بسسط لها يطرس المتش ، بايجاز ولكن بوضوح ، لبّ القضية ، في حدود ما شهده ينفسه في ذلك اليوم على الأقل وروى لها أيضا أنه زار فينيا وما ذكرته لمه عن مدق الهاون • فكان من شأن هذه التفاصيل أن هزّ ت السيدة الطبية . هزا عنيفا فلم تستطع أن تحبس ، أثناء هذه القصة ، صرخات ، لارتياع والهول حتى أنها وضعت يديها أمام عنيها عدة مرات •••

- فطبع ٥٠٠ رهيب ! تصور مع ذلك أنني أوجست بالنبوءة كل . في، و لقد أو تبت موهم عجية في النبؤ و وما أتنباً به يتحقق لا محاله كم من مرة قلت لنفسي وأنا أخلر الى هذا الرجل الكريه : « سيقتلني هذا الرجل أخيرا في ذات يوم و وذلك ما وقع ٥٠٠ أقصد أنه اذا كان لم يقتلني بل قتل أباه ، فانما يرجع الفضل في ذلك الى تدخل المناية ذلك أنه لم يجرؤ أن يقتلني لأنني كنت قد علقت في عنقه ، هنا في هذا المكان نفسه ، الأيقونة المقدسة لشهيدة عظيمة ٥٠٠ ولم يكن يخطر ببالى عندئذ أنني ألامس الموت ملاسسة قريبة في تلك اللحظة و اقتربت منه ، ومستدة تقريبا ، فعد " لى عنقه ٥٠٠ يجب أن أقول لك يا بطرس ايلتش ومستدة تقريبا ، فعد " لى عنقه ٥٠٠ يجب أن أقول لك يا بطرس ايلتش كنت لا أومن بالمعجزات حتى الآن ، ولكنني أشعر باضطراب شديد حين أتذكر أن تلك الأيقونة التي علقتها في عنقه قد أتقذتني بمعجزة من ميتة أتذكر أن تلك الأيقونة التي علمتها في عنقه قد أتقذتني بمعجزة من ميتة فلية ! آه ٥٠٠ رباه ! ٥٠٠ انني أحس بأنني متأهبة للإيمان من جديد بكل شيك أنك تصروق قصة الأب زوسيما تلك ، ألس

كذلك ؟ أرانى أثيه ، فلا أعرف ماذا أقول ٥٠٠ تصور أنه ، رغم تملك الأيقونة ، قد بصق على ٥٠٠ بصق فحسب ، صحيح هذا ، ولم يقتلنى ٥٠٠ أهسنذا اذن ما مضى يفعله بعد ذلك ؟ ماذا يجب أن تقرر الآن ، ما الذى يجب أن تعمله ، قل لى ؟ -

نهض بطرس ايلتش معلناً أنه سيذهب حالاً الى رئيس الشرطة ليطلعه على الأمر ، فيتولى رئيس الشرطة عمل ما ينجب عمله •

ــ تذهب الى مشيل ماكاروفتش ؟ انه رجل معتاز ، معتاز ، أنا أعرفه ، ننى أثق بسداد رأيه وصواب حكمه ، مشيل ماكاروفتش : ذلك هو بعينه الرجل الذي يجب ابلاغه الأمر ، فكرتك رائعة ، وما كان لها أن تخطر بالى أنا ، لو كنت في مكانك ،

قال بطرس ایلتش ، وهو ما یزال واقفا ، محاولا أن یضع حداً لشرات هذه المرأة المهذار التی لا تدع له فرصة النفوه بكلمة واحدة لستأذن بالانصراف ، قال :

ــ لا سيما وأتنى أعرفه أنا أيضا معرفة شخصية •

تابعت السيدة هوخلاكوفا تقول دون أن تيأس :

- اسمع ، اسمع ، يجب أن تجيء الى تعلق التطلعني على ما تكون قد علمته ٥٠٠ على الوقائم التي أمكن أن تعرف ٥٠٠ وكذلك على العقوبة التي سينحكم بها ، أظن أن الحكم بالاعدام لا وجود له عندنا ، أليس كذلك ؟ تعال الى حتى أن ولو في الساعة الثالثة من الصسياح ، أو في الساعة الرابعة والنصف ، اطلب إيقاظى ، وليجروني من السرير جراً عند الحاجة ، اذا أنا أصررت على النوم ٥٠٠ اتنى أقول سسخافات على كل حال ، أنتى أقول سسخافات على كل حال ، أنتى لى أن أرقد بصد كل هذا ؟ تراودني فكرة : ما رأيك في أن أرافتك الى عند رئيس الشرطة ؟

ـــ لا ••• لا داعى الى هذا يا سيدتى • ولكن اذا واقفت ، فى مقابل ذلك ، أن تكتبى لى ، بخط يدك ، تصريحا فى ثلاثة أسطر تشهدين فيه بأنك لم تسطى دمترى فيدوروفتش مالاً قط ، فأعتقد أن هذا يسكن أن يفيدنا ••• عند الاقتضاء •

صاحت السيدة هوخلاكوفا تقول واتبة "عن مكانها بحماسة ، متجهة الى مكتبها الصغير :

مطيعا ! طبعا ! هل تعلم أنك تدهشنى بسداد رأيك ، ونفساذ بصيرتك ؟ صدّقنى اذا قلت لك اننى معجبة أشد الاعجاب بعما تبرهن عليه فى هسندا المجال من حذق ومهارة ! أأنت تعمل موظفاً فى ادارة مديننا ؟ ما أسعدنى اذ أعرف أن سلطاتنا تملك معاونين أفذاذاً لهم مشل قستك !

وفيما كانت السيدة هوخلاكوفا تتكلم ، خطَّت بسرعة ، على ورقة ، الأسطر التالية ، بأحرف كبيرة :

 د لم أفرض دمترى فيدوروفتش ، الماثر الحظ ، ثلاثة آلاف روبل أبداً (ذلك أنه الآن شقى عائر الحظ) • لم أفرضـــه كوبكا و!حــدا ،
 لا اليوم ، ولا فى أية لحظة أخرى ، أبدا أبدا • أحلف على هذا بكل ما هو عندى مقدس فى هذا العالم » •

هوخلاكوفا

ثم التفتت بقوة تحو بطرس ايلتش فقالت له :

الیك تصریحی ۰ فاسرع الآن ۰ یجب انقاذ هذا الرجل ۰ هذا
 عمل نمیل تقوم به ۰

ورسمت عليه اشارة الصليب ثلاث مرات ، ثم شيعته الى الدهليز.

ما أعظم شكرى لك! لا تستطيع أن تصور مدى امتنايي مسك لأنك جشت الى أولا ! خسارة أنني لم أعرفك قبل الآن! لسوف يسعدني في المستقبل أن أستقبلك في منزلى • انه لما يعزى النفس ويشد الأزر أن تملك مدينتنا في متخصك موظفا له مثل كفاءتك وقيمتك • • • موظف دقيق هذه الدقة ، حصيف هذه الحصافة خاصة " • • أنا على يقين من أن رؤساك يقدرونك حق قدرك • صد قنى اذا قلت لك انهم سيفهمونك آخر الأمر • • • واعلم على كل حال أنني مستمدة من جهتى لأن أقمول كلمة طبية في حقك كلما لزم ذلك • • • أوه ! انني أحب السسباب ، كلمة طبية في حقك كلما لزم ذلك • • • أوه ! انني أحب الشيسباب ، التي مغرمة بالشباب حقا ! الشبية في أيامنا هذه هم قوة بلدنا العظيمسه الشقية روسيا ! أنتم أملنا • • • أنتم معقسد رجائنا • • • هيا ، هيا أسر • • • •

ولكن بطرس ايلتش كان قد نزل الى الشارع ، والا لجسته زمناً آخر ، يبجب أن تقول من جهة أخرى ان السيدة هو خلاكوفا قد أحدث فى نفسه أثراً ممتماً خفق عنه ما كان يشعر به من قلق لتدخله فى قضية مزعجة ، انكم تعلمون ان الأذواق فى هذا العالم مختلفة متنوعة ، قال بطرس ايلتش لنفسه راضياً مسروراً : « ليست متقدمة فى السن كثيراً ، كان يمكن بسهولة أن أحسبها ابتها » ،

أما السيدة هوخلاكوفا فقد افتتن به افتتان • «ما أروع هذا الحذف وهذه العربة في شاب ، ذلك عدا آدابه الكتيسة ومظهره اللطيف الجذاب ! تلك مزايا ادرة في هذه الأيام ! يدعون أن شباينا اليسوم لا قيمة له ه في فهذا مثال يبرهن على تقيض ما يدعون ، النح ، النح ، • وقد اتنهت السيدة هوخلاكوفا من ذلك الى نسبان • الحادث الفظيع » ، ولم تتذكر الا على سريرها أنها • لامست الموت ملامسة قرية » • قدمدمت تقول : « شيء رهيب » ، ثم لم تلبث أن نامت نوماً عميقا هادنا • على أتنى

ما كان لى أن أسهب فى ذكر هذه التفاصيل الثانوية ، لولا أن هذا اللقاء السجيب الذى يتم بين رجل شاب وأرملة ما تزال نضرة ، وهو هذا اللقاء الذى وصفته الآن ، انما كان نقطة انطلاق فى حياة هذا الموظف الدقيق المنظم ، ان الناس فى مدينتا ما يزالون حتى يومنا هذا يتكلمون عن هذا مندهشين ، وربما عرضت لنا فرصة أن نقول بضع كلمات عنه فى نهاية هذا القصة الطويلة التى نكتبها عن الاخوة كارامازوف ،

) التبليغ

رئیس شرطتنا میشسیل ماکاروفش ماکاروف ، وهو لیوتنان کولونیل محال علی التقاعد و یحمل رتبة « مستشار قضائی » ، رجل أرمل یمشاز بأنه علی جانب عظیم من الشهامة والطبیة ، لقد

استطاع منذ ثلاث سنين في مدينتا ، أن يكسب مودة جميع الناس له ، ولا سيما لما أوتي من موهية فذة في ه جميع وجوه المدينة بمنزله ، ه يظهر أنه ما كان ليستطبع أن يسيش يوما واحدا دون أن يستقبل في داره عددا من الأصدقاء ، كان لا يخلو بيته يوما من ضيف على المشاء ، ولو كان عدد الضيف شخصا أو شخصين ؟ وما كان ليجلس أحد الى المائدة في منزله بغير مدعوين ، وكان يتنق له في بعض الأحيان أن يولم ولائم كبيرة ، متمللاً بحجيج كثيرة متنوعة ، حجيج قد لا تخطر بالبال ، ولئن لم تكن أصناف الطماء فاخرة لقد كانت وافرة ، ومع ذلك كان لفطائر السمك التي تقدام في بيته شهرة ذائمة ، وقد لا تكون أنواع الخصور أجود الأنواع ، ولكن كترتها توب عن جودتها على كل حال ،

ان الغرفة الأولى من مسكنه قد هيئت قاعة " للعب البلياردو ، وأ تُمتَّت تأثيثًا أنيقا ، وازدانت جدرانها بصور خيول سباق انجليزية ، وتلكم هي

كما تعلمون الزينة المألوفة التي تزيِّن كلُّ قاعة بلماردو في منزل رجل عازب • وكان يُـلمب بالورق كلُّ مساء في منزل منشيل ماكاروفتش ، وان يكن عدد اللاعبين محدوداً في كثير من الأحيان • على أن الاستقبالات التي تحضرها صفوة المجتمع من مدينتنا في منزله كانت كثيرة ، وكانت الأمهات تصطحب اليها بناتها ، لأنها كان يُسرقص فيها • وكان ميشسيل ماكاروفتش يعيش حياة عائلية رغم أنه أرمل ، في صـــحبة ابنته التي ترملت هي أيضًا منذ مدة طويلة ، وفي صحبة حفيدتيه اللتين بلنشا مبلغ الرئىد وأنهتا تحصيلهما • لم تكن الفتـــاتان دميمتين البتـــة ، وكانتا بما تنعمان بها من مرح الطبع وحسن المزاج تجتذبان شباب مدينتنا ، رغم أنه كان معروفًا أنهما لا تعلكان مهرآ • ولم يكن ميشميل ماكاروفتش لامع الذكاء ، ومع ذلك كان يقوم بمهام عمله كما يمكن أن يقوم بها رجَل آخر • واذاً أردنا أن نقول الحقيقة وجب أن نذكر أنه كان خشيل الحظ من الثقافة ، وكان قلمل الاهتمام بالحدود الدقيقة التي تقف عندها صلاحياته الادارية • كان ممنى بعض الاصلاحات * التي تحققت في النظام الجديد يغب عنه ، وكثيرا ما كان يفسم هذه الاصلاحات تفسعراً يشتمل على أخطاء فادحة مذهلة ، لا لعجز منه بل لقسيلة اكتراث ، فانه لم يكن يجد في وقته متسماً لدراستها دراسة عمقة • وكان يحب أن يقسول عن نفسه : « ان لي روح رجل عسكري لا رجل مدني » • ورغم أنه كان من ملاَّكي الأراضي ، فان ما علق بذهنه من معلومات تتعلق بالاصلاح الزراعي قد ظلت غامضة مبهمة ، وكانت هذه الملومات تكتمل سنة يمدا سنة ، على غير ارادة منه ان صح التعبير ، فانما هي تكتمل بالتجربة الناشئة عن المارسة العملة •

كان بطرس ايلتش يعلم أنه سيلتقى عند رئيس الشرطة فى ذلك الساء بضيوف ، ولكن كان يجهـــل من عمى يكون عنــــده من هؤلاء

الضيوف • ومن المصادفات أن مبشيل ماكاروفتش كان في ذلك المسماء يلعب بالورق مع النائب العام وطبيب المنطقة (الدكتور الشاب فارفنسكي الذي وصل من سان بطرسيرج مؤخراً وكان من أوائل متخرجي مدرسة الطب) • فأما النائب العام هيبوليت كيريلوفتش _ وكان يسمى نائباً من قبيل المجاملة ، لأنه لم يكن في الواقع الا وكيل نيابة ... فهو رجل على حدة ، ما يزال شاباً ، لم يكد يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ، فيه استمداد للاصابة بمرض السل ، متزوج امرأة اسمينة عاقراً • انه شديد الشعور بكرامته وكبريائه ، سريم الفضب والحنق ، ولكنه يملك مزايا واضحة من حسن الذكاء ونبل القلب • يسدو أن آفة طبعه الأساسة ناشئة عن أنه مبالغ في تقدير قيمته ، فهذا التباين بين كفاءاته الواقعيمة وبين رأيه في نفسه كان يخلق له حالة قلق مسستمر • وكانت له مطامح علياً ، بل ومطامح فنية ، وكان يعتز خاصة بمقدرته في علم النفس ، فهو يعتقد أنه أوتى مواهب خاصة " في النفاذ الى أسرار النفس الانسانية ، وفي اكتشاف البواعث العميقة لدى المجرمين • وكان لهذا السب يعتقد أنه مجهول القممة ، وكان يعش على قناعة تامة بأن الناس لم يقدروه حق قدره يم أو أن هناك أعداء يكدون له ويعرقلون تقدمه في وظفته • وكان في ساعات حيز نه ويأسه يعضى الى حد التهيديد بالانتقال الى صف المارضة ، فعمل محاما أمام المحاكم الجنائية ، وقد استنارته قضية مقتلًا الأن كارامازوق واستنهضت همته ، فحدَّث نفسه قائلاً : « هذه قضة ستشتهر غداً في روسيا كلها ٠ ، • ولكن أراني أستى تتمة القصة •

وفى الغرفة المجاورة كان قاضى التحقيق الشاب نيقولا بارفينونش نلودوف ، الذى وصل الى مدينتا منذ شهرين ، يثرثر مع الفتاتين ، لقد د'هش الناس بمدينتا ، فيما بعد ، من وجود هؤلاء الأشخاص بأعينهم مجتمعين فى مساء وقوع ، الجريمة ، نفسه ، فى منزل أحد مثلى السلطة لتنفيذية ، كأنما هم اتفقوا على ذلك • والحق أن تعليل هذه المصادفة طبيعي جدا : ن زوجة هيبوليت كيريلوفتش تشكو منذ يومين من آلام شديدة في الأسنان ؟ فكان وكيل النيابة المسكين لا يفكر الا في الهسروب من المنزل حتى لا يسمع أنينهــــا • فالى أين يمكن أن يذهب اذا هو لم يذهب الى ميشــــيل مآكاروفتش ؟ أما الطبيب فانه ، بحكم مهنته ، كان لا يستطيع أن يقضى سهراته الا لاعبًا بالورق ، لذلك كان وجسوده في منزل رئيس لشرطة أمراً لا بد منه ولا محبـــد عنه ، وأما تنقـــولا بارفینوفتش نلیودوف ، فلقد کان ینوی منذ ثلاثة أیام أن یزور میشسمیل ماكاروفتش في ذلك المساء ، وأن يجيء اليه • بما يشبه المصادفة ، ، بغية أن يفاجيء بعد ذلك كبرى الفتاتين ، أولها ميخائيلوفنا ، يأنه عالم بسرُّها : وهو أن ذلك اليوم هو يوم عبد ميلادها ، وأنها أرادت أن تحفي الأمر عن المجتمع حتى لا تقيم حفسلة رقص في منزلهـــا • وكان تيقـــولا بارفينوفتش يتصور أمازيح كثيرة سيقوم بها في تلك المناسبة ، ويتلذذ سمم لغاً بهذه الأمازيج : كالاشممارة الى أنها تخشى أن تعلن عن سنها ، وكالتهديد باذاعة الأمر في المدينة كلها غداً ، النع ، ان هذا الشاب الفتان « عفريت » كبير ، حتى ان سيداتنا قد لقينه بهذا اللقب ، وكان هذا بملؤه رضى وارتباحاً فيما يبدو • وكان ينتمي من جهة أخرى الى أسرة ممتاذة ، وكان جمَّ الكياسة رفيع المشاعر • ورغم انه كان بطبيعته محبًّا للمباهيم مقبلاً على الملذات ، فقد كان كذلك على براءة وكان لا يبخل بالمواضعات البنية ، رقيق مرهف ، تزين أصابعه النحيلة الشاحية خواتم كيرة. كثيرة • وكان في قيامه بأعمال وظيفته رصيناً رصانة عظيمة ، قوى الشعور يخطورة الواجبان الملقاة على عائقه • وكان يستاز خاصـــــة " بمهارته في أن يحير " القتلة وغيرهم من المجرمين من أبناء الشعب البسيط أثناء استجواباته ، وكثيرًا ما كان يثير فيهم من الدهشة أن لم يتر فيهم الاحترام • حين وصل بطرس ايلتش الى منزل رئيس اشرطة صحة فعلاً أن يسرف أن جميع الحضور كانوا على علم بالأمر • كان اللاعبون بالورق قد كفوا عن اللهب ، وأخذ سائر الفيوف يتناقشون في الحادث بحرارة، وقوفاً • لقد هرع نيقولا بارفينوفش من الغرفة المجاورة عابس الوجه يوشك أن يكون مستمداً للهجوم • وما كان أشداً ذهول بطرس ايلتش حين علم بالنباً الرهيب : وهو أن المجوز فيدور بافلوفش قد قتل في منزله فعلاً هذا المساء • • • قتل وسُرق • وقد عرفت الجريمة في الفلروف التالة :

لا شك في أن مارفا اجناتيفنا ، زوجة جريجيوري ، كانت نائمة نوماً عميقا في اللحظة انتي ضُرب فيها زوجها بمدق الهاون قرب السور. وكان يمكن أن تستمر في تومها زمناً طويلاً أيضًا • ولكن شامت المصادفة أن تستيقظ فجأة ، وأغلب الظن أنها استيقظت بسبب الصرخة الرهبيسة التي أطلقها سمردياكوف الذي يرقد في الغرفة الصغيرة المجاورة منشياً علمه غالبًا عن وعمه • انها تعرف هــــذه الصرخة حق المــــوفة ، فيهذه الصرخة انما تبدأ نوبات الصرع لدى سمردياكوف • وقد أرعبتها هــذه الصرخة طوال حياتها ، وخلَّفت في نفسها أثراً مرضبا ، ولم تستطع أن تمتادها في يوم من الأيام • نهضت مارفا منتفضية وهي ما تزال نصف نائمة وأسرعت لى الغرفة التي يرقد فيها سمردياكوف ، على غير شمعور منها تقريباً • كان الظلام حالكاً ، فلا يُسرى شيء ، وانما 'يسمع الشخير الرهب يخرج من صدر المريض الذي يتخبط • أخذت مارفاً اجناتيفنا تصرخ هي أيضًا ، منادية ً زوجها ، ولكنها أوجست فحأة أن زوجهــا لم يكن الى جانبها في السرير حين استيقظت من نومها ، فأسرعت الىالسرير وأخذت تجس الغطاء ، فأيقنت أن الفراش لبس علمه أحد • تساءلت : قالى أين ذهب؟ هل خرج؟ ولماذا خرج؟ وهرعت الى درجات المدخل

وأخذت تناديه في الغلام وجلى ، ولكنها لم تتلق جوابا • وفجأة خينل اليها أنها تدرك في حلكة الليل أنات مخنوقة كأنها آتية من الحديقة • فأصاخت يسمعها ، فتكررت الأنات ، دمدمت تقول مضيطرية ، رباه! يشبه هذا ما حدث في الماضي يوم ً موت اليزابث سمردياستشايا ! ، • وهمطت الدرجات خائف ، فلاحظت أن باب الحـــديقة مفاوح ، فقالت لنفسها : « لا شك أن زوجي العليب هناك » ، فلما اقتربت من باب الحديقة سمعت في هذه المرة زوجها جريجوري نفسه يناديها بصبوت ضعف محتضر مروَّع : « مارفا ، مارفا ! » • فقالت مارفا متلشمة « تحبُّنــا من الشر يا رب! ، واندفعت في الاتجاء الذي كان يصـــدر عنه النــداء • وهكذا اكتشفت جريجورى • ومع ذلك لم تجده قرب السور ، فيالمكان الذي صُرع فيه ، بل على بعد عشرين خطبوة من ذلك المكان • وقب عُرِف فيما بعد أن جريجوري ، حين أفاق من اغمائه وثاب الى رشده ، جرَّ نفسه على الأرض مدة طويلة ، فأغسى عليه أثناء ذلك عدة مرات ، ولكنه كان يصحو ثم يستأنف زحفه • وسرعان ما لاحظت مارفا أنه كان مضرجاً بدمائه ، فأخذت تصرخ ، وكان جريجوري يتمتم بصوت واهن جملاً مضطربة لا تسلسل فيها ، قائلاً : « قتل ٥٠٠ قتل أباه ٥٠٠ لساذا تصرخين يا امرأة غبية ؟ هلمي ! أركضي ! نادي !، • ولكن مارفا اجناتيفنا لم يهدأ روعها ولم تنقطع عن اطلاق صرخاتها الوحشية • فلمسا لاحظت فَجَّأَةً أَنْ نَافَذَةً غَرِفَةً مُولَاهَا مَفْتُوحَةً ومَضَاءً ٢ أُسرعت إلى هناك تنسادي فدور بافلوفتش • واذ لم تسمع جوابا نظرت من النافذة ، فرأت عندثذ مشهداً فظيماً : رأت فيدور بافلوفتش راقدا على الأرض جثة الهامدة • بلفت مارفًا اجناتفنا ذروة الهلم ، فاندفست عنـــدثذ الى خارج الحديقة ، ففتحت الباب الكبير ، وهرعت الى عند جارتها ماريا كوندراتيفنا • كانت المرأتان ، الأم وابنتها ، نائمتين حيناك ، ولكنهما لقوة الطرقات السفة على مصراعى الباب ، ولتسدة السرخات الحادة . لتى كانت تطلقها مارفا اجنائينا ، استيقظتا من نومهما واقتربتا من النافذة ، فقصت عليهما المجوز المسكينة ما نزل بدارهم من شقاء ، قصت عليهما ذلك بأقوال مضسطربة مشوشة تقطعها أنات ، ومن المصادفات أن توماس الذى يسكن مستأجراً في منزلهما ، والذى يتنقل عادة في لبرارى ، كان يبيت في المنزل في تلك الليسلة ، فسرعان ما أوقظ من نومه ، وخف الجيسع الى مكان الجريمة ، وتذكرت مارى كوندراتينا أثناء الطريق أنها قد سمعت في نحو الساعة التاسعة من المساء ، عويلا صادراً من الحديقة أرعبها ، لقد كان ذلك هو الصرخة التى أطلقها جريجورى لخفلة أسلك بيديه احدى ساقى مبتا الراكب السور ، قائلا : « يا قاتل أبيه ، »

قالت ماريا كوندراتينا شارحة " : « ان أحداً قد صرخ عند تد صراخاً قويا جداً تم صمت فجأة » و وصل الثلاثة الى قرب جريجورى » فأنهضته المرأتان بمعاونة توماس » ونقلوه الى الملحقات » وأشعلوا شمعة » وحين مروا أمام الفرقة التى يرقد فيها سمردياكوفى لاحظوا أنه ما يزال يتخبط في تشنجاته وقد جحظت عناه وخسرج الزبد من فعه » غسلوا رأس جريجورى بمدا « مصروج بعثل » فعجله ذلك يصحو تعاماً » فسرعان ما ألقى عليهم هذا السؤال : « أشكل مولاه أم لا ؟ » » وأرادت الجارتان عندتذ أن تصحبا توماس الى غرفة فيدور بافلوفتش » فلما اجزازتا الحديقة عندتذ أن تصحبا توماس الى غرفة فيدور بافلوفتش » فلما اجزازتا الحديقة أيضا » مع أن فيدور بافلوفتش قد أصبح منذ أسبوع يحكم اقفال الباب بالمنتاح كل لهة » ولا يسمع حتى لجريجورى بأن يدخل عليه لأى سبب بالمناب » وبأى عذر من الأعذار » فلما رأت المرأتان وتوماس هسذا الباب منتوحاً ترددوا عن الدخول الى غرفة الجريمة «خشية المضاعفات» » وعادوا الى الملحقات » فطلب جريجورى بابلاغ رئيس الشرطة بالحادث

فورا • فتولت ماريا كوندراتشا القيام بهذه المهمة ، فأهاج وصولها ضيوف ميشيل ماكاروفتش ، وأقامهم وأقعدهم • لقد وصلت ماريا الى منزل رئيس المشرطة قبل وصول بطرس ايلتش بخمس دقائق لا أكثر ، وهكذا مثل بطرس ايلتش أمام هؤلاء الرجال لا مئول انسان يريد أن ينقل الهمم شكوكه واستدلالاته ، بل منسول شاهد عيان ، فلم تزد التفاصيل التي ذكرها على أن عززت ما كانوا قد تصوروه من فروض عن شخص القاتل ذكرها على أن عززت ما كانوا قد تصوروه من فروض عن شخص القاتل (الحق أن بطرس ايلتش نفسه قد ظل الى آخر لحظة يشك في أن يكون مبيا هو القاتل) •

وتقررت البادرة الى العمل فورا • وأ بلغ مفوض الشرطة الساعد، وتم القيام بالتحريات الأولى في مكان الجريمة بمنزل فيدور بافلوفتش ، وفقا للأصول القضائية التي لا داعي لي وصفها هنا • وقد أصر طسب زمستفو ، وهو طبيب مبتدىء ممثليء همة " وحماسة ونشاطاً ، أصر " على أن يصحب رئيس الشرطة ووكيل النيابة وقاضى التحقيق • وسأقتصر هنا على المخيص ما شاهدوه : لقد صُرع فيدور بافلوقتش ، وكسرت جمجمته، ولكن ما هو السلاح الذي استعمل في قتله ؟ لمسلم ذلك السلاح نفسه الذي استعمله القاتل بعد ذلك في ضرب جريجوري . واكتشف أداة الجريمة أخيرا بفضل ما استطاع جريجوري أن يذكره لهم على تحسو منسق ، ولو بصوت واهن متقطع ، بعد أن أأسعف الاسعافات الطبية التي تنطلها حالته • استكشف رجال الشرطة الأرض التي تجاور السمور مستمنين بمصباح ، فلم يلقوا عناء في المثور على مدق الهاون التحاسي. وجدوء ملقى ً وسط الممر الذي يشق الحديقة ، في موضع يلفت الأظار على الغور • ولم تكن الغرفة التي يرقد فيها فيسدور بافلوفتش فوضي ، ولكنهم اكتشفوا على الأرض وراء الحاجز ظرفاً ملقى قسموب السرير • وكان ظرفًا كبسيرًا مصنوعًا من ورق سسميك ، وقد كتب عليه ما يلي : ه هدية صنيرة من ثلاثة آلاف روبل أهدبها الى ملاكي جروشنكا اذا هي رضت أن تنجيء » وفي أسفل الظرف كتنت عبارة أخرى أغلب الغلن أن فيدور بافلوقتش أضافها بعد ذلك هو نفسه : « الى حمامتي » • وكان الظرف الذي ختم بالشمع الأحمر ثلاثة أختام كبيرة قد فض وأفسرغ مما فيه : لقد سُرق المال الذي كان يضمه الظرف • واكتشفوا كذلك على أرض الفسيرفة الشريط الوردي اللون الذي كان يلف الظسرف • وقد أحدثت أقوال بطرس ايلتش أثرآ عميقا في وكيــل النيابة وقاضى التحقيق وهزتهما هزاً قوياً ، لا سما بسب ما ذكره لهما من أن دمترى فدوروفتش كان يدو عازماً عزماً مطلقاً على أن ينتحر قبل طلوع الفجر؟ وان دمتري فدوروفتش قد أفهمه ذلك نفسه ، حين حشا أحد المسدسين بالرصاص أمامه ، وحين كتب بطاقة صميخيرة يشرح فيها السبب الذي يدعوه الى الانتحار ودستُّها في جبيه ، النع ، حتى اذا قال له بطــرس ایلتش الذی لم یشأ أن یصدق قراره انه سیلغ أقرباء ما عزم علیه حتی يمنعوه من انفاذه ، أجابه مبتا بلهجة ساخرة : « لن يتسع وقتـك لهـقا يا عزيزي ، • منى هـــذا كله أن من الواجب الاسراع في العمــل ، والوصول الى موكرويه على عجل ، حتى يغاجأ القاتل قبل أن ينفذ ماعقد النة عليه ٠

كان وكيل النيابة يردد قوله مضطربا اضطرابا شديدا :

 القضية واضحة وضوح ماء الصخر • ذلك بعينه هو ما يغسله جميع مؤلاء العابثين القاصفين الأنتقياء حين يقمون في الجريمة • غمداً أنتحر ، أما الليلة فألهو وأتسلى •

وازداد اهتیاج وکیل النیابة حین سمع تفاصیل ما حدث فی المتجر حین اشتری میتیا النسمبانیا وأنواع العحلوی ه

ــ هل تتذكرون ، أيها السادة ، ذلك الشاب الذي قتل التــــاجر

أولسوفيف ليسلمه ماله ؟ انه بعد أن استولى على ألف وخمسمائة روبل كانت مع ضحيته ، فكر قبل كل شيء في أن يصفف شعره متموجاً عند حلاق ، تم أسرع الى البنايا حتى دون أن يكلف نفسه عناء اخفاء المال ، فكان يمسكه بعديه تقريبا ، مثل هذا القاتل الجديد تمامًا ،

على أن التحقيق وتفتيش منزل فيسدور بافلوفتش والاجسراءات القانونية الشكلية ، كل ذلك قد استفرق وقتا ، لذلك تقرر أن يوفد الى موكرويه ، على جناح السرعة ، موظف الشرطة موريس مافريكيفتش شمرستوف الذي جاء الى المدينة في اللملة النارحة لقبض مرتبه • أصدرت اليه تعليمات بأن يذهب الى موكرويه ، منتحلاً عذراً من الأعذار ، بحيث لا يلفت الانباء ، وأن يراقب المجرم في الخفاء دون أن يغيب عن بصره، الى حين وصول لسلطات • وكان على موظف الشرطة هذا أن يكون في عداد الخفراء الذين سيقتادون المتهم • نفُّ ف موريس مافريكيفتش الأوامر التي تلقـــاها ، ولزم التخفي ، واقتصر على أن ذكــر لتريفون بوريستش الذي يعرفه منذ عهد بعد بعض الايضاحات عن الأسساب الحقيقة لمجيَّه • وفي ذلك الوقت انصا التقي منسا يصاحب النزل في أسفل السلم المفضى الى الشرفة ، فلاحظ تغسيراً غريبا في تعسير وجهه وطريقة كلامه • وعلى هذا النحو لم يستطع أحـــد ، لا ميتيا ولا سائر الضبوف ، أن يخطر بالهم أنهم مراقبون • أما علبة السدس فقد أسرع تريفون بوريستش يخفيها في مكان مأمون على الفور • ولم تصلالسلطات الى موكرويه الا في الساعة لخامسة ، عند طلوع الفجر • استقل وكيل النابة ، ورئس الشرطة ، وقاضى التحقيق ، وحاشبتهم ، عربتي ترويكاه ومكث الطبب في منزل فدور بافلوفتش ، لساشر تشريح جثة القتل منذ. العساح • ولكنه كان مهتما اهتماما خاصا ببحالة سمر دياكوف •

ــ ان نوبات الصرع التي تبلغ هذه الدرجة من الشدة وتدوم مثل

هذه المدة مستمرة" يومين ، هي حالات نادرة كل الندرة ، حالات يهتم بها العلم ويكب على دراستها .

كذلك قال الطبيب لصحبه مهناجاً حين سافروا الى موكرويه ؟ وقد مازحه صحبه وهنأو. على ما أوتى من فرصة مواتية وحظ نادر •

وقد تذكر وكيل النيابة وقاضى التحقيق فيما بمد ، تذكراً واضحاء أن سمردياكوف سيموت قبل طلوع الفجر فيما زعمه الطبيب الشاب • بمد هذه الشروح التي كانت طويلة بعض الطول ، ولكنها كانت لا بد منها ولا غنى عنها ، سنستأنف الآن قضيتنا من حيث قطناها في

نهاية الباب السابق •

۳ محن نفس الحنة الأولى



مينا يتصفح وجود محدثيه ، مجنون السين ، ولا يفهم ما يقال له ، وها هو ذا ينهض فجأته فيرفع ذراعيه الى السماء ويهتف قائلا بعسسوت قوى :

ـــ لست القاتل! أنا لم أسفح ذلك الدم! لم أسفح دم أبى ••• كنت أريد أن أقتله ، ولكننى لم أفسل • لست أنا القاتل!

فما ان قال ميتيا هسيده الكلمان حتى اندفعت جسروشنكا من وراء الستائر وسقطت عنسيد قدمى رئيس الشرطة ، وأعولت تقول بعسسوت ممرَّق ، وهمى تبكى بكاء غزيراً وتمد ذراعيها نحو العضور :

ـــ أما أنك القاتلة فهذا صحيح لا شك فيه ! أنت مجرمة كبيرة ، أيتها المرأة الضالة الفاسقة ! أنت المسئولة عن هذه الجريمة • كذلك صاح يقول رئيس الشرطة وهو يلوَّح بقيضة يده مهدداً . ولكن سرعان ما حُمل رئيس الشرطة على السمكوت ، حتى أن وكيل النيابة أحاطه بذراعيه ليتحكم به ويسيطر عليه ، قائلاً له بصوت عال وهو يكاد يختق غظاً :

_ لقد أحدثت فوضى يا ميشيل ماكاروفتش ، هذا لا يعجوز ! انك تشوش التحقيق وتفسد كل شيء ه

وقال تنقولا بارفينوفتش مضطربا بدوره :

مه يعجب اتخاذ اجراءات ٥٠٠ حالاً ٥٠٠ يعجب اتخاذ اجراءات ٥ واستأنفت جروشنكا كلامها فقالت بحرارة وحماسة وهي ما تزال جائبة على ركيتيها :

ـــ احكموا علينا معا ، أعدمونا معاً ، أنا مستعدة لأن أشاركه العقوبة القصوى !

فهتف ميّيا يقول وهو يرتمى على الأرض فيجثو الى جانب جروشنكا ويعانقها :

ــ جروشا ، حياتى ، روحى ، دمى ، قديستى ! لا تصدقوا ماتقوله، انها ليست مذنبة فى شىء ، انها لا تشارك أية مشاركة فى المسئولية عن هذا الدم المسفوح ، انها لم تفعل شيئاً !

تذكر مينا فيما بعد أن عدة رجال قد فصلوء بالقوة عن جروشنكا التي أقصيت عن الفرقة > وأنه في اللحظة التي ثاب فيها الى وعيه > وجد نفسه جالساً أمام المائدة > وكان يقف وراء رجال يضمون على صدورهم صفائح من معدن > وفي الجمة الأخرى من المائدة > كان قاض التحقيق يقولا بارفينوفتش الذي جلس على الكنية > يلج عليه أن يشرب قليلاً

من الماء مشيراً الى الكأس الموضوعة على المائدة ، قائلاً له بلهجة مهـــذبة حِداً :

_ اشرب ، الماء ينعشك ويهدئك . لا تخش شيئًا .

خطفت انتباء مينا ، على حين فجأة ، الحواتم الكبيرة التى كانت في أصابع فاضى التحقيق ، أن أحد هذه الخواتم يزدان بالجمشت ، والثانى يزدان بحجر أصغر واضح شفاف قوى السطوع ، سوف يظل مينا يتذكر خلال زمن طويل مدى ما أحدثته هذه الخواتم فى نفسه من افتتان حتى أنه طوال الساات الرهبية التى استفرقها الاستجواب لم يستطع أن يحول بصره عنها ، ولم يقطع عن النظر اليها وهو فيما هو فيه من ظروف لا تنفق مع اهتمام تافه هذه التفاهة ، والى يسار مينا ، فى المكان الذى كان يشغله ماكسيموف فى بداية السسهرة ، كان يجلس وكيل النيابة ؛ والى يمين مينا ، فى المكان الذى جلست فيه جروشسنكا بضع ساعات قبل ذلك ، كان يجلس شاب زاهى اللون ، يرتدى سترة عتيقة بعدا مما يلمسه الصيادون ، وأمامه محبرة وورقة ، ولقد اتضح فيما بعد بعدا مما يلمسه الصيادون ، وأمامه محبرة وورقة ، ولقد اتضح فيما بعد أنه كان قاضى التحقيق ، أما رئيس الشرطة فقد كان و قفا قرب النافذي فى الطرف الآخر من الغرفة ، على مقربة من كالجانوف الذى كان جالسا على كرسى »

كرو قاضى التحقيق يقول بلطف ورقة للمرة العاشرة :

۔ اشرب ماء ہ

فصاح مينيا يقول ، وهو يثبت على قاضى التحقيق نظرته الجامدة جمودا وهيها في عينيه الجاحظتين :

ــ شربت یا سادتی شربت ••• والآن فاسحـــقونی ، اعدمونی ، قرروا مصیری ! سأله القاضى بصوت لطيف رقيق ولكنه ملح :

ـ أأنت تصر اذن على أنك برىء من مقتل أبيك ؟

ـ برى القد سفحت الدم ، سفحت دم السجوز الآخر ، ولكننى لم أسفح دم أبى ، آه ، • • • لشد ما يؤسفنى ما فعلت ، لقد قتلت ذلك المجوز المسكين ، صرعته ، غير أنه يشق على أن أصبح بسبب هدنه الخباية مسئولا عن جريمة أخرى ، جريمة فظيمة لم أرتكيها • • • ذلك اتهام رهب يسقط على سقوط الصاعقة ! ولكن من ذا الذى قتل أبى ؟ من هو القاتل ؟ من عسى يكون القاتل اذا لم أكن أنا ؟ هدا جنون • • •

بدأ قاضي التحقيق يقول:

ـ أتسأل من هو القاتل ؟ سأقول لك ذلك ٥٠٠

ولكن وكيل النيابة هيپوليت كيريلوفتش سارع يسكته بنظرة منه ، ثم قال مخاطبا ميتيا :

- تخطىء اذا قلقت على مصير الخادم المجوز جريجورى فاسيليف. اعلم أن هذا الخادم لم يمت ، وأنه أفاق من اغمائه واسترد وعيه ، حتى أن لطبيب يرى أنه ليس فى خطر رغم الضربة الفظيمة التى شهد هو واعترفت أن بأنك أصبته بها ،

هنف منيا فجأة يقول وهو يضم يديه احداهما الى الأخرى (وقد أشرق وجهه فرحاً):

- أهو حمى ؟ اللهم انى أحسسك على هذه المسجزة العظيمة التى تهبها لى ، لى أنا الخاطئ، المجرم ؟ اللهم انى أحمدك على أنك استجبت لدعائى ٥٠٠ ذلك أن دعائى هو الذى قُبل ٥٠٠ لقد لبثت أدعو طوال الليل أن لا يموت ٥

ورسم مينيا اشارة الصليب ثلاث مرات وهو يختنق انصالاً • استأنف وكيل النبابة كلامه قائلاً :

 من جریجوری هذا نفسه نما حصانا علی معلومات خطیرة جدا فی شأنك ۰۰۰

ولكن ميتيا قاطعه ووثب عن كرسيه قائلاً :

ــ دَفِقَة واحدة أيها السادة ! اسمحوا لى بدَفِقة واحدة ، دَفِقة واحدة ، دَفِقة واحدة ، دَفِقة

فصرخ نيقولا بارفينوفتش يقول له بصوت حاد ، ناهضا عن مقمده على حين فجأة هو أيضا :

- آسف! ذلك مستحيل استحالة مطلقة الآن •

وأمسك الرجال الذين يضمون على صدورهم صفائح معدن تأ أمسكوا ميتيا ، فسرعان ما عاد يجلس دون احتجاج ، وقال :

حذا يؤسفنى أسفاً عسيقاً يا سادتى ، لأننى لم أكن أريد أن أراها الا لحظة قصيرة ٥٠٠ لأبلغها أن ذلك الدم قد امحى من حياتى ، ذلك الدم الذى عذبن طوال هذه الليلة ، واننى لست قاتلاً ! انها خطيبتى أيها السادة ، هل تعرفون هذا ؟ (هكذا صاح يقول فجأة وهو ينقل بصره على محدثيه جازماً) ، أوه ! شكراً لكم أيها السادة ! لقد رددتمونى الى الحياة بهذه الكلمة وحدها : حى ! ان ذلك العجوز كان يحملنى بغراهيه أيها السادة ، وكان يضعلنى غراحيه غيم حرن حين كنت فى السنة الثالثة من عمسرى وتركنى الجميم ، كان لى بطابة أب !

هم القاخي أن يتكلم قائلاً :

_ وهكذا ، فأنت ٥٠٠

ولكن مبنيا قاطمه وهو يضع كوعيه على المائدة وينطى وجهه بيديه:

اسمحوا لى بدقيقة تفكير أيها السادة ، دقيقة واحدة ، دعونى
اتنفس لحظة ، وأحاول أن أرى رؤية واضحة ، ان هذا الأمر قد هـرنى هزاً قوياً وقلب نفسى رأساً على عقب ، هذا فطيع ، و ليس يُـقرع انسان كما يقرع طبل أيها السادة !

> دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول له : ـ عليك أن تشرب جرعة أخرى من الماء •

أبعد مِنْيَا يَدِيهُ عَنْ وَجِهُهُ وَأَخْسَدُ يَضْحُكُ وَ إِنْ فَي نَظْرَتُهُ الْآنَ لثقة ، وقد تبدل تعبير وجهه في طرفة عين • وتنبير موقفه كذلك ، فهسو يتكلم بلهجة غير اللهجة التي كان يتكلم بها من قبل • هو يحس الآن أنه عاد نداً لهؤلاء لرجال الذين يعرفهم والذين كان يمكن أن يجتمع بهم ، المارحة ، في سهرة تضم علمة القوم ، فكأن شئًا لم يكن . يحسن أن نشبر هنا الى أن متنا كان قد استُقل استقالاً حاراً جداً بمنزل رئس الشرطة ، في بداية اقامته بمدينتنا ، ولكنه انقطع عن التردد الى هســذا المنزل بعد ذلك ، ولا سيما خلال الشهر لأخير • وأصبح رئيس الشرطة، منذ زمن ، يقطب حاجبيه حين يرى ميتيا في الشارع ، ولا يرد على تحيته الا من باب الأدب، وقد لاحظ منها هذاء أما وكبل النابة فقد كانت معرفة مشا به أقل من ذلك أيضًا ، رغم أن منّا قد زار زوجته ، وهي امرأة عصمة ذات هواجس ، عدة زيارات شكلة تماما ؟ كان يذهب الها دون أن يعرف لمماذًا ، وكانت تستقيله حتى همـذه الأسابع الأخيرة بكثير من التحقيق ، فلم تكن بينه وبين ميتيا علاقات اجتماعية ، واقتصر كل شيء بينهما على حديث أو حديثين تبادلا خلالهما كلاما غامضا عن جنس الساء ه

قال ميتيا مرحاً :

ازي يا تيقولا بارفيتونشي أنك قاضي بارع جدا ، ولكن أحسب من ذلك أن على أن أساعدك ، أوه ! لقسد تنفست أيها السادة ، و لا تؤاخذوني اذا أنا كلمتكم بغير كلفة ، ثم اتني تمل قليلا ، أعترف لكم بذلك صراحة ، أظن يا نيقسولا بارفيتونش أنني قسد سبق لى أن سررت وشرفت بلقائك ، عنسد ميوسوف ، قريبي ٥٠٠ معسفرة أيها السادة ! لست أدعى المساواة بكم الآن ، فأنا أعرف موقفي أمامكم حق المرفقه ، مناك تهمة رهية تبخم على ٥٠٠ طبعا ٥٠٠ اذا كان جريجوري أنا موضع شبهة خطيرة ! فظيع ! اتني أقهم هذا حق الفهم ، نقوا أنا موضع شبهة خطيرة ! فظيع ! اتني أقهم هذا حق الفهم ، نقوا من ذلك ! ولكن فلنصل الى الوقائع أيها السادة ! اتني مستعد ٥٠٠ من وسنوضع الأمور في بضع دقائق يا سادتي ، أليس هذا صحيحاً ؟ ما دمت بريناً ٥٠٠ اصفوا الى الماشاه في طرفة عين ، أليس كذلك أيها السادة ؟

كان ميتيا يتكلم متمجــــلاً متدفقاً على نحو عصبى ، وبنــــوع من الاصرار المنيد على أن يعد محدثيه كأنهم خير أصدقائه .

قال تنقولا بارفينوفتش بلهجة رصينة :

سنسجل الآن اذن أنك تنكر انكارا قاطما التهمة الموجهة اليك •
 ثم التفت نحو الكاتب ، وأملى عليه بصوت خافت خلاصة انكارات
 مينا •

 د ارتكب جرم استعمال العنف ، فضرب عجوزا مسكينا ، وصو يعترف بذلك ، ثم انني في أعماق نفسى ، في قرارة ضميرى ، • • ولكن لا داعى الى كتابة هذا (هكذا قال ملتفتاً الى الكاتب) • • • تلك حياتي الخاصسة التي لا شأن لكم بها أيها السادة ، هذه أغوار قلبى • • • أما قتل أبي فأنا برى • منه ! تلكم تهمة حمقاء ! ذلكم افتراض سخيف • • • سأبرهن لكم على هذا ، فتقتمون اقتاعا تاما • سسوف تضحكون أيها السادة ، سوف تضحكون أنتم أنفسسكم من الشكوك التي راودتكم ، سوف تنفجرون ضاحكين •

تدخل قاضى التحقيق فقال وكأنه يريد أن يضرب بهدوئه هو مثلاً لمبنيا المندفع المضطرب :

حدثی، نفسك یا دمتری فیدوروفتی ! أحب أن أرجوك ، قبل أن نتاج الاستجواب ، أن تؤكد لی ـ اذا كنت توافق علی ذلك ـ أنك لم تكن تحب فیدور بافلوفتش كثیرا، وأن مشاجرات كثیرة كانت تقع بینكماه لقد صرحت أنت تفسك ، منذ ربع ساعة ، فی هذا المكان نفسه ، اذا لم یخطی، ظنی ، أنك كنت تنوی أن تقتله ، لقد صحت تقول : « كنت أرید أن أقتله و یه و

_ أقلت أنا هذا ؟ أوه ! جائز أيها السادة ! نمم ••• وا أسفاه ! لقد تمنيت أن أقتله ، وراودتنى نفسى على هذا مرارا ••• وا أسـفاه ! وا أسفاه !

ــ كنت تنوى اذن أن تقتله ، فهل تستطيع أن تشرح لنا أسباب هذا الكره الذي كنت تحمله لأبيك ؟

قال مينيا بلهجة متجهمة وهو يرفع كتفيه ويخفض رأسه : _ لمس هناك ما يُشرح أيها السادة ! أنا لم أخف عواطفى ، والمدينة كلها تعرفها ، حتى أن الناس يتحدثون عنها في الكاباريه • ومنذ بضعة أيام لا أكثر ، عبرت عنها في الدير ، في حجرة الشمسيخ زوسيما ••• وفي مساء ذلك اليوم نفسه ضربت أبي وأوشكت أن أقتله ، وحلفت أمام شهود لأعودن َّ فأجهز عليه • أوه ! في وسعكم أن تجدوا ألف شـــاهد على َّ ، بغير عناء • اني لم أزد على أن هدأت كُرهي له خلال هذا الشهر ••• النــاس جميعاً يشــهدون ٥٠٠ الوقائع متوفرة ٥٠٠ الوقائع تتكلم من تلقاء نفسها ، بل هي تصرخ ٠٠٠ أما عواطفي أيها السادة فأمرها أمر آخر ! يخيل الى أيها السادة (وهنا قطب مينيا حاجبيه) أنه ليس من حقكم أن تسألوني عن عواطفي • ان وظائفكم تحفولكم سلطات ، أنا أعرف هذا وأفهمه ، ولكن عواطفي هي من شأني أنا ؟ هي تتصل بحياتي النفسية ، الحميمة ٠٠٠ على كل حال ، ما دمت لم أكتمها حتى الآن ٥٠٠ لم أكتمها في الكاباريه مثلاً ، وكنت أكاشف بها أول قادم ، فليكن ما تريدون ! فلن أخفيها عنكم أنتم أيضاً • أيها السادة ، انني أدرك حق الادراك أن الشبهات كبيرة وأن القرائن قوية : فلقد أعلنت لجميع الناس أنني سأقتله ، وها هو ذا يُنقتل • فكيف لا أكون أنا القاتل والحالة هذ. ؟ هأهاً ! انني أعذركم أيها السـادة ، أعذركم كل العذر . أنا نفسي قد أذهلني هذا الحادث : من عسى يقتله اذا لم أقتله أنا ؟ أليس كذلك ؟ اذا لم أقتله أنا فمن يقتله ؟ من ؟ من ؟ (ثم صاح فجأة يقول :) أريد أن أعرف منكم أيها السادة ، أطالكم بأن تقولوا لى الحققة : أين و ُجد مقتولاً ؟ وكف قتل ، بأى سلاح وفي أية ظروف ؟ قولوا لى هذه الأمور ! (كذلك ردُّد بقوة ، وهو ينظر الى وكيل النابة وقاضي التحقيق واحداً بعد آخر ﴾ •

أجابه وكيل النيابة قائلاً :

ـ وجدناء راقداً على ظهره فوق أرض النرفة ، مكسور الجمجمة •

مته ه

قال ميتيا مرتجفاً وهو يضم كوعيه على المائدة ويعخفي وجهه بيده اليمني :

_ هذا فظيع أيها السادة !

وتدخل نيقولا بارفينوفتش قائلا :

_ لتتابع الاستجواب • لأى سبب كنت تكره أباك ؟ لقد صرحت على رءوس الأشهاد ، فيما أظن اتنى أعلم ، أن لفيرة هى التي كانت تؤلك علمه ، فهل هذا صحح ؟

_ هي الغيرة ان شئتم • ولكن الغيرة ليست السبب الوحيد لموقفي

۔ لمل هناك خصومات على مال ؟

ـ تعم ، نعم ، مسائل مالية .

_ كان الخلاف يدور، اذا لم يخطئ ظنى ، على ثلاثة آلاف روبل هي من حقك في الميراث ولم يدفعها لك •

قال ميتيا مستاء ":

ـ ثلاثة آلاف روبل ؟ بل أكثر كثيراً ، أكثر كثيراً ، كان مديناً لى بأكثر من سستة آلاف ، قلت هذا لجميع الناس ، صحت به في كل مكان ! ولكنني كنت مستمداً لقبول ثلاثة آلاف روبل تسساهلاً ، لأنني كنت في حاجة مستمجلة رهبية الى هذا المبلغ ٥٠٠ فكان ذلك الظرف الذي يضم ثلاثة آلاف روبل والذي يوجد تحت وسادته ، (أنا أعلم ذلك) والذي أعداً هو لجروشنكا ، كان في نظري مالاً سُرق مني ، هل تفهمون أيها السادة ؟ كنت أعد ذلك المبلغ حقاً من حقوقي ، وملكاً شرعاً لى ه

بادل وكيل النيابة قاضى التحقيق نظرة ذات دلالة ، وغمزه بعيسه غمزة خفيفة .

أسرع القاضي يقول :

ــ سنعود الى هذه المســـألة • واسمح لى أن أسجل هذه النقطة بعينها : وهى أن ذلك المبلـــغ المودع فى الظرف كان فى رأيك حقاً شروعا لك •

ـ اكتبوا أيها السادة ! انني أدرك أن هــــذا قرينة جديدة على " ، ولكنني لا أخشى شيئًا ، ولسوف أمدكم بقرائن أخرى • سوف أمدكم أنا نفسي بقرائن أخرى ، هل تسمعونني ؟ يبدو لي أيها السادة أنكم ترون فيَّ رجلاً مختلفا كل الاختلاف عمًّا أنا في الواقع (كذلك أضاف يقول حزينا مظهلم الوجه) • ان أمامكم أيها السادة أنسسانا صادقا مستقيما لا يعرف طبعه الالتواء والمخاتلة ، ان أمامكم انسانا ــ لا يغب هذا عن بالكم ــ ان يكن قد ارتكب حقارات كتسبيرة ، فانه ظل دائما في قرارة نفسه ، أعنى في أعماق قلبه ، طاهرا ٠٠٠ الخلاصة ٠٠٠ انني لا أحسن الأفصاح عما بنفسي ٠٠٠ لقد تألمت طول حاتي بسبب اندفاعات روحي الى ما هو خير وسمو ، وكنت أبحث عن نبل الطبعة الانسسانية بحث ديوجين عنــه ان صح التعبير ، حاملاً مصــباحا ٥٠٠ ورغم ذلك قارفت دناءات في كل خطوة من خطواتي ، كما تقارف جميما هذه الدناءات أيها السادة ٥٠٠ أقصد ٥٠٠ لا ٥٠٠ لا كما تقارفها جمعا ، بل كما أقارفها أنا وحدى ، لقد أسأت التميير يا سادتي ٠٠٠ نعم ، كما أقارفها أنا وحدى ٠٠٠ ان بي صداعا أيها السادة (كذلك قال فعجأة وقد تقبضت قسمات وجهه على ألم) ٥٠٠ نعم يا سادتني ٥٠٠ كنت أكره مظهره ؟ كان في جسمه شيء يوحي بالدنس ، كان فيه تبجح واحتقار لكل ما هو عظيم مقدس ، كان فيه سخرية وكفر ! أوه ! كان هــــذا دنيثًا ، دنيئًا جداً ! ولكنني أفكر الآن غير هذا التفكير بعد أن غاب عن الوجود •

_ غير هذا التفكير ؟ ماذا تمنى ؟

ـــ لا غير هــــذا التفكير ، ولكننى آسف لأنى كرهته ذلك الكره الشديد كله ه

ــ أأنت نادم اذن ؟

ــ لا ، لا يعنى ذلك اننى نادم ، لا تكينوا هــــــذا ! أنا نفسى ملى، باليموت أيها السادة ! أنا لست مثال جمال النفس ، فلم يكن من حقى اذن أن أنفر منه ذلك النفور كله ٥٠٠ هذا ما تستطيمون أن تكتبوه ٠

وبدا على منا ، بعد هذا الجواب الأخير ، أنه قد خارت قواه جداً على حين فجأة • وكان وجهه قبل ذلك ببضــــع دقائق قد أخذ يزداد اكفهراراً وجهامة كلما تتابع الاستجواب • وهذا مشهد لم يكن في الحسبان يقع بفتة ك في تلك اللحظة نفسها • كانت جروشنكا قد أبعدت من الغرفة طبعاً ، ولكنهم لم يقصوها الى مكان ناء ، وانما أودعوها في الغرفة الثالثة ، وهي غرفة لا يفصلها عن الغرفة الزَّرقاء التي ينجلس فيها ميتيا والقاضي الا القاعة التي قام فيها الرقس وتم فيها القصف أثنا الليل • هي غرفة صغيرة ذات نافذة واحدة جلست فيها جروشنكا بصحبة ماكسيموف الذى روَّعته الأحداث فكان يتشبث بجروشنكا تشبث الغريق بلوح النجاة • وعلى باب تلك الفرفة كان يرابط فلاح على صدره صفيحة من ممدن • كانت جروشنكا تبكى ، وها هي ذي تحس فجأة أنها أصبحت لا تقوى على كبع حزنها ، فاذا هي تنهض وتضم يديها احداهما الى الأخرى ، وتصبع قائلة : « يا للشقاء ! ، ، ثم تندفع الى خارج النرقة ، متجهة اليه ، الى عزيزها ميتيا ؟ وقد تم ذلك على نحو بلغ من المباغثة أن أحداً لم ينسع وقته لصدُّها • وقد سمع مبتيا صرختها ، فارتمش ، ووثب عن كرسيه ، وأطلق من صدره نوعاً من العويل ، واندفع تحوها طائش العقل ، كأنه نسى الوضع الذي هو فيه •لم يُشرك لهما أن يلتقيا ، وان تكن نظراتهما قد التقت • أأمسك ميتبا بقوة ، فأخذ يصارع حانقاً مسعوراً ، ولم تمكن السيطرة عليه الا يتعاون ثلاثة رجال أو أدبعة • وأنسكت هي أيضاً ، ورأى ميتا كيف كانت تصرخ وتمد اليه ذراعيها في لوعة شديدة بينما كانوا يقتادونها • حتى اذا رجع كل شيء الى الهدوء وجد ميتا نفسه مرة أخرى في ذلك المكان نفسه ، أمام المائدة ، قبالة القاضى ، فصاح يسأل التاضى قائلاً له :

ــ ماذا فعلت لكم ؟ لماذا تعذبونها ؟ انها ليست مذنبة ، انها لم تصنع شئاً ٥٠٠٠

فحاول وكيل النيبة وقاضى التحقيق أن يهداه • وانقضت على هذه الحال عشر دقائق • وأخيراً عاد الى الغرفة ميشيل ماكاروفتش الذى كان فد غاب ؛ وتقدم نحو وكيل النيابة بخطى سريعة وقال له بصوت عال واضطراب شديد :

_ !بمدناها من هنا • همى الآن تحت • هلى تأذنون لى أيها السادة أن أقول كلمتين لهذا الانسان العاتر الحظ ، كلمتين لا أكثر ؟ بحضوركم أيها السادة ، بحضوركم •••

فأجابه القاضي:

_ لك ما تشــــاء يا مشيل ماكاروفتش ، نحن لا نرى في هذا أى بأس ، في هذه الحالة الخاصة .

فبدأ ميشيل ماكاروفتش يقول مخاطباً ميتيا :

_ دمتري فيدوروفتش ، بني المسكين ، أصنم الي ٠٠٠

كان وجهه ، المحمر من الانفعال ، يعبر عن شفقة على المسكين تشبه أن تكون شفقة أب ، وتابع كلامه قائلاً :

لله لله الله الله بنات صاحب النزل ؟ كما أن السجوز الصنير ماكسيموف وعهدت بها الى بنات صاحب النزل ؟ كما أن السجوز الصنير ماكسيموف

أصبح لا يتركها و وقد كلمتها ، وطمأتها ، هل تسمعنى ؟ أفهمتها أن عليك أن تدافع عن نفسك ، أن تبرى ، نفسك ، فما ينبغى لها أن تمنمك من ذلك يتشويشك ، والا فقد تدلى من تسمد اضطرابك بأقوال خطأ شهد عليك ، هل تفهمنى ؟ الخلاصة ، و ه أقتمها فقالت انى على حق ، انها ذكية وطبية جداً ! كانت تريد أن تقبل يدى "لأننى شيخ عجوز ، وتضرعت الى من أجلك ؟ وطالبتى ملحة "بأن أجى اليك لأطلب منك أنتكون مطمئن البال عليها ، يجب أن تطمئن يا عزيزى ، وأريد أن أعود اليها الآن لأبلغها أنك مطمئن وأنسك لا تختى عليها من شي ، ه اعود اليها الآن لأبلغها أنك مطمئن وأنسك لا تختى عليها من شي ، ه هدى ، نفسك يا عزيزى ، ذلك واجبك ، أنا أحس بأننى مذب في حقها ، ان لها نفساً مسيحية ؟ نهم يا سادتى : هى طفلة وديمة بريئة ، هسل أستطع أن أبلغها يا دمترى فيدوروفتش أنك ستهدأ الآن ؟

كان الرجسل العليب يخبط فى كلامه خبط عتسمواء • ان ألم جروشــنكا ، هذا الألم الانسمانى ، قد نفذ الى قلبه رأســاً ، فكان فى عنيه دموع • نهض ميتيا واندفع نحوه ، وصاح يقول :

باذنكم يا سادتي ، باذنكم ، انك يا ميشيل ماكاروفتش ملاك من ملائكة العنير ، شكراً لك من أجلها ، سم ، أنا هادى ، قل لها هـ ندا ، وسأكون مرحاً ، و ح ، قل لها ، بما لك من طبية وأرينجة ، انني مرح ، مرح جداً ، حتى لأشتهى أن أضحت ، لعلمي بأنها في حماية ملاك حارس مثلك ، سأنهي هذا الالباس بسرعة ، حتى اذا انتهيت ، خففت اليها السادة (كذلك قال يخاطب افتح التحقيق ووكيل النابة) ، سوف أقتح لكم نفسي كلها ، يخاطب قاس الكم بكل شيء ، فنفرغ من هذا الحادث بسرعة وتنهي منه مرحين ضاحكين ، لأنسا سنضحك جميعا في النهاية ، أليس كذلك مرحين ضاحكين ، لأنسا سنضحك جميعا في النهاية ، أليس كذلك يا سادتي ؟ ٥٠٠ ان هذه المرأة هي ملكة قلبي ! أوه ! اسمحوا لى أن

أقول لكم اننى أشعر بالحاجة الى أن أفضى اليكم بما فى فلبى ٥٠٠ لأنتى أرى أن أملى أناساً لهم تفوس نيلة و انها ضيائي وحياتي أيها السادة ! آد ٥٠٠ ليتكم تعلمون ! هل سمعتم كيف صرخت تقول : د سأشار كك المقوبة القصوى ! • ؟ فعاذا أعطيتها أنا الذى لا أملك شيئاً ، حتى أستحق منها مثل هذا الحب ؟ لست جديرا بهنذا الحب ، أنا الاسسان السيء ، بوجهى المنفر ، وسلوكى الأخرق ، ومظهرى القيل ، أأنا جدير بمثل هذا الحب ؟ هاذا فعلت فى سسيلها حتى تكون مستعدد لأن تتبغى الى سجون الأشفال الشاقة ؟ لقد ارتمت على أقدامكم منذ هنيهة فى سبيل ، هى الشماء التي لم ترتكب ذباً يمكن أن تلام عليه ، فكيف لا أعدها ، كيف لا أندفع تحوها كما اندفعت منذ لحظة ؟ اغفروا لى أيها السادة !

قال مبتا ذلك وعاد يتهالك على الكرسى ، وأخفى وجهه بسديه وأخذ يبكى ناشجاً منتجاً و ولكن دموعه في هسده المرة كانت دموع التخفف والسكنة والطمأنية • كان يشعر أنه استرد ذاته ورجع الى نفسه • وأشرق وجه رئيس الشرطة ، وظهر الرضى والارتياح على رجلى القضاء أيضا : لقد أحسا أن الاستجواب سيدخل مرحلة جديدة • ورجع متيا اليهما بعسد أن ثبيع رئيس الشرطة ، عاد هادىء النفس مطمئن الحنان • وقال :

_ والآن أيها السادة ، أضع نفسى تحت تصرفكم ، ولكن ليسكم ترضون أن لا ترتبكوا بجميع تلك التفاصيل ، فتقاهم عنسدئذ بسرعة كبيرة ، انتى أتبه فى تلك التفاصيل ، أنا مستمد أيها السادة ، ولكن صدقونى اذا قلت لكم : ان الثقة المتبادلة لا بد منها ولا غنى عنها فى مثل هذه الحالة ، يجب أن تصدقونى كما أصدقكم ، والا فلن نصل أبدا الى

النهاية • أقول لكم هذا لمصلحتكم أتم • فهياً بنا أيها السادة ، هيا بنا الى الوقائع ! ولكن كفوا خاصة عن النبش في نفسي ، ولا تعذبوني في سبيل سفاسف وترهات ؟ ألقوا على أشلة "تصل بالقضية وحدها دون غيرهاه اطلبوا وقائع ، وقائع ، ولأجيئكم بما يرضيكم كل الارضاء • دعونا من النفاصيل !

كذلك صاح ميتيا ، واستؤنف الاستجواب •

ع الحية الثانية

نيتولا بارفينوفنش كلامه قائلاً :

لا تستطیع أن تنصور یا دمتری فیدوروفتش
 الی أی مدی تشجعنا نیتك الطبیة هذه ***

كان الرضى يُقرأ فى عنيسه النسسهاوين الواضحين الحسيرين اللتين رفع عنهما النظارتين حين بدأ كلامه • وتابع

ـ ان ما قلته عن ضرورة الثقة المتبادلة صادق كل لصدق صحيح كل الصحة ، ان هذه الثقة المتبادلة شرط أساسى فى قضسية لها هذه الخطورة ، ولا سيما حين يريد الشخص المتهم أن يبرى، نفسه وحين يكون فى امكانه أن يبرى، نفسه ، نحن من جهتنا سنفعل كل ما يتملق بنا ، ولا بد أنك لاحظت بنفسك بأية روح نجرى هذا الاستجواب ٠٠٠ أنت توافقنى على هذا يا هيبوليت كيريلوفتش ، أليس كذلك ؟ (أضاف هذا مخاطا وكيل النابة فحاة) ،

أجاب وكيل النيسابة مؤيداً ، ولكن بلهجة جافة بعض الجفاف ، لهجة تتعارض مع ما أظهره قاض التحقيق من اندفاع حار :

_ بدون شك •

يقول:

ولنذكر مرة ً واحدة أن نيقولا بارفينوفتش الذي وصل الى مدينتنا .

منذ زمن قصير والذي هو في بداية عهده بمهنته ، قد سمر دفعة واحدة باحرام عظيم لنسخص وكيل النيابة عندنا هيوليت كيريلوفتش ، فاسقدت بين الرجلين صداقة قوية ، وكان على كل حال هو الانسان الوحيد المؤمن حقا بالمو.هب السيكولوجية والخطابية الفذة التي ينمم بها هيوليت كيريلوفتش ، الذي لم يقدر حق قدره ، وكان يعتقد هو أيضا ، اعتقاداً جازماً ، بأن المراجع العليا تظلم وكيل النيابة هذا الذي سمع عنه في سان بطرسبرج قبل أن يجيء الى مدينتنا ، وكان نيقولا بارفينوفتش ، الشاب بطرسبرج قبل أن يجيء الى مدينتنا ، وكان نيقولا بارفينوفتش ، الشاب القدر ، بماطفة صادقة ، وقد اتسع وقتهما في طريقهما الى موكرويه ، لأن تتفق آراؤهما في هذه القضية ، ولأن ينجما على الموقف الواجب اتخاذه ، والطريقة الواجب تبنيها ، بحيث أن الفكر المرهف الذي ينم به نيقولا بارفينوفتش يلتقط الأن بسرعة البرق أخفى الخواطر والنوايا التي تجول في ذهن زميله الأكبر منه سناً ، ويحزرها بنصف كلمة ، باشارة خاطفة ، بحركة في عضلات وجهه ، بفعزة من عينيه ،

استأنف ميتيا كلامه متحمساً :

ــ دعونی أتكلم أیها السادة دون أن تقاطعونی مستوضحین تفاصیل تافهة ؟ وسأبسط لكم القضیة كلها بسرعة ه

ــ موافق • شكراً لك • على أننى قبل أن أسمع ما تريد أن ترويه لنا أحب أن أستوضح واقعة صغيرة تهمنا كثيراً ، هى مسألة تلك الروبلات العشرة التى افترضتها أمس مساءً ، فى نتحو الساعة الخامسسة ، من صديقك بطرس ايتلتش ، وأودعته مسدسيك رهناً •

- صحيح أيها السادة ، نعم ••• وهنتهما ! أى شيء خارق فى هذا ؟ اننى ما ان عـــدن الى المـــدينة بعد تلك الرحلة ، حتى رهنت المسدسين ••• الأمر بسبط جدا •

_ بعد تلك الرحلة ؟ هل تغييت اذن ؟

طبعا ! سافرت الى خارج المدينة ، على مسافة أربعين فرسخاً من
 منا • أكتم تجهلون ذلك اذن ؟ تبادل وكيل النيابة وقاضى التحقيسق
 النظرات •

ـ لعلك تحسن صنعاً اذا أنت بدأت بسطك للقضية بأن تصف لنا على وجه الدقة توزع وقتك بالأسس منذ الصباح • اسمح لى أن أسألك مثلاً ، ماذا كان الفرض من تغييك ، ومتى سافرت ، وفي أية سساعة رجعت • ان جميع هذه الوقائع •••

قاطعه ميتيا وهو ينفجر ضاحكا :

- كان ينبغى أن تسألنى عن ذلك فسوراً • بل اننى لأعتقد أنه يعسن أن نبدأ القصة لا من أمس بل من أمس الأول ، من صباح أمس الأول ، وستفهمون عنسد ثد لماذا قمت بتلك الرحلة ، وماذا كان هدفى منها ، وما هى الفلروف التى أحاطت بها • فى صباح أمس الأول ، أيها السادة ، ذهبت الى التاجر سامسونوف على نية أن اقترض منه ثلاثة آلاف روبل لقاء ضمانات موتوقة تماما • ذلك اننى احتجت الى هذا المبلغ احتباجا مستمجلا على حين فجأة ، احتباجا مستمجلا على الها السادة ، • • •

قاطعه وكيل النيابة يسأله بأدب:

ــــ اسمح لى أن أسألك لماذا احتجت فجأة الى المال ، ولأى غـــرض وجب عليك أن يكون ملك ثلاثة آلاف حتماً ؟

ـ ما فائدة هذه التفاصيل كلها أيها السادة ؟ لمـــاذا ومتى وكيف وأبين ٥٠٠ ما فائدة هذا كله فى الواقع ؟ لأن أحتــــاج الى ثلاثة آلاف روبل أو الى أى مبلغ آخر ٥٠٠ لن تفرغ من الأمر أبداً اذا تحن تهنا فى هذه التفاصيل الدقيقة ! لسوف تحتاج عندئذ الى ثلاثة مجلدات على الأقل ، عدا المقدمة ! •••

كان مينيا يتكلم بلهجة خالية من الكلفة رغم التململ ، لهجة انسان يريد أن يذكر الحقيقة كاملة وتحركه أطيب النوايا • واستأنف كلامه فجأة يقول :

— لا تؤاخذونى أيها السادة على هذه العضونة • تقوا أتنى أشعر نحوكم بكل الاحترام الواجب لكم على واتنى مدرك موقفى تمسام الادراك • وهأنذا أكرر ما سبق ان قلته : لا تظنوا كذلك أتنى ثمل • فقد صحوت من سكرى كل الصحو • ولكن حتى لو كنت ثملا ، فان ذلك لن يغير من الأمر شيئاً • ولن يكون له أى تأثير فيما سأوضحه لكم• أنا واحد من أولئك الذين يصدق فيهم قول الشاعر :

انا ان صحوت رأيتني غبيا فاذا سكرت غدوت عبقريا 1

ما ما ما ! ولكننى ألاحظ أيهسا السادة أنه لا يلسق بى الآن أن أن أنكت ، الى أن نفرغ من ازالة هذا الالتباس على الأفل ، فاسمحوا لى اذن أن أحافظ على وقارى ، الني أدرك حق الادراك التفاوت القائم بينا الآن : فأنا على كل حال انما أقف أمامكم موقف مجرم ، فهيهات أن أكون لكم ندا ، ان مهمتكم هي أن تراقبوني ، ولا شك أنكم لن تلاطفسوني وتلاعبسوا بأيديكم شسعرى وتهتوني على الحسادت الذي وقع لى مع جريجورى ، فليس من الجسائز للانسان أن يصرع الشيوخ بغير ذنب جنوم ، وأنا أعلم حق العلم أنكم متطالبون بأن يتحكم على المسجن ستة أشهر أو قولوا سنة ، معاقبة لى على هذا الفعل الذي اجترحته ، ولكن متوط مدنى ، أنا لست معراضاً للحرمان من حقوقي المدنية ، أليس

كذلك يا وكيل النيابة ؟ قلت اذن أيها السادة انني أدرك حق الادراك الفرق بين موقفي وموة كم ••• ومع ذلك أرجوكم أن تعترفوا من جهتكم بأن الله نفسه يمكن أن تربكه أسئلة من هذ النوع : كم خطوة مشيت ، في أي لحظة رفعت قدمك اليسرى ، في أية لحظة أنزلت قدمك اليمني ، على أي شيء سرت ؟ اذا أخذتم تلقون على مثل هذه الأسئلة ، فسأرتبك أُخْيرًا ، وستسجلون الخطأ الذي سأقع فيه ، وسينشأ عن ذلك أن لا تصل الى شيء • وما دمت قد بدأت بيعض الكذب ، فلا بأس أن أستمر في الكذب ، وستنفرون لى كذبي ، لأنكم أناس مهذبون متقفون ثقافة عالـة. أحب في الختام أن أرجوكم أيها السادة أن تقلموا عن تلك الأساليب البالية في الاستجواب ، أعنى البدء بالقاء أسئلة تافهة : كنف نهضت من نومك هذا الصباح؟ ماذا أكلت؟ أين بصقت؟ ثم المبادرة ، بعد ، تنويم يقظة المحرم ، على هذا النحو ، الى ماغته فجأة بهـ ذا السؤال : • أين قتلت القتبل وسلبته ماله ؟ ، • هأ هأ ! ••• ذلكم هو روتينكم ، ذلكم هو علمكم كله ۽ تلكم هي الحيلة الكبري في أسلوبكم ! قد تستطعون أن تماغتوا فلاحين بمثل هذه الأنواع من المكر ، ولكن ذلك لا ينطلي عليُّ أنا! أنا نفسي خبر في هذه الشئون ، لقد عملت أنا أيضًا في هذا المجال ... هأ هأ هأ ! لا تزعلوا يا سادتي ، واغفروا لي هذه الوقاحة (كذلك صاح وهو ينظر اليهما ببراءة تبعث على الدهشة) فما دام ميتكا كارامازوف هو الذي يتكلم بهذه الطريقة ، فإن التسامح والتساهل ممكن ، لأن ما لا يمكن غفرانه اذا هو صدر عن رجل ذكى ، يجب أن لا يكترث به حين يكون ميتكا هو الذي يقوله ! مأ مأ ! •••

كان يقولا بارفينوتش يضحك أيضا وهو يصفى الى مينيا ، ولكنه كان يلاحظه بالحاح ، ولا يحول عنه بصره النافذ ، ويحاول أن يسمجل كل كلمة من كلماته بل وأيسر حسركة من حسسركاته ، وحتى أخف الاختلاجات في عضلات وجهه ه

قال القاضي وهو ما يزال يضحك :

_ يجب أن تنصفنا هذا الانصاف على الأفل ، فتمترف بأنا لم تستمل معك هذا الأسلوب • .تنا لم تحاول أن تربكك يسؤالك كيف نهضت من نومك في العسسباح وماذا أكلت ، وانما واجهنا الأمر الأسساسي دفعةً واحدة ، بسرعة لعلها كانت مفرطة أيضا •

ـ اتنى أفهم هذا وأقدره حق قدره • وأقدر كذلك ما أظهرتموه نحوى من طيبة وشهامة تدلان على سعو أخلاقكم • اتنا جميعا ، تحسن الثلاثة صادقو النية تحركنا أبل المساعر • فليجر كل عي، بيننا كما ينبغى أن تجرى الأمور بين أصحاب ينق بعضهم ببعض ، وتربطهم روابط النبلة والشرف! اسمحوا لى على كل حال أن أعدكم أصدقاء في هذه الماقية من حياتى ، في هذه الماعة التي يذل فيها شرفى أكبر الاذلال! أرجو أن لا يسوءكم هذا يا سادتى!

قال تيقولا بارفينوفتش مؤيداً :

بالعكس! لقد عبَّرت أحسن تعبر ، ووجدت أنسب الكلمات!
 صاح مبنا يقول بحماسة:

ــــ أما التفاصيل ، أما تلك التفاصــــيل الزخرفية الســخيفة كلها ، فلندعها وشأتها ، والا لم تعلم الى أين يمكن أن ينتهى هذا كله ، أليس ذلك صحيحا يا سادتي ؟

قال وكيل النيابة يخاطب ميتيا فحِأَة :

سـ أنا مستعد كل الاستعداد لأن آخذ بنصائحك السديدة ، ولكنني

لن أستطيع مع ذلك أن أعسدل عن سؤالى • فانه لعلى جانب عظيم من خطورة الشأن في نظرنا أن نعلم لماذا احتجت ذلك الاحتياج الشديد كله الى هذا المبلغ ، أغنى الى الثلاثة آلاف روبل •

لاأدة احتجت الى ذلك المبلغ ؟ احتجت اليه لأسباب عدة ٠٠٠ الخلاصة : لأرد ديناً على ٠٠٠

۔ دیناً لمن ؟

دنك أرفض أن أقوله لكم وفضاً قاطماً أيها السادة! أرفض أن أقوله لكم الا عن خوف من أى شيء ، المؤلف لكم الا عن خوف من أى شيء ، يل لأن الأمر في الواقع هو من السفاسف التي لا قيمة لها البتة و ولئن صمت عنه مع ذلك ، فلأن القضية قضية مبدأ : ان هذا السؤال يمس حياتي الحاصة ، ولن أسمح لكم بالندخل في حياتي الحاصة و لا ٥٠٠ هنا لا تسامح ولا تنازل! ان ما تسألون عنه لا علاقة له بالقضية ، وكل ما يتجاوز هذه المحدود فهو من حياتي الخاصة! لقد أردت أن أرد دينا أرد المن شرف ، ولكنني لن أذكر لكم اسم الشخص الذي كنت أريد أن أرد الد أو الداللة الدين ه

قال وكيل النيابة :

_ اسمح لنا بتسجيل تصريحك .

سجلوا ما شتم ! اكتبوا أننى لن أجيب عن هذا السؤال بحمال من الأحوال! اكتبوا أن في الاجابة عن هذا السؤال اخلالاً بشرفى!
 ليس الوقت هو ما يعوزكم فيما يبدو!

استأنف وكيل النيابة كلامه قائلاً بصوت أصبح قاسياً رصيناً على حين فجأة : - أعتقد أن من واجبى أن أنبهك أيها السيد ، اذا كنت تجهسل ذلك ، أن من حقك طبعا أن لا تجيب عن الأسسئلة التى تلفى عليك ، وأننا لا نملك أن نجرك على الاجابة ذا أنت رأيت لسبب من الأسباب أن تخفى هذه النقطة أو تلك من النقاط ، ولكن من واجبا أيضا أن نلمت نظرك الى الأذى الذى يمكن أن تلحقه بنفسسك اذا أنت رفضت الادلاء بالمعلومات المطلوبة ،

دمدم ميتيا يقول وقد اضطرب من اللهجة الرصينة التي خاطبه بها وكيل النيابة :

ـــ ولكننى يا سادتى لم أغضب ٥٠ أنا ٥٠ أنا ٥٠ ان سامسونوف ذاك الذى ذهبت اليه حينذاك ٥٠ يا سادتى ٥٠

لن نظل هنا سلسلة الوقائع التى ذكرها مبنيا ، فان القارى، يعرفها، لقد أراد مبنيا أن يقدم عرضاً كاملا ومفصلا ، وكان من جهة أخسرى يستعجل انجاز حسفا المرض ، لذلك كان يتسكلم مسرعاً ، غير أن تصريحاته كانت تسجل نبيئاً بعد ئى، ، فكان هفا يضطره الى الشوقف دئما من حين الى حين ، وكان هسفا التوقف يضايقه ويزعجه ، فكان يتوقف عن الكلام وهو يدمدم متململا ، ولكن دون أن يخرج عن طبته وبساطته ، كان يتفق له أن يصبح قائلا في بعض الأحيان : « أيها السادة، لو كان الله نفسه في مكاني لضافي صدره في هذه الظروف ! » أو « لست أدى أيها السادة ما القائدة من امتحان أعصابي على هذا النحو ! » ، ولكن دون أن يفسد من ذلك مزاجه الذي كان عند ثد منطقاً ودوداً ، ووي كيف أن ساسونوف قد خدعه قبل يومين (لقسد أخذ يدرك الآن أن ساسونوف ضلكه وغرر به) ، وذكر أنه باع سساعته بستة روبلات ليمكن من السفر ، وتلك واقعة كان يجهلها وكيل النيابة وقاضي التحقق، ليمكن من السفر ، وتلك واقعة كان يجهلها وكيل النيابة وقاضي التحقق،

الحاحهما على هذه النقطة أن أخرجا ميتيا عن طوره ، لأنهما رأيا أن من الضرورى تسجل هذه الواقعة ، دليلاً جديدًا على أنه كان عشبية وقوع الجريمة لا يكاد يملك قرشاً واحداً • ومنذ تلك اللحظة أخذ يتجهم وجه ميتيا مزيداً من التجهم شيئاً بعد شيء • وبعد أن روى قعمة ســفرة سعاً الى لياجافي ، وقضائه ليلة " في الكوخ الذي يملؤه الدخان ، وصف عودته الى المدينة ، وأخذ يصوِّر ، من تُلقاء نفسه في هذه المرة ، دون أن يُطلب منه ذلك ، جميع تباريح غيرته على جروشنكا • فكان القاضيان يصغان الله بانتباء صامتين م وقد سحلا خاصة أنه كان قد أنشأ منسذ زمن طويل ، مركزاً للمراقبة وراء منزل فدور بافلوفتش في حسديفة ماريا كوندراتيفنيا ، وأنه كان يترصيب جروشنكا من هنساك ، وأن سمر دياكوف كان ينقل اليه أخباراً ويطلعه على ما يجرى في منزل أبيه • هذه الظروف كلها قد سُجَّلت بكثير من العناية والاهتمام • وتكلم ميتيا عن غيرته بافاضة وانفعال • فانه رغم الحرج النفسي الذي شعر به من عرض عواطفه الحميمة وتعرية نفسه تعرية" تسيء الى هيرفه أمام الناس ، قد حاول أن يتغلب على هذه القاومات وأن يذلل هذه الصعوبات حرصا منه على أن يقول الحقيقة صادقًا • غير أن النظرات القاسبة الباردة التي كان يصبها عليه قاضي التحقيق ووكيل النيابة محدِّقين اليه متفرسين فيه أثناء روايته القصة قد اضطربت منها نفسه آخر الأمر • قال في سرتم أحاديث ثافهة غثة عن النساء ، وان وكيل النيابة هذا المريض النفس ، لا يستحقان أن يسمعا ما أفضى اليهما به من اعترافات نفسى. يا للمار! ٥٠ ولكنه استرد عزيمته مردداً ذلك البت من الشعر الذي يقول : • قلمي اعتصم بالصبر والاذعان ، • وتابع يروى قصته مجاهداً متجلداً • قلما وصل من حسديته الى الكلام على زيارته للسيدة موخسلاكوقا البسطت

أساريره من جديد وشاع في نفسه المرح ، وأوشك أن يروى نكتة عن هذه السبيدة كانت تشيع في صسالونات المدينة ، ولكنها لا تناسب الظروف كثيراً لذلك استوقفه القاضي عن الكلام بلطف وكياسة ، راجيا منه أن ينتقل الى وقائم أهم ، وحين وصسف انصرافه من منزل تلك السيدة واليأس الذي اجتاح نفسه في الشارع ، لم يُسقط من حديثه تلك الواقعة ، وهي أنه قد خطر باله وهو فيما هو فيه من حيرة واضطراب على ذلك المبنق له الا أن يذبح أحدا ويسلبه ماله بأقسى سرعة للحصول على ذلك المبنق ، • م عند ثد طلب منه القاضيان أن يكرر أنه و قد خطر باله أن يذبح أحداً » وأسرعا يسجلان ذلك ، وتركهما مينا يسجلان أقواله دون امتعاض أو احتجاج ، فلما وصل من حديثة أخيرا الى المسحلة التي علم فيها فجأة أن جروشنكا قد كذبت عليه حين زعمت له أنها ستبقى عند سامسونوف الى منتصف الليل ، مع أنها في الواقع قد تركت التاجر المسجوز بعد أن ودعها مينا بضع دقائق أمام باب منزل كوذمتش ، لم يملك أن يمنع نفسه من أن يصبح قائلاً :

ــ لئن لم أقتل فينيا تلك حين علمت النبأ ، فان السبب الوحيــــد يا سادتي هو أنني قد أعوزني الوقت ه

سُمِجَّلَت هذه الأقوال كذلك بعناية واهتمام • فكان ميتيا ينتظر ، عابس الوجه مكفهر الأسارير ، أن يفرغ الكاتب من كابته ؟ وهم الن يفرغ الكاتب من كابته ؟ وهم الن يشرح بعد ذلك كيف أسرع الى حديقة أبيه ، ولكن قاض التحقيق قاطمه فجأة ، اذ فتح محفظة أوراقه الموضوعة على الكنبة قربه ، وأخرج منها مدق الهاون التحاسى ، وسأله :

ــ هل تعرف هذه الأداة ؟

فقال ميتيا وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

ــــ هذا ؟ آ ٥٠٠ نم ٥٠٠ طبعاً أعرفها ! أرنيها ٥٠٠ بل لا داعى لأن أراها ٥٠٠ ما فائدة ذلك ؟

... نسبت أن تتكلم عن مدق الهاون هذا ه

ما صحيح • كان يَشِنَى أَن أَذَكَر هَنْهُ الوَاقَعَةُ ، فَلُولًا هَذَا المَّدَقُ لما وقع شيء ، ولكن الأمر كان قد خرج من ذهني •

ــ هلا ً ذكرت لنا الظروف التي تسلحت فيها بهذا المدق !

ـ بكل سرور يا سادتى .

وروى ميتيا كيف تناول مدق الهاون من مطبخ فينيا عرضاً •

ــ ماذا كان هدفك من أخذ هذا السلاح ؟

۔ ماذا كان هدفى ؟ لم يكن لى غرض ، وائما أخذته هكذا •••

ــ ما هذا الكلام ؟ أكنت تأخذه لو لم يكن لك هدف ؟

غلى مبتيا حنقا • كان يتفرس فى « الفتى الفر » مبتسما ابتسامة عداء وكره • ذلك أنه كان يشعر بعزيد من الخزى والعار ، شيئاً بعد شىء ، من أنه ارتضى أن يصف • لأناس مثلهم ، ، بمثل هذا الصدق كله وبمثل هذا الاندفاع العاطفى كله فوق ذلك ، مشاعر الفيرة التى كانت تعذبه.

ــ مالنا ولهذا المدق اللمين ؟

ـ ولكن ٠٠٠

ـــ ولكن •• ولكن •• طبب •• كنت أريد أن أدافع عن نفسى من كلاب الشارع •• في الظلام •• احتياطا للمفاجأة ••

ـــ هل اعتدت ، من قبل ، حين تخرج ليلا ، أن تتسلع خوفا من الظلام ؟ ــ هوه ! حقاً انه ليستحيل الحديث ممكم أيها السادة ••• كذلك صاح يقول ميّيا وقد بلغ أوج النيظ والحنق •

ثم التفت نحو الكاتب ، فقال له بصوت فيه اهتياج غريب ، وقد احمر وجهه غضياً :

ــــ اكتب ٥٠٠ اكتب حالاً ﴿ اننى أُخَذَتِ المَدَقُ عَلَى نَيْهُ الفَعَابِ فَوْرًا الى أبى فيدور بافلوفتش ٥٠ لقتله ٥٠ لتحطيم جمعجمته ٥٠ ، ٥

ثم هتف يقول مخاطباً قاضى التحقيق ووكيل النيابة ، وهو يرشقهما بنظرة متحدية مستفزة :

ـــ أأنتم راضون الآن أيها السادة ؟ هل طبتم نفساً ؟ هل اغتبطت فلوبكم ؟

فأجابه وكيل النيابة بلهجة جافة :

- نرى انك قد أعطيت هــــذا التصريح بسبب حنقك منا وبسبب ضيقك بهذه الأسئلة التى تغلن أنها تافهة • ولكننا مضطرون الى القاء هذه الأسئلة عليك لأنها فى الواقع هامة جدا •

- أرجوكم أيها السادة ! أخذت هذا المدق ٥٠٠ طيب ! ان المرء يُشعر أحياناً بالحاجة الى أن يكون فى يده شىء ٥٠٠ الحق اننى أجهل لماذا أخذته • لقد أخذته راكضاً ، هذا كل شيء • ألا تخجلون أيها السادة ؟ دعونا من هذا ، والا فيميناً لن أحكى شناً بعد الآن !

قال ميتا ذلك ووضع كوعيه على المائدة ، وجعل رأسه فى يده ه كان جالســــاً الى جانب بالنســــبة الى الرجلين ، وكان ينظر الى الحائط محاولاً أن يسيطر على غضبه •وكان يغريه فعلاً أن ينهض وأن يصرح بأنه لن يقول بعد الآن كلمة واحدة « ولو سيق الى الموت » • قال فحيَّاة وهو يعجاهد في سبيل أن لا ينفجر :

- أشرفون أيها السادة ؟ اننى ، وأنا أصنى اليكم ، أشعر باحساس غريب ٥٠٠ يذكرنى هذا الاحسساس بحلم ٥٠٠ بحلم ما ٥٠٠ يعاودنى غريب من الأحيان أثناء النوم ٥٠٠ أحلم أن أحداً يطاردنى فى الليل ، فى الغلام ٥٠٠ أحداً أخاف منه خوفاً رهيا ٥٠٠ أنه يحت عنى ، وأحاول أنا أن أختبى و نه ، أن أغيب عن بصره ٥٠٠ فألوذ جباناً وراء باب أو وراء خزانة ، فألطو هناك جامداً لا أتحرك ٥٠٠ والرجل الآخر يعرف أين أنا ، يعرف مختبى ، ولكنه يتظاهر بأنه يجهله ليطيل عذابى ٥٠٠ وليتمتع بهلمى زمناً أطول ٥٠٠ ذلك هو بعينه ما تفعلونه أتم فى هذه اللحظة أيها السادة ! ذلك هو بعينه تماماً !

ــ أتراودك اذن أحلام فيها خوف وقلق ؟

_ أي تم ٥٠٠ ألا تريدون أن تسجلواهذا أيضاً ؟

_ لا . . . لن تسجله ، ولكنه اشارة هامة في الواقع ، الحق انك ترى أحلامًا غرية

ـــ غير أن ما أراه الآن ليس حلماً ! انه واقع أيها السادة ، هو واقع الحياة الرهيب ! أنا ذئب وأنتم الصيادون • فهلموا وراء الذئب !

قاطعه قاضي التحقيق قائلا له برقة ولطف :

ـ تخطىء أن ترى الأمور هذه الرؤية • لماذا هذا التشبيه ؟ .

فقال ميتيا غاضباً :

ـ بلى أيها السادة ! ان هذا التثنييه يصدق على الظرف الحاضر كل الصدق ! غير أن جوابه هذا قد خلف عنه ، فهدأ قليلاً ، وأخذت الطبيث تنزوء من جديد ، فتابع كلامه قائلاً :

_ من حقكم أن تشكوا فى مجرم أو متهم تعذبونه باستجوابكم ، ولكن حين يكون أمامكم انسان مستقيم نبيل أيها السادة ، وحين يكلمكم عذا الانسان مستسلماً لأصدق اندفاعات قلبه ، فما ينبغى لكم عندئذ أيها السادة أن تشكوا فى كلامه ٥٠٠ لا يحق لكم أن لا تصدقو. ٥٠٠ لا يحق لكم ذلك حنذاك و٥٠٠

٠٠٠ عليك بالصمت قلبي*

اصبر وأذعن ، وصمتا !

ثم سألهم فحأة وقد أظلم وجهه :

ــ أأستأنف سرد قصتي ؟

فأجابه نيقولا بارفينوفتش :

_ طبعا ! لقد هممت أن أرجوك أن تفعل •

0 الجينية الثالثة

ميا سرد صحة بعسوت كالع ، ولكنه يحاول لا ، أكثر مما كان يحساول قبل ذلك ، أن اكثر مما كان يحساول قبل ذلك ، أن يحسون من الواقام التفصيلية ، ووى كيف وتب قوق السور ليدخل الى حديقة أبيه ، ووسف مشبته الصامتة للاقتراب من النافذة ، وعرض عرضا دقيقا ماجرى أثناء اللحظات التي ظل فيها متربصا مراقبا وراء الشجيرات ، وصسور تصويرا واضحا ـ وهو يفصل كلماته ـ المواطف التي هزت نفسه حين كان يحول فلقاً أن يعرف هل جروشنكا عند أبيه أم لا ، ولكنه استغرب أن يرى أن وكيل النيابة وقاضى التحقيق يصفيان اليه في هذه المرة وقد ظل يرى أن وجههما قسوة ، واصطنما الجد والكلفة ، أصبحا لا يسألانه عن شيء ، كان يستحيل عليه أن يدرك من تعبير وجهيهما ما كانا يفكران فيه ، قال في نفسه : « لا شك أنهما غاضبان مستامان ؟ فليكن ما يكون ! ه ، حق اذا وصل من حديثه الى « الاشارة » التي قرر أن يستعملها حتى ختى اذا وصل من حديثه الى « الاشارة » التي قرر أن يستعملها حتى

يغلن أبوه أن جروشنكا وصسلت فينتج النافذة ، لا حسظ أن قاضى التحقيق ووكيل النيابة لا يوليان هذا الأمر أى انتياء ، فكأنهما لايدركان خطورته ولا يفهمان ما هى تلك ، الاشارة ، التى يتحدث عنها ، فاستغرب منا ذلك أشد الاستغراب ، فلما وصل أخيرا الى اللحظة التى رأى فيها أباد يميل من على النافذة ، فشعر بتأجيح كرهه له وأخرج مدق الهاون من جيه ، توقف ميتيا عن الكلام كأنه تعمد ذلك ، وأخسة يحدق الى الجدار ، ولكنه أحس أن الرجلين يرقبانه بانتباء شديد ، قال وكيسل النابة :

... هيه ، أخرجت السلاح من جيبك ٥٠٠ تم ٥٠٠ ثم ٥٠٠ ماذا حدث بعد ذلك ؟

.. بعد ذلك ؟ قتلته ٥٠٠ ضربته على صدغه وكسرت جمجمته ٥٠٠ هذا ما حدث في زعمك ، أليس كذلك ؟

هكذا صاح ميتيا وقد قدحت عيناه شراراً • لقد تأجيج الغضب في هممه من جديد ، بعنف متزايد •

قال نيقولا بارقينوفتش :

ــ ذلك فى زعمنا نحن • طيب • فعاذا فى زعمك أنت ؟ خفض ميتيا عينيه • وخيتًم صمت طويل •

ثم استأنف ميتيا كلامه قائلاً بصوت هادى :

- فى زعمى أنا ، الكم ما حدث أيها السادة ، لا أدرى أبتهلت أمى الى الله فى تلك اللحظة ، أم انسكت دموع بريئة طاهرة لابعاد الشر ، أم أسكنى من يدى ملاك لا يئرى ؟ المهم أن الشيطان قد غُلب ، ابتعدت عن النافذة ، وركفت متجها نحو السور ، و دعر أبى ، وعرفنى فجأة وأطلق صرخته ، وغاب عن النافذة ، ما أنذكر هذا تذكراً واضحاً ، اجتزت الحديقة ، وآسرعت أبلغ السور ، وفى تلك اللحظة انما ظهسر جريجورى الذي أدركنى حين كنت قد جئمت على السور ،

قرر ميتيا أخيراً أن يرفع عينيه نحو محدثيه • فلاح له أنهما كانا

ينظران اليه بغير اكتراث • فألمت به رعدة من غضب • وقال لهما :

ــ ألاحظ يا سادتي أنكم تسخرون مني !

فسأله نيقولا بارفينوفتش :

ــ ما سبب خطور هذه الفكرة ببالك ؟

_ اتكم لا تصدّقون كلمة واحدة مما أقول ، أنا أدرك هذا ، أو ا . أف فهمت : لقد وصلت الى عقدة القضية ، السجوز يرقد الآن جنة عامدة محطم الجمعجمة ، وأنا ، بعد أن وصفت لكم وصفا فلجما كيف أردت أن أقتله ، وكيف أخرجت مدق الهاون من جبيى لهذا الفرض ، أصرّح لكم فجأة بأننى لم أزد على أن ابتمدت عن النافذة ! ٥٠٠ هذه قصيدة عا ، أيس كذلك ؟ كان ينبنى أن يقال هذا الكلام كله شعراً ! كيف يمكن أن يمصد ق رجل متسلى ؟ آه ٥٠٠ ألا أنكم لتعسر فون كيف تسخرون وضحكون دون أن يظهر عليكم ذلك ،

قال ميتيا هذا الكلام ، واستدار نقيلا على كرسيه فقرقع الكرسي •

قال وكيل النيابة عندئذ دون أن يبدو عليه الاكتراث باضعاراب ميتيا :

ـ هل لاحظت أثناه ابتعادك عن النسافذة أكان البساب المفغى الى الحديقة في الطرف الآخر من المبنى مفتوحاً أم كان منطقاً ؟

_ كان منلقا •

_ مغلقا ؟ أأنت متأكد ؟

ـــ كل التأكد • كان ذلك الباب مفلقاً • ثم انه ما كان لأحد أن يستطيع فتحه • • هذا • • هذا الباب • • لحقلة ! (كذلك صاح ميتيا يقول مرتشاً ، كأن فكرة " قد ومضت في ذهنه فجأة) • ألعلكم وجــدتم ذلك الماب مفتوحا ؟

- ــ نعم ، كان مفتوحا .
- ـ فمن عسى يفتحه ان لم تفتحوه أتتم أيها السادة •

كذلك قال ميتيا مندهشاً كل الاندهاش .

فقال وكيل النيابة بصوت رصين بطيء ، مقطعا كلماته :

ـ كان الباب مفتوحا ، ومن المؤكد أن قاتل أبيك قد دخل المنزل من هناك ؟ حتى اذا أتم جريسته خرج من ذلك الباب نفسه أيضا ، تلك نقطة نعدها مفروغاً منها ، فعما لا يخالجنا فيه ريب أن القاتل قد ارتكب جريمته في الغرفة لا من خسلال النافذة ، ان هسند النتيجة يدل عليها جميع ما شاهدناه ، يدل عليها وضسع الجنة وتدل عليها مجموعة من القرائن الأخرى ، لم يبق أى شك من هذه الناحية ،

عبَّر وجه مبتيا عن دهشة عميقة • وصاح يقول زائغ الوجه :

ـ ولكن هذا مستحيل كل الاسستحالة • أنا • • • أنا لم أدخل البيت ! أوْكد لكم جازماً أن الباب ظل منطقاً أثباء وجودى في الحديقة ، وأن كان منطقاً أيضاً حين هربت • انني لم أتحسرك من مخبئي ؟ ومن النافذة وحدها • • انني أتذكر جميع النافذة وحدها أن اننا أتذكر جميع التفاصيل • وهبني لا أتذكرها ، فانني على يقين من أن الباب كان منطقا ، لأن أحداً لم يكن يعرف • الاشارات ، الا أنا وسمردياكوف ، والمتسوفي طبعا ؟ وبدون الاشارة المتفق عليها لا يمكن أن يفتح السجوز الباب •

_ الاشارات ؟ عن أي اشارات تتكلم ؟

كذلك سأله وكيل التيابة بفضول شرء محموم أفقده وضع الرصانة

والوقار فى لحلة ، كان فى تبرة سؤاله شىء من مذلة ، شىء من ضراعة، ذلك أنه قد أحس أن هناك واقعة هامة كان ما يزال يجهلها ، وهو يخشى أن يرفض ميتيا أن يكشفها له بأكملها ،

أجابه ميتيا وهو يغمز بعينه ويبتسم ابتسامة ماكرة :

- آ • • • أنت لا تسلم ؟ فعا رأيك أذا لم أشأ أن أقول لك شيئًا عن أمر تلك الاشارات ؟ من عمى يطلمك على ذلك في هذه المحالة ؟ ذلك أن هذه الاشارات لا يعرفها أحد الا أنا وسمردياكوف والمتوفى • أن أحداً لم يُطلَّع على السر ، فليس يعرفه ، عدانا ، الا الله • • • ولكن الله لن يقول لك شيئًا عن هذا الأمر ؟ وهو أمر هام الى أبعد الحدود ، لا يعرف الا الشيطان جميع التاتج التي يسمع بالوصول اليها • هأ هأ هأ مأ مخوفكم حمقاء ! انكم لا تعرفون الانسان الذي تخاطبونه • أن أمامكم منهماً يتلذذ بجمع القرائن التي تشهد عليه ! آ • • • مم يا سادتي ! ذلك أنني أنا فارس شرف ، ولكنني لن أقول مثل هذا الكلام عكم أنتم !

بلع وكيل النسابة هذه الأقوال الجسارحة برفق ولطف ، لأنه كان يعترق رغبة في معرفة الواقعة الجديدة ، تكلم مينيا بافاضة ودقة عن كل ما يتصل بالاشارات التي تصورها خيال فيدور بافلوفتس لاسستعمال سمر دياكوف ، وأوضع معنى كل طريقته من تلك الطرق المختلفة في قرع النافذة ، ومثلها هو نفسسه بالضرب على المسائدة ، فسأله نيقولا بارفينوفتس عدئذ هل قرع النافذة بالاشسارة المتفق عليها لينبيء فيدون بافلوفتش بأن « جروشنكا وصلت » ، فأجابه مينيا بأنه قد قرع النافذة فعلاً بعدد الضربات المتفق عليها لاعلان وصول السيدة الشابة ، وختم مينيا بعدد الشربات المتفق عليها لاعلان وصول السيدة الشابة ، وختم مينيا

_ فهأتتم أولاء اطلمتم على الأمر • هلموا اجممــــوا القرائن فوق القرائن ء وتابعوا استدلالاتكم واستخرجوا تتائجكم • ثم حول وجهه عن الرجلين باحتقار •

سأله نيقولا بارفينوفتش مرة أخرى :

أنت تؤكد اذن أنه لم يكن أحمد غيركم ، أنت وأبوك والخمادم سمر دياكوف ، يعرف هذه الاشمارات ، أليس كذلك ؟ ألم يطلع عليها أحد غيركم البتة ؟

 لم يطلع عليها أحد غيرنا ، أنا وسمر دياكوف والله • لا تنسوا أن تسجلوا أن الله كان على علم بالسر • قد يكون السون الالهى ضرورياً لكم أتتم أيضاً في هذه القضية •

أسرعوا يسجلون جميع هذه التفاصيل • ولكن بينما كان الكاتب يكتب ، قال وكيل النيابة فعجأة كأن فتراضا جديدا قد ومض فى ذهنه على حين بفتة :

ــ ولكن اذا كان سمر دياكوف يعرف هذه الاشارات هو أيضا ، واذا كنت تنكر من جهة أخرى أن تكون أنت قاتل أبيك ، أفلا يمكن أن يكون هذا الخادم نفسه قد قرع الاشارة المتفق عليها ، فاستدرج أباك الى قدم الماك ، ثم ١٠٠٠ ارتك الحريمة ؟

فرشقه ميتيا بنظرة فيها سخرية شديدة وكره عنيف في آن واحد؟ وظل يحدثن اليه مدة طويلة دون أن ينطق بكلمة واحدة ، حتى أن عنى وكيل النيابة أخذتا تطرفان • ثم انفجر ميتيا يسأله أخيرا :

_ أتريد أن تقبض على الثملب من جديد بهــذا السؤال المغرى ؟ ولكن الثملب قد هرب ٥٠ هأهأهأ ! ٥٠٠ لقد أدركت لمبتــك يا وكيل النبابة ! خيّل اليك أتنى سأتب على هذا « الطّسم » الذى تمده الى م وأتنى سأتبى هذا التعليل الجميل الذى توحى به » أليس كذلك ؟ لاشك أنك كنت تتــوقع أن أصبيع مل « خجــرتى قائلاً " : « نهم نهم » هو

سِمردياكوف ؟ سمردياكوف هو القاتل ؟ ، اعترف ۗ بأن هذه هي فكرتك الخفية ، اعترف بذلك ، فأتابع قستي •

ولكن وكيل النيابة لم يعترف ، بل ظل ينتظر صامتا · قال ميتيا : ــ خطأ ! لن أتهم سمردياكوف ·

_ لا ولا يساورك أي شك فه ؟

ـــ وأنت هل يساورك هذا الشك ؟ هل تشته فه ؟

ـ. لقد تصورنا هذا الاحتمال أيضا ه

أطرق ميتيا الى الأرض • ثم استأنف يقول وقد أظلم وجهه على حين فجأة :

- كنى مزاحاً و واليكم ما أريد أن أقسوله لكم اذا تستتم الجد لا الهزل و اتنى منذ البداية ، وفي اللحظة التي أزحت فيها الستائر متقدما نحوكم ، في تلك اللحظة تقريبا ، ومضت في ذهنى هذه الفكرة و أيكون هو سمردياكوف ؟ ٥٠٠ ، ٥٠ كنت أقدر في قرارة نفسي أن سمردياكوف قد يكون هو القاتل ، ولم يبارح هذا الافتراض ذهنى بعد ذلك ، وفي هذه الدقيقة نفسها ، بينما كت تلقى على هذا السؤال ، قلت لنفسي مرة أخرى : و انه سسمردياكوف ! ، ، ولكنني سرعان ما انتهيت الى هذه النتيجة قائلا في سرى : و لا ٥٠٠ ليس هو سمردياكوف ! ، و ليست هذه اللجريمة من صفه ،

سأل نيقولا بادفينوفتش محاذرا :

ــ هل تشتبه اذن في شخص آخر ؟

فقال ميتيا جازما :

ــ لا أدرى من عسى يكون القاتل ، اللهم الا أن يكون الله أو أن

يكون الشيطان هو الذى تدخل فى الأمر ••• ولكن لا يمكن أن يكون سمر دياكوف هو القاتل •

ـــ ما الذي يدفعك الى أن تؤكد جازماً هذا العزم ، ملحاً هـــــذا الالحاح ، أن القاتل ليس سمردياكوف ؟

- هو اقتاع داخلی یستند الی احساسات کتیرة ، اتنی أعتقد أنه ایس القاتل ، لأنه انسان ذو طبیعة حقیرة جدا ، ولأنه رعدید فوق کل شی ، و لیس سعردیاکوف رجلا جبانا بل هو جمع أنواع الجبن فی هذا السالم قد تنجیدت کائناً حیّا یسمی ؟ ان هذا الانسان هو الخوف نفسه متجسدا أیها السادة ، فقد ولد هذا الرجل فی خم ! کان ، کلما کلمته ، یر تعجف خوفا من أن أقتله ، مع أننی لم أکن أرفع یدی علیسه ، کان برتمی علی قدمی "باکیا و یقبل حذاءی " ضارعاً الی " أن لا « أخینه » ، هل معمون ؟ « أن لا أخیفه ! » ماذا تمنی هذه الکلمة ؟ ومع ذلك کنت لطیفا معمه علی الدوام ، و کنت أهدی الیه الهدایا ، هذا فرخ معروض مصاب بالصرع متأخر العقل یستطیع أن یضربه طفل فی النامة من عمره ، أهذا ربط ؟ لا یا سادتی ، لیس لسمردیاکوف ضلع فی هذا الأمر ، ثم انه لا یحب المال ، و لقد کان یرفض المکافات التی کنت أرید أن أهبها له ، وما عسی یکون الباعث له علی قتل السجوز ؟ ربما کان سمردیاکوف ابن المحبوز ، ابنه غیر الشرعی ، هل تصرفون هذا ؟

ـ تعرف هذه الشاشة • ولكنك أنت أيضا ابن فيدور بافلوفتش ، ثم لم يمنمك ذلك من أن تعلن في كل مكان أنك تنوى قتله •

وهذا حجر آخر في حديقتي ! انه لصنار وحطة منكم أن تأخذوا على هذا ! هيا أيها السادة ، أنا لا أخشى غســزاتكم ولمزاتكم ! ولكن ألستم ترون أيها السادة أنه ليس لاتما أن ترموا وجهى بما أسروت به الكم أنا نفسي ؟ هه ٥٠٠٠ طب ٥٠٠٠ أنا لم أشأ أن أثله فحسب ، بل

كان في وسعى أن أفسسل ، وقد انهمت نفسى أمامكم بأننى أوشكت أن أصرعه ذات يوم ، غير أننى لم أقتله ، فان ملاكى المحارس قد حمائى من ارتكاب هذه المجريمة ، • • ولكنكم لا تستقدون أن عليكم أن تقيموا وزنا لهذا الكلام ، ذلك هو الشر في موقفكم ، ذلك هو في موقفكم ما يستحق الاحتقار! اننى لم أقتله ، اننى لم أقتله ، لا ، لم أقتله ، هل تسمع ياوكيل النياية ، أنا لم أقتله !

كان ميتًا يوشك أن يختنق • انه لم يضطرب هسندا الاضطراب الشديد كله في أية لحظة أخرى أثناء الاستجواب • وسأل بعد صمت :

ــ فما الذي قاله لكم صاحبنا ســـمردياكوف ؟ على يجوز لى أن أسألكم عن هذا ؟

فأجابه وكيل النيابة قائلاً بلهجة قاسية جافة :

_ من حقك أن تلقى علينا ما تشاء من أسئلة • اننى أسمع لجميع الأسئلة التى تتصل بالظروف المادية للقضية • أعود فأقول لك ان من واجبنا أن نطلمك على جميع النقاط التى قد تثيرها • لقد وجدنا هذا الحادم سمر دياكوف الذى سألت عنه الآن واقداً على سريره مفشياً عليه يعالى من نوبة صرع شديدة ، هى النسوبة العاشرة فيما أظلى ، لأن التوبات تتلاحق بلا انقطاع ، حتى لقد صرّح الطبيب الذى وافقنا صرّح ، بعد أن فحصه ، أن أغلب الغلن أنه لن يعش بعد هذه الليلة •

_ فالشيطان هو الذي قتل أبي اذن !

بهذا هتف ميتيا ، كأنه لا يزال يتساءل حتى تلك اللحظة : « أهو سمردياكوف أم لا ؟ » •

قال نيقولا بارفينوفتش حاسماً المناقشة :

_ سنمود الى هذه المسألة فيما بعــــد • هل يمكنني أن أرجوك أن تستأنف سرد الوقائم ؟ طلب متيا أن يؤذن له بأن يستريح بضع لخلات ، فوافق وكيسل النيابة على ذلك بلطف وكياسة ، وتابع مينيا كلامه بعد انقطاع قصيد ، ولكن كان واضحا أنه أصبح خائر القوى ، وأن الاستجواب قد أرهقه ، وأن نفسه كانت مهتزة مستادة ، ثم ان وكيل النيابة كان يدو أنه يتعمد الآن أن يثير أعصابه بتصديعه في كل لحظة بأسئلة تتناول أمورا تافهة لا قيمة لها ، من ذلك مثلا أنه ما كاد مينيا يصف كيف جثم على السود وكيف ضرب بمدق الهاون الحادم جريجودي الذي تشبت بساقه السيرى وكيف سادع يشب الى الصدية بعد ذلك ويميسل على الضحية ، حتى استوقعه وكيل النيابة راجيا منه أن يوضع طريقة جلوسه على السسود ، فدهش مينيا من هذا الالحاح ، وقال يجيه :

_ جلست ٥٠ هكذا ٥٠ راكبا ٥٠ كركوبى على حصان ٥٠٠ فى كل جهة ساق ٥

_ ومدق الهاون ؟

_ مدقى الهاون ؟ كنت أمسكه بيدى .

لا في جيك ؟ هل تتذكر هذا تذكراً تاما ؟ هل اندفعت اندفاعة فوية لتضربه ؟

ـ لا بد ٥٠٠ ما دمت قد ضربت ضربة قوية • لماذا هذا السؤال ؟

حل لك أن تجلس على هذا الكرسى بالطريقة التى جلست بها على السور ، وأن تقلد الحركة التى قدت بها ، والاندفاعة التى اندفستها بنداعك ، والجهة التى سددت اليها الضربة ، زيادة في الايضاح ؟

سأل مبتبا محدَّثه وهو يرشقه بنظرة متكبرة :

ـ أتراك تسخر منى ؟

ولكن وكيل النيابة لم تطرف عينه • فاستدار ميتيا فوق كرسسيه

بحركة عصيية > وجلس عليه راكبا ركوبه على حصان ، ورفع ذراعيه ، وقال :

ـــ انظروا كيف ضربته ، انظروا كيف قتلته ! أأثنهم راضون الآن ؟ ماذًا تريدون أيضًا ؟

ـــ شكراً ، هلا ً شرحت لنا الآن لماذا وتبت بعد ذلك الى الحديقة ، وماذا كان هدفك من هذا ؟ ما هو الدافع الذى خضعت له حين تلبثت هذا التلبك قرب ضحيتك ؟

ــ عجيب ••• هل أعرف لماذا ؟ ملت عليه وكفى ، لست أعــرف السبب الذى دفعنى الى ذلك •

لله عند الله المالك الحديقة مع انك كنت تمانى انفعالاً شديدا وكنت تريد أن تهرب و فهلاً شرحت لنا هذا ؟

ـ تعم ، كنت منفعلاً وكنت أريد أن أهرب ه

_ فهل كان في نبتك أن تسمفه ؟

بـ لا ••• على كل حال ، لا أدرى • لملنى أشفقت عليه ، لا أتذكر الآن •

ــ لا تتذكر ؟ أكنت قد أصبحت لا تعرف ماذا تفعل ؟

- بل كنت واعيا كل الوعى ، وانى لأتذكر أيسر التفاصيل • دعونا من ذلك الكلام ! لقد أردت أن أرى الحالة التى كان عليها ، وأن أمسع دمه بمنديلي •

لا أدرى هل كنت آمل ذلك • لقد أردت ، بكل بساطة ، أن أعرف أهو ما يزال حياً أم لا ؟

ـــ ها ؟ أردت أن تعـــــرف أهو ما يزال حياً أم لا ؟ فماذا وجدت عندئذ ؟

قال وكيل النيابة أخيرا :

عظیم • شکراً • ذلك بعینه ما كنت أرید أن أعرفه . هلاً تفضلت فتابعت سرد الوقائم ؟

وا أسفاه ! لم يخطر بال سيا _ رغم أنه يتذكر تذكراً واضحا _ أن يذكر أنه انما وب الى الحديقة بدافع الشفقة ، وأنه حين مال على المحبوز جريجورى قد نطق بكلمات تعبّر عن الشفقة على ذلك المجوز الذي آلمه أن يراه مجندالا في عذا المكان ، ان كل ما حفظه وكيان النيابة من أقوال مينا هو أنه وب عن السور « في لحظة كتلك اللحظة ، النيابة من أقوال مينا هو أنه وب عن السور « في لحظة كتلك اللحظة ، رغم الاضطراب الشديد الذي كان يعانيه » ، دون أن يكون له من هدف الا أن يعرف هل الشاهد « الوحيد » على جريمته ما يزال حياً أم أنه الله وحدث وكيل النيابة نفسه قائلاً : « ان هذا السلوك يدل على قدر كير من هدو « الأعصاب وقوة التصميم ودقة الحساب لدى هذا الرجل » ثم أضاف يقول لنفسه : « وأخيرا ! لقد استطمت أن أنهك قواه بهذا المناسف ، فاذا هو يفضح نضه » » »

وتابع ميتيا سرد قصته في عناء ومشقة ، ولكن نيقولا بارفينوفتش
 استوقفه عن الكلام من جديد ، سأله :

كيف ذهب الى الخادمة فـــدوسا ماركوفسا مع أن الدم كان
 ما يزال يلطخ يديك وحتى وجهك ، كما ثبت ذلك فيما بعد ؟

ــ لم ألاحظ عندئذ أتني كنت مضرجا بالدم و

قال وكيل النيابة وهو ينظر الى قاضي التحقيق :

ــ انه يقول الحقيقة الآن ، فذلك ما يحدث عامة في مثـــل هذه الحالة .

فقال ميتيا مؤيدا كلامه بحرارة :

بقى عليه أن يروى كيف قرر فجأة أن « يتنحى عن الطريق » ، وأن « يتنحى عن الطريق » ، وأن « يعظى الدرب للحبيبين السميدين » • ولكنه أحس أنه لا يملك الآن ، كما كان يملك فى بداية الاستجواب ، القدرة على أن يفتح قلبه ، وأن يتحدث عن « ملكة قلبه » حدينا طلقاً حراً • ان شمورا بالانستراز أمام هذين الانسانين اللغترين اللذين يتبتان عليه أعينهما ، بل يغرسانها فى لحمه غرساً كحشرات تمص دمه ، أقول ان شمورا بالاستثراز كان يصده عن الانطلاق فى الكلام » فاقصر على بضمة أجوبة مقتضبة جافة عن أسئلة مكررة ألقيت عليه حول هذه التقطة »

- سم قررت أن أنتحر • لم يبق ثمة ما يربطني بالحياة ويشدني اليها ، وكان هذا الحل يفرض نفسه بنفسه • ان صديقها القديم الشرعي الذي هجرها في الماضي قد عاد اليها بعد خمس سنين معتلى أ القلب حباً ، ليتزوجها فيصلح بذلك ما أفسسد من أمرها ، ويزيل عنها الأذي الذي أخقه بها • أدركت عندئذ أن كل شيء قد انتهى • • وعدا هسذا كان يلاحقني ذلك العار ، وكان وراثي دم جريمجوري هذا • • • فغيم الحياة بعد ذلك كله ؟ هكذا ذهبت الى ذلك الموظف لأسترد منه المسدسين ، بعد ذلك كله ؟ هكذا ذهبت الى ذلك الموظف لأسترد منه المعدسين ، وحشوت أحدهما على ثبة أن أطلق في رأسي وصاصة منذ الفجر • • • وبانتظار ذلك ، قررت أن تلهو وأن تعبث وأن تقصف طسوال

ـ تعم نعم ، قررت ذلك ! هلا ً اتنهينا من هذا أيها السادة ! لقــد

عزمت عزماً أكيدا على أن أتنحر هناك ، في أقسى هذه القرية ، وكان ينبغى أن أنفذ عزمى هذا فى الساعة الخلسة من الصباح ، وقد هيأت كلمة أشرح فيها السبب ، كلمة كتم ستجدونها فى جيبى ، لقد كتبتها عند برخوتين حين حشوت مسدسى ، اليكم الورقة التى كتبت عليها تلك الكلمة ، اقرأوها ان ششم ،

وأضاف يقول فجأة ٌ باحتقار :

ــ ولست أروى هذا كله من أجلكم أتتم •

ثم سلَّ من جبيسه ورقة ورماها على المائدة • قرأ وكيسل النيابة وقاضى التحقيــق الورقة باستطلاع شــــديد ، وضمَّاها الى الملف وفقــًا للأصول •

 ألم يخطر ببالك أن تنسل يديك قبل أن تذهب الى السيد برخوتين ؟ ألم تكن تخشى اذن أن توقظ شبهات وشكوكاً ؟

ـ شبهات وشكوكا ؟ ماذا يهمنى هذا ؟ كنت سأجى، الى هذا الكان لأطلق على رأسى رصاصة فى الساعة الخاسة من الصباح ولو لم تحم حولى شبهة ارتكاب جريمة ، وما كان لوقتكم أن يتسع عندئذ لتدخلكم، فلولا المسية التى حلت بأبى ، لما عرفتم شيئًا ولما و ُجدتم الآن هنا ، ذلك من صنع الشيطان ، هل تعلمون ؟ ان الشيطان هو الذى قتل أبى وتولى مهمة ابلاغكم بهذه السرعة ! ماذا فعلتم حتى استطعم أن تصلوا الى هنا بعد وقوع الجريمة بزمن قصير هذا القصر ؟ ذلك أمر لا يصدّق !

ــ ذكر لنا السيد برخوتين أنك حين دخلت عليه كنت تمســك بيديك ٥٠ بيديك الداميتين ٥٠ أوراقا مالية ٥٠ ميلغا ضخما ٥٠ حزمة من الأوراق المالية من فئة المائة روبل ٤ ويظهر أن خادمه الصغير قد رأى هذه الأوراق المالة أيضا ٠

... صحيح . فعلا . أظن أنني أتذكر هذا .

قال نيقولا بارفينوفتش بصوت رفيق جدا :

مد هنا ينبئق سؤال صغير ، ألا تستطيع أن تقول لنا من أين جاهك هذا المال ، مع أن جميع انظروف تدل على أنك لم يتسم وقتك حتى للمرور بمنزلك ؟

> أجاب مينيا قائلاً بهدوء ظاهر ، ولكن مطرقاً الى الأرض : ــ لم أمراً بيتين فعلاً !

> > فعاد نيقولا بارفينوفتش يقول برفق وجُل غامز :

فاسمح لى اذن أن أكرر سؤالى : من أين جثت بهذا المبلغ مادام
 ينتج من تصريحاتك نفسها أنك فى الساعة الخامسة بعد الظهر كنت ٥٠٠ ولكن مينيا قاطمه بعصية قائلاً :

_ فى الساعة العناسة ؟ كنت فى حاجة ملحة الى عشرة روبلات ، فرهنت مسدى عند برخوتين ، ثم ذهبت الى السيدة هوخلاكوفا لأفترض منها ثلاثة آلاف روبل ، فرفضت أن تفرضنى ، وهلم جرا ١٠٠٠ أعرف التحمة (كذلك أضاف مينا يقول بلهجة هجومية) ، كنت لا أملك قرشآ واحداً ، أليس كذلك أيها السادة ، ثم اذا بى أملك ألوف الروبلات على حين فجأة ، هه ؟ أحسب أيها السادة أنكم ترتجفون خوفا من أن أرفض أن أذكر لكم مصدر هذا المالى ، أليس كذلك ؟ طيب ١٠٠٠ أنا أرفض ، نم أرفض أن أشير لكم الى مصدر المالى ، الله ، قلد حزرتم ، لن أتكلم ، ولن تمرفوا شيئاً عن هذه النقطة ،

كذلك حسم ميتيا الكلام بلهجة قاطمة وهيئة حازمة • وساد صمت •

وُاستَأْنَف نِيقُولا بارفِينوفتش حديثه يقول بلهجة فيها رفق واذعان:

ــ اعلم يا سيد كارامازوق أنه لا غنى لنا عن معرفة مصدر المال •

ــ أدرك ذلك ، ولكنني مع هذا لن أقول لكم شيئًا •

وتدخل وكيل النيابة هو أيضاً > فذكر مينيا مرة أخرى بأن من حق المتهم أن لا يعجب عن الأسئلة الملقاة عليه اذا هو قدر أن الصمت أنفع له وأجدى عليه > ولكن لما كان يتعرض باتخاذ مثل هسفا الموقف لأن يلحق بنفسه أذى > ولا سيما حين بكون الأمر أمر وقائع لها مشل هذه الخطورة • • • •

فقاطعه ميتيا قائلاً بغظاظة :

وهلم جرا أيها السادة ، وهلم جرا ! كفى ! لقد سبق أن سمحت هذه الأقوال المادة المكرورة ! ثم اننى أدرك أنا نفسى خطورة هذا السؤال الذى تلقونه على " ، وأعلم أنه النقطة الرئيسية فى القضسية ، ولكنى مم ذلك لن أتكلم .

فقال نبقولا بارفينوفتش بلهجة عصبية :

ــ هى مصلحتك أنت لا مصلحتنا نحن على كل حال ! لك أن تفاقم حالتك ما دمت حريصا على ذلك !

رفع ميتيا عينيه ، ونظر اليهما بصلابة وثبات قائلاً :

- اسمعوا أيها السادة • سأكون صريحا • لقد أحسست منذ البداية أثنا سنصطدم عند هذه النقطة • ولكن حين بدأت قصتي هذه كان هذا الحاجز ما يزال يدو لى في مكان بعيد غائم ، كأنه غارق في الضباب ، حتى لقد بلفت من السناجة في تلك اللحظة انني افترحت عليكم أن نقف دفعة واحدة على أرض الثقة المتبادلة • واني لأدرك الآن أن هذه الثقة كانت مستحيلة ، لأتنا كنا سنصطدم بهنذا الجدار عاجلاً أو آجلاً ••• وها نحن أولاء ضطدم به ••• فمن المستحيل أن نستمر •

هذا كل شىء • ولست ألومكم على كل حال ، فاننى أفهم حق الفهم أنكم ليس فى وسعكم أن تصدقوا ما أذكره لكم على عهد الشرف •

قال ميتيا ذلك وصمت مظلم الوجه •

ـ ألا تستطع على الأقل ، دون أن تتزحزح عمًّا عزمت عليه من صمت حول النقطة الأساسية ، ألا تستطيع أن تذكر لنا ولو باشارة يسيرة البواعث القوية التي أمكنها أن تحملك على أن لا تجيب عن سؤالنا في ماعة خطيرة وخطرة لى هذا الحد بالنسبة اليك ؟

ابتسم ميتيا حزينا واجما مفكرا •

أنا خير مما تصورون أيها السادة ، سأشرح لكم هذه البواعث، سأذكر لكم ما تطلبونه ، رغم أنكم لا تستحقون ذلك كثيرا ! انني أرفض أن أتبكلم لأنني أخشى العار و ان الجواب على السؤال عن مصدر ذلك المبلغ من المال يشتمل بالنسبة الى على دنامة اذا قيست بها جريمة قسل أبي وسلمه المال بدت أمرا هينا يسيرا ، حتى ولو كنت أنا المجرم و ذلكم هو سبب اضطرارى الى الصمت و ان الشسمور بالعار يختقى و ماذا تتعلون أيها السادة ؟ أتريدون أن تسجلوا هذه الأقوال أيضا ؟

تمتم نيقولا بارفينوفتش يقول :

_ تىم سىسجلها •

ما ينبغى لكم أن تسجلوا ما قلته عن « الدناءة » • لقد فتحت لكم قلبي من قبل المجاراة • كان يمكننى أن أمنع عنكم هذا الايضاح • لقد قدمت الكم هذا الايضاح بغير داع إلى ذلك ، فهل تسارعون الى تسجيله أيضاً ؟ ليكن أيها السادة ! اكتبوا ما تشتم أن تكتبوا » أنا لا أخشاكم » ولن أطاطئ. وأمى أمامكم •

بهذا ختم ميتيا كلامه مشمئزًا •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يسأله :

_ هل تقبل أن تقول لنا ما نوع الدناءة التي تعنيها ؟

ــ انتهى! لا تلحوا! اننى اذ تكلمت أمامكم قد دنست نفسى بما فيه الكفاية ، فعلام أدنس نفسى مزيداً من الدنس؟ ••• كفي أيها السادة ، لن أقول بعد هذه اللحظة كلمة واحدة •

تكلم مينيا بلهجة قاطعة جداً ؛ فاعتقد نيقولا بارفينوفتش أنه لا جدوى من الالحاج ، ولكنه سرعان ما أدرك من نظرة هيبوليت كيريلوفتش أن هذا لم يأس بعد .

ے فل لنا علی الأقل مقدار المال الذی كان بیدیك حین وصلت الی السید برخوتین ۰ كم روبلاً كان البلغ ؟

ــ لا أستطيع أن أقول •

_ ألم تتحدث الى السيد برخوتين عن ثلاثة آلاف روبل زعمت أنك أفترضتها من السدة هوخلاكوفا ؟

ــ ربما ذكرت له شيئًا من هذا القبيل • كفي أيها السادة ، لن أقول بعد هذا كلمة واحدة •

ــ أوضح لنا اذن كيف جئت الى هنا ، وماذا فعلت منذ وصولك الى موكرويه !

ـــ ستعرفون ذلك بسهولة متى سألتم الأشخاص الآخرين الموجودين هنا ٥ على كل حال ٢ لا أرى بأساً في أن أروى لكم هذا ٥

وقص عليهم مبيّا قصسة هذه الليلة التي يعرف القاري، جميسع تفاصيلها • وكان يتكلم هسذه المرة في جفاف ، مقتصراً على اشسارات مقتضبة ، فلم يتحدث عن اندفاعات حبه الحارة ، ومع ذلك ذكر أن عزمه على الانتحار قد زال بسبب ، ظروف جديدة » • ولم يتحدث عن حالاته النفسية ، بل اقتصر على الوقائع المادية وحدها • ولم يزعجه أحد بالأسئلة أثناء ذلك ، فلقد كان واضحاً فى نظر وكيل النيابة وقاضى التحقيق أن الأمر الأساسى ليس هنا •

قال نيقولا بارفينوفتش ليختم الاستجواب:

- سنتحقق من صدق أقوالك ، وسسنعود اليها حين نسمع أفوال الشهود ، بحضورك طبعاً ، أحب أن أرجوك الآن أن تضع على هذه المائدة جميع الأشياء التي ممك ، ولا سيما الأموال ٥٠٠ جميع المبالغ التي هي في حوزتك الآن ،

المال أيها السادة ؟ طيب ، طيب ، • • أنا أفهم أن هذا لا بد منه ، بل اننى لأستغرب أنكم لم تظهروا هذا الفضول قبل الآن • وما كان لى أن أتهرب طبعاً ، ما دمتم تراقبوننى • اليكم المال • عدوه • خذوا • أحسب أن هذا كل شيء • • •

أَفرغ مينيا جيوبه افراغاً كاملاً ، وأخرج حتى النقود الصغيرة ، ومنها قبلمتنان نقديتان من فشة المشرة كوبكات ، أخرجها من جيب صديرته ، وجُمعت الأموال ، فبلغت ثمانمائة وسستة وثلاثين روبلاً وأربعين كوبكاً ،

سأله القاضي :

ــ أهذا كل شيء ؟

۔ تم ہ

لقد تفضيلت فقلت لنا منذ قليل ، أتناه سرد الوقائع ، أن تمن ما اشتريته من متجر آل بولتنيكوف قد بلغ ثلاثمائة روبل ، فاذا أضمنا اليها المشرة روبلات التي رددتها الى برخوتين ، والمشرين روبلا التي أعطيتها الحوذى ، والمسائتي روبل التي خسرتها في اللعب بالورق أنساء الليل ، ثم •••

أجرى نيقولا بارفينوفتش الجمع تفصيلاً ، وكان ميتيا يسساعده راضياً ، وو'ضعت قائمة دقيقة بجميع النفقات ، وحسب نيقولا بارفينوفنش الحاصل ، فقال :

ـ فاذا حسنا الثمانمائة روبل التي بقيت لك ، كان صنى هذا انك كنت تملك ألف وخمسمائة روبل ، أليس كذلك ؟

- _ ممكن
- فكيف يُحجم الشهود اذن على أن المبلغ أكبر من ذلك ·
 - ــ لهم أن يقولُوا ما يشاءون •
- _ لقد أكدت أنت نفسك أنك كنت تملك أكثر من هذا _ لعلني أكدت ذلك •
- ـ سنمتحن هذه الوقائع على ضوء شهادات التسهود الآخرين أما المل فلا تخش عليه سنحتفظ به في مكان مأمون ، وسيرد اليك في نهاية ••• هذا التحقيق ••• اذا ظهر عند ثنا أو قل اذا ثبت عند ثنواً قاطعاً أنه لك أنت بغير شك •••
- قل بیقولا بارفینوفتش هذا ، ونهض فجأة ، وأعلن لمیتها بصـــوت ناطع أنه یری نفسه « مضطراً » الی أن « یفتش ملابسه وكل ما معه نفنیشاً دقیقاً » •
 - _ افعلوا أيها السادة سأقلب جيوبى ،ن شئتم وأخذ يقلب جنوبه
 - ـ لا هكذا . لا بد من أن تخلع ملابسك .
- ــ ماذا ؟ أخلع ثيابى ؟ عجيب ٥٠٠ ألا يكون نبش جيوبى أسهل من ذلك ؟

ــ بل لا بد من خلع ایابک یا دمتری فیدوروفتش . بعجب أن تخلع ك ه

قال ميتيا عابساً منعناً :

ـــ كما تشاءون • ولكن لا هنا ، بل وراء الستائر ••• أرجوكم ••• من يتولى التفتيش ؟

قال قاضى التحقيق وهو يحنى رأسه موافقاً :

ــ طبعاً وراء الستائر ه

وطاف بقسمات وجهه الدقيقة عندئذ تعبير عن وقار خاص ه

ما حدث عندائد لم یکن فی حسبان میتیا أبدأ . ما کان له أن یتخیل ، قبل دقیقة واحدة ، أن من المکن أن یعاملوه هذه الماملة ، هو ، دهتری کارامازوف! ان فی هستذا « اذلالاً » له ،

د وازدراء متعالياً ، منهم ! وليتهم لم يطلبوا منه أن يخلع الا ردنجوته ! لقد رجوء أن يخلع الا ردنجوته ! لقد رجوء أن يخلع ملابسه كلها ٥٠٠ بل لم يكن هذا منهم رجاء وانعا كان في الواقع أمراً ، وقد فهم هو ذلك ، فخضـــع للأمر دون تنمر ، كبرياء واستاثر ، عدا وكيل النيابة وقضى التحقيق ، عدد من الفلاحين أيضاً ، فقال مينا يحدث نفسه : القد دخل هؤلاء للمساعدة في اجباري على خلع ملابسي ، وربما لبواعث أخرى كذلك ، ه

سأل ميتيا بصوت يصطنع الحزم :

_ هيه ! هل أخلع القبيص أيضاً ؟

ولكن تيقولا بارفينوفتش لم ير داعيًا الى الاجابة • لقد كان مشغولاً مع وكيــل النيــابة بتغنيش الردنجوت والسروال والعســديرة والقبعة • وكان يبدو على الرجلين أن هذا التفتيش يهمهما الى أقسى حد • قال ميتيا فى نفســــه : ﴿ أَصِبِحَا لَا يَتَحَرَجَانَ مِن شَىءَ ﴾ ولا يراعيان أبسط قواعد . الأدب واللماقة ! » وقال يسألهما :

_ أسألكم مرة أخرى : أيحب أن أخلع القميص أم لا ؟

فأجابه نيقولا بارفينوفتش قائلاً بلهجة جافة آمرة (هذا احساس ميتيا على الأقل) :

ــ لا تقلق ، سنقول لك ذلك في حينه ه

كان وكيل النيابة وقاضى التحقيقى يتبادلان الرأى بصوت خافت و ان هناك بقع دم ، غير متخترة تختراً كاملاً ، تظهر على الردنجوت ، ولا سيما فى الظهر وفى الحافة اليسرى ، وان هناك بقع دم أخرى تمرى فى السروال أيضاً ، وعدا ذلك أخذ يقولا بارفينوفتش ، بحضور الفلاحين المكلفين ، يبحس الناقة وطيات الأكمام ، ويبجس كذلك مختلف خياطات النباب ، كأنه يقدر أن يكشف فيها شيئاً ، وه هو لمال طبعاً ، وأخطر ما فى الأمر أن الرجلين كانا يدلان بذلك ، بحضور ميتيا ، على انهما يريان أن من الجائز جداً أن يكون قد أخفى المال المسروق فى بطانات النباب ، فجمجم ميتيا يقول :

ــ اننى أعامل الآن معاملة لص ، لا معاملة ضابط .

لقد كانا يتبادلان الآراء بعمــوت عال وصراحة تامة دون اكتراث بوجوده • من ذلك مثلاً أن الكاتب ، الذي كان كثير الحركة هو أيضاً ، قد لفت انتباء نيقولا بارفينوفتش الى القيمة التي أخذ يعصمها أيضــاً ، قائلا له:

ـ تذكروا المستخدم جريدنكا • لقد أوفد في هذا الصيف لقبض وواتب جميع موظفى الدائرة ، فلما عاد صرَّح بأنه فقد المال وهو في حالة سكر • فأين وجدوا المال بعد ذلك ؟ وجدوء في شريط قيمته ! لقد صنع مِن أوراق المائة ووبل لفات صنيرة استطاع أن يدستها تحت الشريط ، ثم خاط الشريط ه

لم يكن وكيل النيابة وقاضى التحقيق قد نسياً ففسسية جريدتكا ، فوضعاً قبعة سيّيا في جانب وفي نيتهما أن ينتشا ملايسه بعد ذلك بمزيد من التدقيق أيضاً

ورأى نيقولا بارفينوفتش قبضة الكم اليمنى من قميص ميّيا ملطخة بالدم ومقلوبة ، فهتف يقول فحاًة :

سهل تسمع ؟ هذا دم أيضاً ان لم يخطىء ظنى ه

فأجاب ميتيا قائلاً بصوت قاطع :

ے تمم ، هو ذم ه

ـ دم ؟ أي دم ؟ ٥٠٠ ولماذا قلبت الكم ؟

فذكر ميتيا أنه بعد أن تلطخ كمه أثناء اهتمامه بجريجورى ، قد شمره عند برخوتين الذي غسل يديه عند. أيضاً ه

قال نيقولا بارفينوفتش :

ــ سيحب أن تنزع قميصك أيضاً ••• هذا أمر هام جداً لاستكمال الشاهدات المادية •

فاحمر وجه متبا وقال غاضباً :

_ أأصبح عارياً الآن ؟

ـــ الحمثن ٥٠٠ سنرتب هذا • وبانتظار ذلك ، أنزع جوربيك من فضلك •

سأل ميثيا وقد سطع في عينيه حنق :

ــ أأتتم تمزحون ؟ أهذا ضرورى حقاً ؟

فأجابه القاضي قائلاً بلهجة قاسية :

- ما كحن في موقف المزاح فنمزح!

غمنم ميتيا يقول وقد جلس على السرير وأخذ يخلع جوريه : _ ليكن ٥٠٠ ما دام هذا ضرورياً ٥٠٠ أنا ٥٠٠

كان يشمر بعنزى لا يطاق ، اذ يرى نفسه خالما ثيابه هكذا بين أنس يظلون مرتدين ثيابهم ، شى، غريب: انه حين خلع ثيابه شمر فعبأة بأنه مجرم ، كاد يسلم هو نفسه عندئذ بأنه أصبح دون الآخرين قيمة على حين بفتة ، وأنه أصبح من حق هؤلاء أن يحتقروه ، قال يحتن نفسه : «حين يكون الجميع عراة فلا عار ، أما حين أكون وحدى عاريا فذلك هو اله را لكأنني في حلم ! لقد سبق أن عانيت في الحلم التحطاطات من هذا النوع ، وقد شق عليه كثيراً أن يخلم جوربيه : انهما وسخان ، كسائر ملابسه الداخلية أيضاً ، ففي وسع الجميع أن يلاحظوا هذا الآن ، كسائر ملابسه الداخلية أيضاً ، ففي وسع الجميع أن يلاحظوا هذا الآن ، ولا سبيا أصابع قدمه اليمنى التي كان أحد أظافرها سسطحاً تاماً فلا ينحنى الا في نهايته ، سوف يراه الجميع الآن ، اجتاحه الشعور بالحزي والمار ، ففارت نفسه ، وأضبح فظاً عن عد ، قال :

ــ ألا تحبون أن تلاحقوا تحرياتكم الى أبعد من هذا اذا كان الحياء لا يصدكم؟

ـ لا ، لا دعى الى ذلك الآن .

وسأل ميتيا بالهجة حانقة :

_ هل على " أن أتنظر عاريا ؟

لابد من ذلك • تفضل فاجلس هنا • في امكانك أن تندنر بفطاء
 السرير ••• وسأحاول أن أندبر الأمر •

أُ ظهر الفلاحون على ملابســه ليكونوا شبــهوداً • حتى اذا انتهى تحرير المحضر خرج نقولا بارفينوفش • وأُخذت الملابس ، وانصرف وكيل النيابة أيضاً . لبت مينيا وحده مع الفلاحين الذين كانوا يرقبونه صامتين ولا يحوالون عنه أبصارهم . تدثر مينيا بالفطاء ، لأنه كان يحس ببرد شديد ، ولكنه لم يستطع أن يحمى قدميه العاريتين على أى تحو تلفف ، وتأخر نبقلولا بارفينونتش عن المسلودة ، كأنه يريد ، اطالة تمذيله ، .

وجمجم مبتباً يقول وهو يكن بأسنانه :

_يحسبنَى صـــــياً ! وقد انصرف الوغد وكيل النيابة كذلك ••• احتقاراً في أغلب الفلن ••• واشمئزازاً من رؤية رجل عاد •

وكان مينيا يقدر مع ذلك أنهم سيرجعون اليه ثيابه بعد تثبت جديد • فما كان أشد استيام حين رأى نيقولا بارفينوفتش يعود النيه ووراء فلاح يحمل ثباباً أخرى غير ثابه •

قال له القاضي بلهجة ودود طلقة :

- اللَّك هذه الثياب التي حصلنا لك عليها أخيراً •

وكان واضحاً أنه سعيد بالنتائج الني وصلت اليها مساعيه ، وتابع كلامه يقول :

ان السيد كالجانوف هو الذي تفضل ، في هذا الظرف العريب ، فقدم اليك هذا الرداء وقعيصاً نظيفاً قد أتى بهما في حقيبته من حسن الحلف ، أما ملابسك الداخلية وجورباك ففي امكانك أن تحتففك بها ، انفجر مبنا فزأر يقول بصوت مهدد متوعد :

ـ لا أريد هذا الرداء الذي ليس لي • ردوا الي ودائي •

_ مستحيل ٠ .

ـ أريد ردائي أنا • شيطان يأخذ كالجانوف وثيابه !

ولم يمكن رداء الى انصواب الا بكير من المناء ولكنه هدأ آخر الأمر بمد أن شرحوا له ضرورة «ضم الثياب الى وثائق الانبات ، مادامت ملطخة بالدم ، وقد حرص قاضى التحقيق على أن يقول له « انه لم يكن من حقه أن يدع له ملابسه الخاصة ، فليس يدرى أحد ما هو المجرى الذى قد تجرى فيه القضيية ، • اقتم عينا أخيراً بهذه الحجيج ، وأخذ يرتدى الثياب الجديدة ، مع محافظته على صمت متجهم عايس • واكتفى بأن قال وهو يلبس رداء كالجانوف ان هذا الرداء أثمن كثيراً من رداله ، وانه يكوره أن « يستفيد ، منه ؟ وأضاف يقول :

_ ثم انه ضيِّق على ً فهو يجعلنى مضحكاً • هل على ً أن أظهر للناس مضحكاً ••• لتتسلوا أنتم ؟

وحاولوا أن يقنموه من جديد بأنه يبالغ ، وبأن قامة السيد كالجانوف كقامته هو ، وان يكن السيد كالجانوف أطول منه قليلاً ، وبأن السروال وحده سيكون طويلاً عليه بعض العلول ، ولكن اتضح ان السسترة مشدودة جداً عند الكنفين ، فجمجم مينيا قائلاً من جديد :

ـ يستحيل عقد أزرارها • أرجوكم أن تبلغوا السيد كالجانوف أننى لست أنا الذى رغبت فى أخذ ثيابه ، وأننى أكرهت على ارتدائها كمهرّج !

فدمدم أأضى التحقيق يقول:

ـــ هو يفهم هذا ، وهو يأسف ••• لا يأسف على حرمانه من ثيابه ••• لا ••• بل يأسف لمــا وقع لك .•

لا حاجة بى لى أسفه! أين يجب أن أذهب الآن؟ أم أنا مضطر الى النقاء هنا؟

ــ أرجو أن تنتقل الى • الغرفة الأخرى ، من جديد • دخل مينيا الى هناك متقبض ً الوجه غضباً ، يحاول أن لا ينظر الى أحد • كان يَعص وهو في ثيابه المستدرة أنه مذل حتى في نظر الفلاحين، وفي نظر الفلاحين، وفي نظر تريفون بوريستش الذي لاح وجهه خلسة من خلال باب شقه ثم أسرع ينطقه و قال ميتا في نفسه : • أراد أن يتأملني وأنا في هذا الزي المضحك ، • وجلس على الكرسي الذي كان يشغله منذ قلبل • كان يبدو له أنه يعيش حلماً ثقيلاً ، أنه يعيش كابوساً ، وكان يتسامل ألم ينقد عقله ؟

التفت ميتيا نحو وكيل اننيابة متقيض الفكين :

ـ هيه ، والآن ، هل تأمرون بنجلدى ؟ لم يبق لكم الا هذا !

لم يشأ أن يخاطب نيقولا بارفينوفتش ، لأنه أصبح يعده غير جدير بانتباهه بعد الآن • وقال يحدث نفسه : « لقد تلذذ بتأمل جوربي زمنا طويلا جدا ، حتى لقد أمر بقلبهما عامداً ــ يا للشقى ! ــ بفية أن يُمْظهرَ الجميع على أن ملابسي الداخلية قدرة جدا ! » •

> قال نيقولا بارفينوفتش وكأنه يجيب عن سؤاله : ــ سنبدأ الآن استجوب الشهود .

فقال وكيل النبابة يؤيد كلام القاضي ساهما :

... تمم تعم •

لقد كان يبدو على وكيل النيابة أنه يفكر في أمرٍ ما • وتابع القاضى كلامه فقال :

ــ لقد بذلنا تصارانا يا دمترى فيدوروفتش لنساعدك في موقفك • ولكن بعد أن رفضت رفضا خشنا أن تلبى طلبنا فتقدم لنا بعض الايضاحات عن مصدر المبلغ الذى في حوزتك ، فاتنا نرى أنفسنا ملزمين الآن بأن • •

. قاطعه ميتيا سائلاً :

ـ من أى نوع من أنواع الحجارة الكريمة صنَّع هذا العاتم ؟

كان ميتيا يتكلم كمن هو فى حلم ، مشيراً الى واحد من الخواتم الثلاثة التى تزين يد القاضى الصغيرة • فسأله القاضى فى دهشة : ـــ خاتمى أنا ؟

... نم ، هذا الخاتم ••• ذلك الذي يزين الاصبع الوسطى ••• ما هذا الحجر الكريم ؟

كذلك قال ميتيا ملحاً بلهجة فيها غير قليل من نفاد الصبر ، كطفل عنيد ذى نزوات • فأجابه نيقولا بارفينوفتش مېتسما :

ـ • و زمرد أدكن ! هل تريد أن تراه ؟ سوف أنزعه ف •••

فصاح میتا یقول بعنف وقد ثاب الی رشده ، واضطرب وخجل وثار علی نفسه :

 وه يا للمار ! ثم تريدون بعد ذلك > أيها المابثون الهازلون > تريدون أن أفضى ، لى أناس مثلكم > أناس لا يصدقون شيئا ولا يرون شسيئا > تريدون أن أحكى لكم تم أيها المناجد المعمى > دناء تاخرى ارتكيتها > حتى يزداد عرى؟ أبدا • • • لن أفعل ذلك ولو أدى الى تبرئتى من انهاماتكم • • • أبدا > أبدا • • • لن لأوتر على هذا سجون الأشفال الشاقة ! ان القاتل هو الشخص الذى فتح الباب ودخل الى بيت أبى من ذلك الباب • • • انه ذلك الشخص الذى سرق مال أبى ! من هو ذلك الشخص؟ انتى أتيه فى مجاهل الفلن والتخمين > وأنقى عنساء كبيرا فى محاولة حرره • ولكن ذلك الشبخص ليس هو دمترى كارامازوف على كل حال > فاعلموا هذا • • • ذلك كل ما أستطيع أن أقوله لكم • • وهسو حال > فاعلموا هذا • • • اصنعوا بى ما ششم > أرسلونى الى سيبريا > أو نفذوا في الحكم بالاعدام > ولكن لا تهيجوا حتقى وغيظى بعد الآن • فائذا أسكت • أذخلوا شهودكم •

ختم مييًا كلامه المستفيض وقد بدا في وجهه أنه عازم عزم مطلقا على أن لا ينطق بعد الآن بكلمة واحدة • وكان وكيل النيابة يرقبه بانتباد، منتظرا أن ينهى كلامه ، فما ان ختم مييًا قوله حتى قال له بهدوء بارد ، كأن الأمر أمر مشاهدة طيمية جدا بسيطة جدا •

في موضوع ذلك الباب بعينه ، ذلك الباب المفتوح الذي جثت على ذكره الآن ، مستطيع أن العلمك _ وهذا هو الوقت المناسب لذلك فيما أخل _ على واقعة من أغرب الوقائع ومن أخطرها شأنا كذلك ، بالنسبة اليك وبالنسبة الينا معا ، وهي واقعة تنتج من أقرال المجوز جريجوري فاسيليف الذي جرحته ، لقد صرّح هذا المجوز ، بعد أن أقل من اغمائه وثاب اليه وعيه ، صرح على نحو واضع جازم قاطع ، في الاجابة على أسئلة ألفيناها عليه ، أنه حين خرج من باب مسكنه فسمع

وثب ميتيا عن كرسيه دون أن يدع لوكيل النيابة أن يتم كلامه ،

وأعول يقول خارجًا عن طوره :

_ هذا كذب و هذا كذب دنيء ! لا يمكن أن يكون قد رأى الباب

مفتوحًا ، لأن الباب كان مغلقًا في تلك اللحظة ٥٠٠ انه يكذب !

ــ من واجبى أن ألفت انتباهك الى أن أقواله واضحة جدا فى هذه النقطة ، وان شسهادته لم تختلف ولم تتناقض ، بل هو ظل مصراً عليهــا بالحام ، لأننا سألناه عن هذا الأمر مرارا كثيرة .

قال نيقولا بارفينوفتش مؤكدا كلام زميله بشيء من الحماسة :

ـ أنا نفسي استجوبته •

فاستأنف متما كلامه صارخا :

_ هذا كذب ! هذا كنب ! لا يمكن أن يكون هــذا الا وشاية تستهدف الايقاع بيء أو أن يكون أوهام رجل يهذى • لا بد أن السجوز قد رأى حلما أثناء هذيانه بسبب جرحه واسكاب دمه • • • فقص عليكم ما رآه في الحلم حين صحا من غسـائه • • • وأغلب الظن أنه ما يزال يهذى •

ً _ أتمنى لو أصدُّق ما تقول ، ولكن العجوز لم ير الباب مفتوحا

منا كنب ، منا كنب ، ذلك لا يمكن أن يكون ! ان الكرم هو الذي يدفعه الى اتهامى ٥٠٠ لا يمكن أن يكون قد رأى ذلك الباب .٠٠٠ أنا لم أهرب من الباب !

هكذا صاح مشا مختنقا ه

فالتفت وكيل النيابة الى نيقولا بارفينوفتش وقال له بلهجة رصينة : ـــ أره الغارف •

فاذا بالقاضى يضع على المائدة ظرفاً كبيرا من ورق قوى ، تُرى عليه ثلاثة أختام من شمسمع لم تمس ، وقد أُفرغ الظرف بتمزيقه من أحد أطرافه ؟ قل القاضي يسأل متنا :

ــ عل تعرف هذا ؟

قدمدم ميتا يقول :

لا تلك الله الظرف الذي كان عند أبي ٥٠٠ الظرف الذي كان عند أبي ٥٠٠ الظرف الذي كان يشم ثلاثة آلاف روبل ، اذا كان عليه كتباية ٥٠٠ هل تسمع لي بأن أرى ؟ تم ، هذه هي الكتابة : « الى حمسامتي ، ، وهنا : « ثلاثة آلاف روبل ، ٠

وصاح ميتيا :

ــ ثلاثة آلاف روبل ٢٠٠ أرأيتم ؟

ــ طبعا رأينا ٥٠٠ ولكننا لم تعثر على ذلك المبلغ • كان الظرف معزقا ملقى على الأرض قرب السرير وراء الحاجز •

لبث منيا بضع ثوان كالمصموق • ثم صاح يقول بنته " بكل ما أوتمى من قوة : _ ولكنك كنت أنت أيضا تعلم بوجود هذا الظرف ، وتعرف انه موضوع تحت الوسادة .

ــ بل كنت أجهل ذلك كل الجهل • لم أر هذا الظرف حتى الآن ، ونم أكن أعلم بوجـــوده الا من مســـازات سمردياكـــوف ••• كان سمر دياكوف وحده بعرف أين خبأ المعجوز الظرف ••• أما أنا فكنت لا أعرف ••

كذلك قال ميتيا متقطع الأنفاس •

 عجیب ! لقد أكدت أنت نفسك منذ قلیل أن هذا الغلرف كان موجودا تحت وسادة المتوفى أبيك • لقد حدَّدت بنفسك أنه كان مخباً تحت الوسادة • منى هذا أنك كنت تعرف المخبأ !

وأمَّن نيقولا بارفينوفتش على كلام زميله قائلا :

ـ لقد سُجِّلت تصريحاتك في محضر الاستجواب •

ـ سخف ٥٠٠ جنون! ٥٠٠ لم أكن أعرف أنه تحت الوسادة ٥٠ ولمله كان في موضع آخر ٥ لقد ذكرت الوسادة مصادفة ٥٠٠ ماذا قال لكم ؟ لكم سمر دياكوف؟ هل سألتموه أين كان الظرف مخبأ ؟ فعاذا قال لكم ؟ تلكم هي النقطة الرئيسية! ٥٠٠ أما أنا فقد كذبت عامداً ٥٠٠ كذبت وكنت لا أعرف أن الظرف كان تحت الوسادة ، وهأتم أولاء سوف ٥٠٠ كثيراً ما يقول المراء بعض الأمور مصادفة وعرضاً ٥٠٠ يخطر باله أن يقولها ٥٠٠ لقد كان سمردياكوف وحده عارفاً بالأمر ، ولم يكن

يعرفه أحد سواه ! رفض أن يكشف لى عن المخبأ ، حتى أنا رفض أن يكشف لى عن المخبأ • انه هو ، هو القاتل ! هو القاتل لا محالة ، لقد وضح الأمر الآن وضوح النهار •

كذلك صاح ميتا مضطرباً اضطرباً ما ينفك يزداد ، وقد أصبحت عباراته مفككة عبر متماسكة ولا مسجمة من فرط الانفعال •

- افهموا أخيراً واعتقاره فوراً دون أن تضيعوا لحظة واحدة ! •••
لقد أصبح واضحاً انه قتل أبى بينما كنت أنا أهرب وكانجريمجورى واقداً
في الحديقة بلا حراك • أصبح كل شي• واضحاً ••• قرع الباب بالإشارة
المتفق عليها ، ففتح له أبى الباب ••• ذلك أنه الشخص الوحيد الذي
كان على علم الإشارات التي ما كان لأبى أن يفتح الباب لولا أن سمعها.

استأنف وكيل انشابة كلامه فائلاً بتلك اللهجة الموزونة نفسها على شىء من النصير عن الانتصار في نبرة صوته :

ــ يظهر أنك تبسى من جديد أن الاشارات تصبح زائدة لا داعى ليها ولا ضرورة لها ما دام أن الباب كان مفتوحا من قبل ، بينما كنت أنت ما نزال في الكان ، أعنى في الحديقة ٥٠٠

قال ميتيا متلعثماً :

_ الباب ٥٠ الباب. ٥٠٠

وسكت ، وحدًّق الى وكيل النيابة بنظرة متجهمة • ثم تهالك على الكرسي كالمنهار • وساد صمت • ثم هتف يقول زائغ الوجه :

> ـ تعم •• الباب ! •• كان هذا شبحاً ! الله ضدى ! ••• قال وكيل الناية بلهجة رزينة :

- أرأيت ؟ فاحكم الآن بنفسك يا دمترى فيدوروفتش • هناك من

جهة أولى هذه النسهادة القوية الدامقة ، في نظرك وفي نظرنا ، أعنى النسهادة بأن الباب كان مفتوحا وأنك هربت.منه ، وهناك من جهة ثانية هذا الصمت المنيد الذي لا يُعْهَم ، هذا الصمت الذي تلوذ به عن مصدر المل الذي أصبح في حوزتك فجأة بينما كنت قبل ذلك بثلاث ساعات ، فيما صرحت به أنت نفسك ، مضطرا الى رهن مسدسيك للحصول ولو على على عشرة روبلات ، فماذا نصدق وعلى أي شيء نستند ؟ هلا قلت لى ٠٠٠ فلا تأخذ علينا ، ظلماً وعدوانا ، أننا أناس مستهز ثون باردون مستهترون ، عاجزون عن أن نفهم ما في نفسك من اندفاعات نيلة ، بل ضع نفسك في مكاننا ٠٠٠ وحاول أن تفهمنا أنت أيضا ٠٠٠

كان ميتيا مضطربا • وشحب لونه • ثم هتف يقول فجأة :

ے طیب! سأكشف لكم عن سرى ، سأطلابكم على مصدر المال ٥٠٠ سأكشف عن عارى ، حتى لاألوم نفسى ولا ألومكم فى المستقبل ٠

قال نيقولا بارفينوفتش بفرح يوشك أن يكون فيه حنان :

ــ ثق يا دمترى فيدوروفتش أن اعترافا صادقا كاملا منك الآن قد يخفف عنك كثيرا في المستقبل ، حتى لقد •••

ولكن وكيل النيابة لكزه بقدمه لكزة ً خفيفة من تحت الماثدة فصمت القاضى فى الوقت المناسب • وكان ميتيا لا يصغى اليه على كل حال •

السرالكيرالدى يحنفظ به ميتيايت ذهزأة

ميتيا كلامه فقال منفلاً أشد الانفعال : _ أيهــــا السادة ٥٠٠ أريد أن أعترف بالخفيقة كلها ٥٠٠ كان هذا المبلغ لى أنا ٥٠٠

استطال وجها وكيل النيسابة وقاضى التحقيق • لقد خاب فألهما وأخفق اتتفارهما ، لأنهما كانا يتوفعان اعترافا يختلف عن هذا الاعتراف كل الاختلاف •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول :

_ كان ذلك المال لك أنت ؟ كيف هذا ؟ أنت تقول في اعترافاتك نفسها انك في الساعة الخاسة بعد الظهر •••

ــ سحقاً للساعة الخامسة ولاعترافاتي ! ليس هذا هو الموضموع الآن ! لقد كان ذلك المال لى أنا ٥٠٠ أنصد أننى استوليت عليه ، سرقته ، مم سروته ، همسو مبلغ ألف وخمسمائة روبل ٥٠٠ كنت أحملها دائما معى ، مهى ٥٠٠

_ من أين أخذتها ؟

ــ من صدری أیها السادة ، من هذا الصدر الذی ترون ••• نت أخیتها هنا ، معلقة " بعنقی ، مخیطة فی خـــرقة ••• هكذا كنت أحمل عاری منذ زمن طویل ، منذ أكثر من شهر •••

_ ولكن من عند من ٥٠٠ استوليت ٥٠٠ على هذا المبلغ؟

_ تريدون أن تقولوا من عند من « سرقته » ، أليس كذلك ؟ سشوا الأثنياء بأسمائها ! أنا أعتقد فعلا أننى سرقت هذا المال ، أننى « استوليت » عليه اذا كنتم تؤثرون هذا التعبير • وأنا أرى أنه سرقة • وأمس مساء ، اكتملت السرقة •

_ أمس مداء؟ ولكنك قلت انك ٥٠٠ حصلت على هذا المــــال منذ شهر ٥

ــ نم ، ولكن لا من عند أبى ، لا من عند ، اطمئنوا ! لم أسرقه من عنســد أبى ، بل من عنســدها • دعونى أروى لسكم الوقائع دون أن تفاطمونى • نه لأمر قاس على نفسى أن أتكلم ، هل تفهمون ؟ منذ شهر، نم منذ شهر استدعتنى كاترين ايفانوفنا فرخوفتزيفا ، خطيبتى السابقة • • هل تعرفونها ؟

۔ کف لا ؟

- أعلم أنكم تمرفونها • هذه انسانة ذات نفس نبيلة ، لا تضارعها في نبلها أحد ••• ولكنها كانت تكرهني منذ زمن طويل ••• طويل جدا ••• وكان من حقها أن تكرهني على كل حال ••• هناك أسباب تحملها على كرهي •

سأله القاضي مندهشا :

_ كاترين ايغانوننا ؟

وظهر الاستغراب على وكيل النيابة أيضًا •

قال ميتا :

ــ أوه ! لا تذكروا اسمها بغير داع الى ذلك ! ما كان أشقاني حين ذكرت اسمها هنا ٥٠٠ تعم ، كنت أعلم أنهـــا تكرهني ٥٠٠ منــذ زمن طويل ٥٠٠ منذ الـوم الأول ، في مسكنها هناك ٥٠٠ ولكن كفي ! كفي حديثًا في هذا الأمر! انكم لا تستحقون أن تعلموا هذه الأشياء، ولا داعي الى ذكر هذه الأشباء على كل حال ٥٠ يكفيكم أن تعلموا أنها استدعتني منذ شهر وأعطتني ثلاثة آلاف روبل كلفتني بأن أرسلها الى أختها والى قريبة أخرى لها بموسكو (أما كانت تستطيع أن تتولى ذلك بنفسها ؟) • • وأنا • • • كانت تلك الساعة هي بعنها الساعة الحاسمة في حياتي ، كانت تلك اللحظة هي اللحظة التي ٥٠ الخلاصة ٥٠ هي اللحظة التي كت قد أحست فها امرأة أخرى منذ قليل ، هي اللحظة التي كتت فيها قد أحستها «هي» • • امرأة هذا اليوم • • تعلمون • • • تلك التي أودعت تحت ، جروشنكا ٥٠ فعثت بها الى هنا ، الى موكرويه ، فأنفقت خلال يومين من الاحتفــال والقصف ، نصف ذلك المبــــلغ اللمين ، أعنى ألفاً وخمسمائة روبل ، واحتفظت بالنصف الآخر ، فهذه الألف وخمسمائة روبل الناقبة هي ما احتفظت به منذ ذلك الحين معلقا بعنقي مخطأ في كس • وقد فتحت الكس أمس ، فأنفقت هذا المال في القصف هنا • وان الثمانمائة روبل التي وضعتها في مكان مأمون يا نيقولا بارفىنوفتش هي كل ما بقي من الألف وخمسمائة روبل التي أُخــرجتها من الكبس أمس •

ــــ اسمح لى ! هناك شىء ليس واضحا • فى المرة الماضية ، أعنى فى الشهر الماضى ، أنفقت هنا ثلاثة آلاف روبل لا ألفاً وخمسمائة • ذلك أمر يعرفه جميع الناس •

ـــ من أين عرقوه ؟ من ذا الذي حسب نفقاتي ؟ أنا لم أطلع على ِ ذلك أحداً ه _ كيف ؟ لقد حكيت لكل انسان أنك أنفقت ثلاثة آلاف روبل • ـ صحيح ، حكيت هذا ، بل لقد حكيته للمدينة كلها ، والنساس يتحدثون عنه في كل مكان ، وما من أحد الا ويعتقد اعتقادا جازما بأتنى أنفقت ثلاثة آلاف روبل • وأهل موكرويه مقتنمون بهذا أيضا • ولكتني، مع ذلك ، لم أنفق في الواقع ، لا ألفا وخمسمائة روبل ، ثم خطت باقي المبلغ في كيس • تلكم هي الحقيقة أيها السادة ، ذلكم هو مصدر المال الكثير الذي كان في حوزتي أسس •

دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول :

ـ يشبه هذا أن يكون من المعجزات •

وتدخل عندئذ وكيل النيابة فقال يسأل ميثيا :

- اسمح لى أن أسألك هل أفضيت بهذا السر الى أحد قبـل هذا اليوم ٥٠٠ أعنى : هل يعرف أحد أنك احتفظت بمبلغ الألف وخمسمائة روبل هذا ؟

ــ لم أفض بذلك الى أحد .

_ غريب ٥٠٠ لم تذكره لأحد في العالم كله ؟

ـ في العالم كله • لم أذكره لأحد البتة • أؤكد لك ذلك •

- فلماذا هذا السكوت ؟ ما هي الأسباب ، لني دفعتك الى الاحتفاظ به سراً لا يذاع ؟ سأشرح ما أريد أن أقوله ب لقد كشفت لنا أخيرا عن سرك الذي تراه د مخزياً » الى هذا الحد في نظرك ، رغم أن هسنا الفعل ليس في الواقع - اذا قيس بنيره طبعا - الا هفوة صسنيرة ، ان استيلاك على مبلغ النلاة آلاف روبل التي عهد بها اليك واؤتمنت عليها فاحتفظت بها لنفسك ٥٠ مؤقتاً ٥٠٠ أنا متأكد من هذا ٥٠٠ انسا ينبغي أن يُعد طبقاً مرده الى الخفة ، ولكنه ليس فعلا يدنس الشرف ، ولا سيما ،ذا نظرنا بعين الاعتبار الى طبعك

٠٠٠ فلنفرض أن هذا النمل فعل يؤسف له ٠٠ وأنا أسلم بذلك ٠٠٠ ولكنه ليس دنامة أو حقارة أو حطة أو ما أشيه ذلك ٥٠٠ وأعلم على كل حال أن كثيرًا من الناس ، في هذه المدينة ، قد حزروا ، أثناء هذا الشهر، أنك بددت الثلاثة آلاف روبل التي التمنتك علمها الآنسة فرخوفنزيفا • لقد اشتهوا فيك واعتقدوا أنك بددت المال ، رغم أنه لا أدلة على ذلك ، حتى لقد وصلت هذه الشائمة الى أسماعنا ، وعلم بها مشمل ماكاروفتش أيضًا ، فليس الأمر أمر سر اذن ، وانبا هو كلام يقال ويردد في كل مكان ٥٠٠ ويبدو من جهة أُخرى كذلك أنك اعترفت أنت نفسك ذات مرة ، أثناء حديث خاص ، اذا لم يخطئ علني ، بأن ذلك إليلغ مصدره الآنسة فرخوفتزيفا ٥٠٠ لذلك استغرب أشد الاستغراب حين أرى حتى هذه الدقيقة أنك تولى هذه الألف وخبسمائة روبل ، فيما تدعى ، اهتماما خارقا وتضفى علمها خطورة عظمة ، ولا أفهم البتة أن تجعلها سرآ لاتتكلم عنه ، سرا مصحوبا بنوع من الهلم الأخلاقي ٥٠٠ ليس من المقول أن يسبب لك سر من هـــذا النوع عذابا كهـذا العـــذاب ، وأن يبدو لك الاعتراف به صما الى هـــذا ،لحد ٥٠٠ ألم تعلن منذ قليــل أنك تؤثر السخن على مجرد الاعتراف بالحققة ؟

سكت وكيل النيابة • وكان قد تحمس أثناء الكلام ، واشتمل فيه استياء متزايد يشبه أن يكون غضبا ، وسافى كلامه دون اهتمام بالخطابة ، ودون كثير من التسلسل أيضا ، وانما كان يدع لأفكاره أن تنفجر انفجاراً في جمل مقطمة •

فال ميتيا بصوت جازم :

ـــ ليس العار فى الاستيلاء على هذه الثلاثة آلاف روبل ، بل العار فى أثنى ادخرت تصف هذا المبلغ ، أى ألفا وخمسمائة روبل !

فقال وكيل النيابة وهو يضحك ضحكة اغتياظ :

حقاً ؟ هلاً قلت لى أين العار فى أن تعتفظ ينصف مبلغ كنت قد استوليت عليه استيلاء غير لائق ، أو استيلاء مخزيا ،ن كنت تؤثر أن تصفه بهذه الصفة ؟ ان الأمر الهام هنا هو أنك حصلت على هذا المسلخ بطريقة ليس فيها كثير من الأمانة ، لا أنك تصرفت فى المال على هسذا النحو أو ذاك من ،لأنحاء ! بالمناسبة : هل تستطيع أن تقول لى لماذا قسمت المبلغ تصفين ، وماذا كان هدفك من ادخار أحد النصفين ؟

صاح ميتيا يقول :

ــ ذلك بعينه هو الدرامة كلها ! لقد قسمت هذا المبلغ عن حقارة ودنامة c أى عن حساب • ذلك أن الحساب هو بعينه الدنامة والحقــارة فى مثل هذه الحالة ••• وقد امتدت هذه الدنامة وهذه الحقـــّارة على شهر يأسره !

_ كلام لا يُنهم !

- أستفرب هذا منكم و ولكننى سأشرح ما أريد قوله و ابنى أسلّم بأن كلامى قد يبدو من أول وهلة أنه لا ينفهم و فاصغوا الى وتبعوا ما أقول: لنفرض ابنى استوليت على ثلاثة آلاف روبل وتمنت عليها ، فأنفتها في القصف الى آخر كوبك منها و ان في امكاني أن أذهب الى آستى في الفد وأن أقول لها : و كاتيا ، اغفرى لى ، لقد بددت الثلاثة آلاف روبل التى التمنتنى عليها ، و ليس هذا خيراً بطيعة الحال ، وانعا على اندفاعاته و ولكننى في هذه الحالة لن أكون سارقا ، لن آكون لها والمنا بيدت الما الذي اقتمنت عليه ، ولكننى لم أسرقه و فلتفرض الآن فرضاً ببددت الما الذي اقتمنت عليه ، ولكننى لم أسرقه و فلتفرض الآن فرضاً ببددت المال الذي الأقدار بعله ، ولكننى لم أسرقه و فلتفرض الآن فرضاً بددت المال الذي الأسلى من الأول أيضا و بعده و أدبك من بدور قليلا ٥٠٠ اليكم الفرض الثاني : لنفرض أننى

أنفقت في القصف صف المبسلغ فقط ، أى ألفا وخسسائة روبل ، ولنرض أتنى ذهبت اليها في القد حاملاً ما يقى من مال ، وقلت لها : مسردى منى المال يا كاتيا لأتنى لست ،لا انسانا شهسقيا طائش المقل محموم الرأس و استردى نصف المبلغ الذى الشنتنى عليه ، والا فقيد أبدده كما بددت نصفه الأول ، اننى لا أريد أن أتسرض لهذه الفواية!» فعاذا أكون عند ثذ ؟ أكون ما ششم ، أكون شيطانا وأكون شقيا ، ولكننى لن أكون لها ، لذ أكون قد أصبحت لصاحقيقيا ، لأننى لو أددت أن أسرق لما رددت الألف وخمسمائة روبل الباقية ، و إنها كنت أحنفظ بها لنفسى ، كانت ستدرك هي عند ثذ أنني ما دمت أرد اليها تصف المبلغ ، فسأرد اليها النصف الثاني آخر الأمر ، في يوم من الأيام وأنني قد أطل أعمل عند الضرورة طوال حياتي مدخراً قرشا فوق قرش لأجمع المنال أكدى أنفقته في القصف فأرده اليها في ذنت يوم ، صحيح أنني أكون ما ششم ، في هذه الحالة رجلا جبانا ، ولكنني لا أكون لعبسا ؟ أكون ما ششم ، ولكنني لا أكون سارقا على الأقل ،

قال وكيل النيابة بلهجة فيها سخرية باردة :

ـــ السلّم بأن هناك مجالاً للتمييز فعلاً • اتنى أظل أستغرب أن تضفى على هذا المفرق الزهيد دلالة تبلغ هذا المبلغ من شدة الخطورة وصفة المأساة 1

.. بالمكس • ليس هذا لنرق زهيداً بل هو فرق رئيسى • ان أى انسان يمكن أن يكون جبانا ، ولا شك أتنا جميعا جبناء بدرجان متفاوتة • ولكن ليس كل انسان لعماً • لا بد من حقارة خاصة حتى يكون المسرء لعماً • أحيب أننى لا أجيد التعبر لأننى تعوزنى الرهافة ••• ولكن اللمس أحقر الحقراء وأدناً الأوغاد • تلكم هى قناعتى العميقة ! اصنفوا الى قند حملت هذا المال في عنقى مدة أربعة أسابيع ، وكنت أستطيع

في كل لحظة أن أذهب فأرد اليها هذا المال ، فلو فسلت لمسا كنت وغداً حقيرا ، أما وأننى لم أستطع أن أتخد هسندا القرار ، فدلك هو الأمر الخطير ! كنت كلَّ يوم أفكر فأقول لننسى : • قرر أيها الشقى ، يحب أن ترد المال ، • ولكن القرار لم يجيء ، وطالت القضية شهراً بأكمله • فما رأيكم ؟ ألملكم ترون هذا جميلا ؟

أجابه وكيل النيابة بصوت مكظوم :

أعترف بأن ذلك شر • أنا أفهم هذا حق فهمه ، ولا يعظر ببالى أن أجحده • ولكننى أقترح عليك مع ذلك أن تدع الكلام عن هــــنم الفروق ، وأن تدع هذه الرهافة في التمييز بين الأمور ، وأن تمود الى جوهر القضية • لأنك لم تقبل حتى الآن أن تشرح لنا ، في الاجابة عن سؤالى ، السبب الذي دفعك الى أن تقسم هذا المبلغ صفين فتفق النصف الأول منه في القصف وتحفظ بالنصف الثاني ممك • ماذا كان هدفك من ذلك ، وعلى أي غرض وقفت هـــند الألف وخسمائة روبل التي احتفظت بها ؟ انني أصر على هذا السؤال يا دمترى فيدوروفتش !

صاح مبتياً وهو يلطم جبينه :

ما ٥٠ ولكن ٥٠ هذا صحيح ٥٠ ممندة ٥٠ اننى أعذبكم بهذه الناقشات بدلا من أن أشرح لكم جوهر الأمر ٥ لقد نسبت أن أقمل ! سأقول لكم الآن فسرعان ما تفهمون • ذلك أن العار كله يكمن هنا ٥ اسمعوا : لقد كان العجوز ١ المتوفى ، يلاحق أجسرافين ألكسندروفنا بالحاحه و طاجته ، وكنت أخيل في ذلك الحين أنها مترددة بني وبينه لا تعرف أتختارني أم تختاره ، فكنت أتسامل كل يوم : « ما عسى يحدث أذا هي حزمت أمرها فجأة وكفت أخيرا عن تمذيبي وصارحتني قائلة : أنت الذي أحبه لا هو ، فلتسافر ٥٠٠ خذني الله ! » ٥ كنت الله إ م كنت به مكان بسيد ، الى أبعد مكان تسستطيع أن تأخذني الهه ! » ٥ كنت

أتسامل ما عسى يحدث عندئذ وأنا لا أملك في جيبي الا يضعة كوبكات ! أين ثنا المال الذي نسافر به ؟ ما عسماى فاعلاً حينداك ؟ كان ذلك هو الهوة ، هو اليأس ! لاحظوا أتنى لم أكن قد عرفتها حق معرفتها في ذلك الأوان • كنت أظن أنها لا تستغنى عن المال ، وأنها لن تغفر لى فقرى • ذلكم هو السبب الذي من أجله قررت ، جبانا ، أن أحتفظ بنصف الثلاثة آلاف روبل ، وأن أخيط المبلغ في كيس • وذلك ما فعلتسه ببرود ، بحساب ، من قبل أن أسكر ! وبعد ذلك ، بعد أن طويت الكيس وخطته انما سافرت ألهو وأقصف بالألف وخصسمائة روبل الأخرى • لا ••• لا سافرت ألك وذلك علم فهمتم الآن ؟

انفجر وكيل النابة وقاضى التحقيق في ضـــحكُ صاخب • وقال نقولا بارفينوفتش ساخرا :

فى رأيى أن قرارك كان عين العقل ، بل وعين الأخلاق ، على عكى عكم عكم عكم ما تقول ، ما دمت قد عرفت كيف تعتدل فلا تنفق المال كله دفعة ، واحدة ، أين في هذا ما يثير السخط ؟

- أننى سرقت ، هذا الحقارة ! آه ٥٠٠ يا رب ! ان عجزكم عى الفهم يروتعنى ! كنت أنساء حملى هسنده الألف وخسسائة دوبل فى عقى ، أردد على نفسى كل يوم وكل ساعة : « أنت لص ، أنت لس !» وسبب هذا العار الذى يرهقنى ، بسبب هذا الشعور بأننى سارق ، انما كنت شرسا تلك الشراسة كلها عنيفا ذلك العنف كله خلال هذا الشسهر الأخير ، ذلكم هو السبب فى أننى تشاجرت واقتلت فى الكاباريه ، وأننى ضربت أبى ، وحتى أليوشا أخى لم أجرة أن أعترف له بالحقيقة فى موضوع الألف وخسسائة روبل ، فالى ذلك الحد كنت أشعر بالحقارة والداءة ! ولاحظوا أيضا اننى طيلة مدة احتفاظى بالمال المودع فى الكيس سليما لا أسسه ، كنت أستطيم أن أقسول لنفسى كل يوم وكل ساعة :

« لا يا دمترى فيدوروفتش ، وبها لم تكن لصا ! » • لماذا ؟ لأننى كنت أستطيع فى كل لحظة أن أذهب الى كانيا فأرد اليها هذا المال • وأمس فقط ، بعد أن تركت فينيا ، وفى طريقى الى منزل برخوتين ، انها قررت أن أفض الكيس • أما قبل ذلك فلم أستطع أن أحزم أمرى • ولكننى مند للك اللحظة قد أصبحت لصا بائنسل ، لصا لا يمكن انكار انه لمس أصبحت رجلا فقد شرفه الى آخر الحياة • لأننى حين مزقت الكيس قد مزقت فى الوقت نفسه أملى فى أن أذهب الى كانيا وأن أقول لها : « أنا جبان • • • هذا صحيح • • • ولكننى لست لصاً » • هل تفهموننى الأن

ــ فلماذا اتخذت قرارك هذا أمس؟

سلاذا ؟ يدهشنى سؤالكم ! لقد اتخذت قرارى لأننى عزمت على الانتحار ، فى هذا المكان ، عند الفجر ، قلت لنفسى : « ما قيمة أن اموت شريفا أو وغداً بعد الآن ؟ ، و ولكننى أدركت أن الأمرين لا يستويان ، صدقونى أيها السادة ! ان المذاب الأكبر الذى عانيته فى هسذه الليلة الرهبية لم يكن شعورى بأننى قتلت الخادم انمجوز ، ولا تصورى اتنى سأحكم بالسجن مع الأشغال انشاقة ، لا ٥٠٠ صحيح أنه أمر رهب أن أرحل لى السجن فى اللحظة التى أخذ فيها حبى يتصر ، فى اللحظة التى انخذ فيها حبى يتصر ، فى اللحظة التى انفتحت فيها سعاوات السعادة أمامى ٥٠٠ ولكن ذلك لم يكن عذابى الأكبر ٥٠٠ ولا كان يساوى ، على الأدل ، عذابى من تصور أننى قتحت ذلك المبنى المدين ، وألميت بهذا لها الأبد ! أيها السادة ، اننى وقدتهدمت الى أعمق أعماق كانى ، أعود أمر لا يطاق أن يعيش المر، وغداً حقيداً مول المر وغداً حقيداً مول المر وغداً حقيداً مول المر وغداً حقيداً مول المر وغداً حقيراً مول الا يموت المر، وغداً حقيراً مه لا يمكن أن يموت المر، وغداً حقيراً مه لك الأن يموت المر، وغداً حقيراً مه لا يمكن أن يموت المر، وغداً حقيراً مع المحت أنه المحت المحت المحت المحت المحت أنه المحت أنه المحت المح

يشمر انه انسان شريف! •••

كان مينيا شاحب اللون ، مشدود العضلات ، وكان وجهه المنقبض على ألم يبدو كأنه خلا من الدم ، رغم أنه قد تحمس أثناء الكلام ، قال وكيل النياية بلهجة ملطفة فيها شيء من عطف ، قال ببطء :

بدأت أفهمك يا دمترى فيدوروفنس و ولكننى أعتقد أنك تبالغ فليلا ، وأن أعصابك ، أعصابك المريضة ، هي السبب الحقيقي لمذابك وهم وهم ٥٠٠ فمثلاً : لمذا لم يخطر ببالك ، حتى تتخلص من الآلام النفسية التي قاسيت منها خلال شهر بأكمله ، لماذا لم يخطر ببالك أن تذهب الى تلك الانسانة التي اتشنتك على ذلك المبلغ لترد اليها الألف وخمسمائة التي التسنتك على ذلك المبلغ لترد اليها الألف وخمسمائة التي أم يكون أبسط من هذا كله ، بعد أن تشرح لها الخطيئة التي نفسه ، وكان يمكن أن يخرجك من المأزق الذي كنت فيه كما تقول ؟ لقد كان في وسمك ، بعد أن تعترف لها اعترافا مليسا بالنبل ، كان في وسمك أن تطلب اليها أن تقرف له المنف الذي كنت في حاجة اليه ؟ واني لم يقين ، لمرفني بسمو نفسها ، أنها ما كان لها أن ترفض اقراضك في ذلك المبلغ ، ولا سيما وأنت فيما ، أنت فيه من ضياع نفسي ٥٠٠ خاصة وأنك المبلغ ، ولا سيما وأنت فيما ، أنت فيه من ضياع نفسي ٥٠٠ خاصة وأنك كنت تستطيع أن توقع لها سندا أو أن تقدم اليها الضمانات التي عرضتها على التاجر سامسونوف ، وعلى السيدة هوخلاكوفا أيضا ! أظن عرضتها على التاجر سامسونوف ، وعلى السيدة هوخلاكوفا أيضا ! أظن طبعا أنك ما تزال تعد تلك المضانات التي

احمر وجه مينيا فحأة ، ثم هتف يقول مستاءً وهو يحدّق الى عينى وكيل النيابة تحديق من يشك في أن يكون وكيل النيابة قد فهم الموضوع: ــ هل يُعقل أن تتصوروني متحطاً لى هذه الدرجة ؟ أنا لا أستطيع أن أصدق أنكم تتكلمون جادين !

قدهش وكيل النيابة هو أيضا ، وانسرى يقول له :

_ أؤكد لك انني جاد كل النجد • لماذا تشك في ذلك ؟

عجيب ! و قد فعلت ذلك لكان حطة " ما بعدها حطة ! هل تعلمون أيها السادة أنكم تعذبونني تعذيا رهيا ؟ طيب ! سأقول لكم كل شيء ، انتي أذعن لارادتكم فأقول لكم كل شيء • سأتيح لكم أن تروا الحقيقة الجهنبية ؛ فعرفوا ، نشعروا أنتم أنسكم بالعار والخزي ، الى أي جبن يمكن أن ينحدر ضحيع انسان • ان هذا الحسل الذي ذكرته الأن يا سيادة وكيل النياة قد خطر بهلى • نعم يا سادتي ! لقد فكرت في هذا الحسل أيضا خلال هذا الشهر المنحوس ، وكنت على وشك أن أذهب الى كاتيا من فرط حطني وصفاري ، أذهب اليها فأعترف لها بعنيانتي ، ثم أطلب اليها بعد ذلك الاعتراف ، أن تقرضني مالا لأنفذ هذه المخيانة ، أطلب الملا منه عام المتقضيها هذه الحيانة • أطلب مالا مالا منها هي ، كاتيا ، أطلب ، أتضرع ، هل تسمعون ؟ ثم أهرب مع امرأة أخرى ، مع غريمتها ، ما مرأة أخرى ، مع غريمتها ، ألا انك لمجنون يا سيادة وكيل النيابة !

ــ أما أن أكون مجنونا ، فقد لا أكون مجنونا ؛ ولكنتى أثناء احتدام النقــاش لم يحفطر ببالى عنصر النيرة النســـوية هذا اذا افترضــنا أن من الممكن أن يكون ثمة غيرة في هذه الحالة كما تقــول ٥٠٠٠ والحق أن من واجب المره أن لا يغفل عن عاطفة من هذا النوع ٥٠٠٠

كذلك ختم وكيل النيابة كلامه بلهجة ساخرة •

زأر ميتيا يُقول وهو يضرب المائدة بقبضة يده ضربة قوية :

ان عملاً کهذا العمل یکون فیه من العمار والحطة والدادة ،
 ویبلغ من شدة ما یمثه فی النفس من اشمئزاز ، أننی قد تراجعت عشه أنا نفسی! هل تعلمون أنه کان یمکن جسدا أن تعطینی ذلك المال ؟ أنا هلی یقین من آنها کانت ستعطینی ذلك المال ، یدافع الانتقام ، لتتلفذ بالثاری

لتظهر لى احتقارها ، لأنها هي أيضا نفس جهنسة عنيفة غضوب! وكنت سآخذ منها الملل ، هذا أكيد ، فأظل طول حياتي ٥٠٠ أوه ٥٠٠ رباه! معذرة يا سادتي ! لئن صرخت الآن ، فلأن هسند الفكرة الكريهة قد ساورتني ، ساورتني أمس الأول ، بينما كنت أخخط ليلا فرب لياجافي ٥٠٠ وعاودتني أمس مرة أخسري ٥٠ نعم ٥٠ انني أتذكر هسندا ٥٠ وحاصرتني طول النهار الى حين وقوع ذلك الحادث ٥

_ أي حادث ؟

كذلك تدخل يسأله نيقولا بارفينوفتش مستطلماً ، ولكن ميتيا لم يأبه لسؤاله • وختم منيا كلامه يقول مظلم الوجه :

لقد قدمت اليكم اعزافاً رهيها ، فاقدروه حتى قدره أيها السادة ، بل انه لقليل أن تقدروه حتى قدره فحسب ، وانما ينبني لكم أن تعترفوا بقيمته ، وه والا ، و اذا انزلق هذا الاعتراف على صفحة نفوسكم دون أن يؤثر فيكم ، فيجب أن نسلم عندئذ بأنكم لا تضمرون لي أي احترام ، انكم تحتقرونني ؟ ولأموتن عندئذ من شموري بالمار لأنني فتحت قلبي لأناس مثلكم ، لأطلقن عندئذ رصاصة في رأسي ! ولكنني أرى أنكم لا تصدقونني ، أرى ذلك ! ماذا ؟ أتريدون أن تسجلوا هذه الأقوال أشا ؟

هكذا صاح ميتيا مروءًا جداً • فأجاب نيقولا بارفينوفتش يقول وقد أدهشه قلق مشا :

- بن نسجل الا التسريح الذي أدليت به الآن ٥٠٠ سنسجل انك كنت تنوى ، حتى الدقيقة الأخيرة ، أن تذهب الى الآسة فرخوفتزيفا لتقترض منها هذا المباغ ٥٠٠ تلك واقعة جامة جداً بالنسبة الينا يا دمترى فيدوروفتش ٥٠٠ صدقنى ٥٠٠ هذه التفاصيل كلها هامة ٥٠٠ ولا سيما بالنسبة اليك ، اليك أنت ٠ هنف مَيْتِيا يقول وهو يضم يديه احداهما الى الأخرى متوسلاً :

.. أضرع انيكم يا سادتى ! ،عدلوا عن تسجيل ما ذكرته لكم الأن ، اعدلوا عنه من باب الحياء والخفر على الأقل ! لقد فتحت لكم نفسى ، فاذا أنتم تسرعون فتفمسون فيها أيديكم لتنيشوا آلامى . آه ... دباه !

نم تسرعون فنفمسون فيها ايديدم نستسوا الامي * ١٠ • • • قال ذلك وأخفى وجهه بنديه كمدًا وكربًا وقنوطًا !

فندخل وكبل النبأبة يقول :

- اطمئن يا دمتري فيدوروفتس • ان كل ما نسبجله الآن سيُقرأ عليك بعد ذلك ، وسنعدًل عندئذ الفقرات التي لا توافق عليها متقيدين بما تذكره • ولكن يعجب على الآن ، مرة أثاثة ، أن ألقى عليك سؤالا صسنيراً : هل يُمقل فعالا أن لا يكون أحد ، أن لا يكون أحد على الاطلاق ، قد علم بوجود ألف وخمسسمائة روبل مخيطة في الكيس ؟ اعترف لك بأن هذا يدو في غير معقول كثيراً • • •

فلت ان أحداً لم يعلم بهذا الأمر • لم أحك هذا الأمر لأحد •
 اذن لم تفهموا شبئاً البتة ! دعوني وشأني أخيراً •

لله طبيب • أن ألمح • سيكون علينا أن نوضح هذه انقطة ، ولكن ما يزال لدينا وقت كثير •على اتنى أرجوك أن تفكر فيما يلى : ان عندنا عشرات من الشهود سيشهدون جميعاً بأنك كنت تروى أنت نفسلك ، حتى لتكاد تصبيح بذلك صياحاً من فوق سطوح المنازل ، أنك قد أنفقت في القصف في المرة الماضية مبلغ ثلاثة آلاف روبل ، لا ألف وخمسمائة . وحتى في هذه المرة ، قلت لهذة أشيخاص بصدد المال الذي أصبح في حوزتك فجأة ، انه يبلغ ثلاثة آلاف روبل أيضاً •••

صاح ميتيا يقول :

 الشهود ؟ ستجدون من الشهود مثات لا عشرات ! سيجيء ماتنا شخص يؤكدون ذلك ، وربما جاء ألف شخص • ستجدون من الشهود ما تشامون • .. هأمت ذا ترى اذن القد سمعك جميع الناس تقول هذا الكلام • وهم جميعاً يؤكدونه اليوم • هل تفهم ماذا تعنى كلمة • جميع الناس • هذه ؟

ــ لا تعنى شيئًا ! أنا كذبت وكور النائس كذبتي •••

ـ فلماذا « كذبت » ؟ على حد تعبيرك •••

لا يعلم ذلك الا الشيطان! لعلني كذبت افتخاراً ٥٠٠ أو لأسياب أخرى ٥٠٠ لألع بالكلام عن قصصف بلغ ذلك البلغ من البذخ ٥٠٠ أو لأسى ذلك المبلغ من البذخ ٥٠٠ أو لأسى ذلك المال المخيط في الكيس ٥٠٠ تم ، ذلك هو ، ذلك هو المالت الحقيقي الذي دفعني الى الكذب ٥٠٠ أنا أحس هذا! ٥٠٠ الى الشيطان على كل حال! انكم تعودون فتلقون على نفس الأسالة ، لقد كذبت وكفى! هذا كل شيء ، هل يعلم أحد ما الذي يمكن أن يدفع الانسان الى الكذب، في بعض الأحيان؟

قال وكيل النيابة بصوت رزين :

حقاً ان من الصحب ان يعرف المرء ما قد يدفع الانسسان الى الكذب و ولكن قل لى : ماذا كانت ابعاد الكيس الذي كنت تحمله معلقاً يرقبتك ؟ هل كان كبيراً !

ـ لا ، لم يكن كبيرا البتة .

۔ ماذا کانت أبعادہ تعریباً ؟ ۔

ـ أبعاد ورقة المائة روبل حين تطوى الورقة نصفين •

_ هل بقيت لك منه قطع ؟ هل تستطيع أن ترينا تلك القطع ؟

_ قطع الكيس؟ أتريد أن تضحك؟ اتنى لا أدرى ما الذي صاوت المه •

_ عجيب ! أين ومتى نزعت الكيس عن عنقك ؟ لقد صرَّحت أنت عنسك بأنك لم ترجع الى منزلك • نزعته أثناء الطريق بعد أن تركت فينيا لأذهب الى برخوتين ح
 نزعته عن عنقى وأخرجت منه المال ه

_ في الظلام ؟

... هل كان على ً أن أشعل شمعة ؟ لقد توصلت اليه باللمس في مثل. لمح البصر •

_ في الشارع ؟ بدون مقص ؟

ــ نم • تمَّ ذلك فى الميدان اذا لم يخفلى: ظنى • ما الداعى الى. مقص حين يراد تمزيق خرقة عتيقة بالية ؟ لقد تمزقت من تلقاء نفسها •

_ ماذا فعلت بتلك الخرقة بعدئذ ؟

ـ رميتها ه

_ أين ؟

ـ عجيب ! في الميدان ! أنَّى لى أن أتذكر المكان الذي رمبت فيــه. الخرقة على وجه التحديد ؟ لماذا هذه الأسئلة ؟

ــ ذلك هام جدا يا دمترى فيدوروفتش • ألا تفهم أن هذه المخرقة. يعن أن يكون وثيقة اتبات لصالحك ؟ من ساعدك في خياطة الكيس على. المال ء منذ شهر ؟

ــ لم يشاعدني أحد ٥ قمت بذلك وحدى ٥

_ أأنت تعرف اذن أن تخط ؟

ــ لا بد أن يعرف الجندى كيف يخيط • ثم ان هذا لا يحتاج الى. أية براعة •

ـــ أين وجدت القماش ، أعنى تلك الخرقة التي خطتهــــا على. المــال ؟

ــ أأنتم تسخرون منى ؟

أبدا ٠ ثق أنسا لا نرغب في الفسحك أية رغبة يا دمترى فيدوروفش !

ـــ لا أتذكر من أين أخذت تلك الخرقة • لا بد أتني لممتهــا من مكان ما •

ـ كيف يمكن أن تنسى ذلك ؟

... أحلف لكم أنني لا أعرف • لملني قد مزقت أحد الملابس •

ـ هذا شيء هام ٥ قد نمشر غدا في منزلك على ذلك اللباس الممزق الذي انتزعت منه قطعة ، وربما كان قسيصا من قمصانك ٥٠٠ ما نوع نسيج تلك الخرقة ؟ أكانت من كتان أم كانت من قطن ؟

_ أأنا أعرف؟ لحظة ٥٠٠ لم تكن قطمة قماش منتزعة من أحد الملابس ٥٠ كانت الخرقة من قماش خاص ٥٠ أظن أننى خطت المال في طاقية لصاحبة المنزل الذي أقيم فيه ٥

ــ لصاحبة المنزل الذي تقيم فيه •

ـ نم ، اختلست هذه الطافية من عندها ؟

_ اختلستها ؟

_ أظن أننى أتذكر فسلا أننى فى ذات يوم أخسدت طاقية من عندها ٥ كنت فى حاجة الى خرقة ٢ ربمسا الأمسح قلمى ٢ فأخنت تلك المخرقة دون أن أقول الأحد ٢ لأنها طاقية الا قيمة لها ٥٠٠ طاقية عتقة من قماش فطنى غنسل وأعيد غسله مائة مرة ٥٠٠ وظلت الطاقية ملقاة فى غرفتى منسذ ذلك الحين ٥٠٠ فلمسا أردت أن أخبى تلك الألف وخمسمائة روبل ٢ تناولت الطاقية وخطتها على المال ٥٠٠

_ هل تتذكر هذا تذكراً واضحاً ؟

لا أدرى هل هذه الذكرى واضحة جداً • يخيّسل الى انها
 الطاقية ••• ولكن ما قيمة هذا !

_ فى هذه الحالة ستستطيع صــاحبة المنزل أن تذكر انها افتقدت طاقة ، ألس كذلك ؟

- ـــ لا ٥٠٠ أبداً ٥ انها لم تلاحظ غياب الطاقية ٥ تلك خرقة عنيقة غير ذات فالدنة ٥٠٠
 - ــ والابرة ؟ من أين أخذت الابرة ؟ والخيط ؟
- ــ أتوقف عن الكلام أرفض الجواب عن مثل هذه الأســـثلة
 - كذلك حسم ميتيا المناقشة وقد تفد صيره .
- ــ انه لغريب حقاً أن تنمى فى أى مكان على وجه الدقة رميت ذلك الكيس فى الميدان !

بهذا أجاب متيا ساخراً ، ثم أردف يقول بصوت متمب مكدود :

ـ هذا يكفى أيها السادة ، يكفى ويزيد ، اتنى لأرى رؤية واضحة أنكم لا تصدقواننى ! انكم لم تصدقوا كلمة واحدة مما كنت أقول ، وذلك خطئى أنا لا خطؤكم أتم : كان على أن أصمت بدلاً من أن أفضى بذات نفسى أمامكم في غباء وبلاهة ، آه ، و المذا ، لماذا أسففت ذلك الاسفاف فكشفت لكم عن سرًى ؟ انكم لا تزيدون على أن تضحكوامن ذلك ، أنا أقرأ هذا في نظراتكم ، أنت الذي دفستنى الى الكلام يا وكيل النابة ، أتم الآن متصرون أيها الجلادون المناحسي !

قال ميتا ذلك ، وخفض رأسه وأخفى وجهه فى يديه ، وصمت وكل النيابة وقاضى التحقيق ، وبعد دقيقة بمرفع ميتيا رأسه ونظر اليهما فارغ العينين ، ان قسمات وجهه تعبر فى هذه المرة عن يأس كامل لا برء منه ؟ وظل جامدة على كرسيه لا ينطق بكلمة واحدة كأنه غائب عن نفسه ، وكان الوقت أثناء ذلك يتقضى ، فلا بد من الانتهاء ، ولا يمكن تأخير سماع الشهود مزيدة من التأخير ، لقد دقت السساعة الثامنة من

الصباح ، وذابت الشموع منذ زمن طويل . وهذا ميشيل ماكاروفشى وكالجانوف اللذان غابا عن الغرفة مراراً أثناء الاستجواب ، يخرجان الآن من جديد ، وان وكيل النيابة وقاضى التحقيق نيدوان متبعين هما أيضاً إلى أقسى حدود التمب ، والصباح كالح مكفهر ، والسماء تنطيها النيوم ، والأمطار تهطل سيولاً غزيرة ، وميتيا ينظر من خلال النافذة كالآلة ،

قال ميتيا يسأل نيقولا بارفينوفتش :

- هل أستطيع أن ألقى ظرة من النافذة ؟ فأجابه هذا يقوله:

ــ ما شئت أن تنظر •••

فنهض مينا واقترب من النافذة • المطر ينهمر على الزجاج انهماراً قوياً • وأمام المنزل يُرى طريق قدر ؟ وبعد الطريق ، فى الفسسياب الماطر ، تُملمع الكتل السوداء البائسة ، كتل الأكواخ التي تبدو فى المطر ملفعة بمزيد من الجهامة والحزن • فكر مينا فجأة فى « فيبوس ذى الضفائر الذهبية ، ، وفيما كان قد عقد عليه عزمه من انتحار عند الفجر • فقال في نفسه وهو يبتسم ابتسامة مرة : « هذا صباح كان يناسب مشروعى جداً ، ثم طرد هذه الرؤيا بحركة عريضة من يده ، والتفت الى جلاديه وصاح :

ــ أيها السادة ؟ أرى أننى ضعت • ولكن ماذا عنها هى ؟ قولوا لى المرح الكم ، هل سيكون عليها أن تهلك مهى • انها لا شأن لها بالأمر؟ وفي لحيلة من ضلال انما اتهمت نفسها أمس بأنها • مســـئولة عن كل شيء ، • هي لم ترتكب أى خيلية ، هي غرية عن هذه الدرامة كل الغرابة • لقد تأكمت طوال الليل وإنا أفكر فيها بينما كنتم تستجوبوتني • ثلا تستطيعون أن تقولوا لى ما هو المصير الذي ينتظيها ؟

بادر وكيل النيابة يجيبه :

- اطمئن عنها يا دمترى فيدوروفتش • ليس هناك حتى الآن أى سبب يدعونا لى افلاق الانسانة التى تهتم بها هذا الاهتمام كله ، وأرجو أن تضمها نهاية التحقيق فى خارج القضية نهائيا • • • وسنمىل من جهتنا كل ما فى وسمنا فى سيلها • فلا تخش عليها شيئا !

ــ لم يبق لنا وقت نضيعه • يجب أن نهادر الى سماع الشهود حالاء وهذا لا يكون الا بحضورك • لذلك • •

قاطع نيقولا بارفينوفتش قائلاً :

_ ألا يكون من الأفضل أن تحتمى فنجانا من الشاى أولاً • أحسب أننا نستحق فنجانا من الشاى !

وتقرر احتساء شيء من الشاى اذا وجد شاى ساخن تحت (وهذا مرجع ، والا فهل كان ينفيب ميشيل ماكاروفتش الا لطلب الشاى ؟) وبعد الشاى يُستأنف الاستجواب ويتابع بلا كلال • أما الافطار بمعنى كلمسة الافطار ، أما الافطار مع • الزاكوسكى ، * فيؤجل الى ما بعد • واتضع أن هناك شاياً مهياً بالفعل تحت ، فجيء بالشاى الى الغرفة وفض مينا في أول الأمر أن يتساول الكأس التى مدّ ها اليسه بقولا بارفيوفتش بكثير من اللطف والمودة ، ولكنه عدل عن رأيه بعد لحظة فتناول الكأس واحتسى الشاى بشراهة • كان يبدو مرهقا ارهاقا غريباه ما كان لليلة قصف ، ولو حفلت بانفطالات عنيفة ، أن تهدم هذا التهديم رجلاً له مثل قوة جسمه • ولكن ميناكان لا يكاد يستطيع الثبات على كرسيه ، وكانت الأشياء الموجودة في الفرقة تدور أمام عينيه في بعض كرسيه ، وقال يحدث نفسه : • الحظات ثم أهذى ، •

أقهال الشهسود . الصبي

استجواب الشهود • ولكننا لن نذكر هنا جميع. تفاصيله ، كما فعلنا باستجواب ميتيا . لن تحكى اذن كيف أوضح نيقولا بارفينوفتش لكل شاهد أن من واجب أن يقول الحقيقة كاملة ، وأنه سحمل فيما بعد على أن يكرر أقواله معـــززة بحلف اليمين ؛ لا ولن نصف الشكليات الاجراثية، كتذبيل الشهود لمحضر استجوابهم بتوقيعهم. وحسنا أن نشير الى أن الأسئلة التي ألقيت على مختلف الأشخاص انما دارت في الدرجة الأولى على الثلاثة آلاف روبل : لقد طُلُب من الشهود أن يقولوا هل أنفق دمتري فيدوروفتش ، في موكرويه ، أثناء سيهرة القصف السابقة ، في الشهر الماضي ، ثلاثة آلاف روبل أم هو أنفق ألغاً وخسمائة فحسب ، وهل كان معه في اللبلة البارحة ، في أول سيهرة القصف الثانية هذه، هل كان معه ثلاثة آلاف أم كان معه ألف وخسمائة. واحزناه! لقد شهدوا جميعا عليه ولم يشهد أحد له • حتى أن عددا منهم

وكان تريفون بوريستش أول من سُمعت شهاداتهم • تقسدم أمام · القضاة دون أن يندو علمه أي خجل ، فهيئته هيئة رجل مستاء أعمــقي الاستاء من سلوك المتهم ، وهذا ما أضفى على تصريحاته طابعا قويا من.

ذكروا قرائن جديدة قوية تكذب دعاواه ٠

الصدق ، وأتاح له أن يصطنع أوضاعا فيهسا كثير من الكرامة والمهابة والوقاد ، وكان موجزاً في كلامه ، متحفظا في أقواله ، ينتظر الأسئلة يدلاً من أن يستبقها ، ولكنه أجاب عن كل سسؤال بكثير من الدقة وزارية والتأمل ، وقد أكد بلا تردد أن الميلغ الذي أنفق في الشسهر الملخى لا يمكن أن يقل عن ثلاثة آلاف روبل ، وأن جميع فلاحي المنطقة قد سمعوا رقم الثلاثة آلاف ينطقه « دمتري فيدوروفتش ، بلسانه نفسه، وانه يكني أن يُسألوا عن ذلك ، وختم صاحب النزل كلامه بقوله: . لقد أنفق على الفجر وحدم ثروة طائلة ، أعطائي النساء ألف

ووبل في أقل تقدير •

فعلق مِينَيا عَلَى ذلك قائلاً وهو مظلم الوجه :

له أكد أعطيهم خمسمائة روبل • من المؤسف أننى لم أحسب، لأننى كنت ثملاً ، ولولا ذلك •••

كان ميتيا جالسا عندئذ في جانب ، جاعلاً ظهره الى الستائر ، وكان يبدو كالح الوجه حزين النفس متعب الجسم ، يستمع الى أقوال الشهود مستسلمنا مذعنا بغير انفعال ، فكأنه يقول لهم : « هيًّا ٥٠٠ قولوا ماشئتم ٥٠ يستوى عندى كل شي، بعد الآن ! » ٥

ردً عليه تريغون بوريستش قائلاً بلهجة حازمة :

لقد كلفوك أكثر من ألف روبل يا دمترى فيدوروفتش • كتت ترمى الهم المال بدون حساب ، وكانوا يلتقطونه من الأرض • ان هؤلاء الفجر أوغاد • • • ذلك معروف • • هم لصوص خيل • • • وقد طردوا من المنطقة ، ولولا ذلك لكان يمكن أن يؤتي بهم ليقولوا كم سلبوك في تملك الليلة • لقد رأيت بعينى الحزمة : لتى كتت تمسكها بيديك • ولئن لم أعدًّ الأوراق المالية التى كانت تفسمها الحزمة ، لأنك لم تتح لى ذلك، فانتى أنذكر أنها كانت تضم أكثر كبيرا من ألف وخمسمائة روبل ، اذا

صِدق النظير • • أكثر كبيرا على كل حال ! أنظن أننا لِم نر مبالغ ضبضة في حياتنا • • • اننا تستطيع نحن أيضا أن نقدر ما تضمه حزم الأوواق المالية • • • •

أما عن المبلغ الذي جاء به بميتيا في الليلة الباربحة فقد صبرح تريغون . بوريستش بلهجة قاطمة لا تقبل الجيدل بأن ميتيا ما ان نزل من عربة . الترويكا حتى قال له ان معه ثلاثة آلاف روبل .

فِحْاوِلُ مِيتِيا أَنْ يَحْتَجَ قَائِلاً :

- أبت قلت ذلك يا دمترى فيدورونتس ! وقد قلته بعضور آندره. وهو ما يزال هنا لبم ينصرف ، وأسألوه و وبعد ذلك بقليل صبحت تقول في القاعة ، وأبت تفدق على أفراد الجوقة ، انك تنفق هنا الألف السادس من الروبلات ، جاعلا الثلاثة الآلاف الأولى في جسابك طبعا ، ولقسد سمع كلامك ستيفان وسيمون ، وسمعه بطرس فومتش الذي كاني إلى جانبك بجندئذ ، فلعله يتذكره هو أيضا ٥٠٠

اهتم القضاة بهذا التصريح المتملق بالألف السادس من الروبلات اهتماماً شديداً • ان هذه المدادلة الجديدة تعظيب عقولهم : ثلاثة آلاف في المرة الأولى . ثلاثة آلاف في هذه المرة = ستة آلاف في هذه المرة = ستة آلاف في هذه المرة =

واستجوب الفلاجان اللذان ذكرهما تريفون بوريستش ، وهما ستيفان وسيمون ، واستجوب التعوذي آبدره ، واستجوب كذلك بطرس فومتش كالجانوف ، فأما الفلاجان والخوذي ققد أينًا تصريحات صاجب النزل بلا ترهد ، وقد سُبُحِنَّك ، بوجه خاص ، النفاصيل التي أوردها آبدره عن الجديث الذي جرى بنه وبين مينا أثناء الطريق جين سأله بعين ، عنا حين ماله المجنة ، « هل سينهم ، ه لل المجنة ،

وهل سينغفر له في السماء أم لا ، • وقد تذكر هيوليت كيريلوفتش في هذه المناسبة مواهبه الرفيعة في « النفاذ السيكولوجي » ، فاستقيل ما رواه آندره بابتسامة مفهومة ، وأمر بضم هذا التصريح الى ملف القضية • واستُدعى بعد ذلك كالجانوف ، فدخل القاعة وقد بدا في وجهه النململ والضجر والتجهم ، وأظهر أتناء الاستجواب كثيرا من النزوات وأبدى كثيرا من سرعة الغضب • تحدث مع وكيل النيابة وقاضي التحقيق حديثه مع أناس يراهم لأول مرة ، مع أنَّه يعرفهما منذ زمن طويل ، ومع أنهما التقى بهما مرارا في المجتمع • وقد بدأ كلامه بقوله « انه يَجْهَلُ كُلُّ شيءَ عَنْ هَذَهُ القَضْيَةَ ، وَلَا يَنْحُبُ أَنْ يَقْحَمُ نَفْسُهُ فَيِهَا ، ﴿ وَلَكُنَّهُ اضطر أن يوافق على أنه سمع صبحة ميتا في موضوع الألف السادس من الروبلات ، وأنه كان الى جانبه في تلك اللحظة • فلما سئل كم كان مع مينيا من المال قال : ﴿ لا أُعرِفَ عَنْ هَذَا شَيًّا ۗ ﴾ • وأكَّد في مقابل ذلك أنَّ الرجلين البولنديين قد غشـًّا أثناء اللعب بالورق • وذكر كذلك ، بعد الحاح القضاة عليه الحاحاً متكرراً، أن منا قد حظى، بعد طرد البولنديين، برضى أجرافين ألكسندروفنا ، وأن أجرافين الكسندروفنا قد أكدت أنها تحبه • وقد تكلم كالجانوف عن أجـــرافين ألكــــندروفنا بلهجة فيها احتشام واحترام، ولم يسمح لنفسه مرة واحدة بأن يسميها هجروشنكاء. ورغم الانزعاج الواضح الذي كان يحسه هذا الشاب من اضطراره آلي الادلاء بشهادته ، فإن هيبوليت كيريلوفتش ظل يستجوبه مدة طويلة ، حتى علم منه جميع التفاصيل التي تألفت منها خلال الليل « رواية ، ميتيا. وقد ترك ميتيا للشَّاب كالجانوف أن يتكلم دون أن يقاطعه ، ومُسرف الشاب أخيرا ، فابتمد دون أن يخفى استياء وامتعاضه •

واستجوب البولنديان أيضا • كانا قد استقرا للنوم في الغرفة التى حسُّبسا فيها ، ولكن لم يضمض لهما جفن طوال الليل ، وأسرعا يرتديان عما حين سمعا وصول القضاء ، لأنهما كان يقدّران أنهما سيستدعيان

للادلاء بشهادتهما • تقدما نحو القضاة برصانة ووقار ، ولكن بشيء من الخوف والخشية مع ذلك • وعثرف عندئذ أن « السيد » الصغير الذي. كان يبدو أنه هو الشخصية الهلمة من الشخصيتين ، موظف ٌ محال على التقاعد من الدرجة الثانية عشرة ، قد خدم في سيبريا طبيبا بيطريا • وأن. اسمه موزيالوفكتش • أما « السيد ، فروبلفسكي فقد صرح بأنه دطبيب. أسنان حر ، ، وهذا اصطلاح يعني في الروسة أنه « خالع أسنان ، • منذ أن دخل البولنديان الغرفة التفتا نحو ميشيل ماكاروفتش ليجيبا عن الأسئلة كان يلقيها عليهما نيقولا بارفينوفتشء كان واضحا أنهما يتصوران أن رئس الشرطة ، المنتحى قلملاً ، هو أرفع السخصات الموجودة في الغرفة رتبة " ، فكانا لا ينفكان يخاطبانه بقولهما : « سيادة الكولونيل » • ولم يعزما أمرهما على الاتجاه بحديثهما الى نيقولا بارفينوفتش الا بعب احتجاجات كثيرة من مشمل ماكاروفتش، مصحوبة بايضاحات وتعلمات. وقد تبيَّن أنهما يجيدان الكلام باللغة الروسية اجادة تامة ، بصرف النظر عن بعض عيوب النطق • عرض «السيد» موزيالوفكتش علاقاته الحاضرة. والماضة يجروشنكا ، متكلما بلهجة مسرحة ، مظهرا كثيرا من الحرارة. والكبرياء ، فكان من شأن ذلك أن أحنق ميتيا وأخرجه عن طوره فصاح يقول انه لا يبحتمل أن يتحدث انسان دحقير، على هــذا النحو أمامه • فسرعان ما ألح «السيد» موزيالوفكتش على أن يُسجَّل في المحضر أن. منا استعمل كلمة دحقيره • فصاح منيا يقول :

ــ حقير ٥٠٠ نم ٥٠٠ حقير ! سجلوا هذا الكلام ، وسجلوا أيضا أننى لا أعبأ بالمحضر ، ولن يمنعنى المحضر من أن أصرخ في وجهك. مرة أخرى قائلاً : أنت حقير !

أمر نيقولا بارفينوفتش بتسجيل الاهانة ، ولكنه عرف بعسد ذلك. كيف يختم هذا الحادث الأليم ببراعة عظيمة وحنكة مهنية فائقة • دعا

ميتيا الى النزام الهدوء بلهجة قاسية ، وعدل بعد ذلك فورا عن القاء أمثلة جديدة تتناول النجانب الروائي من القضية • وعلى وجه الاجمال ، كان في أقوال «السيدين» البولنديين نقطة لفتت انتياه القاضيين لفتاً خاصاً » وأثارت فيهما اهتماما شديدا ، ألا وهي محساولة ميتيا أن يتخلص عن هالسيد، موزيالوفكتش بأن يطيسه ثلاثة آلاف روبل ثمناً لتناؤله عن جروشنكا ، منها سيمائة روبل ينقده اياها فورا ، والياقي وهو ألغنان وثلاثمائة روبل ، يدفعه له ه منذ صباح الند في المدينة ، • وقد ذكر «السد» البولنـــدي أن متسا حلف له أنه لا يملك الميـــلغ كاملا في موكرويه ، ولكنه يملكه مخبًّا في المدينة • احتد مينيا حين سمع هــذا التصريح وأنكر أن يكون قد وعده باكمال البلغ منذ الصباح في المدينة. غير أن «السيد، فروبلفسكي أيد أقوال رفيقه • ففكتَّر ميتيا قليلاً ، ثم واقق ، مقطبًا ، على أن من الجائز فعلا ً أن تكون الأمور قد جرت غلى هذا النحو الذي يذكره والسيدان، البولنديان ، وقال انه كان مهتاجا أشد الاهتباج أثناء ذلك الحديث ، فمن الممكن أن يكون قد قال ذلك الكلام. وهكذا بدا ثابتا الآن (وذلك ما لم يفتهم الاستناد اليه فيما بعد) أن تصف الثلاثة آلاف روبل التي صارت الى يدى ميتيا انما هو مخبأ في المدينة بم وربما في موكرويه نفسها • بذلك تبدد ذلك الظرف الذي كان يعرقل الاتهام ، أعنى كون ميتيا لا يحمل الا تمانمائة روبل ، وهذا أمر كان الى ذلك الحين هو المنصر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في دعم صدق أقواله ، وان تكن دلالة هــذا المنصر ضـــعـفة • هكذا انهارت المشاهدة الوحيدة التي كان يمكن أن تدافع عن ميتيا • فلما سأل وكيل النبابة منها من أين كان يأمل أن يأخذ ما ينقصه ، وهو ألفان وتلاثمائة روبل ، من أجل أن يدفع اللسيد، البولندى ، ما دام جميع ما يملكه هو أَلْف وخمسمائة ، وما دام قد وعد بأكمال الملغ في الفد ، أجاب ميتها

َ جَاوَماً بِأَنْهُ كَانَ لاَ يَنُوى أَنْ يَعْلَى الْبُولَنِدَى الْمِثْعُمُ عَالاً عَالِماً ۚ عَبْل تَنْافِلاً خَطْياً عَن حَقْوَقَهُ فَى أَرَاضَى تَسْرَمانَنَيا ، وهى الحقوق التي سبق أَنْ أَراد التنازل عنها للتاجر سامسونوف وللسيدة هوخسلاكوفا • فابتسم وكيل النيابة من «سذاجة هذا التملص ء •

ــــ هل تغلن جاداً أنه كان سيرخى بهذه المحقوق بعميلا عن ألنسين وثلاثمائة روبل عدة وتقدا ؟

أجاب ميتيا قائلا بحرارة :

ــ طبعا كان سيقبل • ذلك أنه يربح بذلك أكر من ألفي ووبل.
ان في وسمه أن يقبض بهذه الطريقة أربعة آلاف ووبل على الأقل ، ووبما
قبض سنة آلاف • كان سيسرع الى توكيل بعض المحلمين ، اليهــود أو
البولندين، فيجبر المحبوز على التخلى لا عن ثلاثة آلاف روبل بل عن قرية

تشرماشنيا !

مسْجِلَت أقوال «السيد» موزيالوفكتش طبها ، يجميع تفاصيفها ، م ثم صُرف البولنديان ، ولم يزعجهما أحد بموضوع الفش في اللعب بالورق ، لقد كان نيقولا بارفينوفتش شاكرا لهما تصريحاتهما فلم يشأ أن يصدِّعهما بسفاسف وترهات ، لا سيما وأن الأمر لا يعدو أن يكون بعد كل شيء خلافا في اللعب بين فاصفين سكارى ، ألم تكن الليسلة كلها حافلة بفضائع وخوادت شتى ؟ هكذا بقيت الماتا روبل هلكا حلالا «للسيدين» البولنديين ،

وجاً، بعد ذلك دور العجوز ماكسيموف ، بدا عند وصوله وجلاً كل الوجل ، واقدب من القضاة بعظى صغيرة ، حزين الوجه شسه يد الارتباك ، كان قد ظل طول الوقت في صحبة جروشنكا ، لاطباً بها كأنما لتحميه ، وكان في كل لحظة ينفجر باكيا ، ويسسح عينيه بعنديل أتروق ذى مربعات ، كما روى ذلك ميشيل ماكاروفتش قيما بعد ، وقه بلغ من قرط الكرب واليأس أن المرأة الشابة اضطرت أن تهدئه وأن تواسيه مرادا • اعترف المعجوز دفعة واحدة ، والدموع في صوته ، أنه يعد نفسه مذنها لأنه اقترض من دمترى فيدوروفشي عشرة روبلات « بسبب شدة فقره ، ، وأنه مستعد لردّها • • • فلما سأله نيقولا بارفينوفش هل يعلم كم كان في يدى مينيا من مال ، لأنه استطاع أكثر من أى شخص آخر أن ينم النظر في الحزمة حين تناول المشرة زوبلات ، أجاب على المغزه بالناع : أجاب على المغرد بافتناع : « كان في الحزمة بحو عشرين ألف روبل ، •

فسأله نيقولا بادفينوفتش ميتسما :

هل أتبح لك قبل ذلك أن ترى مبلغ عشرين ألف روبل ؟
 هل رأيت ؟ طبعا رأيت ، ولكنني لم أر عشرين ألفا بل رأيت سيمة آلاف ، وذلك حين رهنت نوجتى قريتنا الهسمنية ، لقد تباهت أمامى بالمبلغ الذي أعطيته ، وأذنت لي أن أنظر الى الحزمة ، ولكن من بعيد ، كانت حزمة كيرة من أوراق نقدية كالأوراق التي كانت مع دمترى فيدوروفتش ،

ولم يطيلوا استجوابه • واستدعيت أخيرا جروشنكا • كان القضاة يخشون ما قد يرد به مينيا حين يراها ، حتى لقد اعتقد نيقولا بارفينوفتش أن من الضرورى أن يقول له بضع كلمات من باب النصح • ولكن مينيا اتصر جوابه كله على أن حنى رأسه قليلا ، كأنه يريد أن يقول : • لن يحدث اضطراب ! » •

ان ميشيل ما كاروفتش هو الذي أدخـــل جروشنكا ، وقد دخلت عابسة "مقطبة ، ولكن على هدو، ظاهر ، وجلست بغير ضجة على كرسى أشار لها اليه يتمولا بارفينوفتش أمامه ، وكانت شــاحية الوجه جدا ، وكان يبدو أنها تشعر ببرد شديد ، وكانت تتلفع بشالها الأسود الرائم ، والحق أنها كانت تشعر برعدات حمى هى بداية ذلك المرض المطويلة الذي أصيبت به منذ تلك الميلة ، وكان من شأن قسماتها الرضية ونظرتها الحجادة الصريحة ووضعها الهادى، أن أحدثت فى نغوس الجميع أثرة

عظیما وحتی لقد وقتی، بها نیقولا بارفینوقتش بعض الشیء و فقد روی فیما بعد و حین وصف مشاعره فی ندوة من ندوات المجتمع و آنه أدرك مدی جمال تلک المرأة لأول مرة حینذاك و وقال انه لم یكن بری فیها حتی ذلك الحین الا و غایة ریفیة و وقد صاح یقول ذات مرة فی مجتمع نسوی و دان لها أداباً عظیمة و فأحدث هذه الصحة استیاء شدیداً فی نفوس سامعاته و فسرعان ما وصفنه بأنه وفاسق و فسرا هو بهذا الوصف سرورا عظیما و

حين دخلت جروشكا الغرفة ألقت على ميتا نظرة خاطفة ، فتأملها فلقا ، غير أن منظر هدوئها لم يلبث أن طمأنه ، سألها نيقولا بارفينوفش، يعد الاجراءات الشكلية وبعد بضع كلمات تشجيعية ، سألها مترددا بعض التردد ، ولكن بكثير من الأدب والتهذيب « ماذا كانت علاقاتها بالملازم المتقاعد دمترى فيدوروفش كارامازوف ، ، فأجابته جروشنكا بعسسوت حائم رقيق عذب :

كان أحد من أعرف من الناس ، وبهذه الصفة انما كنت أستقبله
 في بيتي أثناء الشهر الأخير •

وأُ لقيت عليها أشلة أخرى كان بعضها دقيقا محرجا ، فكانت تعجيب فى كل مرة بصراحة تامة ، وهكذا اعترفت بأن ميتيا كان قد أعجيها « فى بعض الساعات ، ولا شك ، غير أنها لم تكن قد أحيته ، وانها كانت تلمب به لعبا « بدافع العنيث المنحط وحسده ، ، كما كانت تلمب « بالعجوز ، من جهة أخرى ؟ وكانت قد لاحظت أن ميتيا يفار جدا من غيدور بافلوفتش ، ومن رجال آخرين أيضا ، ولكن ذلك لم يكن عندها الا موضوعا جديدا للتسلى والضحك ، أما فيدور بافلوفتش قانها لم تزره فى يوم من الأيام ، لأنها لم تزد على السخرية منه طول الوقت ، وأضافت حمول :

م انبی قد کانت لی خلال هسدا الشهر الأخیر مشاغل أخری مختلفة عن ذلك كل الاختلاف ، فقد كنت لا أفكر فیهما ، لأنبی كنت أنظر وصول رجل أعده آنماً فی حقی مه ومهما یكن من أمن ، هانبی أحسب أنه لیس لكم أن تدخلوا فی هذا المشأن ، ولیس علی آن أدوی هذه النفاصیل ، لأن هذا من حیلتی المخاصة .

أسرع يقولا بارفينونش يعضع أمام هــنه الحجة ، فكف عن سؤال جروشنكا عن العناصر الروائية في القضية ، وبادر يواجه النقطة الأساسية رأساً ، أعنى مسألة الثلاثة آلاف روبل ، فأيدت جروشنكا أن المال الذي أنفق في موكرويه في الشهر الماضي يرتقى الى ثلاثة آلاف روبل ، فلان لم تعد المال ، فلان لم تعد المال ، فلان لم تعد المال ، فقد المحت دمترى فيدوروفتش نفسه يذكر هذا الرقم ،

سألها وكيل النيابة :

ــــ هل أسرَّ البك بهــــــذا الرقم على انفراد أم بحضـــود أشخاص آخرين ؟ أم هل عرفته لأنك سممته يُذكر لآخرين ؟

فأوضحتَ جروشنكا أنها سمعت متيا يذكر هذا الرقم لأشخاص آخرين ، ولكنه حدثها عنه أيضا ، على انفراد وبحضور آخرين .

فسألها وكيل النيابة مرة أخرى :

_ هل سمعته يذكر هذا الرقم مرة واحدة أم عدة موات ؟ فأجابت :

_ بل عدة مرات •

رضى هيبوليت كيريلوفتش عن هــنـه التصريحات زضى عظيما • وقد أتاحت تنمة الاستجواب أن يُعرف ، عدا ذلك ، أن جروشنكا كانت على هلم بعصدر هذا المؤلم > توأنها كانت لا تنجهل أن ميتيا قد أخذه من كاترين إيفانوفنا •

ــ ألم تسمى أبدا أن المبلغ الذي أنفق في القصف في الشمه. الماخى لم يكن ثلاثة آلاف روبل ، بل دون ذلك كتسميرا ، وأن دمترى فدورونش قد احتفظ بنصف المال ؟

- لا ، أبدا ، لم أسمع هذا في يوم من الأيام ،

واذ طلبوا لى جروشنكا أن تزيد هذه النقطة وضوحا ودقة ، فقد تأدوا بها الى أن تصرح بأن ميتيا ، خلافا لذلك ، قد أكد لها طوال هذا انشهر أنه لم يبق معه كوبك واحد • وختمت جروشنكا كلامها قائلة :

_ وكان يأمل دائما أن يأخذ مالاً من أبيه •

هنا تدخل نيقولا بارفينوفتش فسألها :

حل اتفق له أن قال بحضورك أو ذكر عرضاً أو صاح وهمو فى
 سورة من غضب أنه ينوى أن يقتل أباه ؟

فأجابت جروشنكا متنهدة :

_ قال ذلك وا أسفاه !

_ أقاله مرةً واحدة أم قاله موازا ؟

ــ قاله مرازا ، ولكن في لحظات النضب دائما •

ـ هل صدقت أنه سيقدم على تنفيذ نواياه ؟

ــ لا ، لم أصدق هذا في يوم من الأيام ، لأنمي كنت على ثقة بنبل خلقه •

كذلك قالت جروشنكا بلهجة حازمة •

فصاح مبتبا يقول فجأة :

ـــ اسمعوا لى أيها السادة ! هل أستطيع أن أقول كلمة ، كلمــــة واحدة ، يحضوركم ، لأجرافين ألكسندروفنا ؟

قال نيقولا بارفينوفتش :

_ افعل !

فقال ميتيا وهو ينهض عن كرسيه :

ــــ أجرافين الكسندروفتا ، صدقيني ، فان الله على ما أقول شهيد : أنا لم أسفح دم أبمي !

قال ميتيا تلك الكلمسات وعاد يتهالك على كرسسيه • فنهضت جروشنكا ، ورسمت انسارة الصليب بخشسوع وتقى وهى تتجه الى أيقونة ، وقالت بصوت حار مؤثر :

_ الحمد لله !

ثم أضافت تقول مخاطبة " نيقولا بارفينوفتش بينما كانت تعسود تجلس :

— ان ما قاله هو الحقيقة ، وعليكم أن تصدّقوه • أنا أعرفه • قد يمزح لعبا أو عناداً ، ولكنه لن يكذب في يوم من الأيام مخالفا ضميره • سيقول الحق دائما في الأحوال الخطيرة • كونوا من هذا على يقين ! قال مينيا بصوت يهدّجه الانفعال :

ـ شكراً أجرافين ألكسندروفنا ! ان أقوالك قد واست قلبي • وفي موضوع المال الذي كان مع ميتيا في الليلة البارحة ، صرحت جروشنكا بأنها لا تعرف مقداره ، ولكنها اعترفت بأن ميتيا قد أكد لعدة أشخاص أنه جاء بثلاثة آلاف روبل ، وأما عن مصدر ذلك المال فقعد قالت جروشنكا أن ميتيا اعترف لها ، لها وحسدها ، بأنه « سرقه ، من

كاترين ايفانوفنا ، وانها أجابته على ذلك بأن هذا ليس سرقة ، وان عليه أن يرد اليها المال منذ الفد ، فلما ألح وكيل النيابة على أن يعرف ما هسو المبلغ الذي يدعى ميتيا أنه سرقه من كاترين ايفانوفنا - أهو الثلاثة آلاف روبل التي كانت ممه في الليلة البارحة ، أم هو الثلاثة آلاف روبل التي أنفقها بموكرويه في الشهر الماضي - أجابت بأن ميتيا قد تكلم من الثلاثة آلاف روبل التي أنفقت في الشسهر الماضي ، وأن هذا ما فهمتسه هي من كلامه ه

هنا اتنهى استجواب جروشنكا • وأسرع نيقولا بارفينوفتش يعلن لها: أنها حرة تستطيع أن ترجع الى المدينة ، فاذا كان فى وسعه أن يعمل. شيئًا من أجلها ، كأن يأمر لها بخيل أو أن يهيى، لها خفراً ، فانه سوف. يسمده أن •••

فقاطمته جروشنكا تقول وهى تنحنى انحناءت توديع يسيرة : ــ أشكر لك لطفك . ولكننى أنوى البقاء فى صحبة هذا السجوتر المسكن ، هذا الملاك الذى أرغب فى أن أوصله الى منزله . وبانتظار ذلك أوثر أن أبقى تحت ، اذا أذنتم بذلك ، ريشا تقرروا مصير دمترى فدوروفتور . .

وخرجت جروشنكا من الفرفة . كان ميتيا هادئاً ، حتى لقد كان وجمه يعبر عن رباطة الجأش وطمأنية البال ، ولكن ذلك لم يدم الا لحظة قصيرة . ان وهناً جسميا شديدا كان يغزوه شيئا بعد شيء ، وان عينه كانتا تضمفان من فرط التعب ؟ ولم يكن قد يقى شهود يُستمع الهم شهاداتهم ، وقد بدأت كتابة المحضر في صورتها الأخيرة ، فها هو ذا ميتيا ينهض عن كرسيه ، ويتجه الى زاوية الفرفة قرب الستارة ، حيث تتمدد حقيبة كبيرة مفطاة بسجادة ، فسرعان ما ينام ، فيرى في منسامه حلما غربا لا يتفق مع هذه الظروف في شيء من الأشياء ـ رأى نفسه في عربة غربا لا يتفق مع هذه الظروف في شيء من الأشياء ـ رأى نفسه في عربة

تعجاز سهوباً في المنطقة التي كان قد خدم فيها ضابطا ، والعربة يقودها أوائل شهر تشرين الأول (نوفمبر) • الثلج يتساقط سبائخ كبيرة رطبة ما ان تلامس الأرض حتى تذوب • الفلاح يستحث الخيل ويشجمها على أن تسرع المدو ملوِّحاً بسوطه • ان له لحية حمراء طويلة جدا • ما هو بالمجوز ، قد يكون في الخمسين من عمره ، أنه فلاح بسيط يرتدي قفطانا فقيرا أشهب • وهذه ضيعة صغيرة تتراءى في مكان قريب • ان الناظر يلمح أكواخها السوداء الحزينة وقد احترق نصفها ولم يمق منها الا هياكل محترقة • وعند مخرج الضيعة تصطف نساء ، تصطف كثرة من النساء ، انهن هزيلات هزالا رهبا ، وجوههن بلون التراب ، بينهن واحــدة تلفت النظر خاصة ، قد وقفت على حافة الطــــريق • هي امرأة بارزة العظام طويلة القامة ، تبدو في الأربعين ولكن ربما كان عمرها لا يزيد على عشرين • وجهها مستطل جاف• وعلى ذراعها طفل يكي• لا شك أن ثدييها قد نضبا ، فلم يبق فيهما قطرة من لبن • الطفل يبكي، وما ينفك يبكى بلا انقطاع ، ماداً ذراعيه الصغيرتين ، ذراعيه العاريتسين البائستين اللتين ازرقت قبضتاهما من شدة البرد •

سأل ميتيا حين مرت العربة أمامهم مسرعة :'

ـ لماذا يبكون ؟ لماذا ؟

فأجابه الحوذي :

ـ الصبى هو الذي يبكى •

فوجيء ميتيا من قول الفلاح : « الصبي » ، بدلا من أن يقول. : « الطفل » ١٠ أعجب من الفلاح أن يستعمل هذه التسمية ، ان في كلفمة « الصبي » من العفل والشنقة ما ليس في كلمة « الطفل » .

ألع ميتيا يسأل الفلاح رغم شعوره بغبلوة سؤاله :

ــ ولكن لماذا يبكى ؟ لماذ: ذراعاء عاريتان ؟ لماذا لا يغطون ذراعيه؟ قال الفلاح :

ـــ الصبى أقد تخدر من البرد ؟ تجلدت ثيابه فأصبحت لا تقيه • عَنَــُدُ مِشَا فَظُلُ يُسَأَّلُ فِي غَياء :

_ ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

ے ہؤلاء نساء فقیرات ، احترقت دورہن ، ولم یبنی معهن خبز ، فهن یستجدین .

قال ميتيا وكأنه لا يفلح في أن يفهم :

ـ لا ء لا ء لا ه قل لى : لماذا هن هنا ، تلك الأمهات اللواتي احترقت دورهن ، لماذا هن فقيرات الى هذه الدرجة من الفقر ، لماذا هذا العسبي يكى ، ولماذا هذه السهوب عارية كل هذا العرى ؟ تهم ، لماذا لا يتعاتمن جميعا ، لماذا لا يرتمى بعضهن في أذرع بعض منشدات أغنية فرح ؟ لماذا أصبحت وجؤههن بلون التراب من شدة الفقر والبؤس ، لماذا لا يطممن المطفل ؟

ان مييا يحس في قرارة نفسه أن هذه الأسئلة بلها محينة ولكنه يشمر بحاجة فوية الى القائها ، ويعلم أنها يجب أن تلقى • وهو يتسعر كذلك بسفقة كبرة تشب في قلبه ، شفقة لا عهد له بمثلها من قبل ، وهو يريد أن يكى ، ويتمنى أن يغمل شيئًا لساعدهن حميا ، حتى يكف الحسبى عن الأبين ، وحتى تقطع عبرات أمه ذات الوجه الهزيل المغبر ، وحتى لا يكى أحد في هذا العالم بعد اليوم • انه يريد أن يحمل شيئًا على الفور ، بغير انتظار ، وبدون أن يحسب حساب أى شيء ، مندفعا خلك الاندفاع الجامع الذى يتميز به آل كارامازوف •

ــ سأكون ممك ، لن أثركك بعد الآن ، سأبقى الى جانبــك مدى الحياة . كذلك قال على مقربة منه صوت جروشنكا الرقيق الحنون التأثر. اشتمل قلبه مندفعا تحو ضياء بعيد • انه يريد أن يحيا ، أن يحيا ، أن يمشى ، أن يمشى بلا توقف تحو ذلك الضياء الذي يناديه ، أن يسافر

حالا ، بمزيد من السرعة ، على الفور ، على الفور ! متف فجأة وهو ينتح عينيه ويجلس على الحقيبة ، كأنه يصحو من

وكانت بسمة مشرقة تغيىء وجهه ٠

كان يقولا بارفينونش واقفا أمامه يدعوه أن يسمع قراءة المحصر وأن يوقعه م أدرك مينيا أنه نام ساعة أو أكثر ٥ ولم ينتبه أى انتباه الى كلام نيقولا بارفينوفتش ، لأنه لاحظ أن وسادة كانت موضوعة تحت رأسه ، مع أنه لم يكن تمة وسادة حين استلقى على الحقيبة مهدود القوى حقف يسأل وهو يشعر بامتنان متحسس ، وفي صوته دموع ، كأنه قسد منن عليه بغضل عظيم :

من غير أن الانسان الذي قام ببادرة العطف النبيلة هذه قد ظل مجهولا • لمل أحد الشهود أو لمل كاتب نيقولا بارفينوفتش هو الذي أمر باحضار الوسادة • أحس ميتيا بتأثر شديد يرقرق الدموع في العينين • واقترب من المائدة ، وأعلن أنه سيضع توقيعه على كل ما يشاءون أن يضع توقيعه

وقال بصوت غريب :

ـ رأیت حلماً جمیلا یا سادتی •

ان قسمات وجهه لا تعبر الآن عما كانت تعبر عنه أثناء الليل •
 لكأنه قد بدأل انسانا آخر • ان محياً عادق في ضياء مشرق •

۹ اقتیادمیتیا

تم توقيع المحضر النفت نيقولا بارفينونش بمحو مبتيا في أبهة ، وقرأ عليه نص « قرار » ينضمن أنه في يوم كذا ، سنة كذا ، وفي مكان كذا ، استجوب قاضي التحقيمة فلانا (أي ميتيا) ؟

وحيث أن المتهم ، رغم انكاره التهمة المنسوبة اليه ، لم يكن قادرا على أن يبرى، نفسه ؟ ونظراً للتهم المنسوبة اليه من الشسهود (و تطبت قائسة يأسماء الشهود) ، ونظرا لظروف القضية ، فقد قرر قاضى التحقيسق ، بالاستناد الى مواد القانون (و تليت أرقام المواد) أن يودع المتهم السجن٠٠ حتى لا يستطيع الفراد من وجه المعالة ، وأن تبلغ صورة من هذا الحكم لوكيل النابة ، النع ٠

ــ ليكن ما تشاءون يا سادتي ٥٠٠ لست أۋاخذكم ، أنا مستمد ٥٠٠ اننى لأدرك حتى الادراك أنكم ما كان في وسمكم أن تفعلوا غير مافعلتم. فشرح له نيقـــولا بارفينوفتش ، في لين ورفـــق ، أن موريس مافريكيفتش الذي كان في المكان بما يشبه المصادفة، هو الذي سيقتاده ٠ هنف مينيا يقول فعبأة في سورة جاسعة لا تقاوم ، متجهاً بكلامه الى جميع الحضور في القاعة :

ـ لحظة يا سادة ! نحن جميعًا قساة ، نحن جميعًا وحوش مفترسة، نحن سبب الدموع التي تسكيها الأمهات ويسكبها الأطفسال الرضَّع م ولكنتي أنا _ أقول هذا جهارا على رءوس الأشهاد هنا _ أبذل الناس م وأِدِنَاهُم طَرَاً . • انني أَسلِتُم بهـــبذا • وما من يوم انقضي في حياتي الا وحلفت فيه ، وأنا ألطم صدرى ، لأصلحن أمرى ولأَقوَّ منَّ عوجي ، ولكننى كنت أهوي الى أخطائى منذ الغد • اننى أدرك اليوم أن رجالاً مثلي محتاجون الى أن يضربهم القدر ، محتاجون الى أن يضربهم القدر ضرَّبة تدمَّر كيانهم وتوقف في أنفسهم قوى الحقيقة العليا • ما كان لي أبداً ، أبداً ، أن أستطيع النهوض من تلقاء نفسي ! ولكن الصاعقة قد نزلت على * • وأنا أقبل عَذاب الاتهام الموجه الى ، وأقبل العار الذي للطخ به شرفی أمام الناس . أريد أن أتألم ، وأن أتطهر بالألم . لأنني سأفدى نفسى بالألم ، أليس هذا صحيحا أيها السادة ؟ ولكنني أؤكد لكم آخر مرة : أننى لم أسفح دم أبي ! اننى أقبل العقاب لا على قتله، بل على أننى أردت أنْ أقتله ، وربما كنت سأقتله في النهاية ٥٠٠ ولكنني سأكافح لدفع التهمة عن نفسي ، فاعِلموا هذا ! سأدافع عن نفسي حتى النهاية ، وسيقرر الرب مصيرى • الى اللقاء أيها السادة • واغفروا لى ما ظهر منى من غضب أثناء الاستجواب • آه • • ما كان أغباني عندئذ ! بعد يضع ثوان لن أكون الا سننجينا ؟ ولآخِر مرة انما يمسسنه دمتري فيدوروفتش كارامازوف يده اليكم مصافحا مصافحة رجمل حر طليق • واني اذ أودعكم انما أودُّع العالم ••

أخذ صوته يرتجف ، وقدم يده ، لكن يقولا بارفينوفتش الذي

كان أقرب الحضور اليه ، سجب يده فجأة بحسركة تشنيع أن تكون متشنجة ه فلاحظ مبنيا ذلك فارتعش وسقطت يدء ه

دمدم نيقولا بارفينوفتش يقول محرجا :

ــ لم يتنه التحقيق و وسنستأنفه عى المدينة و وأنا من جهتى أتمنى لك النجاح فيما سبدله من جهود لتبرئة نفسك و لقد كنت أميسل دائما يا دمترى فيدوروفتش الى أن أعدك انسانا عائر الحظ ان صح التمير > لا انسانا مجرما ٥٠٠ ونحن جميع مستعدون ــ اذا جاز لى أن أنطسق يلسان الآخرين أيضا ــ لأن نرى فيك شابا نييل الخلق فى قرارة نفسه لكنه > وا أسفاه > قد اندفع مع أهواء عنيفة جامحة اندفاعا ربما كان فيه افواط و

وحين نطق القاضى بهذه الكلمات الأخيرة اصطنع منحضه الفسيل وضع مهابة قسوى ووقار عظيم • وأحس مينا فجأة أن هسذا • الولد الصنير ، سينسكه من ذراعة فينتحى به جانيا ويستأنف ممه حديثه الأخير عن • النساء الصنيرات ، • هل يتصور أحد أية خواطر غريبة شاذة يمكن في ظروف كظروف هذه اللحظة أن تومض في ذهن الانسان ، ولو كان هذا الانسان مجرما يُساق الى التعذيب ؟

سأل ميثيا :

۔۔ سادتی ، أنتم أناس طيبون انسانيون • فھل تسمحون لی بأن أراها مرة أخيرة لأودعها ؟

ــ طبعا ••• ولكن ، بالنظر الى الظروف الخاصة ••• أقصد •• لا يمكن أن تراها على انفراد بل بحضور شهود •

ــ لا أرى أي ضير في أن تحضروا اللقاء •

ــ قلت ُ اننى سأكون لك الى الأبد • سأصـــحبك حيثما تدهب • مهما يكن مصيرك • استودعك الله ۽ يا من ضيعت نفسك دون أن تكون مذنيا •

واختلجت شفتاها ، وسالت الدموع من عينيها •

_ اغفرى لى يا جروشنكا ، اغفرى لى أننى أحببتك • فسببت لك الضاع بهذا الحب •

أراد متيا أن يضيف شيئا آخر ، ولكنه انقطع عن الكلام فجأة وخرج من الغرفة ، وسرعان ما وجد نفسه محاطا برجال لم يغب عن أنظارهم ، وتحت ، أمام درجات الباب الذي وصل اليه الليلة البارحة على عربة آندره محدثا ضجة كبرة ، كانت تنظره عربتان ، ان موريس مافر يكينتش ، وهو رجل سمين قصير مفضَّن الوجه ، يدو معتكر المزاج قد أحقه طاري، ما ، فهو ينفب ويصبح ، وها هو ذا يدعو متيا الى ركوب المربة بلهجة عدَّها متيا مسرقة في الخشونة ، قال متيا يحدث نفسه : د حين كنت أسقيه خمراً في الكاباريه ، كان يدى غير ما يدى الأن ، ، وظهر تويفون بورستش في أسفل درجات الباب أيضا ، واحتشدت جمهرة من الفلاحين والساء والحوذيين قرب الباب تتفرس في متيا ،

هنف ميتيا يقول أيهم من مكانه :

ـ استودعكم الله أيها الناس الطبيون ! سامحوني !

فترجَّمت أصوات تقول له :

ـ اغفر لنا نحن أيضا •

_ أستودعك الله أنت أيضًا يا تريفون بوريستش !

ولكن صاحب النزل أبي حتى أن يلتفت و لعله كان مشغولا جداء فلقد كان يصرخ ويتحرك منهمكا هو أيضا : والحق أن العربة الثانية التي يجب أن يركبها خفيران من رجال موريس مافريكيفتش لم تكن يعد مستمدة للسفر كل الاستمداد و كان الفلاح القعسير الذي كلف يسوق العربة يصر على أن يزعم ، بينما هو يرتدى قفطانه ، أن الدور آكيم ؟ لا دوره هو ، في القيام بهذه المهمة و ولكن أين آكيم ؟ ان أحداً لم يستطع العثور عليه و لقد بحثوا عنه في كل مكان و والفسلاح القصير ما يزال يصر ويتوسل أن ينتظروه مزيدا من الانتظار و

هتف تريفون بوريستش يقول :

 ان هؤلاء الناس الذين ينتمون الى سقط الشعب وقحون وقاحة فظيمة يا موريس مافريكيفتش ، أظر كيف يتصرفون !

وأضاف يخاطب الفلاح الصغير :

له أعطاك آكيم منذ ثلاثة أيام خمسة وعشرين كوبكا ، فشربت يها خمرا ، وتريد الآن أن يحل محلك وأن ينوب عنك ٠

وعاد تريفون بوريستش يخاطب موريس مافريكيفتش :

تدخل متا قائلا :

لا تغلن ذلك على المربة الثانية ؟ تكفينا عربة واحبيدة ، ألا تغلن ذلك يا موريس مافريكيفتش ؟ اننى لن أسمرد ولن أزعجك في شيء ! لاحاجة الى خفر من أجلى !

فأجابه موريس مافريكيفتش قائلاً بشراسة :

تعلم كيف يجب عليك أن تكلمنى يا سيد اذا كنت لا تيرف
 ذلك بعد ٥ أنا لست رفيقك ، واننى أمنعك من مخاطبتى بصيغة المفسرده
 مفهوم ؟ أما نصالحك ففى وسعك أن تمنتع عن اسدائها الى فى المستقبل

كان واضحا أنه يسمده أن يفرُّج عن نفسه بالاستسلام لغضبه •

صمت مييا ، وكان قد احمر احمرارا شديداً ، وها هو ذا بعد لحظة يشعر ببرد ، لقد انقطع المطير عن الهطول ، ولكن السماء الشهاء منطاة بالسحب ، وان ربحا جافة جدا تسفع وجهه ، تسساءل مييا بينه وبين نفسه وهو يضم كنفيه في تشنج : « أهسند رعدة حمى ؟ » ، وركب موريس مافر يكيفتش العربة أخيرا ، جلس في مكانه تقيلا ، واسترخى على راحته دافعاً منيا الى ركن المقعد دون أن يدو عليه أنه لاحظ ذلك، الحق أنه كان ممتكر المزاج جدا ، وكان مسباء أشد الاستياء من هذه المهمة التي عهد اليه بها ،

ــ استودعك الله يا تريفون بوريستش !

كذلك صاح مينيا يقول مرة أخرى ، ولكنه شعر بأنه لا يعظم صاحب النزل في هذه المرة بروح المودة ، وشعرٍ بأن النضب هو الذي انتزع منه هذه الصيحة ابتزاعا بنير ادادته .

ظل تريفون بوريستش ساكنا لا يهتز ، واضعا يديه وراء ظهره.

وحدَّق الى ميتيا دون أن يجيب ، ناظرا اليه نظرة مثقلة بالكبرياء والتعالى زاخرة " بالاستنكار والاستياء •

ودو ًى صوت كالجانوف يقول فجأة وقد انهجس لا يدرى أحد من أين :

ـ الوذاع يا معترى فيدوروفتش ، الوداع !

کان کالجانوف یجری نحو العربة عاری الرأس ، مأداً یده الی میتیا ، فاتسع وقت میتیا لأن یمسك یده ویصافحه ، قائلا له :

انسجب كالجانوف الى الدهليز ، فجلس فى ركن ، واضعا رأسه فى يديه ، وأخف يبكى ، وظلى يبكى زمنا طسويلا ، كصبى صنير ، لا كشاب فى الفشرين من عمره ، لقد كان شبه مقتنع ، وا أسفاه ! ، بأن مينا قد قتل أباه ، فكان يهتف بغير انقطاع ، وهو يشسعر بحسرة مرة ولوعة شديدة : « ما قيمة البشر بعد هذا ؟ كيف يثق المره بالبشر بعد الآن ، ، وبدا له فى تلك اللحظة أنه أصبح لا يحب أن يحيا ، فهسو يسامل قائطاً : « فيم العياة ؟ فيم العياة ؟ » ،

حواش

- ١٤ ي. « Sosna Kak So Sna : ما منا لعب بالإلفاظ قائم على التشابه بين كلمة So Sna وممناها الصنوبر وبين So Sna بمعنى : « في الحلم » *
- ٣٢ يه د أنا الآن في موقف فاموسوف » : اشارة الى المسرحية الهزلية التى كتيمها جريبويدوف وعنوانها : د كتير من الذكاء ضرر » » . ودوستويفسكي كتيرا ما يستشهد بهذه المسرحية في المشهد الإخير من مذه المسرحية يفاجئ فاموسوف ابنته صوفيا متحدثة مم تشاتسكي على السلم الكبير في المنزل •
- ٣٧ يد بقوة عظيمة انجذب »: أغنية يقول دوستويفسكي في رسالة كتبها سنة ١٨٧٤ انه سمعها في موسكو قبل أربعين عاما ، وكان يفنيها الخدم » (وسوف تذكر أيضا في الصفحة ٤٢ من هذا المحلد) »
- ٣٩ ب ولأن أمن امرأة نتنة : اشارة المعنى اسم أمه وسمردياشتياياه
 (راجم حاشية الصفحة ٢٣٦ من المجلد السابق)
- ٤٠ يه « نابوليون الأول ، وهو أبو الإمبراطور الحال » : واضح خطة
 سمرديا كوف قان نابوليون الاول هو عم نابوليون الثالث الذي
 حكم قرنسا بهذه الصفة من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٧٠
- ٥١ هـ ووريقات الاشجار الطريات انديات : استعمل دوستويفسكي هذه العبارة مرازا ، وهي مستمدة من قصيدة للشاعر بوشكين في وصف الربيع •
- ٦٠ يد اذا كان الله غير موجود فيجب اختراعه » : هنا استشهاد بعبارة للكاتب الفرنسي فولتير في « رسالة الى صانع الخدع

-4

- الثلاث ۽ ، وقد تحورت عبارة فولتير قليلا ، لانها في الاصل : د اذا لم يكن اله ٥٠٠ ۽ ٠
- ۱۸ په یجب آن نتذکر آن العالم الروسي نیقولای لوباتشفسکی قد عرض سنة ۱۸۲٦ مفحیا جدیدا فی «هندسة غیر اقلیدسیة» ، فسبق بذلك أنیشتاین ومهد له .
- ٦٥ پو د يوحنا الرحيم ، : يخطى دوستويفسكى هنا ، فلا شسك ان المقصود هو د جوليان الرحيم ، الذى اتخف الكاتب الفرنسى فلوبير موضوعا لاحدى قصصه ، وقسد قام تورجنيف بترجمة هذه القصة الى اللغة الروسية سنة ١٨٧٧ .
- ٧٠ ي ينقل دوستويفسكي هنا نقسلا أمينا مضمون وأسلوب النشرة التي أصدرتها « لجنة توزيع الكتب الدينية في اقليم « فو » بسويسرة » وعنوان النشرة « جذوة جديدة تنتزع من التار » أو القصة الحقيقية التي تروى اهتداء وموت لويس فردريك ريشار اللئي أعلم بعديلة جنيف في ١١-حزيران يونية ١٨٥٠٠، وأن تنفيذ عقوبة الإعدام هذه التي أنزلت في ريشار وشهدها ما يقرب من عشرة آلاف شخص ، قد وصفت في نشرات أخرى، منهسا النشرة التي أصدرها ارنست كرامر في جنيف سنة مدال العقوبة التي اعتمام الدعلات الخرية التي عاشها لويس فرديك ريشا ؛ وعنوانها : « وعدانها : « وعدانها : « وحداد التي عاشها لويس فرديك ريشار » *
- ٧٢ هـ يجب أن نتذكر أن الليوتنان ايلنسكى لم يحكم عليه ، بتهمة
 قتل إبيه ، عام ١٨٤٨ ، إلا بالسجن مع الاشغال الشاقة عشرين
- ٧٣ يه أن الشاعر ن٠٦٠ نكراسوف قد صور هذا المشهد في قصيدته دتأملات في هذا الزمان، (١٨٥٩)، وتعت تأثير هذه القصيدة انأ ألف دوستويفسكي حلم راسكولينكوف في الفصل الخامس من الجزء الاول من روايته د الجريدة والمقلس » •
- ٧٤ يه هى قضية ابن صاحب البنك كروننبرج، الذى أحيل الى المحكمة لسوه مساملته ابنته ، ثم برأته هيئة المحلفين بفضل المراقمة الداهية التى ألقاها المحامى فلاديمير سباسوفكتش ، وقد وقف

صلحا

دوستويفسكي على هذه القضية فصلا كاملا من ويوميات كاتبء (شباط فبراير ١٨٧٦) •

٧٦ په هما مجلتان كانتا تصدران بانتظام منيذ ١٨٦٣ ، وكان دوستويفسكي يقرؤهما في كثير من الاحيان * غير أن الواقعة التي يذكرها هما ماخوذة عن « مذكرات قن » التي كتبها كانكوف ، وهو من أنصار السلافية ، ونشرتها مجلة «الرسول الروسي» سنة ١٨٧٧ ،

٧٦ يه د محرر الشعب ، : هو اللقب الذي أصبح يلقب به الاسكندر
 الثاني بعد الفاء نظام القنانة في ١٩ شباط فيراير سنة ١٩٦١

 ۸۵ په رصف دوستویفسکی کتاب فکتور هوجو واحب نوتردام، بانه عمل عبقری قوی ، وقد نشر فی مجلته دالزمان، اول ترجمة روسیة لهذا الکتاب ، سنة ۱۸۹۲

 ٨٥ . يد د وعندنا في موسسكو ، : نظم القسيس جريجدوري عروضا مسرحية في موسكو منذ سنة ١٦٧٢ ، لبلاط القيصر الكسي و وقد بداها بمسرحيتين اقتبستا عن اللغة الالمائية وهما «استير» و د توبي »

۸٦ په د نزول العذراه الى الجحيم » : هي قصيدة بيزانطية منــحولة
 خطيت برواج كبير في روسيا ، ولعلها أثرت في كتاب دانتي
 د انكوميديا الإلهية » •

٨٦ يو « سأعود قريبا » : قول المسيح في رؤيا يوحنا الرسول ،
 (الاصحاح الثاني والمشرون ، ١٢)

۸۷ یه بیتان من قصسید شیللر و الرغبة ، نظمها الشاع سنة ۱۹۸۱ و ترجمها الى الروسیة ف و و کوفسکی

٨٧ - به د ظهرت هرطقة ٤ : اشارة الى حركة «الاصلاح» *

۸۸ یه د ایتها الارض التی وله فیك ملك السماوات ، الله : آخر رباعیة من قصیدة للشاعر ف ای تیوتشیف عنوانها : دهند القری الفقیرة ، هذه الطبیعة الهزیلة » ، وقله كتبها الشاعر

مرابعا

- سنة ۱۸۵۵ ، وان قوله « في صورة عبد ، تعبير مستمد من رسالة بولس الرسول الى أهل فيليبي (الاصحاح الثاني ، ۲)،
- ۸۸ په د في نیران رائمة ، الخ : بیتان مستحدان من قصیدة للشاعر انکستدر بولیجایف (۱۸۰۵ – ۱۸۳۸). *
 - ٨٨ هـ و تمجيدا للرب ۽ : هو شعار اليسوعيين ٠
- ۸۸ یه « کبرق یسطع من الشرق الی الفرب » : حکدا ستکون عودة المسیح علی نحو ما یصفها انجیل متی (الاصـحاح الرابع والمشرون ، ۲۷ : « کما أن البرق یخرج من المشارق ویظهر الی المفارب ، حکدا یکون ایضا مجی ابن الانسان ») •
- ٩٠ به من معجزات المسيح فيما أورده انجيل متى (الاصحاح التاسع،
 ٩٥) وانجيل مرقص (الاصحاح الخامس ؛ ١٤)
- ۹۰ په د الهواه معطر بعبق اشتجار الرتد والليمون ، : هكذا يصف الشاعر بوشكين مدينة اشبيلية في قصيدته عن دون جوان •
- ۱۰۰ يه و اذا أردت أن تتأكد أنك ابن الرب ۲۰۰ » : جاه في انجيل متى (الإصحاح الرابع ، ٥ ١٦) : «ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى آباديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك » · ومثل هذا جاه في انجيل أوقا (الاصحاح الرابع ، ١٠-١١) ·
- ۱۰۲ په ۱۰ رسولك انكبير يروى ۰۰۰ » : هو يوحنا الرسول في رژياه (رژيا يوحنا الرسول ، الاصحاح السابع ، ۳ – ۸) . يذكر فلاديمير سولوفييف أن رژيا يوحنا الرسول كانت سفر دوستويفسكي المفضل في السنين الاخيرة من حياته .
 - ۱۰۶ پر د فیند ثمانیة قرون ۰۰ ، : اشارة الى انشاء دولة البابا سنة
 - ١٠٨ به صورة من رؤيا بولس الرسول (الاصحاح السابع عشر) ولعلها
 رمز الى روما الوثنية ٠
 - ١١٨ ع: « الاب سيرافيكوس ، : أطلق هــذا الاسم من أســماء القرون

مغطة

- الوسطى على القديس بونافانتورا ، وهو يظهر في المشهد الاخير من الجزء الثاني هن « فاوست » جوته •
- ۱۳٤ په «تشرماشنيا» : هو اسم قرية ملحقة باملاك والد دوستويفسكي ٥ وقد زار دوستويفسكي هذه الاماكن منذ طفولته حقستة ١٨٧٧
- ١٤١ يه « كولاك » : كان اسم « كولاك » يطلق على المحتكرين وعلى
 الفلاحين الاغنياء ، وهو من الكلمة التترية كولاك ومعناها قبضة البد »
 - ۱٤٣ ۾ دلياجافيء : نعت معناه دکلب راقد، ٠
- ۱۵۷ پر داذا لم تفن حبة القمع ۲۰۰ »: قول المسيح بمد قيام عازر من الموت ، كما ورد في انجيل يرحنا (الاصحاح الثاني عشر ، ۲۲ ـ ۲۵) • وبهذا القول صدر دوستويفسكي روايته هذه •
- ۱۹۷ ه اثر الكتب المقدسة في حيساة الاب زوسيما » : في رسالة تاريخها ۷ آب (اغسطس) ۱۸۷۹ ، موجهة الى ن ليوبينوف ، وهو ناتب محور موسلة و الرسول الروسي » ، يقسول دوستويفسكي حين بعث اليه بالنصي : « ان في هسذا الفسل حماسة وشناعرية ، مثله كمثل بعض تعاليم تيخون زادونسكي، وسنذاجة التعبير فيه مستوحاة من الكتاب الذي عنواته واسفار الرامني ،
- ۱٦٨ يه رعلى أننى أذكر أن الانفعال الدينى الإول ٢٠٠٠ ع : تقول أرملة دوستويفسكي: هنا يروى فيدور ميخائيلوفتش ذكريات طفولته . الشيخصية أ. فقد سمعته يتكلم عنها مراوا .
 - ۱۹۸ یه ۱۵ نعیش فی أرض عوص ۰۰۰ »: اشارة الی الفصل الاول من سفر آیوب ۰

صقعة

- ۱۷۹ به ۲۰۰۰ فی موضوع حدث کان قد وقع ۲۰۰۰ : اشارة الی ثورة الدیسمبرین فی شهر دیسمبر ۱۸۲۵ ۰
- ٣٥٨ چ و كانت. حياته هادنة وادعة ء : يضيف دوستويفسكي هنا حاشية الشرح التيالية : وحين انهاض جثمان راهب بسيط ر لنقله من الحجرة الى الكنيسة ، ونقله بصـه قداس الجنازة من الكنيسة الى المقبرة) تتلى الآية: كانتحياته هادئة وادعة، أما اذا كان الراهب من أصحاب النفور ، من المرتبة الثانية ، فانه يرتل له النشيد و ربنا هب لنا من لدنك عونا واحمنا »
 - ۲۷۸ په د فينيا ۽ : تصنفير اسم فيدوسيا ٠
- ۳۹۰ یه فی رسالة تاریخها ۱۲ ایلول (سبتمبر) ۱۸۷۹ ، موجهة الی ن لیوبینوف ، کتب دوستویفسکی یقول : « ارجو آن تعتنی بتصحیح اسطورة «البصلة» ، لقد اخذت هذا النص الثمین من فم فلاحة ، ولا شك آنه یسجل الآن اول مرة ، آنا على الاقل ، لم یسبق ئی آن رایته » ،
- ٣٠٦ پير د وفي اليوم التالت كان عرس في قانا الجليل ٠٠٠ » : من انجيل يوحنا ، الاصحاح الثاني ، ١ ــ ٩
- ٣٥٨ يه د كفى ! ، اشارة الى قصة تورجنيف التي تحمل هذا العنوان وانتى ظهرت سسنة ١٨٦٥ ، وفيها يعلن تورجنيف عزمه على الانقطاع عن الكتابة ، ويودع قراء •
- ٣٦١ يو د شتيدرين ۽ : أحد محرري مجلة د المساصر » ، وهي مجلة لبرائية ، أوقفتها الرقابة عن الصدور سنة ١٨٦٦ .
- ۳۸٤ پر د متجر آل بلوتنيكوف ، : ذكرت ارسلة دوستويفسكي ان زوجها كان يذهب كثيرا الى بقالية ب چ بلوتينكوف ، في مدينة شترابا روسا ، ليشتري منها مقبلات وحلاوي .

ملحة

٣٩٩ به شطران الفهما دبنترى نفسه ، وقد سبق ورودهما في الصفحة ٣٥٦ من الجزء الإول من هذه الرواية ،

- ٤١٦ م كان موظفو دوائر الدولة في روسيا يرتدون زيا رسميا ٠
- ٤١٩ چ د بارين ۽ : بهذا المقب کان يخاطب الخدم سادتهم في روسيا قبل الدورة (١٩١٧) ٠
- ٤٢١ يو يا د سيد »: قال البولندي السمين كلية دسيد» هذه باللغة البولندية • والبوننديان كلاهما سيدور اكثر كلاهما بهذه اللغة البولندية منروجة بالفاظ روسية • وكان ينبغي أن نميز البولندي من كلامهما في هذه الترجمة المربية بأحرف طباعة خاصة لو لم يتمنز ذلك •
- ٤٣٦ يه « النفوس الميتة » هي رواية جوجول الشهيرة (١٨٤٢) التي كتيرا ما يستشهد بها دوستويفسكي * أما نوزدريوف وتشتشيكوف فهما من إبطال هذه الرواية *
- 874 بي ونوزدريف كان اسمه الحقيقي نوسوف، : ها هنا تلاعب لفظي يكلمنتي mosdc ومعناها « المتخران » و mosdc ومعناها « المتخران » و mosdc ومعناها « الأنف » °
- ٣٨ . و اهذا انت ١٠٠٠ الشاعر يوالو ٢٠٠٠ ، عطلع أبيات ساخرة للشاعر اى، ٢٠ كريلوف تستهزى، بما فعله الكونت د ٠٠٠ خ خفوستوف ، وهو شاعر ضعيف ، حين ترجم كتاب بوالو وفن الشعر، ترجمة روبلة ٠
- 279 به إبيات ساخرة للشاعر باتيوشكوف عنوانها و قصيدة الى سافو جديدة » ، وفيها يتهكم بالشاعرة الروسية الاولى آنا بونينا ، آسفا على انها لم تفرق كما غرفت الاديبة اليونانية الشهيرة سافو •
- 227 م روسيا بحدودها السابقة على سنة ۱۷۷۲ »: ابتداء من سنة ۱۷۷۲ انما استردت روسيا بعض الاقاليم ، بعد اقتسام بولنده ثلاث مرات ، وهذه الاقاليم التي سببق أن احتلها اللتوانيون كانت أحد مطالب التوريين أبولندين و

...

٤٤٧ ... « قصة السيد بودفيزوكى » : فى رسسالة الى محرر مجلة « الرسول الروسى » ، كتب دوستويفسكى يقول : «سمعت هذه القصة ثلاث مرات فى حياتى ، فى أمكنة مختلفة ومن بولنديين مختلفين »

٤٦٦ په في رسالة تاريخها ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٩ ، موجهة الى ن١٥٠ ليوبينوف ، كتب دوستويفسكي يقول: «هذه الاغنية، التقطتها بنفسي ، وهي مثال على الفن القروى الحالى » •

٤٨١ چ د من آخر سيبريا » : في سيبريا انسسا كان المحكوم عليهم بالاشفال الشاقة يقضون مدة العقوبة "

٤٨٤ ي كانت السلطات التي ينتخبها الفالاحون في قرية من القرى تحمل على صدورها صافات معدنية تشاير الى رتبها أثناء ممارستها عملها ، وهي تقوم بدور الشهود أثناء تحقيق قضائي.

۵۰۲ یو ه معنی بعض الاصلاحات ، : اشسارة الی اصلاحات الکسندر الثانی فی سنوات ۱۸۹۱ _ ۱۸۹۱ (الفاء الفنانة ، الاصلاح القضائی ، الخ) •

٥٤٧ . و عليك بالصمت قلبي ٠٠٠ » : من قصيدة «الصمت» للشاعر الفيلسوف ف-ج- تيوتشيف (١٨٣٣) •

۹۸ پړ و الزاكوسكي » : مائدة مقبالات باردة ، مع فودكا ، يصيبها الطاعمون عادة في حجرة مجاورة لقاعة الطعام ، ويمضون اليها قبل الوجبة .

فهسرس

11	الباب الخامس (١١ للام وما عليه) ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠٠٠٠
14	اً ـــ الخطوبة
٣0	٣ قيثارة سمردياكوف ٢٠٠٠، ١٠٠٠، ٢٠٠٠،
1 V	٣ ـــ الاخوة يتمارفون ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠
7.0	٤ ــ التبسرد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٨a	 المفتش الكبير ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،
111	٦ ـ حيث لا صبيل الى الفهم بعد ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠
140	٧ ـــ يلذ للمره أحيانا أن يتحدث مغ رجل ذكي ١٠٠٠٠٠
101	الياب السنادس والراهب الروس)
70/	١ _ الشيخ زوسيما وضيوفه ١٠٠٠، ١٠ ١٠ ١٠ ١٠ ١٠
•	٢ حياة الشيخ زوسيما ، مستمدة من المسارات الق جمها
171	ودونهما الكسى فيدورفتش كارامازوف ٠٠٠٠٠٠
717	٣ ـــ بعض التماثيم التي عبر عنها الأب زوسيما في أحاديثه
777	الجزء المتالف
444	الپاپ السايع (اليوشا)
137	۱ من الح ن البعة البعة ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، البعاد البعاد ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،
177	٧٠ دنيقة كهذه الدنيقة ١٠٠٠٠٠ وَدَ مِنْ اللَّهُ مِنْ ١٠٠٠٠٠٠
777	٣ ـ البصنلة
4.0	٤ ــ عرس قانا

. غهرس

	•														
414			• •	• •		• •	• •		٠		••	(\	(ميت	تثامن	الباب اا
4/0			• •		**	**	• •	٠.	• •	* *	ف	. و نو	سامس		٧,
444								٠.	• •	• •	٠.		باجافي	_ ا	٣
454		٠	• •							• •	ب	الذم	ناجم	ا تــ م	٣
٧٦٧		٠	٠.					* *		* ***	• •	لام	ي الظ	ė _	٤
777			٠.								ی ا	مفاج	رار	_ ق	٥
٤٠٧										* *	٠.	. **	أناذا	. _	٦
274		٠			رده	-	کن	۱ يه	ی لا	الذ	قديم	ن ال	صندية	B _ '	٧
173	• • •		• •	• •	* *		• •	• •	• •		٠.	• •	ذيان		٨
٤٨٧								(دى	تمهي	ق 11	بحقي	♯ 1)	لتاسع	الياب ا
243			• •	• •	• •	رتين	بوخ	ف ي	_رط	للم	وتفة	ے الم	بداياه	H	١
1.0		٠	• •		* *	* *						à	تبلي	h _	4
7/0								اولى	yı a	الحتا	_	ئس	حن د	1	٣
979		٠		• •	• •						ية	الثاذ	لحنة	i _	٤
730		h	• •		٠.		٠.			٠.	عة	الثال	لحنة	1_	•
070			• •			• •		يتيا	ں م	ئىود	بة ين	النيا	کیل ا	ٔ _ ر	٦
PVo		. ;	مزاة	يذا	يت	يتيا	<u>ب</u> ه م	ظ	حتف	ی ی	الذ	لكبير	لسر ا	۱ ــ ۱	/
099				٠.		• •		ی	لمب	9 .	ہود	الشر	قوال	1 - 4	A.
110	** .*		٠.						••	• •	نيا	مين	قتياد	1 _ 4	١

اعمال دوستويفسكي الأدبية الكاملة

الجلد ٧	المبلد ١
المقاص	الْفتر أه
الزوج الأبنى	1था
الجلد ٨	قلب ضميف
الجريمة والعقاب ١	الجلد ٢
الجلد ٩	4
الجريبة والمقاب ٢	نيتوتشكا نزفانوفنا
المجالد ١٠	الليالي البيضاء
الأعبل	بروخارتشين
الجلد ١١	الجارة
الأهيل ٢	المهوج
المجلد ١٧	السارق الفريف
(لجن ١	البطل الصنفير
الجلد ١٣	قصة في تسع رسائل
	شنجرة عيد الميلاد والزواج
الجن ٢	زوجة آخر ، ورجل تحت السرير
المجلد ١٤	المُجِلُد ٣
المراحق ١	قرية ستيباتشيكوفو وسكانها
/० पांची।	حُلم المع
الرامق ٢	البجاد ع
المجلد ١٦	مناون مهانون
الأخوة كارامازوف ا	
المجلد ۱۷	• अंद्री
الأخوة كارامازوف ٢	ذكريات من منزل الأموات
الجلد ۱۸	الجلد ٣
الأخوة كارامازوف ٣	فی قبوی
المجلد ١٩	قمية البية
من د يوميات كاتب ،	ذكريات صيف عن مشاعر شتاء
رسائل	التمساح
- - , •	₩



. دارالكائبالەرى الطباعة والنشر «ستامىس»



المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر داد الكانب العربي

